شهداء السفارة المصرية فى باكستان

☆ إلى الشهداء من أطفال المسلمين الذين حصدتهم رصاصات الخوارج وقنابلهم ...

☆ إلى الشهداء الأبرياء من عامة المسلمين الذين راحوا ضحايا العنف والإرهاب ...

☆ إلى شهداء الشرطة الذين قتلوا وهم يدافعون عن ثغر من ثغور الإسلام ...

☆ إلى شـــهداء المســـلمين بكل الوطـــن الإســـلامى :

مصر - ليبيا - تونس - الجزائر - الصومال - أفغانستان ..... إلخ

أهـــــدى :

أَيُّها القَرْنيُّون هَلَّا فَقِهتُم

دار الكتاب الصوفي

(أيُّها القرْنِيُّون هلَّا فَقِهتُم)

للإمـــام
السيد عز الدين ماضى أبى العزائم
رضى الله عنه وأرضاه

جميع حقوق الطبع والنشر والترجمة والاقتباس
والتصوير محفوظة لدار الكتاب الصوفى

الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

رقم الإيداع
١٠٨٥٥ / ٩٥
I . S . B . N .
977 - 5273 - 26 - 9

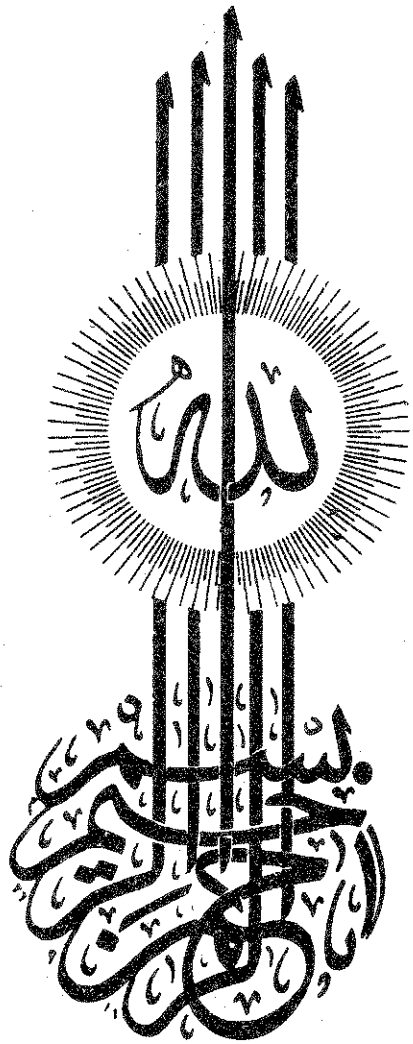
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

الحمد لله الذى ملك فقدر، وعُصى فستر، واستُغفر فغفر، غاية الطالبين الراغبين، ومنتهى أمل الراجين، من أحاط بكل شىء علمًا، ووسع المستقبلين رأفة ورحمة وحلمًا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعـــــد..

شاء الله أن يشرفنى بتلك الكلمات التى أقدم بها لذلك الكتاب الجامع الذى ألفه سماحة السيد عز الدين ماضى أبو العزائم رضى الله عنه، وسبق نشره على هيئة مقالات تحت عنوان «أيها القرنيون هلا فقهتم» فى مجلة «الإسلام وطن» وقد أعده رضوان الله عليه للطبع قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

ولقد نالت حالة الأمة الإسلامية منه رضوان الله عليه غاية الاهتمام، فاجتهد وجمع لها الدواء من مصادره المعلومة وهى كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ وهدى السلف الصالح رضى الله عنهم، واجتهد لبيان الحقيقة لطلابها، وأزاح الستار عن الوجه الحقيقى للفتنة التى أطلت برأسها فى هذا الزمان، وهى فتنة الخوارج التى ظهرت فى ثوب السلفية والتيمية والوهابية.

ولا أحب أن أطيل عليك - أخى المسلم - فى هذه المقدمة، ففى هذا الكتاب ما يكفى - بإذن الله تعالى - لشفاء الأمراض، وجلاء القلوب، وشرح الصدور، وإحقاق الحق وإبطال الباطل.

لكنى أبلور لك مسألة غاية فى الأهمية وهى تمثل الإجابة على هذا السؤال:

كيف تستطيع أن تعرف من هم القرنيون (الوهابيون) وكيف تستطيع أن تميزهم عن سائر أمة محمد ﷺ لتنجو من فتنتهم؟

والإجابة باختصار عن هذا السؤال نقول لك: إن القرنيين (الوهابيين) هم الذين يتصفون

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

الحمد لله الذى ملك فقدر ، وعُصى فستر ، واستُغفر فغفر ، غاية الطالبين الراغبين ، ومنتهى أمل الراجين ، من أحاط بكل شيء علمًا ، ووسع المستقبلين رأفة ورحمة وحلمًا ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعـــد ..

شاء الله أن يشرفنى بتلك الكلمات التى أقدم بها لذلك الكتاب الجامع الذى ألفه سماحة السيد عز الدين ماضى أبو العزائم رضى الله عنه ، وسبق نشره على هيئة مقالات تحت عنوان « أيها القرنيون هلا فقهتم » فى مجلة « الإسلام وطن » وقد أعده رضوان الله عليه للطبع قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى .

ولقد نالت حالة الأمة الإسلامية منه رضوان الله عليه غاية الاهتمام ، فاجتهد وجمع لها الدواء من مصادره المعلومة وهى كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ وهدى السلف الصالح رضى الله عنهم ، واجتهد لبيان الحقيقة لطلابها ، وأزاح الستار عن الوجه الحقيقى للفتنة التى أطلت برأسها فى هذا الزمان ، وهى فتنة الخوارج التى ظهرت فى ثوب السلفية والتيمية والوهابية .

ولا أحب أن أطيل عليك - أخى المسلم - فى هذه المقدمة ، ففى هذا الكتاب ما يكفى - بإذن الله تعالى - لشفاء الأمراض ، وجلاء القلوب ، وشرح الصدور ، وإحقاق الحق وإبطال الباطل .

لكنى أبلور لك مسألة غاية فى الأهمية وهى تمثل الإجابة على هذا السؤال :

كيف تستطيع أن تعرف من هم القرنيون (الوهابيون) وكيف تستطيع أن تميزهم عن سائر أمة نبى ﷺ لتنجو من فتنتهم ؟

والإجابة باختصار عن هذا السؤال نقول لك : إن القرنيين (الوهابيين) هم الذين يتصفون

بالصفات التالية :

١ - هم الذين يعتقدون فى الصفات عقائد المجسمة ، فهم ينسبون إلى الله سبحانه الأعضاء على الحقيقة : كاليد ، والرجل ، والعين ، والوجه ... ثم يصفونه - تعالى شأنه - بالجلوس والحركة والانتقال والنزول والصعود ، على الحقيقة كما يفهم من ظاهر اللفظ .. تعالى الله عما يصفون [راجع الهدية السنية . الرسالة الرابعة لعبد اللطيف محمد بن عبد الوهاب] .

٢ - هم الذين ينهون عن الصلاة على النبى ﷺ بعد الأذان ، ويتأذون من سماعها ، وينهون عن الجهر بها على المنائر ، وكان شيخهم يؤذى من يفعل ذلك ويعاقبه أشد العقاب ، حتى أنه قتل رجلًا أعمى كان مؤذنًا صالحًا ذا صوت حسن ، نهاه عن الصلاة على النبى ﷺ فى المنارة بعد الأذان فلم ينته ، وأتى بالصلاة على النبى ﷺ فأمر بقتله فقتل ، ثم قال : إن الربابة فى بيت الخاطئة - يعنى الزانية - أقل إثمًا ممن ينادى بالصلاة على النبى ﷺ فى المنائر ، ويلبس على أصحابه بأن ذلك كله محافظة على التوحيد [راجع كتاب الدرر السنية لشيخ الإسلام أحمد بن زينى دحلان ص ٨٩ - ٩٠] .

٣ - هم الذين يحرمون زيارة النبى ﷺ وشد الرحال إليه ، وينكرون الأحاديث الشريفة التى وردت فى هذا الباب والتى عليها إجماع الأمة الإسلامية ، يقول ابن تيمية ما نصه : « ليس عن النبى ﷺ فى زيارة قبره ولا قبر الخليل حديثًا ثابتًا أصلًا » [كتاب الزيارة ١٢ - ١٣] . وقال : « الأحاديث الكثيرة المروية فى زيارة قبره كلها ضعيفة بل موضوعة لم يرو الأئمة ولا أصحاب السنن المتبعة منها شيئًا » [كتاب الزيارة ٢٢، ٣٨] .

ومع قوله هذا فهو ينقل بين الموضعين الحديث الصحيح الذى رواه ابن ماجه والدارقطنى فى سننه أيضا عن رسول الله ﷺ أنه قال : « من زارنى بعد مماتى كأنما زارنى فى حياتى » لكنه يعود فيتنكر له ويقول : لم يرو أحد من الأئمة فى ذلك شيء ولا جاء فيه حديث فى السنن !! .

ويكفيك - أخى المسلم - أن تعلم أن أحاديث الزيارة هذه التى ينكرها ابن تيمية أوردها الدارقطنى فى سننه ، والدولابى فى الكنى والأسماء ، والهيثمى فى مجمع الزوائد ، وابن حجر فى تلخيص الخبير ، والسيوطى فى الدر المنثور ، والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ، والمتقى الهندى فى كنز العمال ، والطبرانى فى المعجم الكبير ، والبيهقى فى السنن الكبرى ، وابن حجر فى المطالب العالية ، والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار ، وابن عدى فى الكامل ، والسهمى فى تاريخ جرجان ، والمنذرى فى الترغيب والترهيب ، والتبريزى فى مشكاة المصابيح ، وغيرهم .

٤ - هم الذين لا يودون أهل بيت النبى ﷺ وقرابته ، يقول ابن تيمية بالحرف الواحد : « إن فكرة

تقديم آل الرسول هى من أثر الجاهلية فى تقديم أهل بيت الرؤساء» [منهاج السنة ٣: ٢٦٥] مخالفًا بذلك قول الله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا﴾، وقوله جل شأنه: ﴿قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة فى القربى﴾، وقول رسول الله ﷺ: «إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى: كتاب الله، وعترتى أهل بيتى، ولن يتفرقا حتى يردا علىّ الحوض» [سنن الترمذى، مسند أحمد، المستدرك، وغيرها].

٥ - هم الذين تقضى عقيدتهم على جل الصحابة بالكفر والشرك، هذا حكمهم على جل الصحابة الذين عاشوا بعد النبى ﷺ وأجازوا الاستشفاع به ﷺ، أو أجازوا السفر لزيارة قبره الشريف، أو رأوا من يجيز ذلك أو سمعوا به فلم يحكموا عليه بالكفر والشرك ولا هدروا دمه ولا استباحوا أمواله، هذا هو لازم عقيدتهم، وهذا هو حكمهم بالفعل، أما حين يروغون عنه بالقول فى ما يزعمونه من تعظيم الصحابة فإنما يريدون منه إغواء البسطاء، وتضليل الناس، كما يخشون أيضًا عواقب تصريحهم بذلك.

ولم يقف القرنيون عند هذا الحد، بل تناولوا الصحابة الذين كانوا حول الرسول ﷺ فى حياته أيضًا، فقال شيخ القرنيين ما نصه: «إن جماعة من الصحابه كانوا يجاهدون مع الرسول ويصلون معه ويزكون ويصومون ويحجون، ومع ذلك فقد كانوا كفارًا بعيدين عن الإسلام» [راجع الرسائل العملية التسع لمحمد بن عبد الوهاب - رسالة كشف الشبهات: ٢٠ طبعه سنة ١٩٥٧م].

٦ - هم الذين يطلقون ألسنتهم بالسب واللعن والتكفير على من خالفهم من أمة النبى ﷺ، كما يعتقدون أنهم وحدهم أهل التوحيد الخالص، وأما سائر المسلمين فهم مشركون ولا حرمة لدمائهم وذراريهم وأموالهم، ودارهم دار حرب وشرك، ويعتقدون أن المسلم لا تنفعه شهادة أن «لا إله إلا الله محمد رسول الله» مادام يعتقد بالتبرك بمسجد الرسول ﷺ - مثلًا - ويقصد زيارته ويطلب الشفاعة منه، ويقولون إن المسلم الذى يعتقد بهذه الأمور فهو مشرك وشركه أشد من شرك أهل الجاهلية من عبدة الأوثان والكواكب [انظر من أمهات كتبهم: الرسائل العملية التسع لمحمد بن عبد الوهاب: ٧٩، تطهير الاعتقاد للصنعانى: ٧، ١٢، ٣٠، فتح المجيد: ٤٠، ٤١، رسالة أربع القواعد ورسالة كشف الشبهات لمحمد بن عبد الوهاب وغيرها].

ففى رسالة كشف الشبهات أطلق شيخ القرنيين لفظ الشرك والمشركين على عامة المسلمين عدا أتباعه فى نحو ٢٤ موضعًا، وأطلق عليهم لفظ: الكفار، وعباد الأصنام، والمرتدين، وجاحدى التوحيد، وأعداء التوحيد، وأعداء الله، ومدعى الإسلام فى نحو ٢٠ موضعًا، وعلى هذا النحو سار أتباعه فى سائر كتبهم.

٧ – هم الذين يحقرون شأن أولياء الله الصالحين، ويتطاولون عليهم ويؤذونهم ويعادونهم، ويتهمون زائريهم بالكفر والشرك وعبادة غير الله تعالى، ويحرمون الصلاة فى المساجد التى بها أضرحه الأولياء، كمسجد الإمام الحسين والسيدة زينب والسيد البدوى والسيد إبراهيم الدسوقى وغيرهم.

٨ – هم الذين يعتبرون تجويف المحراب بدعة، ورفع المنبر عن ثلاث درجات بدعة، مخالفين بذلك وضع جميع مساجد الأمة الإسلامية ومن بينها المسجد الحرام ومسجد النبى ﷺ.

٩ – هم الذين يحرمون قراءة القرآن الكريم فى المساجد يوم الجمعة، ويكتفون بأذان واحد منكرين سنة الخلفاء الراشدين المهديين التى أمرنا النبى ﷺ أن نعض عليها بالنواجذ، كما أنهم يؤذنون للفجر فى مصر بعد التوقيت الفعلى بأكثر من ثلث ساعة مخالفين بذلك التوقيت المتفق عليه فى جميع المساجد، ويبدأون يوم صومهم على أساس ذلك.

١٠ – هم الذين يفرج المصلى منهم بين قدميه تفريجًا متفاحشًا، يزيد عن الحد المشروع الذى أورده أهل المذاهب الأربعة، وهو كالآتى:

أ – **الحنفية**: قدروا التفريج بين قدمى المصلى بقدر أربع أصابع، فإن زاد أو نقص كره.

ب – **الشافعية**: قدروا التفريج بينهما بقدر شبر، فيكره أن يقرن بينهما أو يوسع أكثر من ذلك، كما يكره تقديم إحداهما على الأخرى.

حـ – **المالكية**: قالوا تفريج القدمين مندوب لا سنة، وقالوا المندوب هو أن يكون بحالة متوسطة، بحيث لا يضمهما ولا يوسعهما كثيرًا حتى يتفاحش عرفًا.

ء – ووافقهم الحنابلة على هذا التقدير إلا أنه لا فرق عند الحنابلة بين تسميته مندوبًا أو سنة. [راجع الفقه على المذاهب الأربعة].

١١ – هم الذين يفعلون ما أخبرنا به النبى ﷺ عنهم بقوله: « يقتلون أهل الإسلام ويَدَعون أهل الأوثان » [وتكفى نظرة إلى ما يحدث فى أيامنا هذه فى مصر والجزائر وأفغانستان وباكستان ... إلخ، من قيام هؤلاء بقتل أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان لا يمسونهم بسوء.

١٢ – هم الذين قام بعضهم بكسر رباعيته ظنًا منه أنه بذلك يتأسى ويتشبه برسول الله ﷺ لما كسرت رباعيته، وهل قام رسول الله ﷺ بكسرها؟ أم أن ذلك كان مما لاقاه من أذى الكفار ومحاربتهم له؟... لكن صدق رسول الله ﷺ لما وصفهم بقوله: « سفهاء الأحلام » أى: ضعفاء العقول.

٣ - هم الذين ينكرون لفظ السيادة للنبى ﷺ ويكرهون تعظيمه بما عظمه الله تعالى وجاز له، مع أن الله تعالى قال عن سيدنا يحى عليه السلام ﴿وسيدا وحصورا﴾ وقال جل شأنه عن مرأة العزيز: ﴿وألفيا سيدها لدى الباب﴾ أى: زوجها، وأمر النبى ﷺ الأنصار أن يقوموا لسعد بن معاذ بقوله: «قوموا لسيدكم» مع صريح قوله صلوات الله وسلامه عليه: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر».

٤ - هم الذين يحرمون الاحتفال بمولد النبى ﷺ ومع ذلك فهم يقيمون لأئمتهم الاحتفالات، مع أن النبى ﷺ لما سئل عن صيام يوم الاثنين قال: «فيه ولدت وفيه أنزل علىّ» رواه مسلم فى الصحيح فى كتاب الصيام، وهذا فى معنى الاحتفال به، إلا أن الصورة مختلفة ولكن المعنى موجود سواء كان ذلك بصيام أو إطعام طعام، أو اجتماع على ذكر، أو صلاة على النبى ﷺ، أو سماع شمائله الشريفة.

هذه من أشهر صفاتهم التى عرفوا بها، مع اختلاف صورهم، وأشكالهم، وتعدد انتماءاتهم.

وصحيح أن ولاة الأمر فى الأمة الإسلامية مطالبون بالأخذ على يد هؤلاء كما أمر القرآن الكريم، وكما بينت سنة سيد المرسلين ﷺ، حتى يكفوا أذاهم عن الأمة، ويستريح الناس من شرهم، وهذا واجب ولاة الأمر الذى يجب عليهم ألا يحيدوا عنه، إلا أن القاعدة العريضة فى الأمة الإسلامية محتاجة إلى دور العلماء فى الرد على الفكر بالفكر، ودرء تمويه الباطل وتدليس الكذب؛ بحجة الحق وبيان الصدق.

وهذا الكتاب الذى بين يديك - أخى المسلم - إسهامة فى هذا المجال، وقبس من ذلك النور، نفعنا الله به وإياك، وكشف به الغمة عن الأمة، إنه مجيب الدعاء.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

شيخ الطريقة العزمية

السيد محمد علاء الدين ماضى أبو العزائم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

الحمد لله خير من سئل، وأرحم من استرحم، من لا يخفى عليه إغماض الجفون، ولا لحظ العيون، ولا ما استقر في المكنون، ولا ما انطوت عليه مضمرات القلوب، ألا كل ذلك قد أحصاه علمك، ووسعه حلمك، سبحانك وتعاليت عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا، تسبح لك السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن، وإن من شيء إلا يسبح بحمدك، فلك الحمد والمجد، وعلو الجد، يا ذا الجلال والإكرام، والفضل والإنعام، والأيادى الجسام، وأنت الجواد الكريم، الرءوف الرحيم.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد عين أعيان الأسرار، ومصدر حقائق الأنوار، السارى بظاهره في كل ظاهر، وبباطنه في كل باطن، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وصحابته الهادين المهديين، ورضى الله تعالى عن الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم، ونضر الله وجه خليفته الأول الإمام السيد أحمد ماضى أبى العزائم، آمين آمين، وبعد :

لقد ابتلى الإسلام على مر العصور والدهور بالأعداء الذين أحاطوا به من كل جانب، والمؤامرات التى دبرت ضده لتفرق كلمته وتشتت شمله، من يوم الردة، إلى أيام الانقاسامات والحروب، إلى نكبة هولاكو والمغول، إلى هجمات الصليبيين، إلى إلغاء الخلافة الإسلامية، وتفريق كلمة المسلمين وجعلهم أممًا وشعوبًا مختلفة، بعد أن كانوا تحت لواء الخلافة الإسلامية أمة واحدة، إلى الأفكار والمبادىء الهدامة كالشيوعية والعلمانية، والوهابية والماسونية والبهائية والقديانية، إلى الأحزاب السياسية المتناحرة.

نكبات تلو نكبات، لكنها دون ما يواجه الإسلام في هذه الأيام من حملات الإبادة من الصليبية والصهيونية والشيوعية والعلمانية والوهابية، واجتمعت أمام العالم الإسلامى لمحاربته واستعباده من طاجيسكان إلى أذربيجان إلى البوسنة والهرسك إلى كوسوفو وألبانيا إلى بورما والهند وكشمير، إلى سيريلانكا والفلبين، إلى نيجيريا وليبيريا والصومال، إلى اللاجئين المسلمين في فرنسا وألمانيا وإيطاليا وأسبانيا من المغاربة والجزائريين والأتراك.

ومن هنا أحب أن أنقب عن جراح أصابت الجسد الإسلامى وأعيته وأنهكته فيما مضى، لكى وجدت أن الفتنة التى ذاقت منها الأمة الإسلامية الأمرين فى أزمان مضت، قد أطلت برأسها فى زماننا هذا وأصابت الأمة الإسلامية فى صميمها.

وأعنى بتلك الفتنة فتنة القرنيين، والقرنيون هم أصحاب فكر الخوارج من بلاد نجد، ففى صدر الدعوة الإسلامية كان القرنيون هم مسيلمة الكذاب وشرذمته، وفى عهد الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه كان ذو الخويصرة التميمى رأس الخوارج، وفى القرن الثانى عشر كان البدعى النجدى ابن عبد الوهاب ومن يحرقون بخور الثناء لفكره الخارجى، وجميع هؤلاء من بلاد نجد التى تنبأ الرسول ﷺ بأن بها زلازل العقيدة والفتن بين الأمة الإسلامية، ومنها «يطلع قرن الشيطان» وفى رواية أخرى «يخرج قرن الشيطان» بصيغة الفعل المضارع الذى يفيد الاستمرار على مر العصور والدهور، فخرج من نجد مسيلمة الكذاب، وخرج من نجد ذو الخويصرة التميمى، وخرج من نجد القرامطة، وخرج من نجد ابن عبد الوهاب التميمى، والآن القرنيون هم سدنة فكر البدعى النجدى ابن عبد الوهاب، وامتطى أعداء الإسلام تلك الفتنة، وأججوا نارها، وأمدوها بالعون المادى والمعنوى ففعلت بالأمة على مر تاريخها الأفاعيل.

ولقد كانت وحدة الأمة الإسلامية فيما مضى، ووعيها ودرايتها بمخططات أعدائها حائلًا دون أن يتمكن عدو الأمة منها، واستطاعت الأمة فيما مضى أن تتخطى العقبات، وأن تستعلى على النكبات، وأن تستيقظ من نومة الغفلة ورقدة الجهالة كلما أحست بالخطر الخارجى، وكانت الأمة دائمًا تتوحد أمام ذلك الخطر وتدمر العدوان وتنجو من الأخطار.

لكن العدو استطاع أن ينقل المعركة إلى داخل الأمة الإسلامية، وأن يجند له جنودًا وأعوانًا قاموا بأكثر مما كان يحلم به، فتبجح العدو، ولم يعد يدارى فى عداوته للإسلام، وفى إرادته تدميره وإهلاك أهله والقضاء عليه، وكأنما تبلد الجسد الإسلامى، وأصاب الأمة الإسلامية الوهن والضعف والتشتت والتفرقة، ونال منها عدوها الكثير، وأصبح بأس المسلمين بينهم شديدًا.

واستطاع العدو الحاقد أن يجند فئة تنتمى إلى الإسلام - وهم القرنيون فى زماننا هذا - لتقوم بهدم الإسلام وتمكين عدوه منه، واستطاعت تلك الفئة أن تحدث فى الدين أحداثًا جسامًا، وأن تعوق مسيرة الأمة الإسلامية، وأن تطعنها فى الصميم بلا رحمة وبلا هوادة.

لقد كانت الأسس التى بنى عليها العدو خطته هى تلك النقاط التى قامت وزارة المستعمرات البريطانية بتلقينها لعميلها «محمد بن عبد الوهاب» عن طريق مستر همفر - رجل المخابرات البريطانية فى البلاد الإسلامية - وهذه الخطة كما يلى:

١ - تكفير المسلمين، وإباحة قتلهم وسلب أموالهم، وهتك أعراضهم، وبيعهم فى أسواق النخاسة، وحلية جعلهم عبيدًا ونسائهم جوارى.

٢ - هدم الكعبة باسم أنها آثار وثنية إن أمكن، ومنع الناس عن الحج، وإغراء القبائل بسلب الحجاج وقتلهم.

٣ - السعى لخلع طاعة الخليفة والإغراء لمحاربته وتجهيز جيوش لذلك، ومن اللازم أيضًا محاربة أشراف الحجاز بكل الوسائل الممكنة والتقليل من نفوذهم.

٤ - هدم القباب والأضرحة والأماكن المقدسة عند المسلمين فى مكة والمدينة وسائر البلاد التى يمكنه ذلك فيها باسم أنها وثنية وشرك، والاستهانة بشخصية النبى (محمد) وخلفائه ورجال الإسلام بما يتيسر.

٥ - نشر الفوضى والإرهاب فى البلاد حسب ما يمكنه ذلك.

٦ - نشر قرآن فيه التعديل الذى ثبت فى الأحاديث من زيادة ونقيصة.

لقد قال سكرتير وزارة المستعمرات البريطانية لمستر همفر وهو يملى عليه تلك النقاط لكى تكون خطة عمل تسلم إلى (محمد بن عبد الوهاب) لا يهولنك هذا البرنامج الضخم، فإن الواجب علينا أن نبذر البذرة، وستأتى الأجيال الآتية ليكملوا المسيرة، وقد اعتادت حكومة بريطانيا العظمى على النفَس الطويل، والسير خطوة خطوة، وهل محمد النبى إلا رجل واحد تمكن من ذلك الانقلاب المذهل؟ فليكن (محمد بن الوهاب) مثل نبيه محمد ليتمكن من هذا الانقلاب المنشود.

وقد وعد (محمد بن عبد الوهاب) بتنفيذ كل الخطة السداسية، إلا أنه قال إنه لا يتمكن فى الحال الحاضر إلا على الإجهار ببعضها، وهكذا كان، فقد استبعد أن يقدر على هدم الكعبة عند الاستيلاء عليها، كما لم يبح للناس بأنها وثنية، وكذلك استبعد قدرته على صياغة قرآن جديد.

والناظر فيما حوله إلى ما يحدث على الساحة الإسلامية يجد أن تلك الخطة يجرى تنفيذها على قدم وساق، وقام القرنيون ببث سمومهم وأفكارهم، وغمرت شبابنا المسلم كتب ومنشورات تأخذ عليه سمعه وبصره، وأحجم علماء القحط عن بيان الحقائق طمعًا فى الثراء المأمول من بلاد البترول.

وأصبح لزامًا علىّ أن أوضح الحقيقة وأبينها للناس، ليس من وجهة نظرى الشخصية فقط، ولكن من وجهة نظر الدين، وعلماء الملة، وفقهاء الأمة والسلف الصالح رضى الله عنهم، فبنيت مقولاتى على آرائهم، ونقلت ما أجمع عليه علماء الأمة الإسلامية التى لا تجتمع على ضلالة، فيما

عدا ثالوث التكفير : ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب .

ولقد قمت بنشر ذلك كله على هيئة مقالات بعنوان (أيها القرنيون هلّا فقهتم) فى مجلة (الإسلام وطن) على مدى حوالى أربع سنوات ، ولم يستطع بوق واحد من أبواق الوهابية سواء فى مهدها فى نجد ، أو فى غيرها من البلاد ، أن يردوا ردًا موضوعيًا على ما جاء فيها ، أو يفندوا ولو جزءًا صغيرًا منها ، اللهم إلا تلك الشتائم والسباب والتكفير والتشريك التى اعتدنا على قراءتها وسماعها من هؤلاء الذين يسيرون فى فلك ثالوث التكفير ، دون أن يظهروا على ادعاءاتهم حجة ، أو يبينوا للناس فيها بيانًا .

ولقد ظن البعض خلال نشر تلك المقالات فى مجلة (الإسلام وطن) أن عبارة ثالوث التكفير - التى أطلقناها على ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب - قصد بها أن نطلق لفظة الكفر على هؤلاء .

ونستعيذ بالله تعالى من ذلك ، فإننا لا نتهم أصغر مسلم بشرك أو بكفر أو بخروج من الملة ، يقول سيدنا رسول الله ﷺ : (أيما رجل قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما) رواه الشيخان - ويقول ﷺ : (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) رواه الشيخان . ويقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم رضى الله عنه : (كل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فله قسط من أبوة رسول الله ﷺ) .

ونحن لم نقل : ثالوث الكفر . حتى يظن هؤلاء أننا نتهم أحدًا بكفر .. لكننا قلنا عن ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب ونقول : إنهم ثالوث التكفير ، أى : الثالوث الذين يقومون هم بتكفير السواد الأعظم من أمة النبى ﷺ .

وغاية حكمنا على هؤلاء وأمثالهم ما ورد فى معنى ما قاله الإمام علىّ كرم الله وجهه لما سئل عن أمثال هؤلاء من الخوارج : أكفار هم ؟ قال : لا ، لأنهم من الكفر فروا ، فقالوا : أمنافقون هم ؟ قال : لا ، لأن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلًا ، وهؤلاء يذكرون الله كثيرًا ، قالوا : إذن ما هم ؟ قال : قوم أصابتهم الفتنة فعموا وصموا .

وقال عنهم رضى الله عنه فى موطن آخر : صم ذووا أسماع ، وبكم ذووا كلام ، وعمى ذووا أبصار ، أقوالهم بغير علم ، وغفلتهم من غير ورع ، وطمعهم فى غير حق .

ونقد آثرنا نطق كلمة الحق ، وإشاعة حجة الصدق ، وإعلان رأى فقهاء الأمة وعلمائها دون أن ترهبنا سيوف الخوارج وأسلحتهم التى قامت تحصد الأبرياء ، وتقطع أعناق أهل القبلة ، ولا ترقب فى مؤمن إلًا ولا ذمة .

إن واجب الوقت دعانى إلى البيان - كل البيان - وعملت جهدى وطاقتى ألا أترك منبرًا من منابر الحق إلا وأعلن كلمة الحق عليه، ولقد اغتنمت كل فرصة للتحدث مع علماء الأمة ومفكريها وولاة الأمر فيها لدعوتهم جميعًا إلى الوقوف صفًا واحدًا أمام ذلك الخطر الداهم الذى كاد يودى بالأمة الإسلامية.

والأمر بدءًا وختمًا بيد الله تعالى وحده يفعل ما يشاء، لكن واجب العلماء البيان، وعلينا أن نسابق الزمن، فالعمر قصير، والمطلوب عظيم جدًا.

وقد أخبر النبى ﷺ عن هؤلاء الخوارج بأنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وبين فى الحديث الذى رواه البخارى فى كتاب الفتن أنهم: (لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه) والفوق - بضم الفاء - موضع الوتر، والسهم إن أطلق لا يعود إلى مكانه مرة أخرى، يقال: (ما ارتد على فوقه) أى: مضى ولم يرجع، ومعنى ذلك أن الذى تمكنت منه هذه الفتنة لا ينفعه نصح ولا إرشاد، لكنى أعتقد أن هؤلاء ينقسمون إلى قسمين: قسم ممول، وقسم مضلل. وهؤلاء الممولون لا حاجة لنا بهم، فقد تكاثف الران على قلوبهم فعموا وصموا.

لكننا نطمع فى هداية هؤلاء المضللين الذين ظنوا - خطأ - فى ذلك المنهج سيرًا على الكتاب والسنة، ونجاة من النار، وضمانًا للجنة، وأطمع فى فضل الله تعالى أن يرجع هؤلاء إلى الحق، وأن ندخل تحت مصداق قوله ﷺ: (لأن يهدى الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حُمُر النِعم) «رواه الشيخان».

ولقد حاولت فى كتابى هذا كشف الحقيقة لطالبيها، وتحصين شبابنا المسلم من خطر هذه الفتنة ومن السقوط فى تلك الهوة، مع إدراكى أن الأمر لله وحده، قال تعالى: ﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليًا مرشدًا﴾.

إن القابض على دينه فى هذا الزمان كالقابض على الجمر، وإنى لأثق أن لله تعالى رجالًا يحبهم ويحبونه، يظهر بهم دينه، وينصر بهم شريعته، وما ذلك على الله بعزيز.

لقد راجعنى بعض أحبابى وأبنائى وتلاميذى، وخشوا علىّ من مغبة التصدى لهؤلاء وبيان أفكارهم وكشف الستار عن ضلالاتهم.

لكن هذا لم يثننى يومًا عما انتويته، ولم يفتر عزيمتى، ولم يوهن همتى، إنما كنت أبث فيهم روح الجهر بكلمة الحق، وليكن بعدها ما يكون... قلها ومت.

إننى أقدم ما جمعت وما كتبت قربة إلى الله تعالى، وهدية إلى سيدى ومولاى رسول الله ﷺ الذى شرفت بانتسابى إليه، وأحس برضاه وسروره أن أحببتُ ما قال، وقلتُ ما يحب.

لقد امتثلت فى هذا الكتاب أمر الله تعالى وأمر رسول الله ﷺ فى الحديث المروى عن مسلم : (أترعون أن تذكروا الفاجر بما فيه ، اذكروا الفاجر بما فيه كى يحذره الناس) وقد حث أفاضل علماء الأمة الإسلامية على الجهاد ضد الخوارج والسلفيين والتيميين والوهابيين وأبواقهم فى مصر والسودان وتونس والجزائر والمغرب وغيرها بقولهم :

من ذا الذى كشف الستر عن كل كاذب ... وعن كل بدعى أتى بالعجائب
ولولا رجال مؤمنون لهدمت ... صوامع دين الله من كل جانب

إن تعصب القرنيين قد بلغ مبلغه من هؤلاء البغاة المتعصبين لرأى ثالوث التكفير – ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب – دون غيرهم من أئمة الإسلام ، يحاربون كل فكرة مخالفة لهم ، ويشيعون المثالب حول كل دعوة مخالفة لدعوتهم ، ويستعدون الناس إزاء كل شاردة وواردة ، ويقحمون أنفسهم فى كل شئ وكأنهم هم المعنيون ، وينالون من مخالفيهم نيلًا ، ويرمونهم رميًا ، ويطالبون بتكميم الأفواه إلا أفواههم ، ويطالبون غيرهم باتباعهم رغمًا عنهم ، ولا يميلون إلى سماع ، ويستبيحون دماء مخالفيهم وأموالهم ، ويعتقدون بصلاح حالهم طالما أنهم متمسكون بعقيدة سلفهم ، ماضون فى تعصبهم طالما شيوخ النفط معهم ، والبترورىال يناصرهم ، فمتى يرعون على جادة الصواب ، ومتى يؤخذ على يد هؤلاء البغاة الذين يريدونها فتنة تعم البلاد والعباد ، ويريدون أن تسال الدماء ، ويقتل الرجال ، ويسبى النساء .

وقى الله تعالى الأمة الإسلامية شر تلك الفتنة ، وسلّمها من كيد أعدائها ، وأعاد لنا المجد الذى كان لسلفنا الصالح ، إنه أفضل مسئول وأكرم مأمول ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

السيد عز الدين ماضى أبو العزائم

الباب الأول

القرنيون: منهجهم وصفاتهم وغايتهم

الفصل الأول

نبذة تاريخية

مؤامرة قريش فى دار الندوة تعقد تحت رعاية إبليس اللعين:

شعر المشركون بتفاقم الخطر الذى كان يهدد كيانهم، فصاروا يبحثون عن أنجح الوسائل لدفع هذا الخطر الذى مبعثه الوحيد هو حامل لواء دعوة الإسلام سيدنا محمد ﷺ.

ففى يوم الخميس ٢٦ من صفر سنة ١٤ من النبوة الموافق ١٢ من شهر سبتمبر سنة ٦٢٢م – أى بعد شهرين ونصف من بيعة العقبة الكبرى – عقدت قريش أخطر مؤامرة تكفل القضاء سريعًا على حامل لواء الدعوة الإسلامية؛ لتقطع تيار نورها عن الوجود نهائيًا، وذلك بدار الندوة – وهى الدار التى بناها قصى بن كلاب بمكة – وكانت قريش لا تقضى أمرًا إلا فيها، وسميت دار الندوة لأنهم يتندون فيها، أى: يتجمعون للمشاورة.

وتوافد على دار الندوة جميع نواب القبائل القرشية، وكانت الوجوه البارزة فى هذا الاجتماع الخطير من نواب قبائل قريش: أبو جهل بن هشام عن قبيلة بنى مخزوم، وجبير بن مطعم، وطعيمة بن عدى، والحارث بن عمرو، عن بنى نوفل بن عبد مناف. وشيبة وعتبة ابنا ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، عن بنى عبد شمس بن عبد مناف، والنضر بن الحارث، عن بنى عبد الدار، وأبو البحترى بن هشام، وزمعة بن الأسود، وحكيم بن الأسود، وحكيم بن حزام، عن بنى أسد بن عبد العزى، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج عن بنى سهم، وأمية بن خلف عن بنى جمح.

إبليس اللعين يتجسد فى هيئة شيخ نجدى ليخطط لقرار هذه المؤامرة :

ولما جاءوا إلى دار الندوة حسب الميعاد اعترضهم إبليس عليه اللعنة فى هيئة شيخ نجدى ووقف على الباب ودار بينهم وبينه الحديث التالى (راجع مختصر سيرة الرسول ﷺ لابن عبد الوهاب طبعة ١٤٠٨ ص ١٢٥) .

قـــريـــش : من الشيخ ؟

إبليـــــس : شيخ من أهل نجد قدمت مكة وسمعت بالذى تواعدتم عليه فحضرت معكم لأسمع ما تقولون ، وعسى ألا أعدمكم منى رأيًا ونصحًا .

قـــريـــش : أجل هذا رجل لا بأس عليكم منه ، ادخل .
فدخل معهم ، وبعد أن تكامل الاجتماع بدأ عرض الاقتراحات والحلول ، ودار النقاش طويلا ، فقال بعضهم : إن هذا الرجل - يقصدون سيدنا رسول الله ﷺ - قد كان من أمره ما كان فتشاوروا .

أبو البحترى : احبسوه فى الحديد ، وشدوا عليه وثاقه .

ابن هشام : وأغلقوا عليه بابا ، ثم تجعلون له كوة تدخلون عليه طعامه وشرابه فيكون محبوسًا عندكم إلى أن يموت .

إبليـــــس : « فى هيئة شيخ نجدى » : لاوالله ما هذا برأى ، والله لئن حبستموه كما تقولون ليأتينكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم ، فانظروا فى غيره وتشاوروا .

قـــريـــش : صدق والله الشيخ النجدى « يعنى إبليس » .

زمعـــــة : نخرجه من بين أظهرنا وننفيه من بلادنا .

ابن الأسود : ولا نبالى أين ذهب ، ولا حيث وقع .

إبليـــــس : « فى هيئة شيخ نجدى » : لاوالله ماهذا لكم برأى ، ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى ؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حى من العرب ، ثم يسير بهم إليكم بعد أن يتابعوه ، حتى يطأكم بهم فى بلادكم ، ثم يفعل بكم ما أراده ، دبروا فيه رأيًا غير هذا .

قـــريـــش : صدق والله الشيخ النجدى ، « يعنى إبليس » .

وبعد أن رفض المتآمرون هذين الاقتراحين قدم إليهم اقتراح آخر من كبير مجرمى مكة أبى جهل بن هشام .

أبو جهل : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جلدا نسيبا ، وسيطا ، ثم نعطى كل فتى منهم سيفا صارمًا ، ثم يعمدون إليه ، فيضربونه بها ضربة رجل واحد ، فيقتلونه فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعًا ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعًا فرضوا منا بالدية .

إبليس : « فى هيئة الشيخ النجدى » : القول ماقال أبو جهل ، هذا الرأى لارأى غيره .

قريش : نوافق على هذا الاقتراح بالإجماع ونصمم على تنفيذ هذا القرار فورًا .

(راجع عيون الأثر من فنون المغازى والشمائل والسير ص ٢١٠)

فانظر كيف أن جنود إبليس الذين جالوا الدنيا كلها ولا يزالون يجولون فيها ويمربدون ، ويعملون ليل نهار لغواية البشر ، وإثارة الفتن بين الناس وإضلالهم عن الصراط المستقيم ! لم يجد إبليس أحدا من جنوده هؤلاء له الصلاحية فى حضور مؤامرة قريش بدار الندوة فحضر شخصيا ليشارك بالرأى السديد فى هذه المؤامرة (راجع سيرة ابن هشام الجزء الأول ص ٤٨٠) .

وكيف أنه استعرض شيوخ الدنيا كلها ليتجسد فى شخصية واحد منها ، ليحضر هذه المؤامرة ويشارك بالرأى فيها ، فلم يجد إبليس من شيوخ الشام شيخًا يصلح ليتقمص شخصيته ، ولم يجد من شيوخ اليمن شيخًا جديرًا بشخصيته ، ولم يجد بشيوخ الحجاز ومصر شيخًا يصلح لأن يتشكل على صورته ، ولم يجد من شيوخ العراق شيخًا تطابق هيئته هيئة إبليس اللعين ، ولكنه وجد ضالته المنشودة وطلبته المرغوبة فى صورة شيخ نجدى فتجسد إبليس اللعين على صورة « هذا الشيخ النجدى » وصدق رسول الله ﷺ : « إن نجدًا يَخْرُجُ مِنْهُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ وإنَّ بِهَا الزَّلَازِلَ والفِتَنَ »[1] .(راجع البداية والنهاية لابن كثير - الجزء الثالث ص ١٧٣) .

ولما اتخذ مجرمو قريش القرار الغاشم بقتل سيدنا رسول الله ﷺ ، نزل جبريل بوحى ربه تبارك وتعالى ، فأخبره بمؤامرة قريش ، وأن الله قد أذن له فى الخروج وحدد له وقت الهجرة

---

[1] رواه الترمذى فى كتاب المناقب الباب ٧٤ .

قائلا : لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه . فذهب سيدنا محمد ﷺ فى الهاجرة إلى أبى بكر ليبرم معه خطة الهجرة ، وبعد إبرام خطة الهجرة رجع سيدنا رسول الله ﷺ إلى بيته ينتظر مجيء الليل . وقد سجل القرآن الكريم هذا المشهد فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ واللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾[1] (راجع الرحيق المختوم فى السيرة للشيخ صفى الرحمن إصدار رابطة العالم الإسلامى ص ١٧٨) .

أما أكابر مجرمى قريش فقضوا نهارهم فى الإعداد لتنفيذ الخطة المرسومة التى أبرمها إبليس اللعين فى « هيئة شيخ نجدى » بدار الندوة صباحًا واختار لذلك أحد عشر رئيسًا من هؤلاء المتآمرين وهم : أبو جهل بن هشام والحكم بن أبى العاص وعقبة بن أبى معيط والنضر بن الحارث وأمية بن خلف وزمعة بن الأسود وطعيمة بن عدى وأبو لهب وأبىّ بن خلف ونبيه بن الحجاج ومنبه بن الحجاج . فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فينقضون عليه (راجع زاد المعاد الجزء الثانى ص ٥٢) .

مع غاية استعداد قريش لتنفيذ خطتهم التى رسمها لهم إبليس اللعين فى « هيئة شيخ نجدى » فقد فشلوا فشلاً فاحشًا : ففى هذه الساعة الحرجة قال سيدنا رسول الله ﷺ لسيدنا على بن أبى طالب (رضى الله عنه) : « نَمْ عَلَى فِرَاشِى ، وتَسَجَّ بِبُرْدِى هَذَا الحَضْرَمِىّ الأَخْضَرِ ، فَنَمْ فِيهِ ، فَإِنَّهُ لَنْ يَخْلُصَ إِلَيْكَ شَىءٌ تَكْرَهُهُ مِنْهُمْ »[2] ثم خرج سيدنا رسول الله ﷺ واخترق صفوفهم ، وأخذ حفنة من البطحاء فجعل يذره على رؤوسهم ، وقد أخذ الله بأبصارهم عنه فلا يرونه وهو يتلو : ﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[3] .

وكان ذلك فى ليلة ٢٧ من شهر صفر سنة ١٤ من النبوة الموافق ٦٦٢/٩/١٢م (راجع مختصر سيرة الرسول للشيخ عبد الله النجدى ص ١٦٧) وبقى المحاصرون ينتظرون سافر الصفر ، وقبيل حلولها تجلت لهم الخيبة والفشل ، فقد جاءهم رجل ممن لم يكن معهم ورآهم ببابه ﷺ فقال : ما تنتظرون ؟ قالوا : محمدا ، قال : خبتم وخسرتم قد-والله-مر بكم ، وذر على رؤوسكم التراب ، وانطلق لحاجته ، قالوا : والله ما أبصرناه ، وقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم .

---

(١) سورة الأنفال آية ٣٠ .

(٢) أورده أبو نعيم فى دلائل النبوة ٦٤/١ وابن كثير فى البداية والنهاية ١٧٦/٣ .

(٣) سورة يس آية ٩ .

ولكنهم تطلعوا من ثقب الباب فرأوا سيدنا عليا (رضى الله عنه) : فقالوا : والله إن هذا محمد نائمًا عليه برده ، فلم يبرحوا كذلك حتى قام عليّ عن الفراش ، فسقط فى أيديهم ، وسألوه عن رسول الله ﷺ فقال : لاعلم لى به . وأنشد سيدنا على (رضى الله عنه) مشيرًا إلى منّ الله تعالى به عليه :

وقيت نفسى خير من وطىء الحصى ... ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول الله خاف أن يمكروا به ... فنجاه ذو الطول الإله من المكر
وبات رسول الله فى الغار آمنا ... وقد صار فى حفظ الإله وفى ستر
وبت أراعيهم ومايتهمونني ... وقد وطدت نفسى على القتل والأسر

(راجع السيرة الحلبية ص ١٨٨) .

الرسول ﷺ ينتبأ بأن نجدًا يخرج منها قرن الشيطان ليزلزل العقيدة ويثير الفتن :

قال عليه الصلاة وأبهى السلام : « اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِى شَامِنَا ، اللَّهُمَ بَارِكْ لَنَا فِى يَمَانِنَا ، قَالُوا : يَا رَسُولَ الله وفِي نَجْدِنَا ، قَالَ : اللَّهُمَ بَارِكْ لَنَا فِي شَامِنَا ، اللَّهُمَ بَارِكْ لَنَا فِي يَمَانِنَا ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّه وفى نَجْدِنَا : قَالَ : هُنَاكَ الزَّلَازِلُ والفِتَنُ وَبِهَا يَطْلَعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ »[1] أخرجه الإمام البخارى فى فتح البارى ص ٢ ص ٥٠٦ باب ماقيل فى الزلازل والآيات حديث رقم ١٠٣٧ .

وقال ﷺ : « الفتنة من قبل المشرق »[2] أخرجه الإمام البخارى فى فتح البارى فى كتاب الفتن جـ ١٣ ص ٤٩ حديث ٧٠٩٢ .

وعن سالم عن أبيه عن النبى ﷺ أنه قام إلى جنب المنبر فقال : « الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان أو قال قرن الشمس »[3] المرجع السابق حديث ٧٠٩٣ .

---

(١) رواه البخارى ٣/ ٣٠، ٤/ ٤٢، ٨/ ٩٩ ومسلم فى كتاب الحج الحديث رقم ٤٧٦ وأحمد فى الجزء السادس صفحة ٢٤٠ والجزء الثالث صفحة ٤٧، والجزء الثانى صفحة ١١٨ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٣٥١١٦، ٣٨١٥٨ وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق ١/ ٣٥، ٣/ ٢٠٩ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٣/ ٢٨٧ والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ٢٤/١ وأبو نعيم فى الحلية ٦/ ١٣٣ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٢/ ٢٢٧ والسيوطى فى جمع الجوامع ٩٨٣٦ وابن حجر فى فتح البارى ٤/ ٩٨، ٩٩ والبيهقى فى دلائل النبوة ٢/ ٢٨٣ والطبرانى فى المعجم الكبير ١٢/ ٨٥.

(٢) رواه البخارى فى كتاب الفتن الباب ١٦ .

(٣) رواه البخارى فى كتاب الخمس الباب ٤ وكتاب الاستقاء الباب ٢٧ وكتاب الفتن الباب ١٦ وكتاب الطلاق الباب ٣٠ وكتاب المغازى الباب ٧٤ وكتاب المناقب الباب ٥، وكتاب بدء الخلق الباب ١١، ١٥ ومسلم فى كتاب الإيمان =

وعن نافع عن ابن عمر أنه سمع النبى ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول : « ألا إن الفتنة هاهنا - حيث يطلع قرن الشيطان »[1] المرجع السابق حديث ٧٠٩٤ .

أخرج الإمام أحمد فى مسنده ص ٣١٠ حديث رقم ٤٦٧٩ عن ابن عمر عن النبى ﷺ أنه كان قائمًا عند باب عائشة فأشار بيده نحو المشرق ، فقال : « الفتنة هاهنا حيث يطلع قرن الشيطان »[2] إسناده صحيح .

أخرج الإمام الترمذى فى سننه جزءه ص ٦٨٩ فى كتاب المناقب باب فضل الشام واليمن حديث رقم ٣٩٥٣ ط دار الكتب العلمية سنة ١٩٨٧م محققة عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم بارك لنا فى شامنا اللهم بارك لنا فى يماننا قالوا : ونجدنا ، قال : اللهم بارك لنا فى شامنا اللهم بارك لنا فى يماننا قالوا : ونجدنا . قال : هناك الزلازل والفتن وبها - أو قال : ومنها - يخرج قرن الشيطان »[3] هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث أبى عوانه ، وقد روى هذا الحديث سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهم بارك فى شامنا ويماننا مرتين فقال رجل : وفى مشرقنا يا رسول الله ، فقال ﷺ : من هنا يطلع قرن الشيطان وبها تسعة أعشار الشر »[4] أخرجه الإمام أحمد وابن عساكر .

روى لنا الإمام محمد بن منظور صاحب مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر جزء ١، ص ٦٢، ٦٣، ٦٤، ط دار الفكر سنة ١٩٨٤ فى دعائه ﷺ للشام بالبركة عن ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللهم بارك لنا فى مدينتنا وفى صاعنا ومدنا وشامنا ثم

= الحديث رقم ٨١ وكتاب الفتن الحديث رقم ٤٤، ٤٦- ٥٠ والترمذى فى كتاب المناقب الباب ٧٣ وكتاب الفتن الباب ٧٩ والموطأ فى كتاب الاستئذان الحديث رقم ٢٩ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ١٨، ٢٣، ٢٦، ٥٠، ٧٢، ٩٠، ٩٢، ١١١، ١١٨، ١٢١، ١٢٦ والجزء الرابع صفحة ٢٧٣.

(١) ، (٢) رواهما البخارى فى كتاب الخمس الباب ٤ وكتاب الاستسقاء الباب ٢٧ وكتاب الفتن الباب ١٦ وكتاب الطلاق الباب ٢٥ وكتاب المغازى الباب ٧٤ وكتاب المناقب الباب ٥، وكتاب بدء الخلق الباب ١١، ١٥ ومسلم فى كتاب الإيمان الحديث رقم ٨١ وكتاب الفتن الحديث رقم ٤٤، ٤٦- ٥٠ والترمذى فى كتاب المناقب الباب ٧٣ وكتاب الفتن الباب ٧٩ والموطأ فى كتاب الاستئذان الحديث رقم ٢٩ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ١٨، ٢٣، ٢٦، ٥٠، ٧٢، ٩٠، ٩٢، ١١١، ١١٨، ١٢١، ١٢٦ والجزء الرابع صفحة ٢٧٣.

(٣) ، (٤) رواهما البخارى ٣/ ٣٠، ٤/ ٤٢، ٨/ ٩٩ ومسلم فى كتاب الحج الحديث رقم ٤٧٦ وأحمد فى الجزء السادس صفحة ٢٤٠ والجزء الثالث صفحة ٤٧ والجزء الثانى صفحة ١١٨ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٣٥١١٦، ٣٨١٥٨ وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق ١/ ٣٥ ٣/ ٣٠٩ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٣/ ٢٨٧ والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ١/ ٢٤ وأبو نعيم فى الحلية ٦/ ١٣٣ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٢/ ٢٢٧ والسيوطى فى جمع الجوامع ٩٨٣٦ وابن حجر فى فتح البارى ٤/ ٩٨، ٩٩ والبيهقى فى دلائل النبوة ٢/ ٢٨٣ والطبرانى فى المعجم الكبير ١٢/ ٤٥٠

مشرقنا مطلع الشمس فقال : من هاهنا يطلع قرن الشيطان من هاهنا الزلازل والفتن »[1] .

أخرج الحافظ أبو بكر الهيثمى فى كتابه مجمع الزوائد ومنبع الفوائد جزء ١٠ ص ٦٠ باب ماجاء فى فضل الشام واليمن) منشورات المعارف ط ١٩٨٦ .

عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم بارك فى يماننا فقال رجل : وفى مشرقنا يارسول الله ، فقال : اللهم بارك فى شامنا وفى يماننا ، فقال رجل : وفى مشرقنا يا رسول الله . قال : اللهم بارك فى شامنا وفى يماننا ، إن من هنالك يطلع قرن الشيطان وبه تسعة أعشار الكفر وبه الداء العضال » رواه الطبرانى فى الأوسط وأحمد .

وبمعناه أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم بارك فى شامنا ويماننا مرتين فقال رجل : وفى مشرقنا يارسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : من هنالك يطلع قرن الشيطان وبه تسعة أعشار الكفر »[2] ورجال أحمد رجال الصحيح .

أخرج الإمام عبد الله الخطيب التبريزى فى مشكاة المصابيح جزء ٣ باب ذكر اليمن والشام ط المكتب الإسلامى ط ١٩٨٥م . حديث رقم ٦٢٦٢ .

عن ابن عمر قال : قال النبى ﷺ : « اللهم بارك لنا فى شامنا اللهم بارك لنا فى يماننا . قالوا يا رسول الله : وفى نجدنا . قال : اللهم بارك لنا فى شامنا اللهم بارك لنا فى يماننا قالوا يا رسول الله : وفى نجدنا ، فأظنه قال فى الثالثة : هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان »[3] . رواه الطبرانى بسند صحيح والبخارى .

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الحج الحديث رقم ٤٧٤، ٤٧٦ وابن ماجه فى سننه ٣٣٢٩ والبيهقى فى سننه ٤/ ١٢٨، ٥/ ٢٠٠ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ١٢٤ والزيلعى فى نصب الراية ٤٢٨/٢ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٢٢٧/٢ والبخارى فى الأدب المفرد ٣٩٢ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٣٠٥/٣ وأبو نعيم فى الحلية ١٣٣/٦ والدارمى فى سننه ٢/ ٣٠٠ وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق ٣٤٠/١ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٣٨١٢٤، ٣٨٢٣٠، ٣٨٢٧٥ .

(٢) رواه البخارى ٣/ ٣٠، ٤/ ٤٢، ٩٩/٨ ومسلم فى كتاب الحج الحديث رقم ٤٧٦ وأحمد فى الجزء السادس صفحة ٤٠٠ والجزء الثالث صفحة ٤٧ والجزء الثانى صفحة ١١٨ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٣٥١١٦، ٣٨١٥٨ وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق ٣٥/١ ٣٠٩/٣ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٨٧/٣ والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ٢٤٠ وأبو نعيم فى الحلية ١٣٣/٦ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٢٢٧/٢ والسيوطى فى جمع الجوامع ٩٨٣٦ وابن حجر فى فتح البارى ٩٨/٤، ٩٩ والبيهقى فى دلائل النبوة ٢٨٣/٢ والطبرانى فى المعجم الكبير ٨٥/١٢.

(٣) رواه البخارى ٣/ ٣٠، ٤/ ٤٢، ٩٩/٨ ومسلم فى كتاب الحج الحديث رقم ٤٧٦ وأحمد فى الجزء السادس صفحة ٤٠٠ والجزء الثالث صفحة ٤٧ والجزء الثانى صفحة ١١٨ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٣٥١١٦، ٣٨١٥٨ وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق ١/ ٣٥، ٣٠٩/٣ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٨٧/٣ والخطيب البغدادى فى تاريخ =

ولابن عبد البر فى التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد جزء ١ ص ٢٧٩ ط مؤسسة قرطبة نفس لفظ الحديث السابق، وفى كشف الخفاء للإمام العجلونى جزء ١ ص ١٨٨ ط دار الكتب العلمية حديث ٥٥٧ (اللهم بارك لنا فى شامنا وبارك لنا فى يماننا)[1] رواه الترمذى وحسنه عن ابن عمر وزاد لفظ الحديث السابق.

والترغيب والترهيب للحافظ المنذرى جزء ٤ ص ٥٩ حديث رقم ١ ط دار الحديث سنة ١٩٨٧ نفس لفظ الحديث السابق رواه الترمذى وقال: حديث حسن غريب.

من دراسة هذه الأحاديث التى رويناها تبين لنا: أن نجدا منها يطلع قرن الشيطان وبها الزلازل والفتن، وأنها رأس الكفر وأن غلظ القلوب والجفاء فى أهلها، وطلوع قرن الشيطان منها: ظهور مسيلمة الكذاب، وذو الخويصرة التميمى رأس الخوارج، وابن عبد الوهاب التميمى.

وذو الخويصرة التميمى الذى أشار إليه الرسول ﷺ من قبل فى حديثه «فعن أبى سعيد الخدرى قال: بينما رسول الله ﷺ يقسم قسما - قال ابن عباس، كانت غنائم هوازن يوم حنين - إذ جاءه رجل من تميم مقلص الثياب ذو شيماء، بين عينيه أثر السجود فقال: اعدل يارسول الله، فقال: «ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟! قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل» ثم قال: «يوشك أن يأتى قوم مثل هذا يحسنون القيل ويسيئون الفعل، هم شرار الخلق والخليقة» ثم وصف ﷺ صلتهم بالقرآن فقال: «يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه فى شىء، يقرأون القرآن لايجاوز تراقيهم، يحسبونه لهم وهو عليهم» ثم كشف النقاب ﷺ عن عباداتهم المغشوشة فقال: «ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشىء ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشىء ولا صيامكم إلى صيامهم بشىء» ثم أزاح النبى ﷺ عن أهدافهم فقال: «يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية». ثم أعطانا النبى ﷺ وصفًا مجسمًا لسيماهم فقال: «محلقين رؤوسهم وشواربهم وأزرهم إلى أنصاف سوقهم» ثم ذكر النبى ﷺ علامتهم المميزة فقال: «يقتلون أهل الإسلام ويَدَعون أهل الأوثان». ثم طالبنا رسول

= بغداد ٢٤/١ وأبو نعيم فى الحلية ١٣٣/٦ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٢٢٧/٢ والسيوطى فى جمع الجوامع ٩٨٣٦ وابن حجر فى فتح البارى ٩٨/٤، ٩٩ والبيهقى فى دلائل النبوة ٢٨٣/٢ والطبرانى فى المعجم الكبير ٨٥/١٢.

(١) رواهما البخارى ٣/ ٣٠، ٤/ ٤٢، ٩٩/٨ ومسلم فى كتاب الحج الحديث رقم ٤٧٦ وأحمد فى الجزء السادس صفحة ٢٤٠ والجزء الثالث صفحة ٤٧ والجزء الثانى صفحة ١١٨ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٣٥١١٦، ٣٨١٥٨ وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق ١/ ٣٥، ٣٠٩/٣ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٨٧/٣ والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ٢٤/١ وأبو نعيم فى الحلية ١٣٣/٦ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٢٢٧/٢ والسيوطى فى جمع الجوامع ٩٨٣٦ وابن حجر فى فتح البارى ٩٨/٤، ٩٩ والبيهقى فى دلائل النبوة ٢٨٣/٢ والطبرانى فى المعجم الكبير ٨٥/١٢.

الله ﷺ إذا لقيناهم أن نقاتلهم فقال : « فمن لقيهم فليقاتلهم ، فمن قتلهم فله أفضل الأجر ، ومن قتلوه فله الشهادة »[1] (رواه البخارى فى كتاب بدء الخلق باب علامات النبوة) .

وذو الخويصرة من قبيلة تميم وهى أصل ابن عبد الوهاب فكلاهما من أصل واحد وعشيرة واحدة أى كلاهما تميمى . كما أن جمله رؤوس الخوارج كانوا من تميم : كشبث بن ربعى ، ومسعر بن فدكى وغيرهما . .

من هم القرنيون ؟ :

من كل ماتقدم يتبين أن القرنيين : هم أصحاب فكر الخوارج من بلاد نجد ، ففى صدر الدعوة الإسلامية كان القرنيون هم مسيلمة الكذاب وشرذمته ، وفى عهد الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه كان ذو الخويصرة التميمى رأس الخوارج ، وفى القرن الثانى عشر كان البدعىّ النجدى ابن عبد الوهاب ومن يحرقون بخور الثناء لفكره الخارجى ، وجميع هؤلاء من بلاد نجد التى تنبأ الرسول ﷺ بأن بها زلازل العقيدة والفتن بين الأمة الإسلامية ، ومنها « يطلع قرن الشيطان » وفى رواية أخرى « يخرج قرن الشيطان » بصيغة الفعل المضارع الذى يفيد الاستمرار على مر العصور والدهور . فخرج من نجد مسيلمة الكذاب ، وخرج من نجد ذو الخويصرة التميمى ، وخرج من نجد القرامطة ، وخرج من نجد ابن عبد الوهاب التميمى . ولقد أبى الله أن يخرج من نجد صحابيا ولا تابعيا ولا وليا ولا صالحا .

والآن القرنيون هم سدنة فكر البدعىّ النجدى ابن عبد الوهاب الذين زلزلوا العقيدة الإسلامية وأثاروا الفتن بين المسلمين ، ولا يزال قرن الشيطان يطلع علينا تحت مسميات كثيرة من ذراريهم الذين أساءوا إلى الله تعالى ، وإلى نبيه ﷺ ، وإلى أهل البيت الطيبين الطاهرين ، وأولياء الله الصالحين ، وأصحابه ، رضى الله عنهم أجمعين ، استنادا إلى شبهات هذا الفكر القرنى ، فرأيت لزامًا علىّ أن أبين ضعف شبهات هذا الفكر القرنى بالأدلة القاطعة من الكتاب والسنة والنقل والإجماع وسيرة السلف الصالح إرشادا للجاهل ، وتنبيها للغافل ، ولئلا يكون للناس على الله حجة ، والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب بدء الخلق باب علامات النبوة والنسائى فى خصائصه صفحة ٤٣، ٤٤ ومسلم فى صحيحه فى كتاب الزكاة باب التحذير من زينة الدنيا وأحمد فى مسنده فى الجزء الأول صفحة ٧٨، ٨٨، ٩١ وابن ماجه فى صحيحه باب ذكر الخوارج والحاكم فى المستدرك الجزء الثانى صفحة ١٤٥ وقال حديث صحيح على شرط مسلم والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد الجزء الأول صفحة ١٥٩ وأبو نعيم فى الحلية الجزء الرابع صفحة ١٨٦ وكنز العمال الجزء الأول صفحة ٩٢.

الفصل الثانى

منهج القرنيين

الاشتغال بالجدل عند السلف الصالح من المنكرات .. وعند القرنيين من أعظم القربات :

جاء الإسلام فكان أهم مقاصده توحيد الإله المعبود ، ثم العناية بجمع شتات الأجناس والأمم فى إطار واحد لافرق بين أبيض وأسود ، ولا بين عربى وأعجمى ، حتى أفرغ جميع أتباعه فى قالب واحد ، وهى الأمة الوسط التى جمعت شتات الفضائل ، ونبذت كل عوامل التفرق والتمزق ، وكانت مقومات تلك الوحدة أن أفرادها يعبدون إلها واحدا ، ويتجهون فى صلاتهم إلى بيت واحد ، ويتعبدون بكتاب واحد إلى غير ذلك من مظاهر الوحدة .

ولما كان اختلاف الأقطار ، وتشعب الآراء بما تقتضيه طبيعة الإنسان ، تفضل سبحانه وتعالى رأفة بعباده ، فجعل أصول هذا الدين فى عبارات جلية واضحة ، ونصوص بينة لاتقبل صرفا ولا تأويلا ، ولا جدلا ولا مراء ، وجعلها هى أم الكتاب التى يدور حولها كل ماجاء فيه من أحكام ، ولم يعذر أحدا فى الخروج عليها ، وحذر من التلاعب بتأويلها وتطويعها للأهواء والشهوات ، وعذر الخلق إذا اختلفوا فى غيرها ، ورفع عنهم الحرج ، بل منح المخطىء فى اجتهاده أجرًا ، والمصيب أجرين ، تشجيعا للبحث والتأمل ، لاستجلاء مافيه المصلحة الراجحة للجميع .

السلف الصالح شعاره : الرجوع إلى الحق من أمهات الفضائل :

لقد كان السلف الصالح من العلماء يعذر بعضهم بعضا إذا مااختلفوا فيها ، ولا يعيب أحد منهم رأيا رآه غيره ، وكانوا بهذا أقرب فى الوصول إلى الصواب ، وأسرع بلوغًا إليه إذا لمحوه ، وأقوى تمسكا به إذا أدركوه ، وكان شعارهم جميعا فى ذلك أن الرجوع إلى الحق من أمهات الفضائل .

وكان من أثر ذلك فى علاقة بعضهم ببعض نمو روح التسامح فيما بينهم ، وقوة المحبة والأخوة فى الله ، وفى سبيل الحق والتعاون على كل مايوصل إلى إرضاء الله تعالى وإلى

سعادة الأمة، فبارك الله فى أعمارهم، وحفظها من أن تضيع فى جدل عقيم، ومراء سقيم ليس له من باعث سوى العناد للرأى، والانتصار للمذهب مهما بعد عن الحق أو ظهر خطؤه، وحفظهم من التخاصم والتحاسد، ومن كل مايفسد القلوب ويحبط الأعمال؛ فتنفعهم بأعمالهم، ونفع بهم الأمة.

كان بعضهم يفهم فى الآية أو الحديث فهما، ويفهم غيره فيهما فهما آخر، يناقش كل صاحب صاحبه بالتى هى أحسن، فإن زانت النتيجة اتفقا، وإن كانت الأخرى عذر كل صاحبه، وانصرفا صديقين متحابين.

القرنيون شعارهم التفرق والتمزق للعناد وللرأى العقيم والمراء السقيم:

ثم خلف من بعد السلف الصالح الخلف الطالح من الخوارج والسلفية والتيمية والوهابية، وهم المعنيون بالقَرْنيين، الذين زلزلوا العقيدة وأثاروا الفتن بين المسلمين، فقدسوا أفكار الخوارج، وبالغوا فى التعصب لها والطعن فيما سواها، فإذا وقف فى طريقهم نص صريح أعملوا فيه إما معاول التأويل والتصريف حتى ينسفوه من طريقهم، أو جمدوا مع ظاهر النص وألغوا عقولهم، وجهلوا نص الخطاب وفحواه فتشعبت بهم الطرق، وتعرجت المسالك على السالك، وأبعدتهم عن الأصل الأول «الكتاب والسنة» حتى أهملوا النظر فيه، وتخاصموا وتعادوا كما يتخاصم ويتعادى أتباع الأديان المختلفة.

ولم يكف القرنيين كثرة عوامل التصدع الذى حصل بين المسلمين، سواء منها ماكان من عمل خصوم الإسلام أو من عمل الملوك والأمراء المسلمين المتنازعين على الحكم والسلطان، لم يكفهم كل هذا، حتى أدلوا بدلوهم فى هذا الشقاق والتفريق والتخريب، الذى جعل من أبناء الأمة الواحدة شيعا وأحزابا، يخاصم كل حزب غيره ويعاديه، وما تفرق المسلمون هذا التفرق البغيض إلا بعد أن ابتعدوا عن منهلهم الأول «الكتاب والسنة».

ومع ذلك فلا يصح لنا اليوم أن نعذر أحدًا إذا سار وراء القرنيين أو جمد على آراء أئمتهم من شيوخ الخوارج، واعتبرها تنزيلا من حكيم عليم، خصوصا إذا دعى لهجر كتب أئمة المذاهب الأربعة وهم السلف الصالح ومن سار على نهجهم. راجع مقالات الشيخ عبد الجليل عيسى - مجلة منبر الإسلام.

أقول: لايصح هذا الآن من المسلمين، بعد أن أفزع الأسماع ناقوس خطر الجمود

والتعصب لرأى الخوارج، حتى استغل ذلك بعض سيئى القصد من المستشرقين ورجال التبشير وعملاء الاستعمار - أمثال سلمان رشدى وغيره - فى الطعن واللمز فى أصل الشريعة نفسها، نسأل الله أن يقينا شر القرنيين، حتى نعود إلى ماكان عليه السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان.

جرى نهج القرنيين فى عروق بعض المتاخرين من أهل المذاهب، وصور ذلك:

الخلاف بين أئمة المذاهب منه ماهو معقول ومقبول، أما الخلاف من المتأخرين منهم فهو غير معقول ولا مقبول.

الخلاف المعقول المقبول:

يصح أن يختلف اثنان فى شيء، أحدهما يقول: هو فرض، أو واجب. والآخر يقول: لا، بل هو سنة فقط. أو يقول أحدهما - فى أمر واحد -: إنما هو حرام، ويقول الآخر: كلا، بل هو مكروه فقط. أو يقول أحدهما فى أمر: هو سنة، ويقول الآخر: لا، بل هو مستحب. إلى أمثال ذلك مما تستسيغ العقول اختلاف الأنظار فيه، ومن أمثلة ذلك:

١ - التسليمة الثانية عند الخروج من الصلاة: فهى واجبة تبطل الصلاة بتركها عند الحنابلة، سنة عند غيرهم.

٢ - البسملة فى أول الصلاة: فرض عند الشافعية، سنة عند الحنفية.

٣ - قراءة المأموم للفاتحة فى الصلاة السرية: فرض عند الشافعية، مندوبة عند المالكية.

٤ - التشهد الأخير والصلاة على النبى ﷺ فيه: فرض عند المالكية، سنة عند غيرهم.

مالا يسوغ فيه الخلاف:

فعل أو قول، سنة أو مستحب عند قوم يثاب فاعله، مكروه عند آخرين يلام فاعله، ومن أمثلة ذلك:

١ - النداء قبل صلاة العيد بلفظ: «الصلاة جامعة»: سنة عند الشافعية، مكروه عند المالكية.

٢ - تسليم الخطيب على المصلين يوم الجمعة بعد صعوده على المنبر وقبل جلوسه: سنة عند

الشافعية ويجب على المصلين الرد عليه ، مكروه عند المالكية ولا يطلب من المصلين الرد عليه .

٣ - دعاء الاستفتاح : مكروه عند المالكية ، سنة عند الشافعية والحنابلة والحنفية .

٤ - رفع اليدين عند كل تكبيرة من تكبيرات الصلاة غير تكبيرة الإحرام : مكروه عند المالكية والحنفية ، سنة عند غيرهم .

٥ - قراءة المأموم ماتيسر من القرآن بعد الفاتحة : مكروه عند المالكية ، حرام عند الحنفية إلا أن يتابع الإمام سرًا ، سنة عند غيرهما .

أخطر أنواع الخلاف :

عمل يثور الخلاف فيه بين أنه فرض لاتصلح العبادة إلا به ، وبين أنه حرام يعاقب على فعله أو مناف للعبادة تبطل به ، وهذا أخطر أنواع الخلاف ، ومن أمثلة ذلك :

١ - رفع اليدين عند الركوع والرفع منه : واجب عند الأوزاعى وبعض أهل الظاهر ، بدعة عند المغاربة ، فليت شعرى .. ماذا يفعل المصلى فى عمل إن فعله عوقب ، وإن تركه عوقب ؟!!!

٢ - قراءة الفاتحة فى صلاة الجنازة بعد التكبيرة الأولى : ركن تبطل الصلاة بعدم قراءتها عند الشافعية والحنابلة ، حرام يأثم المصلى إذا قرأها عند الحنفية إلا بنية حمد الله والثناء عليه ، مكروه قراءتها عند المالكية .

فماذا يفعل المصلى ؟!! هل يقرأ فيرتكب حراما وهو فى مقام يشفع فيه عند الله تعالى لأخيه الميت ؟!!! أو لايقرأ فتبطل صلاته ؟!!! .

أسباب هذه الخلافات :

١ - منها غفلة كثير من المتأخرين عن تحذير النبى ﷺ من التشدد فى الدين ، وعن حثه على التيسير على الناس عملا بقوله تعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسرَ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِن حَرَجٍ﴾[2] وقال ﷺ فى

(١) سورة البقرة آية ١٨٥ .

(٢) سورة الحج آية ٧٨ .

ذلك : « بعثت بالحنيفية السمحة »[1] (جاء فى البخارى فى باب قول النبى ﷺ : « يسروا ولا تعسروا »[2] وكان يحب التخفيف واليسر على الناس . عن أبى موسى الأشعرى قال : لما بعثنى النبى ﷺ أنا ومعاذ بن جبل إلى اليمن قال : « يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا »[3] وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما مالم يكن إثما »[4] . وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أن أعرابيا بال فى المسجد فثار عليه الناس ليضربوه ، فقال لهم النبى ﷺ : « دعوه وصبوا على بوله دلوا من الماء ، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين »[5] وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ وقف فى حجة الوداع ، فجعلوا يسألونه

---

(١) رواه أحمد فى الجزء الخامس صفحة ٢٦٦ والجزء السادس صفحة ١١٦، ٢٣٣ والقرطبى فى تفسيره ٣٩/١٩ وابن كثير فى تفسيره ٣١٢/١، ٣/ ٤٨٩، ١٧٨/٤، ٥٠٩، ٤٥٢/٥ والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار ١٤٩/٤ والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ٢٠٩/٧ والسيوطى فى الحاوى للفتاوى ٢٢١/٢ وفى الدر المنثور ١/ ١٤٠، ٢٤٩ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٩٠٠، ٣٢٠٩٥ وابن سعد فى طبقاته ١٢٨/١/١ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٩/ ١٨٤ .

(٢) رواه البخارى ١/ ٢٧، ٣٦/٨ ومسلم فى كتاب الجهاد الحديث رقم ٦، ٨ وأبو داود فى كتاب الأدب الباب ٢٠ وابن حجر فى فتح البارى ١٦٣/١ والبغوى فى شرح السنة ٦٧/١٠ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٤١٧/٣ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٥٣٦٠، ٥٤٢٨ والبيهقى فى دلائل النبوة ٤٠٣/٥ والطبرانى فى المعجم الكبير ١١/ ٣٣، ٣١٢ وأبو نعيم فى تاريخ أصبهان ٣٢٢/٢ والبيهقى فى سننه ٨٦/١٠ .

(٣) رواه البخارى ٤/ ٧٩، ٢٠٤، ٢٠٥، ٨/ ٣٦، ٧٨/٩ ومسلم فى كتاب الأشربة الحديث رقم ٥٧١ وكتاب الجهاد الحديث رقم ٧ وأحمد فى الجزء الرابع صفحة ٤١٧ والبيهقى فى سننه ٨/ ١٥٥، ٢٩١، ٨٦/١٠ وعبد الرازق فى مصنفه ٥٩٥٩ وابن حجر فى تغليق التعليق ١١٨٢ وفتح البارى ٨/ ٦٠، ٦٢، ١٠/ ٥٢٤، ٢٧٤/١٢ والتبريزى فى مشكاة المصابيح ٣٧٢٤ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٥٣٢٦ وابن عبد البر فى التمهيد ١٢٥/٧ وابن كثير فى تفسيره ٣٥ر ٤٨٧، ٥/ ٤٥٢، ٦ر ٤٣٠ .

(٤) رواه البخارى فى كتاب المناقب الباب ٢٧ وكتاب الأدب الباب ٨٠ وكتاب الحدود الباب ١٠ ومسلم فى كتاب الفضائل الحديث رقم ٧٧، ٧٨ وأبو داود فى كتاب الأدب الباب ٤ والموطأ فى كتاب حسن الخلق الحديث رقم ٢ وأحمد فى الجزء السادس صفحة ٨٥، ١١٤، ١٣٠، ١٦٢ ، ١٨٢، ١٨٩، ١٩١، ٢٠٩، ٢٢٣، ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٦٢، ٢٨١ .

(٥) رواه البخارى فى كتاب الوضوء الباب ٥٨ وكتاب الأدب الباب ٨٠ وأبو داود فى كتاب الطهارة الباب ١٣٦ والترمذى فى كتاب الطهارة الباب ١١٢ والنسائى فى كتاب الطهارة الباب ٤٤ وكتاب المياه الباب ٣ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ٢٢٩، ٢٨٢ .

فقال رجل : حلقت قبل أن أذبح ، فقال : « اذبح ولا حرج »[1] فجاء رجل آخر فقال : « نحرتُ قبل أن أرمي » فقال : « افعل ولا حرج »[2] وعد بعضهم الأشياء التى سئل عنه النبى ﷺ حتى أوصلها إلى أربع وثلاثين صورة .

في هذا دليلًا على أن كل فعل طلب من المكلف ولم يرد عن النبى ﷺ شيء يحدد كيفيته أو ترتيب بعضه على بعض ، يكون الأمر فيه واسعا ؟ يفعل كل مكلف مايغلب على ظنه أنه هو المطلوب ، ولا حرج عليه بعد ذلك ، لأنه لو كان غير ذلك لوجب على النبى ﷺ أن يبينه للناس .

* - ومن أسباب هذه الخلافات أيضا عدم عناية المتأخرين بدراسة ظروف كثير من أوامره ﷺ وإرشاداته : هل المراد منها أن تكون تشريعا عاما دائما ، أو خاصا ببعض الناس دون بعض ، أو ببعض الظروف دون بعض؟ وقد يكون لها قيود وملابسات لا يعمل بها عند عدمها ، من ذلك : مارواه البخارى عن النبى ﷺ : أنه نهى عن ادخار شيء من لحوم الأضاحى أكثر من ثلاثة أيام ، فلما جاء العام الثانى ، وتحدث الناس عن عدم الادخار ، قال لهم ﷺ : « كلوا وادخروا ماشئتم ، وإنما نهيتكم فى العام الماضى لأنه كان بالناس مجاعة فأردت أن تعينوهم فيها »[3] .

ومن هذا القبيل قوله ﷺ - كما أخرجه البخارى - لمن أراد الحاجة فى الخلاء من أهل المدينة : « شرقوا أو غربوا »[4] قال الحافظ : حمل بعضهم قوله ﷺ هذا على عمومه لكل الناس فى كل الجهات ، وهذا خطأ وغفلة عن حكمة هذا الأمر وظروفه ، وسبب هذا الخطأ

---

(١) رواه البخارى فى كتاب العلم الباب ٢٣ وكتاب الحج الباب ١٣١ ومسلم فى كتاب الحج الحديث رقم ٣٢٧ وأبو داود فى كتاب المناسك الباب ٧٨، ٨٧ والترمذى فى سننه ٩١٦ والدارقطنى فى سننه ٢٥١/٢ والطبرانى فى المعجم الكبير ١٥١/١ والبغوى فى شرح السنة ٢١١/٧ والتبريزى فى مشكاة المصابيح ٢٦٥٥ والهيثمى فى موارد الظمآن ١٠١٢ والساعاتى فى بدائع المنن ١٠٨٥ وابن حجر فى فتح البارى ١٨٠/١ والمتقى الهندى فى كنز العمال ١٢٨٩٢، ١٢٦٦٢ وابن عبد البر فى التمهيد ٧/ ٢٦٤، ٢٧٩، ٢٨٠ .

(٢) رواه البخارى ١/ ٣١، ٤٣، ٤٦،، ٢/ ٢١٥، ١٥٩/٨ ومسلم فى كتاب الحج الحديث رقم ٣٢٧ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ١٥٩، ١٩٢، ٢٠٢، ٢١٠، ٢١٧ والبيهقى فى السنن الكبرى ١٤١/٥ وابن خزيمة فى صحيحه ٢٩٥١ وشرح معانى الآثار ٢٣٧/٢ وابن حجر فى فتح البارى ١/ ١٨٠، ٥٤٩/١١ والبغوى فى شرح السنة ٢١٢/٧ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٤٠٢/٤ والموطأ ٤٢١ وابن عبد البر فى التمهيد ٧/ ٢٦٤، ٢٧٩ وابن كثير فى البداية والنهاية ١٩٩/٥.

(٣) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير ٣٢٠/١٢ وابن جارود فى المنتقى ٨٦٣ والنسائى فى سننه ٢٣٥/٧ وأحمد فى الجزء خامس صفحة ٣٥٦ والجزء السادس صفحة ٥١، ٣٨٤ والبخارى فى الأدب المفرد ٥٦٣.

(٤) رواه البخارى فى كتاب الوضوء الباب ١١ وكتاب الصلاة الباب ٢٩ ومسلم فى كتاب الطهارة الحديث رقم ٥٩ =

هو الجهل عن حكمته، فلذا وقع فى خطأ ظاهر؛ لأنه ارتكب المحظور الذى أراد ﷺ تفاديه بتوجيه الخطاب لأهل المدينة ومن كان عن سمتها ليتجنبوا استقبال القبلة أو استدبارها وقت قضاء الحاجة فى الخلاء؛ إشعارا لهم باحترام الكعبة لأن وضعها - بالنسبة لهم - فى الجنوب. فإذا أخذ الأمر على ظاهره من العموم وشرّقَ من كان بمصر، أو غرّبَ من كان بنجد - مثلا - فإنه يستقبل الكعبة، وهذا هو الأمر المنهى عنه.

٣ - ومن أسباب الخلاف أيضا غفلة كثيرين من العلماء عن أنه ﷺ كثيرا ماكان يجيب السائل أو يأمر الرجل بما يناسب حاله هو، وقد لا يناسب غيره، ورد فى هذا الباب أحاديث كثيرة صحيحة: سأل رجل النبى ﷺ: أى الأعمال أفضل؟ فقال له: «الجهاد فى سبيل الله»[1] وسأل رجل آخر هذا السؤال نفسه فقال له: «بر الوالدين»[2] وسأل ثالث فقال: «كف الأذى عن الناس»[3] وقال لآخر: «أفضل الأعمال الصدقة على الفقراء» فهو ﷺ كالطبيب الذى يصف لكل مريض الدواء المناسب لمرضه.

ولكن قصيرى النظر يأخذون الأمور على عمومها، فيقعون فى ورطة من التناقض لايستطيعون الخروج منها.

٤ - ومن أسباب هذه الخلافات أيضا اعتزاز كثير من المتأخرين بما نقل إليهم عن بعضهم من دعوى الإجماع، فى مسائل ليست فى الواقع - عند التحرى - محل إجماع، وكان اغترارهم هذا سببا فى تعصب كُلّ لما نُقل إليه، وفى تسهيل العيب فيمن خالفه، بل ربما طعن فيه بدون حق، من ذلك ماحكاه الحافظ بن حجر من اختلاف العلماء فى وقت المعراج.

٥ - ومن أسباب هذا الخلاف تشديد بعض العلماء فى المندوبات والمواظبة عليها، حتى

= وأبو داود فى كتاب الطهارة الباب ٤ والترمذى فى كتاب الطهارة الباب ٦ والنسائى فى كتاب الطهارة الباب ١٩، ٦٠ وابن ماجه فى كتاب الطهارة الباب ١٧.

(١) رواه البخارى فى كتاب الأدب الباب الأول وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ٣٢.

(٢) رواه البخارى فى كتاب مواقيت الصلاة الباب ٥ وكتاب الجهاد الباب الأول وكتاب الأدب الباب الأول وكتاب التوحيد الباب ٤٨ ومسلم فى كتاب الإيمان الحديث رقم ١٣٧- ١٤٠، وأبو داود فى كتاب الأدب الباب ١٢٠ والترمذى فى كتاب الصلاة الباب ١٣ وكتاب البر الباب ١، ٢ فى كتاب المواقيت الباب ٥١ وابن ماجه فى كتاب الأدب الباب الأول وأحمد فى الجزء الأول صفحة ١٨١، ١٨٦، ٤١٠، ٤١٨، ٤٢١، ٤٣٩، ٤٤٤، ٤٤٨، ٤٥١، والجزء الخامس صفحة ٣٦٨.

(٣) رواه أحمد فى الجزء الخامس صفحة ١٥٠.

اعتقد العامة أنها واجبة يأثم الإنسان بتركها، وكثيرا ماثاروا على من يتركها، وربما ألحقوا به أذى بدون حق. قال الحافظ بن حجر فى شرحه على البخارى - فى باب مايقرأ يوم الجمعة - : اختلف العلماء فى تعليل كراهة مالك لقراءة سورة السجدة فى صباح يوم الجمعة بخشية اعتقاد العوام أنها فرض.

٦ - ومن أسباب الخلاف أيضا أن يكون العمل الذى حصل من النبى ﷺ حضره جمع من أصحابه، ولما تفرقوا فى البلاد روى كل واحد جانبا مما حصل وأغفل غيره، أو نسيه ولم يتبين له، فيكون كل واحد منهم روى ماأغفله غيره وأغفل مارواه غيره.

من الآثار الضارة لفكر القرنيين:

جرى الفكر القرنى فى عروق بعض المتأخرين من أهل المذاهب، فأنتج بذلك آثاره الضارة بين أبناء كل مذهب ومذهب، مما أكسبهم نفورا أو إنكارا من بعضهم لبعض، وذلك لأنهم تعودوا ألا يطلعوا إلا على مذهب واحد، فأورثهم حزازة فى الاعتقاد فى فضل أئمة المذاهب الأخرى ومن أمثلة ذلك:

١ - سئل بعض المتعصبين من الحنفية: هل يجوز للحنفى أن يتزوج المرأة الشافعية ؟!! فقال إن ذلك لايجوز، لأنها يُشك فى إيمانها، والإيمان لايصح إلا إذا كان مقطوعًا به (يشير بذلك إلى أن الشافعى يجيز أن يقول المسلم: «أنا مؤمن إن شاء الله» وبدل أن يحمل المفتى الحنفى قول الشافعى «إن شاء الله» على قصد التبرك كما صرحوا به، حمله الحنفى على الشك، وأصدر فتواه بتكفير ملايين المسلمين بدون حق، وذلك كله لانتشار فتنة القرنيين وتسرب طرائقهم فى تكفير الأمة للجهلة من متأخرى المذاهب).

ويفتى حنفى آخر بأنه يجوز للحنفى أن يتزوج الشافعية - لاعلى أنها مؤمنة - بل بقياسها على الكتابية التى تجوز للمسلم.

٢ - سئل بعض ضحايا المذهب القَرْنى من بعض الشافعية: عن حكم الطعام الذى وقعت عليه قطرة نبيذ، فقال القرنى - عفا الله عنه - : «يرمى لكلب أو حنفى» !!.

ومما يستبين من التمحيص أن هؤلاء المتأخرين لم يكونوا من أئمة مذاهبهم أو من أهل الاجتهاد.

كما وقف أئمة الإسلام ضد فكر السلفية، وفكر ابن تيمية، وفكر الوهابية، ووقف كذلك أئمة الإسلام ضد تسرب هذا التيار القرنى بين بعض المتأخرين من أهل المذاهب، فنبه أبو إسحاق الشاطبى المسلمين من هذا الخطر القرنى وحذر منه فى كتابه «الموافقات» فى الجزء الثانى ص ٢٧٣ (راجع كذلك ماجاء فى شرح البخارى للحافظ بن حجر فى باب وجوب القراءة للإمام والمأموم».

وهذا هو التعصب البغيض الذى لا يتفق مع ماجاء فى القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُم فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُم تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾(١) أليست هذه الآية هى التى تحكم فى الخلاف كتاب الله وسنة رسوله؟ فما وافقهما فهو الصحيح، وما خالفهما فهو المردود، هذا هو الميزان الذى وضعه الله سبحانه، ولكن التعصب الأعمى إذا ركب الهوى الجامح للفكر القرنى قلب موازين القسط، نسأل الله الهداية إلى الصراط المستقيم.

ولا سبب لذلك إلا ماحشاه بعض المتأخرين من رجال المذاهب فى كتبهم من روح الفكر القرنى المتعصب الجاهل بسنة رسول الله ﷺ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم!.

هذا ماكان من بعض أسباب الخلاف، وبعض آثاره.

السبب فى انتشار فكر القرنيين فى هذه الأيام ماأصاب شبابنا من قحط.. فاستغل ذلك شيوخ النفط:

السبب فى بقاء قوة سلطان الخلاف والنزاع والتكفير والتشريك والتبديع هو تفشى الجهل بين أتباع الفكر القرنى وتعصب معتنقى أئمة هذا الفكر لفكرهم الذى يدينون به، وبهذا الفكر يعيشون ويكرمون؛ لأنه مؤيد بالملوك والأمراء الذين لهم سلطان على إخضاع العامة، وقطع طريق الاستقلال العقلى على الأمة، لأن هذا الفكر أعون لهم على الاستبداد، وأشد تمكينا لهم مما يحبون من الفساد والإفساد، لأن اتفاق كلمة علماء الأمة واجتماعها على أن الحق كذا بدليل كذا، فلزم للحاكم الانصياع له، لأن الخواص إذا اتحدوا اتبعهم العوام، وهذه هى الوسيلة الوحيدة لمنع استبداد الحكم.

والدين يأمر برفع الشقاق والتنازع بالاعتصام بحبل الوحدة، وهذا هو معنى قوله تعالى:

---

(١) سورة النساء آية ٥٩.

﴿ واعتصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾[1] وقوله سبحانه : ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا ﴾[2] وقول النبى ﷺ : « لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم أعناق بعض »[3] .

وقد خالفنا كل هذه النصوص فتفرقنا وتنازعنا ، وحارب بعضنا بعضا باسم الدين وحماية التوحيد ، لأننا سلكنا مذاهب متفرقة ، كل فريق يتعصب لمذهبه ، ويعادى سائر إخوانه المسلمين لأجله ، زاعما أنه بهذا ينصر الدين ، مع أنه يخذله بتفريق كلمة المسلمين ، هذا سنى يقاتل شيعيا ، وهذا قرنى يحارب صوفيا ، وهذا شافعى يغرى التتار بحنفى ، وهذا حنفى يقيس الشافعية على الذمية !! .

ثم جاء قَرْنيُّو هذا الزمان يحاربون أهل السنة والجماعة ، فهل جاءهم بهذا أمر من الله ورسوله ؟! . كلا ، بل كان التعادى والتنازع عندهم انحرافا عن الطريق المستقيم ، واتباعًا خطوات الشيطان ، فكأنهم لم يقرأوا قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾[4] وخطوات الشيطان : هى الفكر النجدى القرنى الذى نبأنا به الرسول ﷺ فى قوله : « .... يخرج قرن الشيطان من هاهنا »[5] وأشار إلى نجد ..

وقَرن الشيطان هو خطوات الشيطان ، وهو كل أمر يخالف سبيل الحق والخير والمصلحة ، قال تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِى مُستقيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبِيلِهِ ﴾[6] .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٣ . (٢) سورة الأنفال آية ٤٦ .

(٣) رواه مسلم فى كتاب الإيمان الحديث ١١٨- ١٢٠ وكتاب القسامة الحديث رقم ٢٩ والبخارى فى كتاب العلم الباب ٤٣ وكتاب الأضاحى الباب ٥ وأبو داود فى كتاب السنة الباب ١٥ والترمذى فى كتاب الفتن الباب ٢٨ والدارمى فى كتاب المناسك الباب ٧٦ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ٨٥، ٨٧، ١٠٤ والجزء الخامس صفحة ٣٧، ٣٩، ٤٤، ٤٥، ٤٩، ٦٨ .

(٤) سورة البقرة آية ١٦٨ .

(٥) رواه الترمذى فى كتاب المناقب الباب ٧٤ .

(٦) سورة الأنعام آية ١٥٣ .

الفصل الثالث

صفات القرنيين

القرنيون يجهلون أحكام الشرع الضرورى منها أو النظرى:

أحكام الشرع الإسلامى: منها ماهو ضرورى: كوجوب الصلاة والصوم، وحرمة الزنا والكذب، وهذا لايحتاج إلى إقامة الدليل عليه، ولا يجوز الاجتهاد بخلافه بل يخرج منكره عن الإسلام. ومنها ماهو نظرى: ككون أفعال العباد مخلوقة لله والكسب للعبد، وكون صفات الله عين ذاته، وثبوت الكلام النفسى ورؤية الله تعالى، وأن الإمامة بالنص أو باختيار الأمة، وغير ذلك، هذا من الأصول. وأما فى الفروع: فكحكم الشك فى الصلاة، والبناء على القبور، وحكم مالانص فيه كالتدخين وغير ذلك.

وهنا يجب أخذه من أدلة الشرع: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس للقادر على ذلك، وغيره يقلد القادر.

القرنيون لايفهمون ماهو من ضروريات الدين وما هو أمر اجتهادى:

لا يجوز الحكم بضلالة أحد أو فسقه فضلًا عن شركه وكفره لمخالفته فى أمر اجتهادى، أى: ليس من ضروريات الدين. ولا يجوز معارضته وممانعته وإجباره على اتباع قول غيره مما يخالف اجتهاده، بل هو معذور فى اجتهاده مالم يكن مقصرًا، وللمخطىء أجر واحد وللمصيب أجران. روى البخارى فى صحيحه عن النبى ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران. وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»[1] وقال البدعى الحرانى ابن تيمية فى كتابه منهاج السنة جزء ٣ ص ٢٠ «قول السلف وأئمة الفتوى كأبى حنيفة والشافعى والثورى وداود بن على وغيرهم لايؤثمون مجتهدًا مخطئًا لافى المسائل الأصولية ولا فى الفرعية». فمن اجتهد فى إباحة شىء أو استحبابه كالتبرك بروضة النبى ﷺ وتقبيلها

(١) رواه البخارى فى كتاب الاعتصام الباب ٢١ ومسلم فى كتاب الأقضية الحديث رقم ١٥ وأبو داود فى كتاب الأقضية الباب ٢ والترمذى فى كتاب الأحكام الباب ٢ والنسائى فى كتاب القضاة الباب ٣ وابن ماجه فى كتاب الأحكام الباب ٣ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ١٨٧ والجزء الرابع صفحة ١٩٨، ٢٠٤، ٢٠٥.

وشد الرحال إلى زيارته، أو أنه ليس ببدعة؛ ليس لمن اجتهد على خلافه معارضته وممانعته ولا تفسيقه وتضليله فضلًا عن تكفيره وتشريكه، لأن ذلك ليس من ضروريات الدين التى لايجوز الاجتهاد فيها.

القرنيون لايعرفون القرآن وأقسام الدلالة فيه وما يحتج به منه:

الكتاب كلام الله تعالى المنزل على نبيه ﷺ وهو قطعى السند لاتفاق المسلمين كافة على أن مابين الدفتين منزل منه تعالى. أما دلالته ففيه: المحكم، والمتشابه، أو المجمل، والمبين. فالمحكم: مايكون ظاهر الدلالة ويسمى المبين، والمتشابه: مايكون غير ظاهر الدلالة بل معنى فيه على السواء فى الاحتمال ويسمى المجمل.

والمبين أقسام: النص: وهو مالايحتمل الخلاف، والظاهر: وهو الراجح مع احتمال الخلاف، والمؤول: وهو المقابل للظاهر ويسمى المرجوح.

وفى الكتاب أيضًا: العام والخاص، والمطلق والمقيد، والناسخ والمنسوخ. ولا يجوز الاحتجاج من الكتاب بغير النص والظاهر ماتبينته السنة بعد ثبوتها أو الاجماع. كما لايجوز العمل بالعام أو المطلق إلا بعد الفحص عن الخاص أو المقيد ولا بالدليل إلا بعد العام والفحص عن معارضه أو ناسخه، لأن الدليل لايكون دليلًا بدون ذلك.

وبسبب وجود هذه الأقسام الكثيرة فى القرآن وغيرها أمكن لكل ذى قول - حقًا كان أو باطلًا - أن يستند فى صحة قوله إلى ظاهر آية من القرآن. ولعدم فقه القرنيين؛ لأنهم سطحيون، فغالبًا يستندون إلى الحقيقة ويغفلون عن قرينة المجاز أو المطلق أو العام ويغفلون عن المقيد والخاص، إلى غير ذلك. وقد جمع أحمد بن محمد بن المظفر الرازى - من أعيان القرن السابع ومن علماء أهل السنة والجماعة - كتابًا سماه: «حجج القرآن» ذكر منه من الآيات مايمكن أن تحتج به كل فرقة لمذهبها وأقوالها المتباينة المتناقضة، ولنذكر أمثلة من ذلك من جملة ماذكره:

* - فالقرنيون المنكرون للعفو الموجبون المؤاخذة على العاصى يمكنهم الاستدلال بقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعمَل مِثقَالَ ذَرَّةٍ خَيرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَل مِثقَالَ ذَرَّةٍ شَرًا يَرَهُ﴾[1].
* - والمتصوفة القائلون برفع المؤاخذة بالكلية، وأن الله لايعاقب على المعصية استنادًا إلى

---

(1) سورة الزلزلة آية ٧ ــ ٨.

قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لاتَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾[1] .

٣ - والمثبتون لرؤية الله فى الآخرة يستندون إلى قوله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[2] والنافون لرؤية الله تعالى فى الآخرة يستندون إلى قوله تعالى : ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾[3] وقوله : ﴿ لَن تَرَانِى ﴾[4] .

٤ - والقرنيون القائلون بالتجسيم على الحقيقة والجهة يتخرصون بالآيات التى فيها اليد والعين والوجه . والمنزهون للمولى عن مشابهة مخلوقاته يستندون إلى قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[5] .

٥ - القرنيون القائلون بعدم جواز دعاء غير الله والتشفع بغيره والاستغاثة بغيره يحتجون بسقيم وعقيم فهمهم فى قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَدعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾[6] وقوله : ﴿ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾[7] أما أهل السنة والجماعة فاستدلوا على جواز دعاء غير الله والتشفع والاستغاثة بالأنبياء والأولياء بقوله تعالى : ﴿ فَاستَغَاثَهُ الَّذِى مِن شِيعَتِهِ ﴾[8] وقوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ ﴾[9] وقوله : ﴿ يَآ أَبَانَا استَغْفِرْ لَنَا ﴾[10] وقوله : ﴿ وَلَا يَشفَعُونَ إِلَّا لمنِ ارتَضَى ﴾[11] وقوله : ﴿ من ذا الَّذِى يشفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذنِهِ ﴾[12] وقوله : ﴿ يُأَيُّهَا النَّبِىُّ حَسبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المُؤمِنِينَ ﴾[13] وقوله تعالى : ﴿ اذْكُرنى عِندَ رَبِّكَ ﴾[14] وقوله تعالى : ﴿أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾[15] وقوله تعالى : ﴿ آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾[16] وقوله تعالى : ﴿ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضلِهِ وَرَسُولُهُ ﴾[17] .

---

(١) سورة الزمر آية ٥٣ .
(٢) سورة القيامة آية ٢٢ - ٢٣ .
(٣) سورة الأنعام آية ١٠٣ .
(٤) سورة الأعراف آية ١٤٣ .
(٥) سورة الشورى آية ١١ .
(٦) سورة الجن آية ١٨ .
(٧) سورة الزمر آية ٤٤ .
(٨) سورة القصص آية ١٥ .
(٩) سورة النساء آية ٦٤ .
(١٠) سورة يوسف آية ٩٧ .
(١١) سورة الأنبياء آية ٢٨ .
(١٢) سورة البقرة آية ٢٥٥ .
(١٣) سورة الأنفال آية ٦٤ .
(١٤) سورة يوسف آية ٤٢ .
(١٥) سورة التوبة آية ٧٤ .
(١٦) سورة التوبة آية ٥٩ .
(١٧) سورة التوبة آية ٥٩ .

القرنيون لايدركون السنة وأقسامها وما يحتج به من الأخبار:

السنة قول النبى ﷺ وفعله وتقريره، ولا تثبت السنة لنا إلا بالخبر المتواتر، وهو أخبار جماعة كثيرة يمتنع عند العقل تواطؤهم على الكذب. ولا تثبت خبر الفاسق ولا مجهول الحال لعدم إفادته العلم وعدم الدليل على حجته، بل الدليل قائم على عدمها من قوله تعالى: ﴿إن جَاءَكُم فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[1] والنهى عن اتباع الظن. أما خبر الثقة العدل مع عدم إفادته العلم فقد اختلف فى حجيته: فمنعها قوم وأثبتها آخرون وعلى القول بحجيته لابد من ثبوت العدالة إما بالعلم أو شهادة عدلين، وفى كفاية العدل الواحد خلاف.

والعدالة: ملكة تبعث على اجتناب الكبائر، وعدم الإصرار على الصغائر، وترك منافيات المروءة الكاشفة عن عدم مبالاة فاعلها بالدين. وإثبات عدالة من بعد عنا زمانهم من أصعب الأمور لانحصار الأمر فى علمنا بها فى إخبار الغير وهو مفقود غالبًا إلا من إخبار البعض مستند على الظنون والاجتهادات التى تخطىء كثيرًا، لاعلى الممارسة والمعاشرة مع اختلاف الآراء فيما يوجب الجرح وما لا يوجبه. ولذلك وقع الاختلاف كثيرًا فى الجرح والتعديل، فقد عدله واحد جرحه آخر.

وعلم الجرح والتعديل هو الذى يهتم بأحوال الرجال من حيث الحكم عليهم بالقبول أو الرد، ووصفهم بأوصاف الثقات العدول، أو المجروحين المتروكين.

والقاعدة أن الجرح مقدم على التعديل لجواز إطلاق الجارح على مالم يطلع عليه المعدل فلا بد من هذا أن التسرع إلى القول بمضمون الخبر بمجرد وجوده فى أحد كتب الحديث أو بمجرد قول واحد أنه صحيح وتخطئة الغير بذلك فضلًا عن الحكم بكفره أو شركة خطأ محض، ويشترط لجواز العمل بالخبر: عدم مخالفته لدليل قطعى من إجماع المسلمين وسيرتهم أو نص القرآن أو نص خبر آخر متواتر، بل وعدم مخالفته للمشهور بين علماء المسلمين مع كونه بمرأى منهم ومسمع، وعدم معارضته بدليل أقوى منه.

ويشترط فى العمل بالخبر مااشترطه فى العمل بالكتاب مما مر فى الفقرة السابقة، وبسبب وجود هذه الأقسام فى الخبر أمكن لكل ذى قول حق أو باطل الاستناد إلى ظاهر رواية كما هو متبع لأقوال العلماء وأدلتهم.

وخلاصة أن كل من يريد العناد والعصبية من القرنيين فله مدرك يتشبث به من الكتاب أو

---

[1] سورة الحجرات آية ٦.

السنة مالم يكن له حاجب من تقوى الله . والمنصف الطالب للحق لايتمسك بظواهر الآيات والأحاديث مالم يبحث عن معارضتها من عقل أو نقل أو إجماع وما لم يبحث عن سند الحديث ويستفرغ الوسع فى فهم معناه .

القرنيون لايعلمون الأخبار المتعارضة وسبب التعارض وعلاجه :

الأخبار المتعارضة الواردة عن النبى ﷺ وسبب التعارض :

١ - إما كون بعضها مكذوبًا ، فقد كثرت الكذابة على النبى ﷺ فى عصره حتى قال ﷺ : « من كذب على متعمدًا فليتبوء مقعده من النار »[1] وبعد عصره تقربًا إلى الملوك وترويجًا للأهواء ومحافظة على الدنيا من طريق الدين .

ومن أمثلة ذلك ماروى للمهدى العباسى وكان يحب اللعب بالحمام فقال : « لا سبق إلا فى خف أو حافر »[2] « أو جناح » فزاد فى حديث الرسول ﷺ « أو جناح » اتباعًا لهوى المهدى فلما خرج من مجلس المهدى قال المهدى : « أشهد أن قفاه قفا كذاب على رسول الله ﷺ » وكم أعطيت الجوائز ووليت الولايات ، وأقطعت الإقطاعات على اختراع الرواية الموافقة للشهوات .

٢ - الاشتباه لخطأ فى فهم المراد أو سماع اللفظ أو الاطلاع على العام أو المطلق أو المنسوخ وعدم الاطلاع على الخاص أو المقيد أو الناسخ أو غير ذلك .

وللتعارض علاجات وردت بها الأخبار والروايات وقال بها علماء المسلمين وهى :

أ - العرض على كتاب الله والثابت من سنة رسول الله ﷺ فيؤخذ بما وافق ويترك ما خالف .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب العلم الباب ٣٨ وكتاب الجنائز الباب ٣٣ وكتاب الأنبياء الباب ٥٠ وكتاب الأدب الباب ١٠٩ ومسلم فى كتاب الزهد الحديث رقم ٧٢ وأبو داود فى كتاب العلم الباب ٤ والترمذى فى كتاب الفتن الباب ٧٠ وكتاب العلم الباب ٨، ١٣ وكتاب التفسير الباب الأول وكتاب المناقب الباب ١٩ وابن ماجه فى كتاب المقدمة الباب ٤ والدارمى فى كتاب المقدمة الباب ٢٥، ٤٦ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ٤٧، ٨٣، ١٢٣، ١٥٠، ١٥٩، ١٧١، ٢٠٢، ٢١٤، ٤١٠، ٤١٣، ٤٦٩، ٥١٩، والجزء الثالث صفحة ١٣، ٣٩، ٤٤، ٤٦، ٥٦، ٩٨، ١١٣، ١١٦، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٦، ٢٠٣، ٢٠٩، ٢٢٣، ٢٧٨، ٢٨٠، ٣٠٣، ٤٢٢، والجزء الرابع صفحة ٤٧، ١٠٠، ١٥٦، ٢٠١، ٣٦٧ والجزء الخامس صفحة ٢٤٥، ٢٩٢، ٤١٢ .

(٢) رواه أحمد فى الجزء الثانى صفحة ٢٥٦، ٣٥٨ والبيهقى فى السنن الكبرى ١٠/ ٦، ١٦ وابن شيبة فى مصنفه ١٢/ ٥٠٢ والطبرانى فى المعجم الكبير ٣٨٢/١٠ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٦٣/٥ والشافعى فى مسنده ٣٤٩ والطبرانى فى المعجم الصغير ٢٥/١ والبخارى فى التاريخ الكبير ٢٧٧/٤ والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ١٢/ ٣٢٤، ٤٥٥/١٣ .

ب - الموافقة للإجماع أو السيرة أو المشهور بين علماء المسلمين أو الموافقة لما عليه الصحابة والتابعون .

ج - الترجيح بحسب السند يكون رواته أوثق أو أحفظ أو أكثر ، أو الدلالة بكونه أظهر دلالة ، أو العبارة بكونه أفصح أو أحسن سبكا ، أو غير ذلك .

القرنيون لايعقلون وجود الحقيقة والمجاز فى الكتاب والسنة :

الكتاب والسنة عربيان وفيهما كسائر كلام العرب الحقيقة والمجاز ، فالحقيقة : هى الكلمة المستعملة فيما وضعت له كقولك أزيز الطائرة فى الجو . والمجاز : هو الكلمة المستعملة فى غير ما وضعت له لمناسبة ماوضعت له مناسبة موافقة للعرف غير مستهجنة ، كقولك : رأيت أسدا فى الحمام . وتريد : رجلًا شجاعًا ، والمناسبة بينهما : الشجاعة .

وقد كثر المجاز فى كلام العرب ومنه الكتاب والسنة ومما جاء فيهما :

١ - فى الكتاب : قوله تعالى : ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيدِيهِم ﴾[١] وقوله : ﴿ وَاصنَعِ الفُلكَ بِأَعيُنِنَا ﴾[٢] وقوله : ﴿ وَلِتُصنَعَ عَلَى عَينِي ﴾[٣] وقوله : ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعيُنِنَا ﴾[٤] وقوله : ﴿ ولو تَرَى إِذ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِم ﴾[٥] وقوله : ﴿ يَا حَسرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ ﴾[٦] وقوله : ﴿ كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجهَهُ ﴾[٧] وقوله : ﴿ فَأَينَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجهُ اللَّهِ ﴾[٨] وقوله : ﴿ وَيبقَى وَجهُ رَبِّكَ ﴾[٩] وقوله : ﴿ الرَّحمَٰنُ عَلَى العَرشِ استَوَى ﴾[١٠] وقوله : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوقِهِم ﴾[١١] وقوله : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوسَينِ أَوْ أَدنَى ﴾[١٢] وقوله : ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ﴾[١٣] وقوله : ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ ﴾[١٤] وقوله : ﴿ وغَضِبَ اللَّهُ عَلَيهِ ﴾[١٥] وقوله : ﴿ اللَّهُ يَستَهزِئُ بِهِم ﴾[١٦]

---

(١) سورة الفتح آية ١٠ .
(٢) سورة هود آية ٣٧ .
(٣) سورة طه آية ٣٩ .
(٤) سورة الطور آية ٤٨ .
(٥) سورة الأنعام آية ٣٠ .
(٦) سورة الزمر آية ٥٦ .
(٧) سورة القصص آية ٨٨ .
(٨) سورة البقرة آية ١١٥ .
(٩) سورة الرحمن آية ٢٧ .
(١٠) سورة طه آية ٥ .
(١١) سورة النحل آية ٥٠ .
(١٢) سورة النجم آية ٩ .
(١٣) سورة هود آية ١١٩ .
(١٤) سورة الدخان آية ٤٢ .
(١٥) سورة النساء آية ٩٣ .
(١٦) سورة البقرة آية ١٥ .

وقوله : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾[1] .

والقرينة على المجاز فى كل ماسبق : عدم إمكان إرادة المعنى الحقيقى المستلزم للتجسيم والتجزئة والوجود فى مكان دون غيره ، وكونه تعالى محلا للحوادث كما يتخرص بذلك القرنيون .

٢ - فى السنة : قوله ﷺ : « إن النار لاتمتلىء حتى يضع الله قدمه فيها »[2] أو قوله ﷺ : « لقد عجب الله أو ضحك من فلان وفلان »[3] والقرينة على المجاز فى كل ماسبق : عدم إمكان إرادة المعنى الحقيقى المستلزم للتجسيم والتشبيه كما يقول القرنيون .

والمجاز قد يكون فى الكلمة كما مر ، وقد يكون فى الإسناد ، كأنبت الربيع البقل ، وجرى النهر ، وبنى الأمير المدينة وغير ذلك . فأسند الإنبات إلى الربيع مجازا باعتبار أنه زمان له وحقه أن يسند إلى الله ، والجرى إلى النهر باعتبار أنه مكانه وحقه أن يسند إلى الماء ، والبناء إلى الأمير باعتبار أنه سبب آمر وحقه أن يسند إلى البناء .

ومما جاء منه فى القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾[4] والذى زادهم هو الله والآيات سبب . وقوله تعالى : ﴿ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ﴾[5] والنازع هو الله وإبليس سبب .

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾[6] والجاعل هو الله واليوم سبب لكثرة أهواله وقوله تعالى : ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾[7] والمخرج هو الله والأرض مكان للإخراج .

ولا بد للمجاز من الإسناد أيضًا من قرينة لفظية أو عقلية كقول الموحد : أنبت الربيع البقل ، فإن كونه موحدًا كافيًا فى حمل كلامه على المجاز فى الإسناد ، ومثله لو قال المسلم الموحد : يا رسول الله اغفر لى ، أو : اشف ولدى ، أو : طول عمرى ، أو : ارزقنى ، أو : رد غائبى ، أو نحو ذلك ، فيحمل كلامه على المجاز فى الإسناد ، أى : كن سببًا فى ذلك

---

(١) سورة الفجر آية ٢٢ .

(٢) رواه البخارى فى كتاب تفسير القرآن (سورة ق) الباب الأول وكتاب الإيمان الباب ١٢ وكتاب التوحيد الباب ٧، ٢٥ ومسلم فى كتاب الجنة الحديث رقم ٣٥، ٣٧، ٣٨، والترمذى فى كتاب الجنة الباب ٢٠ وتفسير سورة ق وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ٣٦٩، ٥٠٧ والجزء الثالث صفحة ١٣ .

(٣) رواه البخارى فى كتاب تفسير القرآن (سورة الحشر) الباب ٦ .

(٤) سورة الأنفال آية ٢ .

(٥) سورة الأعراف آية ٢٧ .

(٦) سورة المزمل آية ١٧ .

(٧) سورة الزلزلة آية ٢ .

شفاعتك ، ودعاء الله لي ، ويكفي قرينة على ذلك كونه مسلمًا موحدًا ولا يجوز تخطئته في هذا اللفظ فضلًا عن الحكم بكفره وشركه الموجب لحل دمه وماله ، إلا من قرني غبي غير عارف بأساليب كلام العرب ، أو معاند نجدي .

الفصل الرابع

الغاية من تكفير أهل القبلة والتبشير المسيحى هو التنصير الصليبى

القرنيون يطلقون الكفر على جميع الذنوب:

ليست جميع المعاصى ولا الكبائر منها كفرًا؛ إلا فى فكر الخوارج والسلفيين، والبدعى الحرانى ابن تيمية، والبدعى النجدى ابن عبد الوهاب، لعدم الدليل على ذلك؛ لأنه متى حكم بالإسلام لايحكم بغيره إلا بيقين، ومضت على ذلك سيرة النبى ﷺ والصحابة والتابعين وتابعى التابعين. ولو كانت المعاصى أو الكبائر منها كفرًا لبطلت الحدود والتعزيرات ولم يبق لها ثمرة. فإن المرتد يستتاب وإلا قتل، فلا معنى لإقامة الحد عليه أو تعزيره، وللزم الحكم بارتداد جميع الخلق الذين لا يسلمون من المعاصى بل والكبائر، ولم ينج منه إلا القليل. ولو كان كذلك لبيَّنت العلماء فى كتبها، ونادت به الوعاظ والخطباء، وعرفه الكل، وكون المرتد له أحكام خاصة به يلزم على كل مكلف معرفتها، وصار من ضرورات الدين لشدة الحاجة إليه من عموم المكلفين. وفى الهدية السنية ص ٦٦، روى عبادة بن الصامت عن النبى ﷺ قوله: «خمس صلوات كتبهن الله على العباد، من أتى بهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له»[1]. وهذا دليل على أن ترك الصلاة ليس كفرا؛ لأن الكفر لايغفره الله، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[2] هذا إذا لم يكن مستحلًا لما ثبت وجوبه أو تحريمه بضرورة الدين، وإلا كان كافرا.

---

(١) رواه أبو داود فى سننه ١٤٢٠ والنسائى فى سننه ٢٣٠/١ وأحمد فى الجزء الخامس صفحة ٣١٥، ٣١٩ والبيهقى فى سننه ٣٦١/١، ٨/٢، ٤٦٧/١٠ وابن عبد البر فى تجريد التمهيد ٧٢٥ والزيلعى فى نصب الراية ١١٤/٢، ١١٥ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٢٤٢/١ والبغوى فى شرح السنة ١٠٤/٤ والسيوطى فى الدر المنثور ٢٩٤/١ وابن حجر فى فتح البارى ٢٤٢/٢ وابن عبد البر فى التمهيد ٢٣٩/٤ وابن حجر فى تلخيص الحبير ١٤٧/٢ وعبد الرازق فى مصنفه ٤٥٧٥ والمتقى الهندى فى كنز العمال ١٨٨٦١ والحميدى فى مسنده ٣٨٩ والقرطبى فى تفسيره ١٨٣/٢ والبخارى فى التاريخ الكبير ٣٨٧/١ والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار ١٤٦/١ وأبو نعيم فى حلية الأولياء ١٣١/٥ وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق ٢٤٠/٢ وابن أبى شيبة فى مصنفه ٢٩٦/٢، ٢٣٥/١٤، ٢٣٦.

(٢) سورة النساء آية ٤٨.

ما المقصود من إطلاق الكفر والشرك والنفاق على بعض الذنوب؟:

قد يطلق على بعض من الذنوب اسم الكفر أو الشرك أو النفاق أو نحو ذلك تعظيمًا للذنب، وتحذيرًا منه، وتشبيهًا لمؤاخذته لعظمها بمؤاخذة الكفر، وبيانًا لأن مقتضى الإسلام والإيمان ألا يفعل ذلك الذنب، أو لأنه ربما انجر بالذنب تلو الذنب إلى االكفر كما ورد في الحديث «إن في قلب المؤمن نكتة بيضاء فإذا عصى الله اسود منها جانب وهكذا، إلى أن يتم سوادها، فذلك الذى طبع الله عليه»[1].

كما جاء التهديد بالنار واللعن على ترك بعض المستحبات أو فعل بعض المكروهات، بيانًا لتأكد الاستحباب حتى كأنها واجبة، ولشدة الكراهة حتى كأنها محرمة، أو لأن التهاون بها ربما يجر إلى التهاون بالواجب وفعل المحرم كقول الحديث: «إن من ترك فرق شعرة فرق بمنشار من نار» ونظير ذلك اللعن على فعل المكروه كلعن المحلل والمحلل له.

ومما ورد من إطلاق الكفر ونحو ذلك على الذنب في القرآن قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ على النَّاسِ حِجُّ البَيتِ مَنِ استَطَاعَ إِلَيهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِي عَنِ العَالَمِينَ﴾[2] وفي الأحاديث قوله ﷺ: «لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»[3] وقوله ﷺ «اثنتان في الناس هما بهما كفر، الطعن في النسب، والنياحة على الميت»[4].

وفي الحديث: «لا يزنى الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»[5] فهذا الحديث ينفى الإيمان عن المسلم

---

(١) رواه ابن ماجه في كتاب الزهد الباب ٢٩ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ٢٩٧.

(٢) سورة آل عمران آية ٩٧.

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان الحديث ١٨٨-١٢٠ وكتاب القسامة الحديث ٢٩ والبخارى في كتاب العلم الباب ٤٣ وكتاب الأضاحى الباب ٥ وأبو داود في كتاب السنة الباب ١٥ والترمذى في كتاب الفتن الباب ٢٨ والدارمى في كتاب المناسك الباب ٧٦ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ٨٥، ٨٧، ١٠٤ والجزء الخامس صفحة ٣٧، ٤٤، ٤٥، ٤٨، ٦٨.

(٤) رواه البخارى في كتاب مناقب الأنصار الباب ٢٧ ومسلم في كتاب الإيمان الحديث ١٢١ وكتاب الجنائز الحديث ٣٠ والترمذى في كتاب الجنائز الباب ٢٣ وأحمد في الجزء الثاني صفحة ٢٩١، ٣٣٧، ٣٤٢، ٣٤٣، ٤١٥، ٤٤١، ٤٩٦، ٥٣١ والجزء الخامس صفحة ٣٤٢، ٣٤٣.

(٥) رواه البخارى في كتاب المظالم الباب ٣٠ وكتاب الحدود الباب ١، ٦، ١٩ وكتاب الأشربة الباب الأول ومسلم في كتاب الإيمان الحديث ١٠٠، ١٠٤ وأبو داود في كتاب السنة الباب ١٥ والترمذى في كتاب الإيمان الباب ١١ والنسائى في كتاب القسامة الباب ٤٩ وكتاب السارق الباب الأول وكتاب الأشربة الباب ٤٢ وابن ماجه في كتاب الفتن الباب =

فى حالة تلبسه بالمعصية لامطلقًا، فدل على أن المراد أن تلبسه بالمعصية خلاف مقتضى الإيمان فنفى الإيمان عنه فى تلك الحال مجاز، تشبيها لمن لا يعمل بمقتضى إيمانه بغير المؤمن، نظير «لا صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد»[1].

فمن فعل كل ماسبق عمدًا استحلالًا لها فقد كفر، وإلا فهو زجر وتهويل.

إن الإسلام قول باللسان وعمل بالأركان، فمن كان مشركًا وتشهد الشهادتين ولم يأت بأعمال الإسلام لايحكم بإسلامه، بخلاف المسلم الموحد المولود على فطرة الإسلام الملتزم بأحكامه الفاعل لها، إذا عصى بترك فرض يعتقد بوجوبه ويعلم أنه عاص بتركه.

وإن من تخرص من القرنيين بقوله تعالى: ﴿**فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ ..... فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُم**﴾[2] فالآية واردة حكمًا فى الحالة الأولى، ولا يرد حكمها فى الحالة الثانية حالة ترك بعض شعائر الإسلام فإيجاب القتال لاشاهد فيه على حلية قتل تارك الفرائض كسلًا فضلًا عن كفره، فإنه إن صح جواز القتال على ترك بعض الشعائر حتى المستحبة كالأذان والجماعة لاربط له بترك الفرض كسلًا.

ومن ثم فإنه لايجوز الإقدام والتهجم بتكفير المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم بأخبار غير ظاهرة، وبأقوال الخوارج أو البدعى الحرانى ابن تيمية أو البدعى النجدى ابن عبد الوهاب، فليتق الله القرنيون المتهجمون والمتهورون.

أدلة توزيع الكفر والشرك بسخاء على المسلمين من كتبهم:

إن حكم القرنيين بكفر وشرك جميع المسلمين هو أساس مذهبهم ومحوره الذى يدور عليه لايتحاشون منه، وكتبهم مشحونة بالتصريح به تصريحا لايقبل التأويل. ويعتمد القرنيون فى تكفير المسلمين على أقوال ابن تيمية الحرانى فى رسالته «الواسطة» ورسالة

= الثالث وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ٢٤٣، ٣١٧، ٣٧٦، ٤٧٩ والجزء الثالث صفحة ٣٤٦ والجزء الرابع صفحة ٣٥٣ والجزء السادس صفحة ١٣٩.

(١) رواه البيهقى فى السنن الكبرى ٣/ ٧٥، ١١١ والدارقطنى فى سننه ٤٢٠/١ والحاكم فى مستدركه ٢٤٦/١ والسيوطى فى الحاوى للفتاوى ٥٣٢/١ وابن حجر فى تلخيص الحبير ٣١/٢ وفى مسند الربيع بن حبيب ٥٢/١ والزيلعى فى نصب الراية ٤/ ٤١٢، ٤١٣ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٢٩/٣ وابن حجر فى فتح البارى ٤٣٩/١ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٢٠٧٣٧.

(٢) سورة التوبة آية ٥.

« زيارة القبور ، ومنه أخذ القرنيون تكفير المسلمين ، وعلى أساسه بنوا وزادوا ، وصرح بذلك القرنيون فى عدة مواضع من رسائل الهدية السنية الخمس وغيرها .

- يهجم ابن تيمية الحرانى على قلوب كثير من المسلمين ويحكم عليهم بالشرك ، وتخبط فى تعريف العبادة وعطف الاتباع على لفظ الجلالة فى قول الله تعالى : ﴿ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] فهو يظن أن المعنى حسبك الله والمؤمنون معه ، وهذا غلط فاحش من ابن تيمية الحرانى ، ولكن المعنى الصحيح أى : حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين (راجع ص ٣٠٦ من فتاوى ابن تيمية الحرانى « المجلد الثانى » .

- كما يتضح من قول ابن عبد الوهاب فى رسالة « الأربعة قواعد » ، ورسالة « كشف الشبهات » ففيها يقول : إن شرك المسلمين أغلظ من شرك عبدة الأصنام ، لأن أولئك يشركون فى الرخاء ويخلصون فى الشدة ، وهؤلاء شركهم دائم فى الحالتين ، ولأن أولئك يدعون مع الله أناسًا مقربين عنده وأشجارًا وأحجارًا غير عاصية ، وهؤلاء يدعون مع الله أناسًا من أفسق الناس . وقد أطلق ابن عبد الوهاب فى رسالة « كشف الشبهات » اسم الشرك والمشركين على عامة المسلمين عدا القرنيين فيما يزيد على أربعة وعشرين موضعًا ، وأطلق عليهم اسم الكفر والكفار ، وعباد الأصنام ، والمرتدين ، والمنافقين ، وجاحدى التوحيد وأعدائه وأعداء الله ، ومدعى الإسلام ، وأهل الباطل ، والذين فى قلوبهم زيغٌ والجهال والجهلة . راجع كتاب كشف الشبهات لابن عبد الوهاب صفحة ٥٧ إلى ٧٢ .

وكان محمد بن عبد الوهاب إذا اتبعه أحد وكان قد حج حجة الإسلام يقول له : حج فإن حجتك الأولى فعلتها وأنت مشرك فلا تقبل ولا تسقط عنك الفرض . وإذا أراد أحد الدخول فى عقيدته يقول له بعد الشهادتين : أشهد على نفسك أنك كنت كافرًا ، وعلى والديك أنهما ماتا كافرين ، وعلى فلان وفلان ــ ويسمى جماعة من أكابر العلماء ــ أنهم ماتوا كافرين ، فإن شهد قبله وإلا قتله ، وكان يصرح بتكفير الأمة منذ ستمائة سنة ويكفر من لايتبعه ، ويسميهم المشركين ويستحل دماءهم وأموالهم (راجع كتاب خلاصة الكلام ص ٢٢٩ ، ٢٣٠) .

- وصرح بذلك محمد بن إسماعيل الأمير اليمنى الصنعانى أحد ذيول القرنيين فى كتابه « رسالة تطهير الاعتقاد » فى عدة مواضع بأن كفر المسلمين كفر أصلى لاكفر ردة

---

[1] سورة الأنفال آية ٦٤ .

وصرح بالتكفير جملة. وأطلق الصنعانى فى كتابه «تطهير الاعتقاد، اسم الشرك والمشركين على عامة المسلمين وذلك فيما يزيد عن ثلاثين موضعًا وأطلق عليهم اسم الإلحاد والكفر والكفر الأصلى، وأنهم عبدوا غير الله وزادوا على عبادة الأصنام وأطلق اسم الإله والصنم والوثن والند لله على من يستغيثون ويتبركون بالأنبياء والأولياء فى نحو عشرة مواضع راجع ص ٧، ٩، ١٧، ٢٠، ٢٢ من كتاب «تطهير الاعتقاد».

٤ - وأطلق أصحاب الهدية السنية على المسلمين اسم الشرك، والإشراك، والشرك بالله، والشرك الأكبر، وأعظم الشرك، والشرك الوخيم، ومتخذى الشريك، والشرك الموجب لحلّية المال والدم، والمشركين والمشركات، وأقبح المشركين، وأن ماعليه المسلمون هو من الجاهلية، فيما يزيد عن عشرين موضعًا، ووصفوهم بعبادة غير الله فيما يزيد عن عشرة مواضع، وسموا من يتوسل ويتبرك بالأنبياء والأولياء بالأصنام والأوثان، والأنداد لله فيما يزيد عن اثنى عشر موضعًا. راجع كتاب الهدية السنية ص ١٠، ١٥، ١٩، ٢٠ وص ٢٢، ٢٨، ٣٠، ٣٤ إلى ص ٥٥ ومن ص ٥٧ إلى ص ١٠٧.

إن البدعى الحرانى ابن تيمية والبدعى النجدى ابن عبد الوهاب وذيولهما قد هجموا على قلوب المسلمين فى ثرثرتهم السابقة، فإذا أحب الناس نبيًا من الأنبياء أو وليًا من الأولياء حكموا عليهم بالشرك، بينما التوحيد والإشراك يكونان فى أحوال القلب وما فى القلوب لايعلمه إلا علام الغيوب. وبالغوا فى حكمهم الفاجر بقول ابن تيمية الحرانى: وإن كان يقول إنه يحبه لله، فهو كافر عنده. لأنه لايصدق أقوال المسلمين وظواهرهم ولا يكتفى منهم بما اكتفى به رسول الله ﷺ منهم فى قوله ﷺ: «إنى لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم»[1] وقوله ﷺ موبخا مولاه أسامة لمل قتل الأعرابى الذى كان من المشركين بعد قوله: «لا إله إلا الله» حين رفع السيف عليه، معتذرًا بأنه قالها خوفًا من السيف، «هلا شققت عن قلبه حتى تعلم أنه قالها لذلك»[2].

أما ما أخرجه الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه سمع النبى ﷺ يقول: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» فقد قال الحافظ بن حجر فى فتحه وفى شرح قوله ﷺ:

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الإيمان الحديث رقم ١٥٨ وأبو داود فى كتاب الجهاد الباب ٩٥ وابن ماجه فى كتاب الفتن الباب الأول وأحمد فى الجزء الرابع صفحة ٤٣٩ والجزء الخامس صفحة ٢٠٧.

(٢) رواه البخارى فى كتاب المغازى الباب ٦١ ومسلم فى كتاب الزكاة الحديث رقم ١٤٤ وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ٤.

فوا أسفاه على التفريق والتمزق ، أرادنا الله أمة واحدة بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُم أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾[1] فأصبحنا أممًا متعددة !! وكنا حزبًا واحدًا هو حزب الله فأصبحنا أحزابًا وشيعًا ! .

منصرون يعملون فى الأراضى المقدسة ، يريدون الزحف إلى مكة ، بقيادة أبرهة الجديد ممثلًا فى نيكسون أو كارتر أو ريجان أو بوش أو كلينتون أو من يأتى بعدهم .

هذا من جانب ومن الجانب الآخر التبشير المسيحى ، فهل تعلم أن عدد المسيحيين فى العالم ٨٥٠ مليون نسمة ، ونسبة المبشرين المتخصصين للدعوة ضد الإسلام حوالى ١٧ مليون نسمة ، ويعتبرون أن هذه النسبة ضئيلة لاتتناسب البتة مع المطلوب منهم ، وبذلك فهم يجندون القرنيين لتكفير أهل القبلة من المسلمين وهذا ماتبتغيه مراكز التبشير فى العالم ، والتى تشكل تعاونًا أوربيًا أمريكيًا واسع النطاق .

ففى المؤتمر السنوى السادس «لاتحاد الكنائس للتبشير» الذى عقد فى كاليفورنيا بالولايات المتحدة ١٩٨٠ حيث قال «واين شاهباز» : إن أبواب المنطقة العربية والعالم الإسلامى أصبحت مفتوحة على مصراعيها للمبشرين النصارى فهناك ١٥٠ ألف أمريكى يعملون فى السعودية البلد الذى يعتبر مغلقًا أمام المبشرين (المنصرين) منهم كثيرون يعملون فى ميدان التنصير فى الخفاء .

وفى بداية عام ١٩٨٥ نشرت وكالة «نيدس» التابعة للفاتيكان تقريرًا عن الحركة التنصيرية فى الخليج العربى وأشار التقرير إلى أنه لا يصرح لرجال الدين المسيحى بالدخول إلى تلك المنطقة بما فى ذلك القاصد الرسولى بأبى ظبى بصفتهم رجال دين ، بل عليهم أن يبرروا وجودهم بصفتهم فنيين لديهم عقود مع الشركات النفطية التى تعمل بوجه تنصيرى . وأضاف التقرير أن هناك مؤسسات مسيحية فى منطقة الخليج تمارس أعمال التنصير من خلال عمالها الأسيويين المسيحيين والذين يصل عددهم فى البحرين وقطر وأبو ظبى إلى ألف عامل منصر .

فيا شباب الإسلام : إن الأمن القومى الإسلامى فى خطر ، نعم فى خطر ، فلسوف نواجه بمائة أندلس جديدة على اتساع العالم الإسلامى كله كفلسطين والفلبين وأفغانستان وتركستان وأزربيجان وكشمير وبلغاريا وألبانيا وقبرص وأرتريا وجنوب السودان ولذلك

---

(١) سورة المؤمنون آية ٥٢ .

يقول المنصر الأمريكى ، « روبرت ماكس » (إن جهودنا لن تتوقف حتى يرتفع الصليب فى سماء مكة ويقام قداس الأحد فى المدينة !!!) راجع كتاب الزحف إلى مكة للدكتور عبد الودود شلبى ص ٢٨ .

فيا شباب الإسلام : إن تكفير القرنيين لأهل القبلة والتبشير المسيحى يعد أكبر كارثة تقضى على الإسلام والمسلمين فهذه العصابات ، عصابات التكفير والتبشير التى بدأ خطرها يستفحل ويستشرى وينتشر فى وطننا الإسلامى ، وراء أى مسلم أو مسلمة فى أى بلد فى الشرق أو فى الغرب ، فى آسيا أو أفريقيا ، أو حتى فى الأدغال والغابات .

إنها الحرب الخسيسة التى تستنهض الهمم ، وتهيب بالنوام والغافلين ، أن هبوا لمواجهة هذا الخطر قبل أن تعض بنان الندم ، وقبل أن تزل بنا القدم ، وقبل أن يصبح المسلمون أمثولة وضحوكة بين سائر الأمم ، وقبل أن يتحول المسلمون إلى أرقاء يضرب بهم المثل فى الذل ، وتدور الدائرة كما دارت عليهم فى الأندلس من قبل .

وحول هذه المعانى يقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم :

إِثَارَةُ الهِمَمِ لإحياء القِيَم

هيا لله يارجال الله ... نسعى لرضاه بشريعته
نحة يا إخوان تحيى الإيمان ... بحقيقته
نظرًا يا كرام تعلى الإسلام ... بهدايته
منحة يا أبدال تقوى الأحوال ... بعنايته
ألفة بيقين يا أهل التمكين ... بمحبته
نهضة بعزم همة بحزم ... لمودته
عمل لا قول جدوا الوصول ... لمعيته
أحيوا السنة وامحوا المحنة ... لمعونته
الدين يا قوم حتام النوم ... عن حكمته
يقظة يا ناس وامحوا الوسواس ... لصيانته
صافوا واصفوا وافوا وأوفوا ... فى نصرته

لا تفترقوا أو تحترقوا في رفعته
صفوا الأقدام واحيوا الإسلام بصداقته
وعد الرحمن نص القرآن عن نصرته
لبوا بيقين سر التعيين لشريعته

إن المختار يدعو الأخيار ردوا الكفار عن سنته
لبيك مولاى فى ذاك منای قلبى وعيناى فى خدمته
مولاى اشرح صدرى وافتح قلبى واسمح بشهادته
وانظر بصفا إخوان صفا وأدم عطفا بصداقته

الباب الثانى

أمور شذ فيها القرنيون عن إجماع الأمة

الفصل الأول

البدعـــــة

القرنيون يوزعون البدعة بسخاء على عباد الله :

أخذت العصبية العمياء مفهوم القرنيين عن البدعة فملأوا الكتب والمقالات بتهجمات على علماء الإسلام بحجة أنهم شرعوا فى الدين المحدثات مخالفين بذلك الحديث الشريف :

« كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ...» .

وهؤلاء القرنيون حزب خاسر يضلل مخالفيه ولا يسلك مسالك العلماء الذين جعلوا نصب عينيهم قول النبى ﷺ : « إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر »[1] فقد أجمع علماء المسلمين سلفا وخلفا على أن الأمة كلهم على هدى مثابون عند الله تعالى فيما استنبطوه وجاهدوا أنفسهم فيه بحرص على الوصول إلى الحق ، ولهذا اتبعتهم جماهير من العلماء وتدينوا بمذاهبهم لما علموا من بروزهم فى العلم والتقوى والورع .

ولكن هؤلاء القرنيين ظنوا بعلمهم الضحل أنهم أفهم من أئمة السلف الصالح ، وأعرف بدين الله فى دعاوى كبيرة . ثم تمخض الجبل فولد فأرًا فإذا علمهم كله محصور فى حديث واحد وهو قوله ﷺ : « كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » ورفض كل أحاديث الرسول ﷺ الدالة على حيازة كل خير ، والتى يستفاد منها حكم جميع الحوادث . فعند القرنيين أن كل شىء حدث بعد عهد رسول الله ﷺ وإن كان من الخير ومن الأمور الدينية الموافقة لدين

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الاعتصام الباب ٢١ ومسلم فى كتاب الأقضية الحديث رقم ١٥ وأبو داود فى كتاب الأقضية الباب ٢ والترمذى فى كتاب الأحكام الباب ٢ والنسائى فى كتاب القضاة الباب ٣ وابن ماجه فى كتاب الأحكام الباب ٣ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ١٨٧ والجزء الرابع صفحة ١٩٨، ٢٠٤، ٢٠٥ .

الله وتشملها أوامر الله ، فالاستكثار من الخير خير . فعند هؤلاء هو بدعة وضلالة .

مفهوم البدعة عند السلف الصالح :

تعريف البدعة :

البدعة إدخال ما ليس من الدين فى الدين ، ولا يحتاج تحريمها إلى دليل خاص كحكم العقل بعدم جواز الزيادة على أحكام الله تعالى ولا التنقيص منها ، وباختصاص ذلك به تعالى وبأنبيائه الذين لايصدرون إلا عن أمره .

تعيين البدعة هو سبب الاشتباه :

إن تعيين البدعة هو مما يقع فيه الاشتباه ، فكم بدعة عدت سنة ، وبالعكس كم سنة عدت بدعة . فقد أحدث الخلفاء الراشدون بدعا هى عين السنة استنادا إلى حديث أحمد ومسلم والترمذى والنسائى وابن ماجة عن جرير بن عبد الله عن رسول الله ﷺ قال : « من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينتقص من أجورهم شيئا »[1] . فقد سمى عليه الصلاة والسلام المبتدع للحسن « مستنا » فأدخله فى السنة وهو المشرع فلا يجوز مخالفته ، ولا الحكم بأن البدعة قسم واحد ، وأنه ضلالة أخذا بعموم كل بدعة ضلالة . مع هذه المخصصات فإن من المقرر مامن عام إلا وخص منه ، والأخذ بكل العموميات من الجهل بقواعد العلم والشرع ، كما هو شأن دعاة السلفية مع أنهم متلبسون بالبدع الكثيرة .

وسبب الاشتباه إما خطأ فى الدليل المستدل به على أن ذلك من الشرع أو ليس منه ، أو تقليد من سنها لحسن الظن به مع أنه مبتدع ، أو توهم أنه لابد من ورود النص بها بالخصوص مع دخولها فى عمومه أو إطلاقه كما وقع فى زماننا من دعاة السلفية .

الأفعال تتغير أحكامها :

الأفعال تتغير أحكامها : باختلاف القصد الموجب ، واختلاف العنوان ، واختلاف الزمان

---

(١) رواه مسلم فى كتاب العلم الحديث رقم ١٥ وكتاب الزكاة الحديث رقم ٦٩ والنسائى فى كتاب الزكاة الباب ٦٤ وأحمد فى الجزء الرابع صفحة ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١ .

والمكان والأحوال والأشخاص الموجب لذلك ، وهذا معنى ماشتهر أن الأحكام تتغير بتغير الزمان .

أ - فاختلاف الأحكام باختلاف القصد ... كضرب اليتيم ، فإنه محرم بقصد الإيذاء راجح بقصد التأديب .. وكغيبة المسلم فإنها محرمة بقصد الانتقاص واجبة بقصد نهيه عن المنكر .

وكالسجود عند روضة النبى ﷺ فإنه راجح مستحب بقصد الشكر لله تعالى على توفيقه لزيارته ﷺ ، محرم بقصد السجود للنبى ﷺ لعدم جواز السجود لغير الله تعالى ؛ إلى غير ذلك .

ب - واختلاف الأحكام باختلاف عنوان واجب مع عنوان محرم فيتقدم بالأهم ، كلمس بدن الأجنبية فإنه محرم ، ولكن إذا توقف عليه إنقاذها من الغرق أو شفاؤها من المرض فيجوز ويجب .

وتقاضى رسوم الحج ، والحج عبادة من أركان الإسلام فلا تفرض عليه رسوم ، فهو محرم على حسب مفهوم دعاة السلفية ، ولكن إن تركها المسئول عن ذلك فهو الواجب عليه ، كما هو الشأن فى العمرة ، فلا رسوم فيها ، وإن امتنع فلا يجوز شق عصا الطاعة والخروج عن طاعته ، وذلك لأن جمع كلمة المسلمين وعدم شق عصاهم أهم فى نظر الشارع من عدم اقتضاء رسوم الحج ؛ لأن المفسدة التى تترتب على شق عصا المسلمين أعظم من المفسدة المترتبة على أخذ رسوم الحج .

وبناء على هذا ، كان يجب عدم التعرض لهدم مشاهد أئمة المسلمين ، الأمر الذى يسوء ملايين المسلمين الذين تحن قلوبهم إلى هذه المشاهد ويسوءهم هدمها وتدميرها ، إنما كانت هذه المفسدة - التى تشتت كلمة المسلمين وتسوءهم وتوقع الخصام والعداوة بينهم فى هذه الأيام العصيبة التى تبدد فيها جمعهم ووهن ركنهم وضعف سلطانهم وفتحت بلادهم - أعظم من مفسدة تحريم البناء على مشاهد الأنبياء والأولياء وأهم وأولى بالرعاية . أفلا تقابل هذه المفسدة مفسدة شق عصا المسلمين بالنسبة لرسوم الحج ؟! .

بلى والله هى أعظم منها وأفظع وأوجع لقلوب المسلمين ، فهلا أبقيت هذه المشاهد كما بقى مشهد النبى ﷺ .

ج - واختلاف الأحكام باختلاف الزمان والمكان والأحوال كلبس الملابس الحمراء مثلا

حيث تعد زينة فى بعض الأزمنة والأمكنة، فيحرم على الزوجة فى وقت الحداد، ويستحب إذا أرادت التزين لزوجها.

وكلباس النساء المحرم على الرجال وبالعكس، فإنه يختلف باختلاف الزمان والمكان. ودفن المؤمن الجليل قريبا من «المزبلة»، فإنه يعد إهانة له. فيحرم بخلاف دفن الزبال، وكإنزال الضيف الشريف فى مرابط الدواب، فإنه يعد إهانة مع إمكان غيره بخلاف المكارى.

وقد يكون ترك القيام للشخص فى زمان ماأو بلاد مايعد إهانة له فيحرم، وهو فى زمان آخر أو بلاد أخرى لايعد فلا يحرم، وملابس الزهاد ومأكولهم يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال، وكهدم بناء مشاهد الأنبياء والأولياء وقبابهم فهب أنه كان منهيًا عن البناء نهى كراهة أو تحريم، إلا أن الهدم صار يعنى فى هذا الزمان إهانة لهم، فيتعارض عنوان واجب وهو الهدم، وعنوان محرم وهو الإهانة، فيتقدم الأهم، ولا شك أن مراعاة عدم إهانة الأنبياء والأولياء أولى وأهم من كل شىء.

وتغيير الأحكام بهذه الأوجه من الاختلافات يجعل النصوص الشرعية حية متحركة تساير سنن الحياة، كما يجعلها نامية متطورة، تتمشى مع نواميس الزمان والمكان فلا تجمد ذلك الجمود الذى يباعد بين الدين والدنيا، وهو الأمر الذى نشاهده عند ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب، الذين يعتبرون أن دين الإسلام محصور فى فكرهم فلا يثقون بعالم من علماء المسلمين ولا يقيمون له وزنا. فدين الإسلام الواسع محصور علماؤه فى الثلاثة، وأمة محمد ﷺ المنتشرة منذ توسع الفتح الإسلامى إلى عصرنا هذا إن اتبعت تعاليم الثلاثة فهى أمة مؤمنة، وإن خالفت تعاليمهم فهى أمة كافرة مشركة ضالة. فانظر يا أخى المسلم كيف تحقق شذوذ الثلاثة عن السواد الأعظم الذى قال عنه الرسول ﷺ: «إن الله لايجمع هذه الأمة على ضلالة أبدًا وإن يد الله مع الجماعة، فاتبعوا السواد الأعظم فإن من شذ شذ فى النار»[1].

فكيف يحكم هؤلاء الثلاثة على الملايين من أمة محمد ﷺ بالكفر والشرك والضلالة، وما فى قلوب أمة محمد لايعلمه إلا الله؟! إن التكفير سمة الخوارج وكل المبتدعة الذين يكفرون مخالفى رأيهم من أهل القبلة. راجع حاشية ابن عابدين «رد المحتار على الدر المختار» فى باب البغاة، والشيخ الصاوى فى حاشيته على الجلالين والشيخ سليمان بن عبد الوهاب فى كتابه «الصواعق الإلهية فى الرد على الوهابية» ورسالة العلامة شهاب الدين

(١) رواه الترمذى فى كتاب الفتن الباب ٧ والدارمى فى كتاب المقدمة الباب ٨ وأحمد فى الجزء الخامس صفحة ١٤٥.

حمد بن يحيى الحلبى فى الرد على ابن تيمية ، و « الاقتصاد فى الاعتقاد » لحجة الإسلام الغزالى ، والعلامة سعد الدين التفتازانى فى كتابه « شرح المقاصد » و « شفاء السقام فى زيارة خير الأنام » للإمام المحقق أبى الحسن السبكى الذى رد على ابن تيمية فشفى به صدور مؤمنين .

أمثلة للتحجر العقلى فى تفسير البدعة :

نصب دعاة السلفية أنفسهم للإرشاد وانتسبوا للعلم ظلما وبهتانا ، متذرعين بحجة أن هذا من الدين وأن هذه نصيحة ، وأن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، ونسى هؤلاء أن هناك من المحدثات فى الأمور ماهو بدعة حسنة ، وإليك نماذج منها :

١ - استحدث سيدنا عمر رضى الله عنه فى صلاة التراويح من جمعهم على قارىء واحد وقال رضى الله عنه فى ذلك : « نعمت البدعة هذه » .

٢ - قام سيدنا عمر ببناء مسجد الرسول ﷺ وأبدع فيه وزاد عليه فى المساحة عملا بقول الرسول ﷺ : « ما أضيف إلى مسجدى فهو مسجدى » .

٣ - أحدث سيدنا عثمان رضى الله عنه الأذان الثانى بين يدى الخطيب فى يوم الجمعة .

٤ - أحدث معاوية بناء المنابر للأذان ، واستند فى ذلك إلى تخصيص رسول الله ﷺ المكان المرتفع فى الأذان ، حيث كان يؤذن من فوق بيت أم هانىء وهو أعلى بيت بجوار المسجد .

٥ - أحدث معاوية رضى الله عنه زيادة المنبر إلى ست درجات مضافة إلى ثلاثة فصارت تسعًا ، وقد أخذه من فعل رسول الله ﷺ من انتقاله من الجذع وهو درجة واحدة إلى المنبر الذى صنع من ثلاث درجات ولم يشترط ﷺ تحديد الدرجات ، والعلة فى ذلك أن ارتفاع المنبر على أحوال منها كثرة الناس وسعة المسجد .

٦ - كما أحدث معاوية رضى الله عنه تجويف المحراب فى الحائط أخذا من التزام حضرته ﷺ مكانا مخصصا فى المسجد يصلى فيه ، ولم يغير الصحابة رضوان الله عليهم المكان بعد انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى ، والمحراب مذكور فى الكتاب فى قوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ﴾[1] .

---

(١) سورة آل عمران آية ٣٧ .

وقوله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾[3]. على أن المحراب هو أخص مكان للإمام، ولم يعرف هذا من ذلك الحين إلا بتجويفه في الحائط ليكون أدعى أنه هو المكان المخصص للإمام.

٧ - ومن الأمور المستحدثة الصلاة والسلام على رسول الله بعد الأذان بأمر من المولى سبحانه وتعالى في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[4] من غير تقييد بعمل ولا بوقت ولا بحال ولا بشأن.

والمؤذن وسامعوه أولى الناس بشكر رسول الله ﷺ بعد الأذان سر قوله: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[5].

ونعمة الله علينا هي رسول الله. وقد طلب ﷺ من سمع المؤذن أن يقول مثلما يقول وأن يصلي ويسلم عليه وأن يسأل الله تعالى له الوسيلة، وإذا كان هذا مطلوبا ممن سمع المؤذن فكيف بالمطلوب من المؤذن نفسه؟!.

٨ - وقد استحدث السلف الصالح القيام عند ذكر ولادة النبي ﷺ، وعدها دعاة السلفية بدعة لعدم ورود النص به، والحال أنه يكفي فيه عموم ما فُهم من الشرع من لزوم احترام النبي ﷺ، ورجحان تعظيمه حيا ومنتقلا إلى الرفيق الأعلى بكل أنواع الاحترام التي لم ينص الشرع على تحريمها.

كما شنع دعاة السلفية على الاحتفال بمولد النبي ﷺ، وما يستتبعه من حلقات الذكر ومجالس الصلوات والابتهلات، وقالوا: إن هذه الأمور المستحدثة بدعة، مع أننا إذا فعلنا ذلك ولم نقصد أن هذا مأمور به بخصوصه لم نكن مبتدعين في الدين، بعد دلالة الأدلة الشرعية بعمومها وإطلاقها على استحباب ذكر الله والصلاة على النبي ﷺ. أما مايحدث في الموالد من بعض أدعياء التصوف فنحن نوافق دعاة السلفية أنه من تسويلات الشيطان.

٩ - قال دعاة السلفية: إن ترك الأعمال يوم الجمعة بدعة لأنه لم ينص المشرع على ذلك بل

---

(١) سورة آل عمران آية ٣٩.
(٢) سورة مريم آية ١١.
(٣) سورة ص آية ٢١.
(٤) سورة الأحزاب آية ٥٦.
(٥) سورة آل عمران آية ١٠٣.

أمر بالعمل بعد قضاء صلاة الجمعة لقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرضِ ﴾[1] . وهذا اشتباه ، لأن ترك العمل يوم الجمعة هنا بعنوان الراحة أو بعنوان مصلحة أخرى دينية أو دنيوية ، كإظهار حرمة يوم الجمعة وغير ذلك ، لا بعنوان أنه فى نفسه عبادة وطاعة .

١٠- قال دعاة السلفية : إنه يلزم فعل العبادات بجميع الخصوصيات التى كان يفعلها النبى ﷺ بها ولا يجوز فعلها بدونها بل تكون بدعة . على هذا الفهم السقيم العقيم : كانت الصلاة بالطربوش ، أو الشال الهندى ، أو البنطالون ، أو العقال ، والغترة ، والطاقية المخرمة ، واللباس الهندى بدعة ، ولكانت الخطبة فى الجمعة والعيدين بدون قلنسوة بدعة ، إذا فرض أنه ﷺ كان يفعلها بقلنسوة بيضاء وهكذا .
وهذا لا يقول به من عنده أدنى معرفة بأدلة الشرع .

١١- قال دعاة السلفية : إن قراءة الفواتح للمشايخ بعد الصلوات بدعة وهذا تحجر عقلى لأن المراد بها إهداء الثواب إليهم فيعمها مادل على جواز إهداء الثواب للميت واختيار أوقات الصلاة لأنها أفضل فيزداد الثواب .

اختلاف دعاة السلفية بعضهم عن بعض :

دعاة السلفية : هى الفرق الخارجة عن السواد الأعظم من المسلمين الذين حث سيدنا رسول الله ﷺ على اتباعهم وعدم مخالفتهم فقال : « إن أمتى لاتجتمع على ضلالة فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم »[2] . وقوله ﷺ : « من فارق الجماعة قيد شعرة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه »[3] . فياليت دعاة السلفية يجمعون على رأى واحد بل كل فرقة منهم تختلف عن الأخرى :

١ - فدعاة السلفية بالجزيرة العربية : نجد فى مساجدهم جميعا منابر ومحاريب ، ومحاريب هذه المساجد مجوفة ومنابرهم مكونة من تسع درجات لاثلاث ، ويؤذنون للصلاة

---

(١) سورة الجمعة آية ١٠ .

(٢) رواه ابن ماجه فى كتاب الفتن الباب ٨ والبيهقى فى السنن الكبرى ٣٩٥٠ وابن أبى عاصم فى السنة ٤١/١ وأبو نعيم فى تاريخ أصبهان ٢٠٨/٢.

(٣) رواه الترمذى فى كتاب الأدب الباب ٧٨ وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ٣٣٢ والجزء الرابع صفحة ١٣٠، ٢٢٠ والجزء الخامس صفحة ١٦٥، ١٨٠، ٣٤٤ وأبو داود فى كتاب السنة الباب ٢٧ والنسائى فى كتاب قطع السارق الباب الأول وابن ماجه فى كتاب الفتن الباب ٢٧ .

بصوت ندى ويؤذنون يوم الجمعة أذانين، ويستمعون إلى قارىء للقرآن بعد صلاة الجمعة لا قبلها.

٢ - أما دعاة السلفية بمصر: فمساجدهم بلا منائر وبلا محاريب مجوفة، ويؤذنون بصوت غير ندى، ومنابرهم ثلاث درجات فقط، ويؤذنون يوم الجمعة أذانا واحدا، ولا يجتمعون على قارىء للقرآن لا قبل صلاة الجمعة ولا بعدها.

وقد جعل الله دعاة السلفية كذلك، ليعلم كل مؤمن أنهم فرق من المسلمين، وليسوا السواد الأعظم من المسلمين الذين حث النبى على اتباعهم، ونشكر دعاة سلفية الجزيرة العربية على تساهلهم وعدم عد هذه المسائل السابق الإشارة إليها بدعة، مخالفين بذلك امتدادهم الموجود بمصر.

مع أنهم يطلقون ألسنتهم بالتبديع على أى نوع من أنواع الخير، ويقولون إن الذين يقسمون البدعة إلى محمودة ومذمومة يحادون الله ورسوله، ومع هذا الاتهام الخطير ينقلون عن الإمام الشافعى أنه قال: البدعة بدعتان محمودة ومذمومة فما وافق السنة فهو محمود وما خالفها فهو مذموم، فهل الشافعى معنى بهذه المحادة والمشاقة ؟!.

وهناك جمهور من العلماء قرروا هذا التقسيم: منهم النووى، وابن عبد السلام، والقرافى، وابن العربى، وخاصة - الحافظ ابن حجر فهل هؤلاء كلهم لايفهمون كلام الله وكلام رسوله ؟؟!.

الفصل الثانى

الشـــفـاعـة

إذا كانت الشفاعة للأنبياء والأولياء حقًا فكيف يكون سؤالها منهم شركًا ؟! :

مـا كـان حـقـا لايـكـون سـؤالـه شركًا تعجب للجهالة وازدد

الشفاعة هى طلب الدعاء :

إن طلب الشفاعة من النبى ﷺ وأولياء الله الصالحين، فى دار الدنيا أحياء وأمواتا ليتشفعوا فى الدنيا فى أمور الدنيا والآخرة، جائز لامحظور، لأنها من قبيل الدعاء..

فالشفاعة : عبارة عن اجتماع الشفيع مع المشفوع له فى الدعاء، إذن الشفاعة مشتقة من الشفع وهو أن يصير الإنسان نفسه مشفعا لصاحب الحاجة كى يجتمع معه على المسألة من الله تعالى، فهى دعاء وطلب من الله لغفران الذنب وقضاء الحوائج، فيجوز طلب الشفاعة إلى الله تعالى من كل مؤمن، فضلا عن الأولياء والأنبياء، وفضلا عن سيد المرسلين؛ لأن الشفيع له قدر وجاه وحرمه عند الله يرجى بها قبول شفاعته واستجابة دعائه.

الكتاب والسنة يؤيدان شفاعة الأنبياء والأولياء :

إن الشفاعة ثابتة للأنبياء والأولياء والملائكة المقربين بنص آيات الله فى كتابه، وبنص أحاديث الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى سننه.

أولا : - فمن آيات القرآن التى تجوز الاستشفاع بالأنبياء والأولياء والملائكة المقربين :

١ - قوله تعالى : **﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾**[1].

---

(١) سورة النساء آية ٦٤.

فلو كان الاستشفاع من النبى ﷺ شركا بالله - كما يزعم القرنيون - لما وجدوا الله توابا رحيما، لأن الله سبحانه لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك. وقد عدل المولى سبحانه وتعالى فى هذه الآية من الخطاب الموجه للحاضر إلى الخطاب الموجه للغائب، فلم يقل: واستغفرت لهم، بل قال: «واستغفر لهم الرسول» إجلالا للرسول صلوات الله وسلامه عليه، وأنهم إذا جاءوه فقد جاءوا من خصه الله برسالته، وأكرمه بوحيه، وجعله سفيرا بينه وبين خلقه، ومن كان كذلك فالله لايرد شفاعته.

وكون الرسول سفيرا بين الله تعالى وبين العباد، فهذه هى الواسطة التى قال بها المسلمون جميعا، ماعدا القرنيين.

٢ - قول أولاد يعقوب لأبيهم ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾[١]. وقول يعقوب عليه السلام ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾[٢]. فإن هذا الطلب من أولاد يعقوب يعد توسلا بأبيهم إلى الله فى الاستغفار، وطلب العفو ونزول الرحمة فى الدنيا قبل الآخرة.

٣ - إن المولى سبحانه وتعالى أمر النبى ﷺ بالاستغفار للمؤمنين فى قوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[٣]. وقوله سبحانه: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[٤]. ومن المعلوم أن ذلك دليل على الاستشفاع بالنبى لأنه سبحانه لايأمر بالشرك والكفر كما يتخرص بذلك القرنيون.

٤ - ويجوز وقوع الشفاعة الحسنة من المؤمنين بعضهم فى صور بعض، قال تعالى: ﴿مَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾[٥]. فهذه الآية تدل على الإذن بالشفاعة لسائر المؤمنين، وأن شفاعة هؤلاء مرغب فيها لقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾.

٥ - وقد ورد ثبوت الشفاعة للملائكة وأنها ليست من خواص الأنبياء والأولياء فقط، فأخبر الله تعالى بقوله: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾[٦]. فهذه تدل على وقوع الشفاعة للمؤمنين

---

(١) سورة يوسف آية ٩٧.
(٢) سورة يوسف آية ٩٨.
(٣) سورة آل عمران آية ١٥٩.
(٤) سورة التوبة آية ١٠٣.
(٥) سورة النساء آية ٨٥.
(٦) سورة غافر آية ٧.

كما وقعت الشفاعة من النبى ﷺ وأولياء الله الصالحين .

ثانيا : - ومن أحاديث الرسول ﷺ التى تجوز الاستشفاع بالأنبياء والأولياء :

١ - قال ﷺ « إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر »[١] . رواه الترمذى وابن ماجه .

٢ - قال ﷺ « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى ، نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وأحلت لى الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلى ، وجعلت لى الأرض مسجدًا وترابها طهورًا فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأعطيت الشفاعة ، وكل نبى بعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة »[٢] . متفق عليه .

٣ - وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أنا سيد وَلد آدم ولا فخر وأنا أول من تنشق الأرض عنه وأنا أول شافع وأول مشفع بيدى لواء الحمد تحته آدم فمن دونه »[٣] . رواه الترمذى .

٤ - وقال ﷺ : « إنى لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حجر ومدر »[٤] .

٥ - ومن أدلة شفاعته لنا ﷺ بعد انتقاله قوله « حياتى خير لكم ومماتى خير لكم تحدثون ويحدث لكم تعرض علىَّ أعمالكم فإن وجدت خيرًا حمدت الله وإن وجدت شرًا استغفرت الله لكم »[٥] .

---

(١) رواه الترمذى فى كتاب المناقب الباب الأول وابن ماجه فى كتاب الزهد الباب ٣٧ وأحمد فى الجزء الخامس صفحة ١٣٨ .

(٢) رواه البخارى فى كتاب التيمم الباب الأول وكتاب الصلاة الباب ٥٦ ومسلم فى كتاب المساجد الحديث رقم ٣ والنسائى فى كتاب الغسل الباب ٢٦ والدارمى فى كتاب الصلاة الباب ١١١ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٣٠١ والجزء الخامس صفحة ١٦٢ .

(٣) رواه مسلم فى كتاب الفضائل الحديث رقم ٣ وأبو داود فى كتاب السنة الباب ١٣ والترمذى فى كتاب المناقب الباب الأول وابن ماجه فى كتاب الزهد الباب ٣٧ والدارمى فى كتاب المقدمة الباب ٨ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ٤٠٠ والجزء الثالث صفحة ٢.

(٤) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠/ ١٧١، ٣٧٩ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٤٨٩/١٠ والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار ٥١٠/٤ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٣٩٠٦٤ والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ٣٣٠/١٢.

(٥) أورده الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ١٧٦/٩، ١٧٧ وابن حجر فى المطالب العالية ٣٨٥٣ والسيوطى فى الحاوى للفتاوى ٣/٢ وابن سعد فى الطبقات الكبرى ٢/٢/٢ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٣١٩٠٣، ٣١٩٠٤، ٣٥٤٧٠، وابن كثير فى البداية والنهاية ٢٧٥/٥ وفى مناهل الصفا ٣ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٤/٩.

وهنا نقول : إن الشفاعة لاتزيد عن الدعاء والاستغفار لنا ، فإذا كان صلوات الله وسلامه عليه يستغفر لنا بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى جاز لنا أن نطلب منه الاستغفار الذى هو الشفاعة بعينها .

٦ - الحجر الأسعد شافع مشفع : وقد روى أن الحجر الأسعد شافع مشفع وفى الجامع الصغير للسيوطى (ص ٢٢٥) مانصه .

« أشهدوا هذا الحجر خيرًا فإنه يوم القيامة شافع مشفع له لسان وشفتان يشهد لمن استلمه »[١] فإشهاد الحجر الأسعد الخير ليشفع فيه معنى طلب الشفاعة منه ، مع أنه جماد لا يعقل ولا ينطق ، وقد أمرنا بإشهاده الخير كما أمرنا بتقبيله أو استلامه أو الإشارة إليه ، ولم يكن ذلك شركا . فظهر أن الشفاعة والدعاء من واد واحد وكذا طلبهما من الغير .

وليس حتما على الله قبول الشفاعة ولا إجابة الدعاء ، وإنما ذلك من ألطافه ومننه ورأفته بعباده ، فجعل لهم وسائل كثيرة إلى نيل رضاه وعفوه وخيره وبره وهذا منها ، ولا شفاعة إلا بإذنه ورضاه كما قال تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذنِهِ ﴾[٢] وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَشفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارتَضَى ﴾[٣] وغيره . .

٧ - فعن صحيح مسلم عن عبد الله بن عباس عن النبى ﷺ : « ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلًا لايشركون بالله شيئًا إلا شفعهم الله فيه »[٤] وعن صحيح مسلم عن عائشة عن النبى ﷺ : « ما من ميت يموت يصلى عليه أمة من الناس يبلغون مائة كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه »[٥] .

وهذان الخبران يدلان على جواز الشفاعة فى الدنيا من أحاد المؤمنين ، وأنها لاتختص بالآخرة ولا بالأنبياء فهل إذا أوصى رجل جماعة من إخوانه أربعين أو مائة أو أن يقوموا على جنازته ويشفعوا فيه أو يصلوا عليه ويشفعوا فيه يكون مشركا دائما مخطئا عند ابن عبد

---

(١) أورده المتقى الهندى فى كنز العمال ٣٤٧٣٩ والمنذرى فى كتاب الترغيب والترهيب ١٩٤/٢ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٤٢/٣ والسيوطى فى الدر المنثور ١٣٦/١ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٥.

(٣) سورة الأنبياء آية ٢٨.

(٤) رواه مسلم فى كتاب الجنائز الحديث رقم ٥٨ .

(٥) رواه مسلم فى كتاب الجنائز الحديث رقم ٥٩ وابن ماجه فى كتاب الجنائز الباب ١٩ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٢٧٨.

الوهاب وأتباعه، لأنه طلب منهم الشفاعة وخالف قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[1] كما يكون طلبها من النبى ﷺ كذلك، سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم.

٨ - وعن الترمذى عن أنس، سألت النبى ﷺ أن يشفع لى يوم القيامة فقال (أنا فاعل)[2] قلت: فأين أطلبك؟ قال: أولًا على الصراط، فإن لم ألقك؟ قال: عند الميزان؟ قلت: فإن لم ألقك؟ قال: عند الحوض فإنى لاأخطىء هذه المواضع (فهذا) أنس قد طلب الشفاعة من النبى ﷺ فى دار الدنيا ولم يطلبها من الله كما يريد ابن عبد الوهاب وأقره النبى ﷺ على ذلك، فهل كان أنس بذلك آثما ومشركا؟ والنبى ﷺ أقره على معصيته وشركه؟ وابن عبد الوهاب وحده موحدا؟ أم أن النبى ﷺ لم يسمع بقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾[3] ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[4] ولذلك لم ينه أنسا عن طلب الشفاعة منه، أو سمعه النبى ﷺ ولم يفهم معناه وفهمه ابن عبد الوهاب وأتباعه، لأنهم أعلم بكتاب الله تعالى من رسول الله ﷺ وأصحابه؟!!!.

٩ - وفى السيرة الحلبية (ص ٨٨ ج ٢) عن ابن إسحاق فى كتاب المبدأ أن تبعًا الحميرى آمن بالنبى ﷺ قبل مولده، وكتب كتابا فوصل إلى النبى ﷺ بعد مبعثه وفيه: وإن لم أدركك فاشفع لى يوم القيامة ولا تنسنى، وأن النبى ﷺ قال: «مرحبا بتبع الأخ الصالح» ثلاث مرات.

ولو كان هذا شركا وكفرا لوجب أن ينكره لأن يرحب بصاحبه ويسميه (الأخ الصالح) ولو أنكره لنقل عنه.

١٠ - وقال ابن تيمية فى رسالة زيارة القبور مالفظه فى الحديث أن أعرابيا قال للنبى ﷺ جهدت الأنفس وجاع العيال وهلك المال فادع الله لنا فإنا نستشفع بالله عليك وبك على الله، فسبح رسول الله ﷺ حتى عرف ذلك فى وجوه الصحابة وقال: «ويحك إن الله لايستشفع به على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك»[5] قال فأقر على قوله: «إنا نستشفع بك على الله» وأنكر عليه نستشفع بالله عليك لأن الشافع يسأل

---

(١)، (٤) سورة الجن آية ١٨.

(٢) رواه الترمذى فى كتاب القيامة الباب التاسع..

(٣) سورة الزمر آية ٤٤.

(٥) رواه أبو داود فى كتاب السنة الباب ١٨.

المشفوع إليه ، والعبد يسأل ربه ويستشفع إليه ، والرب تعالى لايسأل العبد ولا يستشفع به ، فإقرار النبى ﷺ له على قوله : إنا نستشفع بك على الله ، دليل على جواز طلب الشفاعة من النبى ﷺ فى دار الدنيا وأنه ليس فيه شائبة منه .

تاولات القرنيين فى الشفاعة :

يزعم القرنيون أن شفاعة الأنبياء والأولياء منقطعة فى الدنيا ، ثابتة لهم فى الآخرة ، وحجتهم فى ذلك الزعم أنه لو جعل العبد بينه وبين الله تعالى وسائط من عباده يسألهم الشفاعة ، كان ذلك شركا وعبادة لغير الله .

ويحتج هؤلاء بفهم خاص فى بعض آيات الكتاب ، يقوم على هوى جامح وطيش بين . هذه الآيات هي قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾[1] . وقوله تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾[2] . وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾[3] . وقوله تعالى : ﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾[4] .

الرد على تاولات القرنيين :

١ - يقول القرنيون : إن الله حكم بكفر عبدة الأوثان وشركهم لأجل قولهم : ﴿ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾[5] .

نقول : نعم إن الله حكم بكفر هؤلاء لأن منشأ كفرهم أحد أمرين :

أ - إما بغيهم وعتوهم على الله بجعل من لاأهلية له من جانب الله شفيعا ووسيلة يتوسلون بها إلى الله .

ب - وإما عبادتهم لذلك الشفيع حيث قالوا : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾[6] . وأين هذا من جعل الأنبياء والأولياء شفعاء لا شركاء معه فى الدعاء ؟!! . فالشفيع ليس شريكا مع الله فى المغفرة ، إنما هو شريك مع المشفوع له فى طلب المغفرة

---

(١) سورة الجن آية ١٨ .
(٢) سورة البقرة آية ٢٥٥ .
(٣) سورة الأنبياء آية ٢٨ .
(٤) سورة مريم آية ٨٧.
(٥) سورة يونس آية ١٨ .
(٦) سورة الزمر آية ٣ .

من الله .

٢ - يقول القرنيون : إذا كانت الشفاعة جائزة من الأحياء أنبياء وأولياء ، فإنها غير جائزة بالنسبة للأموات من الأنبياء والأولياء . وهذا القول مردود بما يأتى :

أ - بالنسبة للنبى ﷺ فهو وسائر الأنبياء أحياء بعد الموت ، وقد روى عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه يسمع الكلام ، ويرد الجواب ، ويبلغه صلاة وتسليم من يصلى ويسلم عليه ، وأن علمه بعد انتقاله كعلمه فى حياته ، وأن أعمال أمته تعرض عليه ، وأنه يستغفر لهم ، فأى مانع أن يطلب منه الاستغفار بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى وكذلك الدعاء بخيرى الدنيا والآخرة ؟! .

ب - بالنسبة لغير النبى ﷺ من الأولياء فقد بين الإمام أبو العزائم رضى الله عنه بقوله : « إن أولياء الله ليسوا موتى بل هم أحياء عند ربهم يرزقون لأنهم ماتوا بالله ولله قبل موته عزرائيل ، قال الله تعالى : ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِى بِهِ فِى النَّاسِ** ﴾[١] . فهل مثل هذا ميت ؟! ومن ظن ذلك فقد جهل ، هذا حى عند ربه يرزق ، ومن زاره فاز من الله بخير ، وسمع الله دعاءه واستجاب له » .

٣ - نقول للقرنيين فى تأملهم عند قوله تعالى : ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾[٢] .

فالمعنى كما يقول الإمام أبو العزائم : إن المساجد لله فلا تعبدوا مع الله غيره ، كما فى قوله : ﴿ **وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ** ﴾[٣] وهذا يقوله كل مخلص فى عبادته ولكنه لادخل له بمسألة الاستشفاع ، فإن الاستشفاع نظير طلبك من المقرب عند الملك أن يشاركك فى طلب مسألتك من الملك .

٤ - نقول للقرنيين فى تأولهم لقوله تعالى : ﴿ **لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا** ﴾[٤] إن مقتضى هذا القول هو ثبوت الشفاعة لمن اتخذ عند الرحمن عهدا ، أى : إيمانا ، وبذلك فالمؤمنون يملكون الشفاعة .

٥ - نقول للقرنيين فى تأولهم لقوله تعالى : ﴿ **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ** ﴾[٥] . إن مقتضى هذا ثبوت الشفاعة بعد الإذن والرضا من الله تعالى ، وهذا جائز فى حق الأنبياء

---

(١) سورة الأنعام آية ١٢٢ .
(٢) سورة الجن آية ١٨ .
(٣) سورة القصص آية ٨٨ .
(٤) سورة مريم آية ٨٧ .
(٥) سورة الأنبياء آية ٢٨ .

والأولياء ولو كان شركا لما جاز الإذن والرضا بالشفاعة .

٦ - يذكر القرنيون جملة من الآيات التى يستدلون بها على إبطال طلب الشفاعة من غير الله مثل قوله تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ ﴾[١] والرد على ذلك أن هذه الآية لاربط لها بطلب الشفاعة ، إنما تدل على عدم قبول عذر أو توبة بعد الموت من الظالمين ، ولكن القرنيين يظنون تكثيرهم لسرد الآيات يدل على أنهم شديدوا التمسك بالقرآن .

٧ - يقول القرنيون : إن المولى سبحانه لايرضى إلا التوحيد ويستدلون بذلك بقوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾[٢] فنعم هو ، والله لا يرضى إلا التوحيد ، ولا تكون الشفاعة إلا لأهل التوحيد ، كما أنه لايرضى بنسبة الشرك إلى أهل التوحيد لطلبهم الشفاعة ممن جعل الله لهم الشفاعة ، ولا ينفع الناسبين بتسمية أنفسهم بالموحدين .

أما قول القرنيين إن الشفاعة حق ولا تطلب فى دار الدنيا إلا من الله ، فإذا كانت حقا فما المانع من طلبها ؟ أفيجعل الله طلب الحق باطلا وشركا ؟ تعالى الله عن ذلك .

فطلب الحق لايكون إلا حقا وطلب الباطل لايكون إلا باطلا ، والتقييد بقول القرنيين فى دار الدنيا دال على جواز طلبها فى الآخرة ، كما يدل عليه حديث تشفع الناس بالأنبياء واعتزال كل منهم ، ثم تشفعهم بسيدنا محمد ﷺ السابق الإشارة إليه ، فإذا كان طلبها شركا لم يجز فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وهل منع الناس من الشرك فى الدنيا وأبيح لهم الشرك فى الآخرة ؟! .

رأى الإمام أبى العزائم فى الشفاعة :

« اختلاف العلماء فى الشفاعة لفظى ، فإن كل واحد منهم حكم بقدر مافهم ، فمن فهم قوله تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾[٣] أنكر الشفاعة لما يعلمه من عظمة الله وكبريائه وجلاله ، ومن رهبة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بقدر علمهم به ، ولكن الآية خاصة بمخصوصين لأن الله تعالى يخاطب قوما بأعيانهم ، وهؤلاء أعداء الله وأعداء رسله عليهم السلام وهذه الآية فى سياق قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[٤] .

---

(١) سورة الروم آية ٥٧ .
(٢) سورة طه آية ١٠٩ .
(٣) سورة المدثر آية ٤٨ .
(٤) سورة المدثر آية ٣٨ .

من الله .

٢ - يقول القرنيون : إذا كانت الشفاعة جائزة من الأحياء أنبياء وأولياء ، فإنها غير جائزة بالنسبة للأموات من الأنبياء والأولياء . وهذا القول مردود بما يأتى :

أ - بالنسبة للنبى ﷺ فهو وسائر الأنبياء أحياء بعد الموت ، وقد روى عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه يسمع الكلام ، ويرد الجواب ، ويبلغه صلاة وتسليم من يصلى ويسلم عليه ، وأن علمه بعد انتقاله كعلمه فى حياته ، وأن أعمال أمته تعرض عليه ، وأنه يستغفر لهم ، فأى مانع أن يطلب منه الاستغفار بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى وكذلك الدعاء بخيرى الدنيا والآخرة ؟! .

ب - بالنسبة لغير النبى ﷺ من الأولياء فقد بين الإمام أبو العزائم رضى الله عنه بقوله : « إن أولياء الله ليسوا موتى بل هم أحياء عند ربهم يرزقون لأنهم ماتوا بالله ولله قبل موته عزرائيل ، قال الله تعالى : ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ** ﴾[1] . فهل مثل هذا ميت ؟! ومن ظن ذلك فقد جهل ، هذا حى عند ربه يرزق ، ومن زاره فاز من الله بخير ، وسمع الله دعاءه واستجاب له » .

٣ - نقول للقرنيين فى تأملهم عند قوله تعالى : ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾[2] .

فالمعنى كما يقول الإمام أبو العزائم : إن المساجد لله فلا تعبدوا مع الله غيره ، كما فى قوله : ﴿ **وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ** ﴾[3] وهذا يقوله كل مخلص فى عبادته ولكنه لادخل له بمسألة الاستشفاع ، فإن الاستشفاع نظير طلبك من المقرب عند الملك أن يشاركك فى طلب مسألتك من الملك .

٤ - نقول للقرنيين فى تأولهم لقوله تعالى : ﴿ **لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا** ﴾[4] إن مقتضى هذا القول هو ثبوت الشفاعة لمن اتخذ عند الرحمن عهدا ، أى : إيمانا ، وبذلك فالمؤمنون يملكون الشفاعة .

٥ - نقول للقرنيين فى تأولهم لقوله تعالى : ﴿ **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ** ﴾[5] . إن مقتضى هذا ثبوت الشفاعة بعد الإذن والرضا من الله تعالى ، وهذا جائز فى حق الأنبياء

---

(١) سورة الأنعام آية ١٢٢ .
(٢) سورة الجن آية ١٨ .
(٣) سورة القصص آية ٨٨ .
(٤) سورة مريم آية ٨٧ .
(٥) سورة الأنبياء آية ٢٨ .

والأولياء ولو كان شركا لما جاز الإذن والرضا بالشفاعة .

٦ - يذكر القرنيون جملة من الآيات التى يستدلون بها على إبطال طلب الشفاعة من غير الله مثل قوله تعالى : ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ ﴾[١] والرد على ذلك أن هذه الآية لاربط لها بطلب الشفاعة ، إنما تدل على عدم قبول عذر أو توبة بعد الموت من الظالمين ، ولكن القرنيين يظنون تكثيرهم لسرد الآيات يدل على أنهم شديدوا التمسك بالقرآن .

٧ - يقول القرنيون : إن المولى سبحانه لايرضى إلا التوحيد ويستدلون بذلك بقوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾[٢] فنعم هو ، والله لا يرضى إلا التوحيد ، ولا تكون الشفاعة إلا لأهل التوحيد ، كما أنه لايرضى بنسبة الشرك إلى أهل التوحيد لطلبهم الشفاعة ممن جعل الله لهم الشفاعة ، ولا ينفع الناسبين بتسمية أنفسهم بالموحدين .

أما قول القرنيين إن الشفاعة حق ولا تطلب فى دار الدنيا إلا من الله ، فإذا كانت حقا فما المانع من طلبها ؟ أفيجعل الله طلب الحق باطلا وشركا ؟ تعالى الله عن ذلك .

فطلب الحق لايكون إلا حقا وطلب الباطل لايكون إلا باطلا ، والتقييد بقول القرنيين فى دار الدنيا دال على جواز طلبها فى الآخرة ، كما يدل عليه حديث تشفع الناس بالأنبياء واعتزال كل منهم ، ثم تشفعهم بسيدنا محمد ﷺ السابق الإشارة إليه ، فإذا كان طلبها شركا لم يجز فى الدنيا ولا فى الآخرة ، وهل منع الناس من الشرك فى الدنيا وأبيح لهم الشرك فى الآخرة ؟! .

رأى الإمام أبى العزائم فى الشفاعة :

« اختلاف العلماء فى الشفاعة لفظى ، فإن كل واحد منهم حكم بقدر مافهم ، فمن فهم قوله تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾[٣] أنكر الشفاعة لما يعلمه من عظمة الله وكبريائه وجلاله ، ومن رهبة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بقدر علمهم به ، ولكن الآية خاصة بمخصوصين لأن الله تعالى يخاطب قوما بأعيانهم ، وهؤلاء أعداء الله وأعداء رسله عليهم السلام وهذه الآية فى سياق قوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[٤] .

---

(١) سورة الروم آية ٥٧ .
(٢) سورة طه آية ١٠٩ .
(٣) سورة المدثر آية ٤٨ .
(٤) سورة المدثر آية ٣٨ .

ومن فهم معنى قوله تعالى: ﴿وَلَسَوفَ يُعطِيكَ رَبُّكَ فَتَرضَى﴾[1] - وكلنا نعلم أن رسول الله ﷺ يرضيه أن يرحم الله كل من مات على الإسلام ونعلم أن الله تعالى أخبر عن نبيه ﷺ بقوله: ﴿بِالمُؤمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2]. وبقوله: ﴿وَمَا أَرسَلنَاكَ إِلَّا رَحمَةً لِّلعَالَمِينَ﴾[3] - ومن تصور معنى تلك الآية اطمأن قلبه إلى الإيقان بشفاعة سيد المرسلين.

ومن فهم قوله تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذنِهِ﴾[4] تحقق أن الله تعالى يقبل شفاعة الشافعين فى أهل النار إذا أذن لهم بالشفاعة، ومن يرى إنكار الشفاعة مطلقا أخطأ.

والحجة بعد مابيناه ماورد عن رسول الله ﷺ من الأحاديث الصحيحة على شرط الشيخين، أو شرط غيرهما ممن ثبتت عدالتهم.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة، فهى نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئًا»[5].

وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض فيأتون آدم عليه السلام فيقولون: اشفع لذريتك فيقول: لست لها ولكن عليكم بإبراهيم عليه السلام فإنه خليل الله، فيأتون إبراهيم فيقول: لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله تعالى فيأتون موسى عليه السلام فيقول: لست لها ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله تعالى وكلمته، فيأتون عيسى عليه السلام فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمد ﷺ فيأتونى فأقول: أنا لها فأنطلق فأستأذن على ربى فيؤذن لى، فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لاأقدر عليها إلا أن يلهمنيها الله، ثم أخر لربى ساجدًا فيقول: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك، وسل تعطه واشفع تشفع، فأقول: يارب أمتى أمتى، فيقول: انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من برة شعيرة من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل ثم أرجع إلى ربى فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدًا فيقال لى مثل الأولى فأقول: يارب

---

(١) سورة الضحى آية ٥.
(٢) سورة التوبة آية ١٢٨.
(٣) سورة الأنبياء آية ١٠٧.
(٤) سورة البقرة آية ٢٥٥.

(٥) رواه البخارى فى كتاب التوحيد الباب ٣١ وكتاب الدعوات الباب الأول ومسلم فى كتاب الإيمان الحديث ٣٣٤-٣٤٥ والترمذى فى كتاب الدعوات الباب ١٣٠ وابن ماجه فى كتاب الزهد الباب ٣٧ والدارمى فى كتاب السير الباب ٢٨ وكتاب الرقاق الباب ٨٥ والموطأ فى كتاب القرآن الحديث ٢٦ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٢٨١، ٢٩٥ والجزء الثانى صفحة ٢٧٥، ٣٨١، ٣٩٦، ٤٢٦ والجزء الثالث صفحة ١٣٤، ٢٠٨، ٢١٩، ٢٥٨، ٢٧٦، ٢٩٢، ٣٨٤، ٣٩٦، والجزء الخامس صفحة ١٤٥، ١٤٨.

أمتي ، فيقال لي : انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمانٍ فأخرجه منها ، فأنطلق ثم أعود إلى ربي فأفعل كما فعلت ، فيقال لي : أرفع رأسك مثل الأولى فأقول : يارب أمتي أمتي فيقال : انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبةٍ من خردلٍ من إيمان فأخرجه من النار ، فأنطلق فأفعل ، ثم أرجع إلى ربي في الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجدًا فيقال لي : يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع ، فأقول : يارب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله ، قال : ليس ذلك لك ، ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله »[1] . ووردت أحاديث أخرى كثيرة في الشفاعة ، ولكنا أحببنا أن نورد الأحاديث التي تقوم بها الحجة مما ورد بصحيح البخاري ومسلم أو بصحيح غيرهم على شرطهما .

وختامـــا :

فانظر - رعاك الله - بعين البصيرة والإنصاف إلى هذه الاستدلالات الواهية التي بها استحلوا دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم ، هل يسوغ التمسك بها والتهجم على الدماء والأموال والأعراض بمثلها ؟!.

وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من العلماء المسلمين وأجمع عليه السلف الصالح من الأصحاب والتابعين والأئمة الأربعة وأتباعهم .

فياليت شعري ! من هو الذي قال وأفتى من علماء المسلمين - سوى مثلث الكفريات ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب - بأن طلب الشفاعة من سيدنا رسول الله ﷺ كفر وشرك ؟!.

ومتى أجمع على ذلك علماء المسلمين ؟ وفي أي عصر من العصور وقع ذلك ؟ وفي أي كتاب وجدوه منقولا ؟ وهل أحد أتى بمثل هذه المسائل قبل الخارجي ابن عبد الوهاب أو الخارجي ابن القيم أو الخارجي ابن تيمية ؟ حتى يدعي هؤلاء الإجماع أو عدم الخلاف ؟ ومن هو الذي أفتى بها من أصحاب رسول الله ﷺ أو التابعين ؟!.

---

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد الباب ١٩، ٢٤، ٣٦ وكتاب الرقاق الباب ٥١ وكتاب الأنبياء الباب الثالث وكتاب تفسير القرآن (سورة البقرة) الباب الأول و(سورة الإسراء) الباب الخامس ومسلم في كتاب الإيمان الحديث رقم ٣٢٢، ٣٢٧ والترمذي في كتاب تفسير القرآن (سورة الإسراء) الباب ١٩ وكتاب القيامة الباب ١٥ وابن ماجه في كتاب الزهد الباب ٣٧ والدارمي في كتاب المقدمة الباب ٨ وأحمد في الجزء الأول صفحة ٥، ٢٨٢، ٢٩٦ والجزء الثاني صفحة ٤٣٦ والجزء الثالث صفحة ١١٦، ١٤٤، ١٧٨، ٢٤٤، ٢٤٨ .

ومن الذى أفتى بها من الأئمة الأربعة ؟! وأين موضعها من كتب الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة غير الوهابية والجوزية والتيمية ليدلوا على مكانها إن كانوا صادقين ؟!.

وكيف خالف أتباع الأئمة الأربعة أئمتهم فيها واتبعهم التيميون والوهابيون خاصة ؟! فدعواهم فيها افتراء منهم على علماء المسلمين وعلى صحابة رسول الله ﷺ والتابعين، وعلى الأئمة الأربعة وأتباعهم.

بل إن الإجماع حاصل من الأنبياء والمرسلين ومن الصحابة والتابعين على خلاف مايقوله مثلث الكفريات، فقد تشفع وتوسل آدم عليه السلام برسول الله ﷺ قبل خلقه، وتشفع وتوسل رسول الله ﷺ بمن قبله من الأنبياء، وتشفع الأصحاب بالنبى ﷺ وبفتح كوة بين روضته الشريفة وبين السماء، وتشفع عمر بالعباس.

الفصل الثالث

النظـرة والمـدد

حكم النداء بطلب النظرة والمدد لا يزيد عن دعاء وسؤال نجدة للمستنجد :

طلبُ الحوائج ليس شركًا إنما ... تلك الشفاعةُ فاتَّخِذْها تسعد
هذا التحكمُ لا تحكمَ مثله ... هذا مقالُ الجاحدِ المتعند

الأنبياء والأولياء أحياء فى قبورهم :

يقول القرنيون : إنه لايجوز التوسل بالموتى ممن تثبتت مكانتهم عند الله ورفع الحوائج إليهم ، محتجين تارة بقول البدعى النجدى ابن عبد الوهاب .. بأن التوسل بالموتى من الأنبياء والأولياء إنما هو خطاب لمعدوم لعدم قدرة الميت على الإجابة (راجع الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية لابن عبد الوهاب وكذلك كشف الشبهات ص ٦٢) . وتارة بقول الخارجى الأزارقى ابن تيمية الذى يزعم فيه بأن التوسل بالموتى من الأنبياء والأولياء شرك (راجع رسالة الواسطة الباب الثانى ورسالة زيارة القبور ص ١٥٢ لابن تيمية) . ولكنا نقول بجواز سؤال النبى ﷺ وأولياء الله الصالحين لقضاء الحوائج وتفريج الكرب بعد انتقالهم إلى الرفيق الأعلى ، كما يجوز ذلك فى حال حياتهم ، لعدم كون ذلك من خطاب المعدوم كما يتخرص ابن عبد الوهاب ، ولا يكون شركًا كما يزعم ابن تيمية .

أدلة حياة الأنبياء والأولياء فى قبورهم :

الملحدون هم الذين يظنون أن الموت هو العدم وهذا يعارض معنى مايقال : الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا . فقول ابن تيمية وابن عبد الوهاب مردود بالإجماع السابق عليهم واللاحق لهم بأن الموت ليس من العدم للأدلة الآتية :

أولا : من الكتاب :

(أ) مانزل فى حق الشهداء من قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ

أموات ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَحسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَمواتًا بَل أحيَاءٌ عِندَ رَبِّهِم يُرزَقُونَ ﴾[2] . وما نزل فى حق المؤمنين من قوله تعالى : ﴿ وَلَهُم رِزقُهُم فِيهَا بُكرَةً وَعَشِيًّا ﴾[3] . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الأَبرَارَ لَفِى نَعِيم ﴾[4] . وقوله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَولِ الثَّابِتِ فِى الحَيَاةِ الدُّنيَا وَفِى الآخِرَةِ ﴾[5] .

ومنها مااشتمل على خطاب الله تعالى للمؤمنين فى قوله تعالى : ﴿ يَأَيَّتُهَا النَّفسُ المُطمَئِنَّةُ ارجِعِى إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرضِيَّةً ﴾[6] فلو كانت النفوس البشرية بعد مفارقة الأرواح عن الأبدان معدومة لايجوز الخطاب معها !! فكيف وقع الخطاب لهم من الله تعالى ؟. ومن ذلك قول المؤمن لقومه فى سورة يس : ﴿ يَا لَيتَ قَومِى يَعلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ المُكرَمِينَ ﴾[7] .

(ب) مانزل فى حق عامة الناس من قوله تعالى : ﴿ فَكَشَفنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ اليَومَ حَدِيد ﴾[8] . وقوله سبحانه : ﴿ اقرَأ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفسِكَ اليَومَ عَلَيكَ حَسِيبًا ﴾[9] .

(جـ) مانزل فى حق العصاة من خطابهم لله تعالى بقولهم : ﴿ رَبِّ ارجِعُونِ لَعَلِّى أَعمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكتُ ﴾[10] . أو مانزل فى حق الكفار من قوله تعالى : ﴿ النَّارُ يُعرَضُونَ عَلَيهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَومَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدخِلُوا آلَ فِرعَونَ أَشَدَّ العَذَابِ ﴾[11] . وقوله سبحانه : ﴿ أَن قَد وَجَدنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَل وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُم حَقًّا ﴾[12] .

فى البخارى : أن النبى ﷺ أتى قليب بدر وخاطب المشركين بهذه الآية السابقة فقال له الصحابة : إنك تدعو أمواتًا ، فقال : (ما أنتم بأسمع منهم ولكن لايجيبون)[13] .

ثانيا : من السنة :

(أ) حسبك فى ذلك أبواب الصحاح والسنن فمن ذلك باب : إن الميت يسمع خفق

(١) سورة البقرة آية ١٥٤ .
(٢) سورة آل عمران آية ١٦٩ .
(٣) سورة مريم آية ٦٢ .
(٤) سورة الانفطار آية ١٣ .
(٥) سورة إبراهيم آية ٢٧ .
(٦) سورة الفجر آية ٢٧- ٢٨ .
(٧) سورة يس آية ٢٦- ٢٧ .
(٨) سورة ق آية ٢٢ .
(٩) سورة الإسراء آية ١٤ .
(١٠) سورة المؤمنون آية ٩٩ــ ١٠٠ .
(١١) سورة غافر آية ٤٦ .
(١٢) سورة الأعراف آية ٤٤ .
(١٣) رواه أحمد فى الجزء الثالث صفحة ٢٨٧ والسيوطى فى الدر المنثور ٥/ ١٥٧، ٢٤٩ وابن كثير فى تفسيره ٣/ ٤٠٠، ٣٣٠/٦ والقرطبى فى تفسيره ٧/ ٢٤٢، ٣٧٧، ٢٣٢/١٣.

النعال، وباب: إن الميت يتكلم فى القبر، وباب: إن الميت يرى مكانه من الجنة والنار، وباب: كيفية السلام على النبى ﷺ وعلى سائر المؤمنين إذا أتى الرجل المقابر.

(ب) مافى صحيح البخارى فى باب كيفية فرض الصلاة وملاقاة النبى ﷺ ليلة الإسراء بالأنبياء من آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم، وتكلمه معهم سلام الله عليهم من حديث ابن حزم وأنس بن مالك.

(جـ) وفى سنن النسائى وإحياء العلوم قال ﷺ: «أكثروا علىَّ من الصلاة فإن صلاتكم معروضة على، قالوا: يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا وقد أرمت؟! قال: إن الله تعالى قد حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، فنبى الله حى يرزق»[1].

فإذا كان الأنبياء والشهداء والأولياء أحياء يرزقون ويشهدون الصلاة والسلام ممن يصلى ويسلم عليهم من قريب أو بعيد فكيف لايشهدون نداء من يناديهم واستغاثة من يستغيث بهم؟!.

فقد روى البيهقى وابن أبى شيبة بإسناد صحيح: أن الناس أصابهم قحط فى خلافة عمر رضى الله عنه، فجاء بلال بن الحرث رضى الله عنه إلى روضة النبى ﷺ وقال: «يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم هلكوا؟ فأتاه رسول الله فى المنام وأخبره أنهم يسقون».

واستدلا لنا هذا ليس بالرؤيا للنبى ﷺ فإن رؤياه وإن كانت حقًا لاتثبت بها الأحكام لإمكان اشتباه الكلام على الرائى، وإنما الاستدلال بفعل أحد أصحابه ﷺ فى اليقظة وهو بلال بن الحرث فإنه أتى روضة النبى ﷺ وناداه وطلب منه أن يستسقى لأمته.

ولا فرق فى التوسل بالأنبياء وغيرهم من الأولياء بين كونهم أحياء أو أمواتًا، لأنهم فى كلتى الحالتين لايخلقون شيئا وليس لهم تأثير فى شىء، وإنما الخلق والإيجاد والتأثير لله وحده لاشريك له فى كل ذلك.

أما نحن الصوفية فنقول: إن الله هو الخالق لكل شىء مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[2]. فالقرنيون الذين يتظاهرون بالدفاع عن التوحيد وجواز التوسل بالأحياء دون الأموات، قد دخل الشرك فى توحيدهم من حيث لايدرون لكونهم اعتقدوا

---

(١) رواه ابن ماجه فى كتاب الإقامة الباب ٧٩ وأبو داود فى كتاب الصلاة الباب ٢٠١ وكتاب الوتر الباب ٢٦ والنسائى فى كتاب الجمعة الباب الخامس والدارمى فى كتاب الصلاة الباب ٢٠٦ وأحمد فى الجزء الرابع صفحة ٨.

(٢) سورة الصافات آية ٩٦.

غير الأحياء مع أنه لاتأثير فى الحقيقة إلا لله تعالى .

والتوسل والتشفع والاستغاثة بمآل واحد فإنما المقصود منها التبرك بذكر أحباء الله الذين قد يرحم الله العباد بسببهم سواء أكانوا أحياء أو أمواتًا ، فالموجد الحقيقى هو الله تعالى ، وإنما هؤلاء أسباب عادية لاتأثير لهم فى ذلك .

الدعاء بطلب المدد والنظرة :

إن الدعاء والاستغاثة بغير الله تعالى يكون على وجوه ثلاثة :

(أ) أن يهتف باسمه مجردا مثل أن يقول (يا حسين أدركنى) ، (يا بدوى مدد) ، (يا رفاعى نظرة) ، (يا فلان أغثنى) ونحو ذلك .

(ب) أن يقول : يا حسين .... إلخ (كن شفيعى إلى الله فى قضاء حاجتى) ، أو (ادع الله أن يقضيها) أو ماشابه ذلك .

(جـ) أن يقول : يا حسين .... إلخ (اقض دينى) أو (اشف مريضى) أو (انصرنى على عدوى) وغير ذلك .

ليس فى شىء من هذه الوجوه الثلاثة مانع ولا محذور فضلا عما يوجب الإشراك والتكفير ؛ لأن المقصود منها طلب الشفاعة وسؤال الدعاء سواء صرح بذلك كما فى الوجه الثانى أو لاكما فى الوجهين الباقيين للعلم بحال المسلم الموحد المعتقد أن من عبد الله تعالى لايملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا ، فبسبب ذلك نعلم أنه لم يقصد سوى طلب الشفاعة والدعاء ، ولو فرض أننا جهلنا قصده لوجب حمله على ذلك سواء صدر من عارف أو عامى لوجوب حمل أفعال المسلمين وأقوالهم على الصحة مهما أمكن حتى يعلم الفساد ، وعدم جواز تكفير المقر بالشهادتين إلا بما يوجب كفره على اليقين ، وعدم جواز التهجم على الدماء والأموال والأعراض بغير اليقين .

إن قول المسلمين : (يا حسين أدركنى) ، (ويا بدوى المدد) ، (ويا رفاعى نظرة) يحمل على المجاز العقلى كما يحمل عليه قول القائل : (هذا الطعام أشبعنى) ، (وهذا الماء أروانى) ، (وهذا الدواء شفانى) . فإن الطعام لايشبع ، والماء لايروى ، والدواء لايشفى ، بل المشبع والمروى والشافى الحقيقى هو الله تعالى وحده ، وإنما تلك أسباب عادية ينسب لها الفعل لما يرى من حصوله بعدها فى الظاهر وهو المسمى عند علماء البيان بالمجاز العقلى ، وهو

إسناد الفعل إلى غير ماهو له ، من سبب أو غيره ، والقرينة عليه هنا ظاهر حال المسلم ، فإن كون المنادى مسلما ويعتقد ويقر بأن من عدا الله تعالى لايملك لنفسه ولا لغيره نفعا ولا ضرا إلا بأقدار الله تعالى يكفى قرينة على ذلك .

ولهذا ذكر علماء البيان أن مثل (أنبت الربيع البقل) إذا صدر من الماركسى كان حقيقة ، وإذا صدر من المسلم كان مجازا عقليا (راجع وفاء الوفا بأخبار المصطفى لعالم المدينة السمهودى الشافعى ص ٤٢١ ج ٢) كإسناد الرزق إلى غير الله تعالى فى قوله تعالى : ﴿ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ ﴾[1] . وقوله : ﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَن أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾[2] . والإغناء لا يقدر عليه إلا الله فكيف نسبه إلى الرسول وجعله شريكا لله فى ذلك وهل هو إلا كالرزق الذى لا يقدر عليه إلا الله تعالى ؟ .

وهم قد جعلوا قول : (ياحسين ارزقنى) شركا وكفرا ، وقد نسب الله تعالى إلى عيسى عليه السلام الخلق وإبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله تعالى بقوله حكاية عنه : ﴿ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾[3] فكيف جاء نسبة ذلك إليه ولم يكن كفرا ولا شركا ولم يجز نسبة شفاء المريض وقضاء الدين والرزق ونحو ذلك إلى النبى أو الولى بإذن الله ؟!.

فإن كان المانع أنه لايقدر عليه إلا الله فالكل كذلك ، وإن كان عدم القدرة بعد الموت فهى حاصلة بما دل على حياة الأنبياء بل وغيرهم فى عالم البرزخ .

ومعظم الأمة أجمعوا على جواز التوسل بطلب المدد والنظرة والعون من النبى ﷺ ومن غيره من الصحابة والصالحين .

وأنه وإن أجاز القرنيون التوسل بالحى فقط وسؤاله قضاء الحوائج بواسطة دعائه من الله تعالى ، جاز كذلك التوسل بالميت وسؤاله قضاء الحوائج بواسطة دعائه من الله تعالى . إذ لاوجه لتوهم كونه مشركا إلا كونه دعاء لغير الله تعالى ، فإذا جاز بالنسبة للأحياء جاز مطلقا لسببين :

---

(١) سورة النساء آية ٨ .

(٢) سورة التوبة آية ٧٤ .

(٣) سورة آل عمران آية ٤٩ .

(أ) لكونه من التعاون المأمور به شرعًا في قوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾[1] ففى البخارى قال النبى ﷺ : (فُكوا العَانِى وَأَجِيبُوا الدَّاعِى)[2] . ولم يقل ﷺ ارفضوه لأنه شرك !! .

(ب) لوقوع نداء المخلوق والدعاء له والالتماس منه فى الكتاب لقوله سبحانه : ﴿ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾[3] . وقال سبحانه حكاية عن يوسف : ﴿ اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾[4] فلو جاز ليوسف أن يقول للكافر ﴿ اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ ﴾ أعنى الملك ، جاز لنا بطريق أولى أن نقف أمام روضة النبى ﷺ ونقول له : اذكرنى يا رسول الله عند ربك ، ونطلب منه الحاجة ولو بواسطة دعائه لله .

وقد صدر من كثير من الصحابة والعلماء والسلف الصالح والخلف جواز التوسل بالأنبياء والأولياء سواء كانوا أحياء أو أمواتا ، ومن ثم فلا تجتمع كل هذه الأمة أو أكثرها وعلى ضلالة بعد قوله ﷺ : « لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ »[5] وقوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[6] .

جواز طلب المدد والنظرة :

- مارواه البخارى فى صحيحه من حديث ابن عباس أن النبى ﷺ ذكر فى قصة هاجر أم إسماعيل عليه السلام أنها لما أدركها وولدها العطش جعلت تسعى فى طلب الماء فسمعت صوتا ولا ترى شخصًا فقالت : أغث إن كان عندك غوث . فلو كانت الاستغاثة بغير الله شركا لما طلبت الغوث ، ولما ذكر النبى ﷺ ذلك لأصحابه ولم ينكره ، ولما نقلته الصحابة بعده وذكره المحدثون .
- مارواه البخارى فى حديث الشفاعة أن الخلق بينما هم فى هول القيامة استغاثوا بآدم ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى وكلهم يعتذرون ويقول عيسى : اذهبوا إلى

---

(1) سورة المائدة آية ٢ .

(2) رواه البخارى فى كتاب الأحكام الباب ٢٣ وكتاب الجهاد الباب ١٧١ وكتاب النكاح الباب ٧١ وكتاب الأطعمة الباب الأول وكتاب المرضى الباب ٤ والدارمى فى كتاب السير الباب ٢٦ وأحمد فى الجزء الرابع صفحة ٣٩٤، ٤٠٦.

(3) سورة القصص آية ١٥.

(4) سورة يوسف آية ٤٢ .

(5) رواه ابن ماجة فى كتاب الفتن الباب الثامن .

(6) سورة آل عمران آية ١١٠ .

محمد، فيأتون إليه ﷺ فيقول: «أنا لها»[1] الحديث. فلو كانت الاستغاثة بالمخلوق ممنوعة لما ذكرها النبى ﷺ لأصحابه رضى الله عنهم.

ولو قال القرنيون: إن هذا يكون يوم القيامة حيث يكون للنبى ﷺ قدرة، فإنا نرد عليهم: إن الأنبياء والأولياء فى حياتهم الدنيوية لاقدرة لهم إلا بنوع التسبب وكذلك بعد الموت على أنهم أحياء فى قبورهم يرزقون.

٣ - ماروواه الطبرانى وزيد بن عقبة بن غدوان عن النبى ﷺ قال: «إذا ضل أحدكم شيئًا أو أراد عونا وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل: ياعباد الله أعينونى فإن لله عبادًا لايراهم»[2].

يقول القرنيون: إن المقصود بعباد الله هم الملائكة أو مسلمو الجن أو رجال الغيب، وهؤلاء على حد زعمهم أحياء، ومن ثمَّ فلا يستدل بهذا الحديث على الاستغاثة بالأموات، والرد على ذلك ينحصر فى النقاط الآتية:

(أ) لا صراحة فى الحديث المذكور بأن المقصود بعباد الله هم من ذكرهم القرنيون لا غير، بل إن النص عام غير مقيد بفئة من عباد الله دون فئة.

(ب) إن هذا الحديث يفيد نداء الغائب غير المرئى الذى لم يجوزه القرنيون كنداء الميت تماما بتمام.

٤ - روى الحاكم فى صحيحه وأبو عوانه والبزار بسند صحيح عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد ياعباد الله احبسوا»[3] وقد ذكر هذا الحديث ابن تيمية فى كتابه: (الكلم الطيب) والنووى فى الأذكار والجذرى فى الحصن الحصين وغيرهم ممن لايحصى من المحدثين.

٥ - ونقل عن عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال: سمعت أبى يقول: حججت

---

(١) رواه البخارى فى كتاب التوحيد الباب ١٩، ٢٤، ٣٦ وكتاب الرقاق الباب ٥١ وكتاب الأنبياء الباب الثالث وكتاب تفسير القرآن (سورة البقرة) الباب الأول و (سورة الإسراء) الباب الخامس ومسلم فى كتاب الإيمان الحديث رقم ٣٢٢، ٣٢٧ والترمذى فى كتاب تفسير القرآن (سورة الإسراء) الباب ١٩ وكتاب القيامة الباب ١٥ وابن ماجه فى كتاب الزهد الباب ٣٧ والدارمى فى كتاب المقدمة الباب ٨ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٥، ٢٨٢، ٢٩٦ والجزء الثانى صفحة ٤٣٦ والجزء الثالث صفحة ١١٦، ١٤٤، ١٧٨، ٢٤٤، ٢٤٨.

(٢) أورده المتقى الهندى فى كنز العمال ١٧٤٩٨.

(٣) أورده النووى فى الأذكار النووية ٢٠١.

خمس حجج ، فضللت فى إحداهن عن الطريق وكنت ماشيا فجعلت أقول : يا عباد الله دلونا على الطريق فلم أزل أقول ذلك حتى وقعت على الطريق .

وهنا نقول للقرنيين الذين يدعون الانتساب للإمام ابن حنبل كيف جاز له أن يطلب الدلالة على الطريق من غير الله وهو غائب من غير أن يراه ؟!.

شبهات القرنيين حول النداء بالمدد أو النظرة :

الشبهة الأولى :

يقول القرنيون فى تكفير من طلب المدد أو النظرة من نبى أو ولى قد انتقل إلى الرفيق الأعلى : إن الذين ينادون نبيًا أو وليًا مستغيثين به ، قد يكون نداؤهم فى أماكن متعددة فى زمان واحد يكون عددهم كثيرًا جدًا مما يبلغ مئات الألوف ، وهم يعتقدون أن المستغاث به يحضر حين ندائه فى ذلك الآن ، وهذا بصرف النظر عن كونه كفرًا أو شركًا لما فيه من جعل ذلك المنادى موصوفًا بما هو من صفات الرب عزّ وجل الذى لا يحده زمان أو مكان ، ممتنع عقلًا ، فمن البديهى أن الجسم الواحد لا يكون فى زمان واحد موجودًا فى أماكن متعددة .

الرد على هذه الشبهة :

إن من نادى غير الله تعالى بقوله : يا رسول الله أدركنى ، أو ياحسين أغثنى ، أو يا رفاعى مدد ، أو يا بدوى نظرة ، من هذا القبيل فلا يخلو حاله من أمرين :

(أ) إن اعتقد أن من ناداه يحضر بنفسه حين ندائه أو يسمع نداءه ، ويقضى بنفسه له حاجته ، وينجيه من الورطة التى ناداه من أجلها فهذا باطل على حد رأينا ، لأن من اعتقد أن أحدًا غير الله تعالى يقضى الحاجة وينجى من الورطة فقد كفر سواء نادى ذلك لأحد أو لم يناده ، فلا وجه لتخصص كفر بحالة النداء ، ولا يوجد فى المسلمين أحد يعتقد هذا المعتقد .

(ب) إن الذى يعتقد أن قضاء الحوائج والنجاة من المهالك إنما هو من اختصاص المولى سبحانه وتعالى لاغيره ، لايجوز أن يكون كافرًا بمجرد نداء غائب معتقدًا أن الذى يناديه يسمع نداءه بإسماع الله إياه بمحض قدرته ، وأن الله تعالى لاغيره يقضى حاجته

ببركة ذلك المنادى ، وأن الله تعالى ينجيه من الورطة التى هو فيها بجاه ذلك النبى أو الولى .

فليس من معتقد المسلمين حضور المنادى بشخصه حين ندائه فى الأماكن المتعددة ، فإن ذلك المعتقد كفر ، وذلك الحضور محال ، وإنما المعتقد حضور البركة بخلق الله إياه فى تلك الأماكن المتعددة لطفا من الله ورحمة بالمستغيث لكرامة المستغاث به ، وليس فى ذلك محال ، فإن رحمة الله تعالى واسعة ليس لها حد .

الشبهة الثانية :

يقول ابن تيمية تعليلا لمنع رفع الحوائج إلى قبور الأنبياء والأولياء : إن الله تعالى نهى عن ذلك فى قوله تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ تَدعُونَ مِن دُونِه مَا يَملِكونَ مِن قِطمِيرٍ إِن تَدعُوهُم لَا يَسمَعُوا دُعَاءَكُم وَلَو سَمِعُوا مَا استَجَابُوا لَكُم وَيَومَ القِيَامَةِ يَكفُرُونَ بِشِركِكُم وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثلُ خَبِيرٍ** ﴾[1] .

الرد على هذه الشبهة :

اتفق المفسرون أن هذه الآية واردة بخصوص الكفار والمشركين العاكفين على أصنامهم ، بزعمهم أن البدائع السماوية مفوضة إلى الكواكب التى على صورتها تلك الأصنام حسب تخيلهم ، فأبطل الله دعواهم بأن تلك الأصنام جماد ليس من شأنها السماع ، ولا تتمكن من إجابة الدعوة فكيف تتمكن من الأفاعيل الخارقة للعادة ؟!.

ثم إنه سبحانه حكم بشركهم لاتخاذهم تلك الأصنام شريكًا لله فى الخلق وتدبير العالم ، وجوزوا عبادتها خلافًا لله تعالى فيما نهاهم عنه على لسان أنبيائه بقوله تعالى : ﴿ **فَلَا تَجعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا** ﴾[2] وقوله سبحانه : ﴿ **أَتَعبُدُونَ مَا تَنحِتُونَ** ﴾[3] وأن هذا مما لايعتقده مسلم فى الأنبياء والأولياء من القدرة على الخلق والتدبير كما لايعتقد مسلم عبادتهم ، ولم يقف المسلمون أمامهم إلا بغرض الاستشفاع الذى نطق به الكتاب والسنة كما بينا آنفا .

من كل ماتقدم يتضح لنا أن الأنبياء والأولياء قادرون ومتمكنون من إجابة دعوة المضطر بعد مماتهم ، كحال حياتهم ، فلا يكون طلب المدد والنظرة منهم لغوًا وعبثًا كما لايكون شركا .

---

(١) سورة فاطر آية ١٣ - ١٤ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٢ .

(٣) سورة الصافات آية ٩٥ .

الفصل الرابع

التوســـــل

السفهاء - لا الفقهاء - هم الذين يمنعون التوسل بالأنبياء والأولياء لأن تدينهم معسوخ مطبوخ:

قالوا: التوسلُ بالعبادِ محرم ... كذبوا وقد ضلوا سبيل المهتدى
هذا الكتابُ كتابُ ربِّكَ ناطقٌ ... إن التوسلَ من نجاح المقصد
لو أنهم جاءوك إذ ظلموا كفت ... عن كل نص أو حديث مسندِ
فازوا بمغفرةِ الإلٰه لهم وما ... ردوا وأنت لدى الدعا لم تردد
بدًا إلى الله الوسيلة فابتغوا ... في الذكر جاءت حجة لم تردد

معنى الوسيلة لغة:

الوسيلة لغة كل مايتقرب به إلى الغير، توسل إلى الله تعالى توسلا: عمل عملا تقرب به إليه، فتحقق منه أن التوسل لايسمى عبادة قطعا، ولا يقال فيه عبادة إنما هو وسيلة إليها.. والتوسل لاتقرب فيه للمتوسل به، ولا تعظيمه غاية التعظيم حتى يكون عبادة، وقد درج الناس من قديم الزمان إلى تحية الرؤساء والملوك وتعظيمهم، فلا يعد ذلك قربة ولا يطلق عليه اسم العبادة، وإنما يرى ذلك من باب الأدب، وما ذلك إلا لكون ذلك الخضوع لم يبلغ نهايته، والتعظيم الناشىء عنه لم يبلغ غايته.

التوسل بالأنبياء والأولياء:

يجوز ويحسن التوسل بالأنبياء والأولياء، وهو من الأمور المعلومة لكل ذى دين، المعروفة من فعل الأنبياء والمرسلين وسير السلف الصالح، والعلماء من المسلمين. ولم ينكر أحد ذلك حتى جاء ابن تيمية فتكلم فى ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء وابتدع فيه مالم يسبق إليه. وحسبك أن إنكار ابن تيمية للاستغاثة والتوسل لم يقله عالم قبله، ولا سار به بين أهل الإسلام مثله.

أدلة جواز التوسل من القرآن:

١ - قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيهِ الوَسِيلَةَ﴾[١] والوسيلة كل مايتقرب به إلى الله تعالى، والقرنيون جعلوا الوسيلة خاصة بالأفعال، ولكن ظاهر الآية تخصيصها بالذوات، فإن الله تعالى قال فى هذه الآية ﴿اتَّقُوا اللَّهَ ...﴾ والتقوى عبارة عن فعل المأمور به وترك المنهى عنه. فإذا فسرنا الوسيلة بالأعمال كان الأمر بابتغاء الوسيلة تأكيدا للأمر بالتقوى بخلاف ماإذا أريد بها الذوات، فإن الأمر حينئذ يكون تأسيسا وهو خير من التأكيد، ويؤيد ذلك أن واو العطف فى ﴿وَابْتَغُوا﴾ تفيد المغايرة عما سبقها من قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ ...﴾.

٢ - قوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِم الوَسِيلَةَ أَيُّهُم أَقْرَبُ﴾[٢] قال ابن عباس: هم عيسى وأمه وعزير والملائكة. وتفسير الآية: أن الكفار يعبدون الأنبياء والملائكة على أنهم أربابهم، فيقول الله لهم: أولئك الذين تعبدونهم هم يتوسلون إلى الله بمن هو أقرب، فكيف تجعلونهم أربابا ؟! وهم عبيد مفتقرون إلى ربهم متوسلون إليه بمن هو أعلى مقامًا منهم.

٣ - قوله تعالى: ﴿فَاستَغَاثَهُ الَّذِى مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِى مِن عَدُوِّهِ﴾[٣] فنسب الله تعالى الاستغاثة إلى غيره من المخلوق وكفى به دليلا على جوازها. فإن قال السفهاء من القرنيين إن المستغاث به فى هذه الآية حى وله قدرة وإنما كلامنا فى الميت.

نرد عليهم بأن نسبة القدرة إليه إن كانت استقلالا فهى كفر، وإن كانت بقدرته تعالى على أن يكون هو السبب والوسيلة ليس إلا، فلا فرق بين الحى والميت.

٤ - قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا مِن قَبلُ يَستَفتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعنَةُ اللَّهِ عَلَى الكَافِرِينَ﴾[٤] وقد اتفق المفسرون على أنها نزلت فى يهود خيبر.

قال ابن عباس: كان يهود خيبر يقاتلون غطفان كلما التقوا هزمت غطفان اليهود فعاذت اليهود بهذا الدعاء: اللهم إنا نسألك بحق هذا النبى الذى وعدتنا أن تخرجه لنا آخر الزمان إلا نصرتنا عليهم.. فصاروا بعدُ إذا التقوا دعوا به فيهزمون غطفان. فلما بعث الله تعالى

---

(١) سورة المائدة آية ٣٥.
(٢) سورة الإسراء آية ٥٧.
(٣) سورة القصص آية ١٥.
(٤) سورة البقرة آية ٨٩.

محمدًا ﷺ كفروا به ، فأنزل الله تعالى الآية السابقة ، فليتدبر السفهاء من أهل القرنيين هذه المكانة له ﷺ عند ربه ، كيف كان يستجيب لمن هو كافر به ؟! ويعلم تعالى أنه سيكون من أشد الناس عداوة له وإيذاء ، وكان ذلك قبل بروزه ﷺ إلى الوجود . فكيف وقد بعث رحمة للعالمين ؟! فمن منع التوسل به من أهل القرنيين فقد أعلم الناس كافة أنه أسوأ حالا من اليهود .

٥ - قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُم يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾[1] فقد طلب نبى الله سليمان من الملأ وهم الجن والإنس وهو طلب من المخلوق الذى لايقدر عليه إلا الله ، إلا إذا كان فى مقام الكرامة للأولياء ، فأتى به الذى عنده علم من الكتاب .. ولم يعتب المولى سبحانه وتعالى على سليمان ، ولم يقل له لم دعوت غيرى وأنا أقرب إليك من حبل الوريد ، وعبيدى غير قادرين على هذا الأمر الذى لايقدر عليه غيرى ؟ وذلك لأن نبى الله سليمان يعلم أن ذلك من التماس الأسباب والكرامة ، والفاعل الحقيقى فى ذلك هو الله تعالى ، فكرامات الأولياء داخلة فى معجزات الأنبياء ، لأنها بواسطتهم تكون للأولياء بسبب متابعتهم للأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

٦ - قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾[2] فقد علق تعالى قبول استغفارهم باستغفاره عليه الصلاة والسلام ، واستغفاره ﷺ لأمته لايتقيد بحال حياته .

ادلة جواز التوسل من السنة :

١ - روى الحاكم أبو عبد الله عن البيع فى المستدرك على الصحيحين أو أحدهما وساق إسناده إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما اقترف آدم عليه السلام الخطيئة قال :يارب أسألك بحق محمد لما غفرت لى ، فقال الله تعالى : يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه ؟ قال : يارب لأنك لما خلقتنى بيدك ونفخت فى من روحك رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لاإله إلا الله محمد رسول الله ، فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك ، فقال الله تعالى : صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلى وإذ سألتنى بحقه فقد غفرت لك ولولا

---

(١) سورة النمل آية ٣٨ .

(٢) سورة النساء آية ٦٤ .

محمد ماخلقتك »[1] رواه البيهقى أيضا فى دلائل النبوة ، وقال : تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وذكره الطبرانى وزاد فيه « وهو آخر الأنبياء من ذريتك » .

٢ - وما رواه البخارى فى صحيحه من حديث ابن عباس أن النبى ﷺ « ذكر قصة هاجر أم إسماعيل عليه السلام أنها لما أدركها وولدها العطش جعلت تسعى فى طلب الماء فسمعت صوتا ولا ترى شخصا فقالت : أغث إن كان عندك غوث » فلو كانت الاستغاثة بغير الله شركا لما طلبت الغوث .

٣ - ماثبت فى الصحيحين وغيرهما من أن النبى ﷺ حكى عن الثلاثة الذين دخلوا الغار فانطبقت عليهم الصخرة أن كل واحد منهم توسل إلى الله بأعظم عمل عمله فارتفعت الصخرة ، فلو كان التوسل بالأعمال الفاضلة غير جائز ، أو كان شركا لم تحصل الإجابة من الله لهم ولما سكت النبى ﷺ عن إنكار مافعلوه بعد حكايته عنهم .

٤ - روى أبو عيسى الترمذى فى جامعه فى كتاب الدعوات وساق إسناده إلى عثمان بن حنيف رضى الله تعالى عنه : أن رجلًا ضرير البصر أتى النبى ﷺ فقال : أدع الله أن يعافنى قال : إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك.، قال : فادعه . قال : فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء : اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة ، يا محمد إنى توجهت بك إلى ربى فى حاجتى لتقضى لى ، اللهم شفعه فى »[2] .

قال المحقق أبو الحسن السبكى : رواه النسائى فى اليوم والليلة ، وابن ماجه فى الصلاة ، وفى دلائل النبوة للحافظ أبى بكر البيهقى ، قال هذا وزاد عليه محمد بن يونس فى روايته « فقام وأبصر » .

٥ - مارواه الطبرانى عن زيد بن عقبة عن النبى ﷺ قال : « إذا ضل أحدكم شيئًا أو أراد عونًا وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل : يا عباد الله أعينونى ، فإن لله عبادًا لايراهم »[3] وقد روى بطرق شتى فقد رواه الحاكم فى صحيحه وأبو عوانه والبزار بسند صحيح عن النبى ﷺ فقال : « إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فلينادِ يا عباد الله احبسوا »[4] وقد ذكر هذا الحديث ابن تيمية فى كتابه (الكلم الطيب) والنووى فى

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك ٦١٥/٢ والبيهقى فى دلائل النبوة ٤٨٩/٥ وفى الإتحافات السنية ٢٥٦ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٣٢١٣٨ وابن كثير فى البداية والنهاية ١/ ٨١، ٣٢٢/٢ وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق ١٤٧/٢ .

(٢) رواه الترمذى (٣٥٧٨) .

(٣) أورده المتقى الهندى فى كنز العمال ١٧٤٩٨ .

(٤) أورده النووى فى الأذكار النووية ٢٠١ .

الأذكار والجزيرى فى الحصن الحصين.

٦ - ماذكر فى صحيح البخارى عن رواية أنس بن مالك رضى الله عنه عن استسقاء عمر ابن الخطاب فى زمن خلافته بالعباس عم النبى لما اشتد القحط عام الرمادة[١]، وإنما خص عمر العباس من بين الصحابة لإظهار شرف أهل البيت ولبيان جواز التوسل بالمفضول من أهل البيت مع وجود الفاضل، فإن سيدنا عليا عليه السلام كان موجودا وهو أفضل من العباس.

٧ - روى الطبرانى فى المعجم الكبير، وساق إسناده إلى عثمان بن حنيف رضى الله عنه: أنه رأى رجلا يختلف إلى عثمان بن عفان رضى الله عنه فى حاجة له، فكان عثمان لايلتفت إليه ولا ينظر فى حاجته، فلقى ابن حنيف فشكى ذلك إليه، فقال له ابن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ ثم ائت المسجد فصل فيه ركعتين ثم قل: اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد ﷺ نبى الرحمة، يامحمد إنى أتوجه بك إلى ربك فيقضى حاجتى، وتذكر حاجتك[٢].

فانطلق الرجل فصنع ماقاله له ثم أتى باب عثمان بن عفان رضى الله عنه فجاءه البواب فأدخله على عثمان بن عفان فأجلسه معه وقضى حاجته. وخرج من عنده فلقى عثمان بن حنيف فقال له: جزاك الله خيرا ماكان ينظر فى حاجتى ولا يلتفت إلى حتى كلمته فى، فقال عثمان بن حنيف: والله ماكلمته ولكنى شهدت رسول الله ﷺ وقد جاءه رجل فشكى إليه ذهاب بصره، فقال ﷺ: «إن شئت دعوت وإن شئت صبرت وهو خير، فقال: فادعه، فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة، يا محمد إنى أتوجه بك إلى ربى فى حاجتى لتقضى، اللهم شفعه فى فعاد وقد أبصر» وفى رواية قال ابن حنيف: «فو الله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضر قط» ففى هذا الحديث التوسل والنداء أيضا، وخرج هذا الحديث الصحيح البخارى فى تاريخه والترمذى والنسائى والبيهقى والطبرانى وابن ماجه والحاكم وذكره الجلال السيوطى فى الجامع الكبير والصغير.

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الاستسقاء الباب الثالث وكتاب فضائل أصحاب النبى الباب ١١.

(٢) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير ١٨/٩ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٧٩/٢ والبيهقى فى دلائل النبوة ١٦٧/٦، ١٦٨ وأحمد فى الجزء الرابع صفحة ١٣٨ والحاكم فى المستدرك ٣١٣/١، ٥١٩، ٥٢٦ وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق ٩٨/٢ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٣٦٤٠، ١٦٨١٦ والتبريزى فى مشكاة المصابيح ٢٤٩٥ والسيوطى فى جمع الجوامع ٩٨٥٢ والنووى فى الأذكار النووية ١٦٧ والترمذى ٣٥٧٨ وابن ماجه ١٣٨٥ وابن السنى فى عمل اليوم والليلة ٦٢٢ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٤٧٣/١ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٢٧٩/٢.

٨ - مارواه ابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال ﷺ : « من خرج من بيته إلى الصلاة فقال : اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك وأسألك بحق ممشاى هذا إليك فإنى لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا رياءً ولا سمعةً ، خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تعيذنى من النار وأن تغفر لى ذنوبى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملك »[1] فقد توسل النبى ﷺ فى هذا الحديث بكل عبد مؤمن وأمر أصحابه أن يدعوا بهذا الدعاء ويتوسلوا مثل توسله .

الفرق بين العبادة والتوسل :

السجود لايكون عبادة ولا كفرا إلا تبعا للنية ، فسجود الملائكة لآدم عبادة لله لالآدم ، لأنه امتثال لأمره وتقرب وتعظيم له ، والسجود للتحية قد كان سائغا فى الشرائع السابقة على الإسلام بدليل سجود يعقوب وبنيه ليوسف ، قال تعالى : ﴿ **وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا** ﴾[2] فالعبادة لغة وشرعا غاية التذلل والتعظيم للمعبود ، وعليه فليس كل تعظيم عبادة . والتفرقة بين الحى والميت فى جواز التوسل بالأول فيما يقدر عليه دون الثانى ، لاوجه لها ، لأن الحكم الشرعى منوط فى هذه المسألة ببلوغ حد العبادة وعدمه ، فإن بلغ الفعل إذا وقع لغير الله ذلك الحد كان كفرا وإلا فلا .. سواء كان المتوسل به حيا أو ميتا .

يقول القرنيون : إن التوسل والاستغاثة بالأنبياء والأولياء عبادة لغير الله فى زعمهم قياسا على عبادة الأوثان وهو قياس فاسد للأدلة الآتية :

١ - جهل القرنيين حقيقة العبادة ، والعبادة كما سبق أن بينا أنها أقصى نهاية الخضوع والتذلل بشرط نية التقرب ولا يكون ذلك إلا لمن له غاية التعظيم ، ولذلك يقول السلف الصالح : من عبد الله طمعا فى الجنة أو خوفا من النار لم يعبده ، لأنه جعل حظه مقصدا والعمل وسيلة . والوسائل غير مقصودة لذاتها ، إذ لو أسقطت المقاصد أو توصل إليها بغيرها سقطت ، وما كان هذا شأنه لايستقيم أن يكون عبادة .

٢ - الفرق بين العبادة والتوسل أن العبادة لغير الله تشتمل على الإعراض عن الله وإطلاق الألوهية على غيره وإقامته مقامه وخدمته بما لايستحق أن يخدم .

---

(١) رواه ابن ماجة فى كتاب المساجد الباب ١٤ وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ٢١ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٤٩٧٧ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٥/ ٨٩، ٩٠ وابن السنى فى عمل اليوم والليلة ٨٣ والسيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٣٦ والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار ٣٢٦/١ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٤٥٨/٢.

(٢) سورة يوسف آية ١٠٠ .

٣ - جهل القرنيين حقيقة العبادة أداهم إلى قياس فاسد هو قياسهم مالا عبادة فيه من نذر وذبح وطلب دعاء على مافيه عبادة غير الله بجامع مع العبادة فى كل.

٤ - اشترط العلماء قاطبة ماعدا القرنيين فى صحة القياس كون المقيس غير منصوص عليه فى الكتاب والسنة، والمقيس هنا «التوسل» وهو منصوص عليه فى الكتاب والسنة، والقياس فى مقابلة النص باطل بالإجماع.

تأولات القرنيين فى التوسل:

التوسل بالأنبياء والأولياء فى نظر القرنيين يعد شركا كعبادة الأوثان متذرعين فى ذلك بالآيات القرآنية التى وردت فى حق المشركين وإنزالها على الموحدين من أمة محمد ﷺ منها: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَالَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[4] وقوله: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾[5] وقوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾[6] وقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾[7].

إلى غير ذلك من الآيات النازلة فى المشركين، زعم القرنيون أن كل من توسل واستغاث بالنبى ﷺ أو بغيره من الأنبياء والأولياء يكون معدودا فى عداد هؤلاء المشركين، وشبهته فى ذلك أن هذه الآيات وإن كانت نازلة فى المشركين إلا أن العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب.

---

(١) سورة الجن آية ١٨.
(٢) سورة الأحقاف آية ٥.
(٣) سورة يونس آية ١٠٦.
(٤) سورة فاطر آية ١٣ - ١٤.
(٥) سورة الشعراء آية ٢١٣.
(٦) سورة الرعد آية ١٤.
(٧) سورة الإسراء آية ٥٦ - ٥٧.

الرد على تأولات القرنيين:

١ - ليست من أحوال الكفار الذين نزلت هذه الآيات فيهم شيء عند المتوسلين فإن الدعاء يأتي لمعان شتى منها: النسبة أى انسبوهم إليهم كقوله تعالى: ﴿**ادعُوهُم لِآبَائِهِم**﴾[١] ومنها النداء أى نادوهم كقوله تعالى: ﴿**وَادعُوا شُهَدَاءَكُم**﴾[٢] ومنها السؤال أى اسألونى ﴿**ادعُونِي أَستَجِبْ لَكُمْ**﴾[٣] ومنها الدعوة إلى الشيء كقوله تعالى: ﴿**ادعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ**﴾[٤] ومنها التمنى كقوله تعالى: ﴿**وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ**﴾[٥] وقوله: ﴿**دَعوَاهُم فِيهَا سُبحَانَكَ اللَّهُمَّ**﴾[٦] وليس فى اللغة أن «دعا» تأتى بمعنى التوسل.

٢ - أما بالنسبة للآيات التى أوردها القرنيون والتى تعتبر كلها بمعنى العبادة، فإن المسلمين لا يعبدون إلا الله تعالى وليس فيهم من اتخذ الأنبياء والأولياء آلهة وجعلهم شركاء لله تعالى حتى تعمهم هذه الآيات، ولا يعتقد مسلم أنهم يستحقون العبادة، ولا أنهم يخلقون شيئا، ولا أنهم يملكون ضرا ولا نفعا، بل إنما هم عبيد الله وما قصدوا بالتوسل بهم إلى الله تعالى إلا التبرك بهم لكونهم أحباب الله المقربين الذين اصطفاهم واجتباهم، فببركتهم يرحم عباده، ويقول القرنيون إن اعتذار المتوسلين هو عين اعتذار المشركين الذين قال الله فى اعتذارهم عن عبادة الأصنام ﴿**مَا نَعبُدُهُم إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلفَى**﴾[٧] والرد على هذه الفرية سهل ميسور:

أ - إن المشركين جعلوا الأصنام آلهة، والمسلمون مااعتقدوا إلا إلهًا واحدا، فعندهم أن الأنبياء أنبياء، والأولياء أولياء، ليس إلا، فلم يتخذوهم آلهة مثل المشركين.

ب - إن المشركين اعتقدوا أن تلك الآلهة مستحقة للعبادة، بخلاف المسلمين، فإنهم لم يعتقدوا أن أحدا من المتوسل بهم مستحق لأقل عبادة وليس عندهم المستحق للعبادة إلا الله وحده.

جـ - إن المشركين عبدوا تلك الآلهة بالفعل كما قال تعالى حكاية عنهم: ﴿**مَا نَعبُدُهُم إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا**﴾[٨] والمسلمون ماعبدوا الأنبياء والأولياء فى توسلهم بهم إلى الله تعالى.

---

(١) سورة الأحزاب آية ٥.
(٢) سورة البقرة آية ٢٣.
(٣) سورة غافر آية ٦٠.
(٤) سورة النحل آية ١٢٥.
(٥) سورة يس آية ٥٧.
(٦) سورة يونس آية ١٠.
(٧)، (٨) سورة الزمر آية ٣.

د - إن المشركين قصدوا بعبادة أصنامهم التقرب إلى الله أما المسلمون فلم يقصدوا بتوسلهم بالأنبياء والأولياء التقرب إلى الله، بل إن المسلمين قصدوا التبرك والاستشفاع بهم، والتبرك بالشيء غير التقرب به كما لايخفى.

فكيف يجوز للقرنيين أن يجعلوا المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشركين ؟!.

رأى الإمام أبى العزائم فى منكر الوسيلة:

وهنا يكون الحكم على منكر الوسيلة بالغلظة والفظاظة وإلقاء الشحناء والبغضاء بين المسلمين أنه أوقع نفسه فى كبائر حكم القرآن على مرتكبيها بالخلود فى النار:

١ - أنه كذب على الله تعالى بإنكار الوسيلة وقد أثبتها الله تعالى فى القرآن بقوله: ﴿ **يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابتَغُوا إِلَيهِ الوَسِيلَةَ** ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدعُونَ يَبتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الوَسِيلَةَ أَيُّهُم أَقرَبُ وَيَرجُونَ رَحمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ** ﴾[2] والكذب على الله تعالى من أكبر الكبائر.

٢ - مخالفته لقوله تعالى: ﴿ **ادعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ والموعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلهُم بِالَّتِي هِيَ أَحسَنُ** ﴾[3] إذ الواجب على الداعى إلى الله تعالى أن يعمل بمقتضى هذه الآية، فإذا نزعت به نفسه إلى العناد والشر فتح أبواب الفتن العمياء على من يدعوهم، وارتكب كبيرة فى دفع بدعة على ظنه، وأوقع نفسه وغيره فى كبائر توعد الله عليها بنار جهنم، قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفشَلُوا وَتَذهَبَ رِيحُكُم** ﴾[4].

٣ - أنه فتح على العامة أبواب الشر باعتقادهم فيه فإنهم أهانوا جانب رسول الله ﷺ وحكموا بأن السنة بدعة مضلة لجهلهم حتى تركوا العمل بالسنن - وإهانة رسول الله ﷺ من الكبائر - قال تعالى: ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَينَهُم ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِم حَرَجًا مِّمَّا قَضَيتَ وَيُسَلِّمُوا تَسلِيمًا** ﴾[5].

٤ - أنهم حكموا لأنفسهم بالكمال وبلوغ درجة الدعوة والإرشاد وفى ذلك من الغرور والكبر والكذب على الحقيقة مافيه مما يكرهه الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿ **قُل هَل نُنَبِّئُكُم بِالأَخسَرِينَ أَعمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعيُهُم فِي الحَياةِ الدُّنيَا وَهُم يَحسَبُونَ أَنَّهُم**

---

(١) سورة المائدة آية ٣٥.
(٢) سورة الإسراء آية ٥٧.
(٣) سورة النحل آية ١٢٥.
(٤) سورة الأنفال آية ٤٦.
(٥) سورة النساء آية ٦٥.

﴿يُحسِنُونَ صُنعًا﴾[1]. وقد ابتلى الله تعالى هؤلاء بسبب وبلعن غيرهم ولو كان ممن سبقهم بالإيمان وهذه من الكبائر، قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾[2] إلى قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾[3] أقول ذلك لاعتقادى أن القوم مابلغوا درجة الاجتهاد حتى يكون لهم أجر ولو أخطأوا.

وكيف لا؟ والمجتهد أكمل الناس أدبا مع رسول الله ﷺ وأوسعهم علما بالحقائق والمقتضيات التى تجعل الرجل يتوسل بالرجال فى مقام، وبالعبادات فى آخر، وبالتصورات فى حال، والمجاهدات فى آخر وكلها وسائل للقرب من الله تعالى، ومن جهل وحكم لجهله بالكفر أو بالشرك أو بالمعصية على قوم هم فى مقامهم أهل إسلام وإيمان كان من أهل لعنة الله تعالى، لأنه كذب على الله جل جلاله، قال سبحانه: ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[4] والواجب علينا سد باب الفتن والتسليم للعاملين، حتى نعلم وجه الحق أو وجه الباطل فيما نعمل، فإذا علمنا عالجنا المرض بما نعلم من طب رسول الله ﷺ، من هذا تعلم أن الوسيلة هى القربة إلى الله تعالى بما يحب من العقيدة والعبادة والمعاملة والأخلاق التى لا تصل إليها إلا بمن يحبه الله تعالى، وهو الذى بعثه تعالى بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا.

ونحن لابد أن نتوسل إلى الله تعالى بعمله ﷺ وقوله وحاله وإقراراته، وتلك المعانى لاتتحقق إلا بذاته ﷺ، فمنكر الوسيلة برسول الله ﷺ منكر للأسباب التى وضعها الله تعالى ليتعرف بها إلى عباده، وكفى منكر الوسيلة جهلا أنه أشبه اليهود فعلا وقولا.

وقد ثبت أن الله أخبرنا سبحانه وتعالى عن الملائكة بقوله جل جلاله: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾[5] ورحمته التى يرجونها معلومة فى قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[6] الذين منهم الملائكة.

---

(١) سورة الكهف آية ١٠٣ - ١٠٤.

(٢) سورة الأعراف آية ٣٧.

(٣) سورة الأعراف آية ٣٨.

(٤) سورة آل عمران آية ٦١.

(٥) سورة الإسراء آية ٥٧.

(٦) سورة الأنبياء آية ١٠٧.

الفصل الخامس

بناء المساجد على المشاهد

الإسلام يرغب العابد فى اتخاذ المساجد على المشاهد :

الأولى بالقرنيين أن يتمسكوا بالعروة الوثقى وأن يعالجوا مجتمعنا الإسلامى مما يعانيه من شتى أنواع المحن والمشكلات ومختلف أنواع البؤس والتخلف . الأولى بهؤلاء أن يعملوا أقلامهم ضد الخطر الإلحادى المحدق بعالمنا الإسلامى من الماركسية الملحدة ، ورفض الحياة الغربية حياة التحلل والانحلال .

إن شبابنا المسلم فى حاجة إلى يقظة ضد هذه الأخطار ؛ لأن هذه الأخطار لا تهدد كيان طائفة من المسلمين كالصوفية أو السلفية فحسب بل تهدد كيان المسلمين جميعا ، وتهدم الشخصية المسلمة وتقضى على الأمة الإسلامية جمعاء .

الأولى بهؤلاء أن ينبهوا الأمة الإسلامية من الخطر الداهم المتزايد من جانب الاستعمار ومن جهة التبشير الصليبى ومن الإلحاد الشيوعى والمبادىء الهدامة الأخرى كالعلمانية والماسونية والبهائية والقديانية .

الأولى بهؤلاء أن يكفروا ويشركوا ويحقروا القادة والكتاب الذين يقدسون ماركس ولينين وماوتس تونج من دعاة الشيوعية وسارتر وغيره من دعاة الوجودية والانحلال ، لأن يتركوا هؤلاء وأولئك ويقصرون هجومهم وأقلامهم وألسنتهم على الأئمة الأعلام أحمد البدوى وابراهيم الدسوقى وأحمد الرفاعى وغيرهم من الهداة إلى الله .

الأولى بهؤلاء أن يهدموا من نفوس شبابنا العربى ارتياد الملاهى الليلية وأماكن الفسق والفجور لأن يهدموا أضرحة الأنبياء والأولياء التى يذكر فيها اسم الله .

فيا أخوة الإسلام يجب علينا توحيد الصفوف ورفض العصبيات الطائفية وما يوجب التناقض والتباعد ؛ فقد جربنا مرارة الاختلاف والتفرقة وسوء الظن ورمى بعضنا بعضا بالكفر والشرك .

ولا أطيل عليك يا أخى المسلم وقفتك على هذا الباب بل أدخل بك فى موضوعه .

بناء المساجد على المشاهد لامتياز أصحابها ، وأدلة ذلك :

أولًا : من الكتاب :

الدليل الأول من الكتاب :

قال الله تعالى فى قصة أصحاب الكهف : ﴿ **وَكَذَٰلِكَ أَعثَرنَا عَلَيهِم لِيَعلَمُوا أَنَّ وَعدَ اللَّهِ حَقّ وَأَنَّ السَاعَةَ لَا رَيبَ فِيهَا إِذ يَتَنَازَعُونَ بَينَهُم أَمرَهُم فَقَالُوا ابنُوا عَلَيهِم بُنيَانًا رَّبُّهُم أَعلَمُ بِهِم قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمرِهِم لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيهِم مَّسجِدًا** ﴾[1] .

والذين غلبوا على أمرهم هم المؤمنون لأن المسجد إنما يبنيه المؤمن ، أما الكافرون فقالوا ﴿ ابنُوا عَلَيهِم بُنيَانًا ﴾ ولقد أيد الله المؤمنين على اتخاذهم عليهم مسجدًا بعدم الرد عليهم . كما يذكر المولى ذلك فى كتابه عن القوم الذين يفعلون ما لا يرضاه منهم فيعقب سبحانه وتعالى بما يدل على فساده أو بطلانه إما قبل العمل أو بعده ، فإذا لم ينبه على فساد ذلك العمل أو بطلانه دل ذلك على رضاء الله تعالى وعلى صحته إذا كان عملا أو خبرًا ، وأمثلة ذلك فى القرآن كثيرة ، نذكر منها قوله تعالى : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن هَذَا إِلَّا إِفكٌ افتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيهِ قَومٌ آخَرُونَ** ﴾[2] فرد الله على الذين كفروا بقوله تعالى : ﴿ **فَقَد جَاءُوا ظُلمًا وَزُورًا** ﴾[3] وكذلك قوله تعالى : ﴿ **وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسحُورًا** ﴾[4] فعقبه تعالى بقوله : ﴿ **انظُر كَيفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمثَالَ فَضَلُّوا** ﴾[5] إلى غير ذلك من الآيات .

فإن من تابع القرآن قراءة وجده لايقر على باطل يحكيه قولا كان أو عملا ، إذ القرآن كله حق ونور وهدى وبيان وحجة فلا يحكى ماليس بحق ثم يقره ولا ينبه على بطلانه ، فإذا ذكر نبأ وأقره دل ذلك على صحته وصدقه . فلما حكى الله تعالى عن هؤلاء القوم أنهم قالوا : ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيهِم مَّسجِدًا ﴾ لم يرده ولا تعقبه بذم ، دل ذلك على أنه جائز لاحظر فيه .

---

(١) سورة الكهف آية ٢١ .
(٢) سورة الفرقان آية ٤ .
(٣) سورة الفرقان آية ٤.
(٤) سورة الفرقان آية ٨ .
(٥) سورة الفرقان آية ٩ .

ففى تفسير الكشاف للزمخشرى قال : « إن الذين غلبوا على أمرهم من المسلمين وملكهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم ، لنتخذن على باب الكهف مسجدًا يصلى فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم » انتهى . ونحو ذلك المعنى فى تفسير الجلالين للإمامين جلال الدين السيوطى ، وجلال الدين المحلى .

وفى تفسير معالم التنزيل للبغوى : « قال المسلمون نبنى عليهم مسجدا يصلى فيه الناس لأنهم على ديننا » وعن ابن عباس رضى الله عنه : « قال المسلمون نبنى عليهم مسجدًا يصلى فيه الناس لأنهم على ديننا » وعن النيسابورى فى غرائب القرآن ﴿ **الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِم** ﴾[1] وملكهم المسلم لأنهم بنوا عليهم مسجدا يصلى فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وكانوا أولى بهم وبالبناء عليهم حفظًا لتربتهم . وفى مجمع البيان ﴿ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِم ﴾ يعنى الملك المؤمن وأصحابه ، وقيل : أولياء أصحاب الكهف من المؤمنين .

وعن الجبائى ﴿ **لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيهِم مَّسجِدًا** ﴾[2] متعبدًا وموضعا للعبادة . والسجود يتعبد الناس فيه تبركا بهم ودل على أن الغلبة كانت للمؤمنين .

فقد حكى الله قصة أهل الكهف ومقالة المسلمين من غير رد عليهم ولا إنكار ، بل لعله ذكرها فى معرض المدح فيكون بذلك تقريرًا لها . وإنما حكى الله تعالى قصص الماضين لتعتبر بها هذه الأمة وتقتدى بالحسن منها وتتجنب القبيح .

شبهات وأباطيل القرنيين فى الدليل الأول :

إن قوله تعالى : ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيهِم مَّسجِدًا ﴾ وإن لم يعقب سبحانه وتعالى بما يدل على فساده أو بطلانه بآية من آيات القرآن إلا أن هناك أحاديث كثيرة تدل على فساده وبطلانه ، كقوله ﷺ : « قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ... لايبقى دينان بأرض العرب » وقوله ﷺ لأم سلمة رضى الله عنها حين ذكرت له كنيسة رأتها بأرض الحبشة ، وما رأت فيها من الصور : « أولئك قوم إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله » .

وقوله ﷺ : « ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا

---

(١) سورة الكهف آية ٢١ .

(٢) سورة الكهف آية ٢١ .

القبور مساجد فإنى أنهاكم عن ذلك» .

الرد على شبهات وأباطيل القرنيين:

والرد على شبهات القرنيين فى استنادهم للأحاديث السابقة يقوم على ركائز كثيرة :

١ - إن الله تعالى حكى فى هذه الآية أن المؤمنين هم الذين قالوا : ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيهِم مَّسجِدًا﴾ بينما الأحاديث التى ذكرت قالها ﷺ حكاية عن اليهود والنصارى وفرق بين حال الفريقين ، فإن المؤمنين فعلوا ذلك للتبرك بالصالحين الذين أكرمهم الله تعالى بهذه الآية وحفظ أرواحهم وأجسامهم تلك القرون الطويلة ، واليهود والنصارى فى الأحاديث السابق ذكرها يفعلون ذلك بقصد العبادة والإشراك مع الله تعالى . والدليل على ذلك قوله ﷺ فى نفس الحديث : «لا يبقى دينان بأرض العرب» أى لاتفعلوا مثله فتكفروا فيكون بأرض العرب دينان ، وقد حكم الله تعالى وأمر ألا يبقى بأرض العرب إلا دين واحد هو دين الإسلام ، وعبادة الله تعالى وحده .

والكفر لايكون لمجرد اتخاذ المساجد على القبور ولو للتبرك وإنما يكون باتخاذها للعبادة والإشراك بالله تعالى هذا مما لايشك فيه مسلم وإلا كانت الأمة كلها كافرة ولم يصدقه خبر الرسول ﷺ بأنه لايبقى دينان بأرض العرب . فإن المساجد اتخذت على القبور بعده بقليل بل وفى حياته ﷺ كما سيأتى بعد بشهادته ، وأما الآية فأشارت إلى جواز اتخاذ المساجد على قبور الصالحين للتبرك بهم وزيارتهم وحفظ مآثرهم كما ذكره جمع من المفسرين فدليل الكتاب فى واد ودليل السنة فى واد آخر يؤيده .

٢ - وهو أنه لو كان كل من بنى على القبر مسجدًا ولو للتبرك والزيارة ملعونا كما فى الحديث لكان هؤلاء المؤمنون الذين حكى الله تعالى عنهم ملعونين أيضا داخلين فى لعنة النبى ﷺ على من فعل الذى حكاه الله عنهم ولو كانوا كذلك لما سكت الله تعالى عن ذمهم ولعنهم والإشارة إلى ضلالهم وخروجهم عن الصراط المستقيم فيما أتوا ، كما عرف عن الله تعالى فى كتابه الكريم حكاية المحرم الملعون فاعله ، فدل ذلك على أن مافعله هؤلاء القوم هو غير مايفعله اليهود والنصارى الذين لعنهم الله تعالى على لسان نبيه ﷺ .

٣ - وهو أنه ﷺ قال : «أولئك كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح اتخذوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تماثيل» ، فاتخاذهم الصور والتماثيل فيه دليل على أنهم يفعلون

ذلك لأجل عبادتهم ، وقد شهد العيان بذلك وأثبت التاريخ مثله وأنهم ابتدأوا عبادة الأصنام بعبادة صور الصالحين وقبورهم ، وهذا لايوجد منه شيء عند المسلمين .

٤ - إن النبى ﷺ قال فى الذين يتخذون من القبور مساجد «أولئك شرار الخلق» وثبت بالكتاب أن أمته ﷺ خير أمة أخرجت للناس قال تعالى : ﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَتِ لِلنَّاسِ﴾[1] وأن الله متخذهم شهودًا على الأمم السابقة بقوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلنَاكُم أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[2] وثبت بالسنة أن الأنبياء والمرسلين تمنوا أن يكونوا من أمته ﷺ وأن أمته ﷺ لاتجتمع على ضلالة . وقد علم الله تعالى فى سابق علمه بقضائه وقدره فى أزله أن هذه الأمة ستتفق ويجمع أولها وآخرها على بناء المساجد على قبر نبيها أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى قبور الأولياء والصالحين ، بل ومن هؤلاء الأولياء من يتخذ المساجد على من قبله من شيوخه ، ويزوره فى حالة بناء المساجد والقباب عليهم ، ويشد الرحال من بلاد بعيدة لزيارتهم ، وقد شد الإمام النووى الرحال من الشام إلى مصر لزيارة قبر الإمام الشافعى الذى عليه مسجد وقبة . وكم لاتخاذ المساجد على المشاهد من ألف نظير فى المشرق والمغرب .، فهل هناك تناقض بين خبر الله تعالى وخبر الرسول ﷺ وأن تكون هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وفى الوقت ذاته تكون أمة ملعونة باتخاذها المسجد على قبر نبيها وعلى قبور الأولياء والصالحين وهذا أمر محال ؟! .

٥ - إن الأحاديث فى النهى عن اتخاذ المساجد على قبور الأنبياء معللة بخشية العبادة فلا يكون تشريعًا عامًا فى كل زمان بل هو من التشريع المؤقت بزمن وجود العلة ، وهو زمن قرب عهد الناس فيه بالإشراك ، دون الزمان الذى نشأ أهله على الإيمان والتوحيد ، فهو غير معارض لدليل الكتاب العام فى كل زمان بل هو مخصص لعمومه بزمن ارتفاع خشية العبادة وهو زمن استقرار الإيمان وانتشار التوحيد . ومثل هذا فى الشريعة كثير جدا ، وهو التشريع المؤقت الذى يشرع لعلة ثم يزول بزوال علته كما فى الناسخ والمنسوخ ، وتارة لاينص الشارع على الحكم ونسخه لاحتمال وجود العلة فى كل وقت ، وحكم ذلك أنه غير لازم على الدوام وإنما يلزم عند وجود علته . ومثال ذلك : كالنهى عن زيارة القبور أولا لما كانوا قريبى عهد بالشرك ، فلما استقر الإيمان فى قلوبهم أباح لهم زيارتها للاعتبار والتذكير والزهد فى الدنيا . قال ﷺ : « كنت

---

(١) سورة آل عمران آية ١١٠ .

(٢) سورة البقرة آية ١٤٣ .

نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكركم الآخرة »[1] وكذلك نهيه ﷺ عن أكل لحوم الأضاحى بعد ثلاث من ادخارها لأجل مجاعة ألمت بالناس، فلما ذهبت قال ﷺ : « كنت نهيتكم عن لحوم الأضاحى بعد ثلاث، فكلوا وادخروا فإنما نهيتكم من أجل الدأفة »[2].

من كل ما تقدم يتضح أن اتخاذ المساجد على مشاهد الأنبياء والأولياء جائز ومطلوب، ومن اعتقد بخلاف ذلك فهو قرنى ممقوت لم يذق للإيمان طعما ولا عرف من منزلة النبى ﷺ العصماء ومكانته السامية عند ربه شيئا فهو مدخول العقيدة مختل الإيمان « راجع كتاب (إحياء المقبور من أدلة استحباب بناء المساجد والقباب على القبور) للحافظ أبى الفيض السيد أحمد أبى عبد الله السيد محمد الصديق ».

الدليل الثانى من الكتاب :

إن القرآن صرح عمومًا بالبناء على قبور الأنبياء والأولياء فى قوله سبحانه : ﴿ **وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ** ﴾[3] وقوله تعالى : ﴿ **ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ** ﴾[4] وقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ** ﴾[5].

فالأضرحة المتضمنة أجساد النبيين وأئمة المسلمين تعتبر من معالم الدين، وقد جعل الله تعالى الصفا والمروة من الشعائر والحرمات التى يجب احترامها، وهى مسعى هاجر، فكيف بالبقاع المتضمنة لأجساد الأنبياء والأولياء، فإنها أولى أن تكون شعارا للدين، كيف لا ؟ وهى من البيوت التى أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، إن المراد من البيت فى الآية هو

(١ رواه مسلم فى كتاب الجنائز الحديث ١٠٦ وكتاب الأضاحى الحديث ٣٧ وأبو داود فى كتاب الجنائز الباب ٧٧ وكتاب الأشربة الباب ٧ والترمذى فى كاب الجنائز الباب ٧ والنسائى فى كتاب الجنائز الباب ١٠٠ وكتاب الضحايا الباب ١١ وكتاب الأشربة الباب ٤٠ وابن ماجه فى كتاب الجنائز الباب ٤٧ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ١٤٥، ٤٥٢ والجزء الثالث ٣٨، ٦٣، ٦٦، ٢٣٧، ٢٥٠ والجزء الخامس صفحة ٣٥٠، ٣٥٥ - ٣٥٧، ٣٥٩، ٣٦١.

(٢) رواه أحمد فى الجزء الثالث صفحة ٤٨ والجزء الرابع صفحة ١٥ والجزء السادس صفحة ٣٨٤ ومسلم فى كتاب الجنائز الحديث ١٠٦ وأبو داود فى كتاب الأشربة الباب ٧ والترمذى فى كتاب الأضاحى الباب ١٤ والنسائى فى كتاب الجنائز الباب ١٠٠ وكتاب الضحايا الباب ٣٦ وكتاب الأشربة الباب ٤٠ وابن ماجه فى كتاب الأضاحى ١٦ والدارمى فى كتاب الأضاحى الباب ١٦ والدارمى فى كتاب الأضاحى الباب ٦ والموطأ فى كتاب الضحايا الحديث رقم ٦ - ٨ .

(٣) سورة الحج آية ٣٢ .

(٤) سورة الحج آية ٣٠ .

(٥) سورة المائدة آية ٢ .

يت الطاعة وكل محل أعد للعبادة، فيعم ذلك المساجد والأضرحة لكونها من المعابد.

ومثل المسجد فى جهة التعمير والتعظيم، والأضرحة التى هى من مشاعر الإسلام والدين، ولذا نجد إصرار المسلمين على إبقاء روضة النبى ﷺ وصاحبيه رضى الله عنهما، وكذلك روضات أهل بيته الطيبين الطاهرين. فحفظ تلك الأضرحة عن الاندراس طيلة أربعة عشر قرنا من الزمان قبل وجود مثلث الكفريات - ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب - وبعد وجود هؤلاء الثلاثة، مما يؤكد أن حفظ هذه الأضرحة تشييد للدين وتقوية لشوكة المؤمنين.

فأضرحة الأنبياء وأهل البيت والصحابة وأولياء الله الصالحين عند جمهور المسلمين لها مزية وزيادة فضيلة من بين المساجد لاشتمالها على جهتين، جهة المسجدية، وجهة المشعرية، كحرم النبى ﷺ الذى هو حرم الله وحرم رسوله، وأضرحة أهل البيت والصحابة وأولياء الله تعتبر كذلك مساجد ومشاعر.

ولأجل اشتمال هذه الأضرحة على زيادة الفضيلة، نرى المسلمين يزدلفون إليها ويزدحمون فيها، بل يعمرونها حفظا لمراقدهم رضى الله عنهم عن الاندراس والانطماس حيث يكون الحفظ عندهم شعارا للدين.

ثانيا: من السنة:

الدليل الأول من السنة:

- قوله ﷺ: «ما قبر نبى إلا حيث يموت»[1] وصدق بهذا سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه حين اختلف الصحابة رضى الله عنهم فى موضع دفنه ﷺ فقال قوم: فى البقيع، وقال آخرون فى المسجد، وقال آخرون يحمل إلى أبيه إبراهيم فيدفن معه. فلما حدثهم الصديق رضى الله عنه بما عنده فى هذا أجمعوا رأيهم واتفقوا عليه ودفنوه ﷺ فى بيت عائشة رضى الله عنها وهو دليل صريح على وجود البناء حول القبر، فإذا جوز الشارع ذلك أى وجود الميت داخل البناء فقد جوز البناء، إذ لافرق بين أن يوجد بعد الدفن أو قبله لأن الغاية واحدة والصورة متفقة وجود القبر داخل البناء. وإذا جاز ذلك فلا فرق بين أن يكون البناء بيتًا أو قبة.

---

(١) رواه أحمد فى الجزء الأول صفحة ٧.

٢ – قوله ﷺ : « من زار قبرى وجبت له شفاعتى »[١] وقوله ﷺ : « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام »[٢] ومسجده ﷺ كان فى عصره صغيرا لا يسع من يقصده من أمته ﷺ بعد ذلك وروضته الشريفه واقعة فى بيت السيدة عائشة رضى الله عنها الذى تسكنه وهو يعلم ﷺ مسبقا ضرورة أنه يتعذر على الأمة زيارته وهو فى بيت مملوك لامرأة ساكنة فيه يجب تعظيمها واحترامها ، كما يجب ذلك فى حق من يملكه ويسكنه من بعدها ، كما أنه ﷺ يعلم أن أمته ستدوم إلى قيام الساعة وأن قصدهم لزيارته فيه سيدوم بدوام الأمة ، وأن البيت الذى سيدفن فيه لايمكن أن يدوم عادة أكثر من مائة سنة ، فهو يعلم ﷺ علم اليقين أن بيته المذكور سيؤول أمره إلى أن يدخل فى المسجد الذى ستصير الأمة به متخذه على قبره مسجدا كما هو الواقع الآن ، ومن المحال المقطوع به أنه ﷺ رضى بما هو محرم ملعون فاعله لا سيما فيما يتعلق بجسده الشريف . فدل على أن اتخاذ المسجد على قبره الشريف غير محرم ولا مكروه ، وإذا جاز ذلك فى حقه ﷺ جاز فى غيره من باب أولى ؛ لأن مايخشى من الفتنة بقبره أعظم مما يخشى من الفتنة بقبر غيره لأن الفتنة إنما تتوقع من جهة التعظيم ولا يوجد فى الأمة من يعظم قبرا أكثر من قبره ﷺ .

٣ – قوله ﷺ : « مابين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة »[٣] فهذا الحديث إخبار من النبى ﷺ بأن قبره الشريف سيكون من داخل مسجده وهذا منه ﷺ إشارة إلى

---

(١) أورده الدارقطنى فى سننه ٢٧٨/٢ والدولابى فى الكنى والأسماء ٦٤/٢ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٢/٤ وابن حجر فى تلخيص الخبير ٢٦٧/٢ والسيوطى فى الدر المنثور ٢٣٧/١ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٤١٧/٤، ٣٦٣/١٠ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٤٢٥٨٣.

(٢) رواه البخارى فى كتاب مسجد مكة الباب الأول ومسلم فى كتاب الحج الحديث ٥٠٥– ٥١٠ والنسائى فى كتاب المناسك الباب ١٢٤ والترمذى فى كتاب المواقيت الباب ١٢٦ وكتاب المناقب الباب ٦٧ وابن ماجه فى كتاب الإقامة الباب ١٩٥، ١٩٨ والموطأ فى كتاب القبلة الحديث ٩ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ١٦، ٢٩، ٥٣، ٥٤، ٦٨، ١٠٢، ٢٣٩، ٢٥١، ٢٥٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٣٨٦، ٣٩٧، ٤٦٦، ٤٦٨، ٤٧٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٩٩، والجزء الرابع صفحة ٥.

(٣) رواه البخارى ٢٩/٣ وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ٦٤ والبيهقى فى السنن الكبرى ٢٤٦/٥ وابن أبى شيبة فى مصنفه ٤٣٩/١١ والطبرانى فى المعجم الكبير ٢٩٤/٢ والبغوى فى تفسيره ١٤٩/٣ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٦/٤ وابن حجر فى تلخيص الخبير ٢٣٠/٣ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٤٢٢/٤ وابن أبى عاصم فى السنة ٣٣٩/٢ والسيوطى فى الدر المنثور ٢٣٧/١ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٣٤٩٤٧، ٣٤٩٤٩، ٣٤٩٥٦، وابن حجر فى فتح البارى ١٠٠/٤ وابن عبد البر فى التمهيد ٢٨٧/٢ وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق ٢٤٥/٦ والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار ٢٦٠/١، ٥١٣/٤ والبخارى فى التاريخ الكبير ٣٩٢/١ وأبو نعيم فى الحلية ٣٢٤/٩ والنووى فى الأذكار النووية ١٨٤ والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ٤٠٣/٤، ٢٢٨/١١، ٢٩٠، ١٦٠/١٢.

استحباب إدخال قبره الشريف فى المسجد ، لأنه ترغيب يدعو إلى ذلك إذ المراد فضيلة الصلاة ما بين القبر والمنبر والترغيب فيها فى ذلك الموضع وإذا لم يكن القبر الشريف داخل المسجد لا يتصور الصلاة بين القبر والمنبر ، ولا يتأتى التعبير بقوله ﷺ : « ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة » إلا وهو ﷺ يريد أن القبر سيكون داخل المسجد ليس بينه وبين المنبر حاجز البيت .

فإن قال القرنيون إن لفظ الحديث فى أكثر طرقه إنما هو « ما بين بيتى ومنبرى ، فنرد عليهم بأن إيراد الحديث بلفظ البيت معناه القبر ، لأن القبر صار فى البيت ، لأنه ﷺ دفن فى بيت سكناه فالمنبر والبيت لم يكن لهما هذا الفضل لمجرد أعواد المنبر وحجارة البيت وطينه . فإنه لا فضل لخشب على خشب ولا حجارة على حجارة ولا دخل لهما فى وجود فضيلة فى الدين وإنما ذلك لتشريف المنبر بوقوفه ﷺ عليه فى الوعظ والتذكير وتبليغ أمر ربه ووجود قبره الشريف فى البيت لأن الفضل راجع إليه ﷺ لا إلى البيت ، فمن يحاول من القرنيين أن ينكر وجود رواية قبرى للتوصل إلى نفى مايتعلق به من فضيلة قبره ﷺ إنما يحاول عبثا ويخبط عشواء ، فالحديث سواء ورد بلفظ قبرى أو بلفظ بيتى فمعنى اللفظين واحد ، وكلاهما راجع إلى القبر الشريف ، وعلى هذا نص أكثر المحدثين ، بل جل من تكلم على الحديث أو شرحه .

٤ - إن النبى ﷺ أخبر أصحابه بفتح بيت المقدس وأقطع تميما الدارى أرضا بالخليل تحقيقا لوعد الله وخبره بالفتح وهو يعلم ﷺ أن بالخليل قبر إبراهيم واسحاق ويعقوب عليهم السلام وعلى تلك القبور بناء وقباب فلم يأمر أصحابه بأن يدفعوا لتميم الدارى الأرض التى أقطعه إياها وأن يهدموا البناء الذى هو على قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب وغيرهم من الأنبياء الموجودين بفلسطين . إنما قصر الأمر فقط على إقطاع تميم الدارى أرضا بالخليل فدل ذلك على أن المراد من تخرص القرنيين بحديث النهى عن اتخاذ المساجد على مشاهد الأنبياء والصالحين هو علة العبادة لابناء المسجد أو القبة .

إن الصحابة رضى الله عنهم لما فتحوا البلاد فى زمان الخلفاء الراشدين لم يهدموا البناء الذى كان على الأنبياء بالشام وغيرها من أرض العرب مع قيامهم بالأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر وتنفيذ كل ماأمرت به الشريعة ولا أدل على ذلك من قبر سيدنا يحيى فى وسط مسجد الأموى بدمشق .

٥- إنه جاء فى عدة أحاديث وآثار أن جماعة من الأنبياء والمرسلين مدفونون فى المسجد

الحرام مابين زمزم والمقام وأخبر النبى ﷺ أن منهم نوحًا وهودًا وصالحا وشعيبًا وأن قبورهم بين زمزم والحطيم والحجر وكذلك ورد فى قبر إسماعيل وأمه هاجر أنه بالمسجد الحرام وهو أشرف مسجد على وجه الأرض هو ومسجد النبى ﷺ فلو كان وجود القبر في المسجد محرمًا لذاته لنبش النبى ﷺ وأخرجهم فدفنهم خارج المسجد، فإنه أخبر ﷺ أن الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء وأنهم أحياء فى قبورهم، كما أخبر الله تعالى بمثل ذلك عن الشهداء وأمرنا بألا نسميهم أمواتا فنكون كاذبين فى ذلك، وحيث لم يفعل النبى ﷺ ذلك دل على أن وجود القبر فى المسجد أو بناء المسجد على القبر ليس محرما لذاته وإنما ذلك لعلته التى بانتفائها ينتفى حكمها.

وبناء على ما تقدم فإن أفضل المساجد على وجه الأرض المسجد الحرام والمسجد النبوى وهما الحرمان الشريفان وقد شاء الله وحكم أن يكون فى كل منها قبور متعددة، ففى البيت الحرام قبور جماعة من الأنبياء وفى مسجد النبى الشريف قبر النبى ﷺ وقبر صاحبيه رضى الله عنهما، ومعهما قبر رابع سيدفن فيه عيسى عليه السلام حين نزوله كما ورد فى بعض الأخبار، من أجل هذا فإن الدفن فى المسجد أو اتخاذ المسجد على القبر من الأعمال تأسيًا بالحرمين الشريفين فكل مسجد ليس فيه روضة لنبى أو ولى فهو ناقص الفضل قليل البركة عديم الأسوة بأفضل المساجد وأشرفها المسجد الحرام والمسجد النبوى.

٦ - إن النبى ﷺ وضع على قبر عثمان بن مظعون رضى الله عنه صخرة عظيمة وقال ﷺ: «أعلم بها قبر أخى وأدفن إليه من مات من أهلى».

رواه أبو داود وابن ماجه، فهذا تأسيس لوضع العلامة على القبر وتشريع لها وللمحافظة على القبر لاسيما قبور الصالحين فإن جازت العلامة على القبر لحفظه من الاندراس فلا فرق بين أن تكون بصخرة أو بغيرها، وكونه ﷺ نهى عن البناء فقد برهنا على أن المراد بالبناء الذى يكون فوق القبر لطمسه لاالبناء الذى يكون حول القبر.

ثالثا: إجماع الصحابة على اتخاذ مسجد على قبر الصحابى أبى بصير عتبة بن أسيد فى عهد النبى ﷺ:

قال ابن إسحاق: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة بعد الصلح أتاه أبو بصير عتبة بن أسيد، وكان ممن حبس بمكة من المسلمين، فلما قدم على رسول الله ﷺ، كتب فيه أزهر ابن عبد عوف، والأخنس بن شريق بن عمرو إلى رسول الله ﷺ، وبعثا رجلا من بنى عامر ابن لؤى ومعه مولى لهما فقدما على رسول الله ﷺ، بكتاب الأزهر والأخنس، فقال

رسول الله ﷺ : « يا أبا بصير ، إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ماقد علمت ، ولا يصلح لنا فى ديننا الغدر ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، فانطلق إلى قومك » .

قال : يارسول الله أتردنى إلى المشركين يفتنوننى فى دينى ؟ قال : « يا أبا بصير ، انطلق ، فإن الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا » فانطلق أبو بصير معهما ، حتى إذا كان بذى الحليفة جلس إلى جدار وجلس معه صاحباه ، فقال أبو بصير صارم سيفك هذا يا أخا بنى عامر ؟ فقال نعم ، قال : آنظر إليه ؟ قال : أنظر إن شئت ، قال : فسله أبو بصير ، ثم علاه به حتى قتله ، وفر المولى سريعا حتى أتى رسول الله ﷺ وهو جالس فى المسجد ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : « إن هذا الرجل قد رأى فزعا » فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ قال : « ويحك ! مالك ؟ » قال : قتل صاحبكم صاحبى ، فوالله مابرح حتى طلع أبو بصير متوشحا بالسيف حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، وفت ذمتك وأدى الله عنك ، أسلمتنى بيد القوم ، وقد امتنعت بدينى أن أفتن فيه أو يعبث بى . قال : فقال رسول الله ﷺ « ويل أمه مسعر حرب لو كان معه رجال » . ثم خرج أبو بصير حتى نزل العيص من ناحية ذى المروة على ساحل البحر بطريق قريش التى كانوا يخفرون عليها إلى الشام وبلغ المسلمون الذين كانوا حبسوا بمكة ومن بينهم أبو جندل بن سهيل ، قول رسول الله ﷺ لأبى بصير ، « ويل أمه مسعر حرب لو كان معه رجال » فخرجوا ومعهم أبو جندل إلى أبى بصير بالعيص فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلا ، وكانوا قد ضيقوا على قريش : لايظفرون بأحد من قريش إلا قتلوه ، ولا تمر بهم عير لقريش إلا اقتطعوها ، حتى كتبت قريش إلى رسول الله ﷺ يسألونه بأرحامهم أن يؤوى هؤلاء إليه لا حاجة بهم ، فكتب رسول الله ﷺ إلى أبى بصير أن أقدم علينا أنت ومن معك ، فلما جاء كتاب رسول الله ﷺ كان أبو بصير مريضا فأخذ الكتاب أبو الجندل وبينما هو يقرأ فاضت روح أبى بصير إلى ربها ، فقام أبو جندل ومن معه بتجهيزه والصلاة عليه ثم بنى أبو جندل على قبره مسجدًا .

(راجع أسد الغابة المجلد الخامس ص ٣٥ ، والاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر) .

فمن كل ماتقدم يتضح أن الصحابة وعلى رأسهم أبو جندل سهل بن عمرو اتخذوا على قبر أبى بصير مسجدًا فى حياة النبى ﷺ ولم يأمرهم بهدمه بل أقرهم على ذلك ويستحيل

أن يقر النبى ﷺ على باطل .

يها القرنيون : إن من يعرف سيرة الصحابة مع الرسول ﷺ يعلم أنه لايمكن إحداث أمر عظم مثل هذا - وهو اتخاذ مسجد على قبر أبى بصير - ولا يذكرونه للنبى ﷺ وهو رسول الله ﷺ وخليفته فى خلقه والأمر أمره والحكم حكمه والصحابة كلهم جنده ونوابه ومنفذوا أمره ، وكذلك يستحيل أن يحدث مثل هذا من الصحابة الذين هم تحت حكمه وأمره ويكون ذلك حرامًا ملعونًا فاعله يجر إلى كفر وضلال ثم لايعلمه الله تعالى به ولا يوحى إليه فى شأنه كما أعلمه بمسجد الضرار وقصد أصحابه من بنائه ، وأمر ﷺ بهدمه ، فإذن لاشك أن النبى ﷺ اطلع على بنائهم المسجد على قبر أبى بصير ولم يأمرهم بهدمه ، إذ لو أمر بذلك لنقل فى نفس الخبر أو غيره ، لأنه شرع لايمكن أن يضيع بل يستحيل ذلك ، لخبر الله تعالى أنه حفظ الدين من أن يضيع منه شىء ولا يصل إلى آخر هذه الأمة ماوصل إلى أولها ، فلما لم يأمر بهدمه دل ذلك على جوازه .

رابعا : إن قبور الشهداء ، والصحابى عثمان بن مظعون كانت مرتفعة فى زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه :

١ - جاء فى صحيح البخارى عن خارجه بن زيد قال : رأيتنى ونحن شُبان فى زمن عثمان رضى الله عنه وأن أشدنا وثبة الذى يثب قبر عثمان بن مظعون حتى يجاوزه ، وقد سبق أن النبى ﷺ إنما وضع عليه صخرة ، وكون الشاب لا يستطيع أن يثب عليه إلا إذا كان قويا شديدًا يدل على عظم ارتفاعه وتباعد جنبيه ، وذلك لايمكن أن يتحقق إذا كان القبر من التراب وحده ولا بالصخرة وحدها للأسباب الآتية :

أ - إنه لايمكن فى العادة أن يبقى التراب الكثير مرتفعًا مجموعًا فوق القبر أزيد من سنة أو أقل .

ب - إن التراب المجلوب على القبر لايمكن أن يرتفع هذا الارتفاع المشار إليه دون أن يخالطه حجارة أو طين كما أنه لايمكن أن يدوم هذه المدة من عهد النبى ﷺ إلى عهد عثمان رضى الله عنه فإنا نرى التراب الذى يجعل على القبر لايمر عليه سنة حتى يذهب وتذروه الرياح ويبقى القبر مسوى بالأرض .

جـ - إن هذا لايمكن أيضًا بالنسبة للصخرة التى وضعها رسول الله ﷺ عند قبره لأنها وإن كانت كبيرة فهى لاتصل إلى هذا الحد الذى لايستطيع أن يثب عليها إلا الشاب

القوى، لأن النبى ﷺ حملها بيده الشريفة ووضعها عند القبر. وأيضًا لو كان ذلك بالنسبة لها لقال: وإن أشدنا الذى يثب الصخرة التى على قبر عثمان بن مظعون مع أنه عبر بالقبر دون الصخرة، فدل على أنه كان مبنيًا فى زمن الخلفاء الراشدين الذين فهموا أن وضع العلامة على قبره هى الإذن فى البناء عليه.

٣ - وقال ابن أبى شيبة فى المصنف: حدثنا وكيع عن أسامة بن زيد عند عبد الله بن أبى بكر قال: رأيت قبر عثمان بن مظعون مرتفعًا. فهذا صريح فى أنه كان مبنيًا بناء مرتفعًا، وقال ابن أبى شيبة أيضا: حدثنا ابن علية عن منصور بن عبد الرحمن عن الشعبى قال: أتيت على قبور الشهداء بأحد فإذا هى شاخصة من الأرض، والقبور المشخصة بالتراب لايمكن عادة أن تبقى من وقت غزوة أحد إلى زمن التابعين.

خامسا: البناء على قبور الصحابة وأهل البيت رضى الله عنهم قبل القرن الخامس الهجرى:

يقول عبد الله بن سليمان بن بليهد قاضى قضاة السلفية الهمفرية أن بناء القبور حدث بعد القرن الخامس الهجرى وذلك فى مقالته التى نشرتها جريدة أم القرى فى عدد جمادى الثانية ١٢٤٥هـ واتبعت السلفية الهمفرية فى ذلك الخارجى ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، فقاموا بهدم قبة أئمة البقيع من أهل البيت الطاهر عند استيلائهم على المدينة المنورة ومكة المكرمة وهدموا قبورهم الشريفة وسووها بالأرض وشوهوا محاسنها وتركوها معرضة لوطء الأقدام ودوس الكلاب، وكذلك سيد الشهداء حمزة رضى الله عنه بأحد وقبته والمسجد الذى عنده، وقبور سائر الصحابة والتابعين وغيرهم فى مكة المكرمة والمدينة المنورة.

وهذا الزعم من القرنيين يبين منه: أنه كلام مرسل على عواهنه، وكيل جزافى يدل على مبلغ القرنيين من العلم «الهمفرى»، وجهلهم بالعلم الإسلامى أو التاريخ، ولا أدل على ذلك مما ورد فى أمهات كتب التاريخ والسير.

١ - ذكر السمهودى فى «وفاء الوفاء» أن عقيلًا لما حفر بئرًا فى داره وجد حجرًا مكتوبًا عليه هذا قبر أم حبيبة فدفن البئر وبنى عليه بيتًا. وإن ابن السائب قال: دخلت البيت فرأيت القبر.

٢ - ورد فى «عمدة الطالب» وغيره أن هارون الرشيد بنى قبة على قبر أمير المؤمنين على عليه السلام وكان هارون الرشيد قد قام ببناء القبة فى القرن الثانى الهجرى ثم تتابع

الباقون فى بنائها إلى اليوم وفيها يقول الحسين بن الحجاج الشاعر المتوفى سنة ٢٩١هـ فى مطلع قصيدته :

يا صاحب القبة البيضا على النجف من زار قبرك واستشفى لديك شفى

٣ - وعن الخطيب البغدادى المولود سنة ٣٩٢هـ فى « تاريخ بغداد » أن موسى الكاظم عليه السلام دفن فى بغداد وقبره هناك مشهور يزار وعليه مشهد عظيم فيه القناديل وأنواع الآلات والفرش ويدل على وجود قبة عند دفن الكاظم عليه السلام سنة ١٨٣هـ .

٤ - ذكر المؤرخون وعلماء الأثر وجل من كتب التراجم أن الأئمة زين العابدين والباقر والصادق عليهم السلام دفنوا فى قبة الحسن عليه السلام والعباس رضوان الله عليهم بالبقيع وكانت وفاة زين العابدين سنة ٩٥هـ ووفاة الباقر عليه السلام سنة ١١٢هـ ووفاة الصادق عليه السلام سنة ١٢٨هـ.

٥ - وعن تاريخ الخلفاء للسيوطى أن المتوكل العباسى سنة ٢٣٦هـ أمر بهدم قبر الحسين عليه السلام وذلك لعداوته لأهل البيت النبوى ، ومنع الناس من زيارته ، فتألم المسلمون من ذلك وكتب أهل بغداد باستنكار ذلك منه وشتموه على الحيطان والمساجد ، وهجاه أحد الشعراء ، فمما قيل فى ذلك :

تا الله إن كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله فغدا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على ألا يكونوا شاركوا فى قتله فتتبعوه رميما

فالسلفية الهمفرية اقتدت - فى أعمالها بهدم القباب التى كانت على أمهات المؤمنين وأهل البيت والصحابة بالبقيع والمعلى - بالمتوكل العباسى الذى أساء جميع المسلمين بعمله فى زمنه كما أساءت السلفية الهمفرية جميع المسلمين من بعده بعملهم ، ثم أخذ الله المتوكل العباسى أخذ عزيز مقتدر ، فسلط عليه ولده المنتصر من قتله شر قتله ، فكان هذا مصير كل من يعتدى بالقول أو بالفعل على الصحابة وأهل البيت وأولياء الله الصالحين رضى الله عنهم أجمعين .

سادسا : البناء على قبور الأنبياء والأولياء والعلماء والصلحاء فى فقه المذاهب الأربعة :

فقه الحنفية :

أفتى القدورى - من أئمة الحنفية - ونحوه بهدم أبنية القرافة فى الأرض الموقوفة إلا مشاهد الصالحين ، أما فى الأرض المملوكة فنقول : فيه الجواز مطلقا قياسا على أمر الرسول ﷺ بسد كل خوخة فى المسجد النبوى إلا خوخة أبى بكر . وهذا الاستنباط دقيق لا يدركه إلا الأئمة المجتهدون كالقدورى .

فقه المالكية :

أفتى العز بن عبد السلام بهدم القباب والأبنية الكثيرة الواقعة فى قرافة مصر لأنها واقعة فى أرض موقوفة على دفن المسلمين واستثنى من ذلك قبة الإمام الشافعى وقال : لأنها مبنية فى دار ابن الحكم . وهذا منه ذهاب إلى جواز بناء القباب على مثل قبر الإمام الشافعى رضى الله عنه ، إذا كان ذلك فى الملك ولم يكن فى أرض الحبس .

فقه الشافعية :

البناء على القبر جائز بلا كراهة ، بهذا أفتى البجيرى - وهو من أئمة الشافعية - فى حاشيته على شرح الخطيب على متن أبى شجاع . وقال البرماوى - وهو من أئمة الشافعية -: يجوز بناء قبور الأنبياء والشهداء والصالحين ونحوهم . وقال الرحمانى : يجوز بناء قبور الصالحين ولو بقية لإحياء الزيارة بالتبرك ، وقال الحلبى : ولو فى أرض مسبلة . وأفتى بذلك وقال : أمر به الشيخ الزيادى . وأفتى الحافظ السيوطى باستثناء قبور الأنبياء والأولياء ولو كانت فى الأرض المحبسة (راجع بذل المجهود فى خزانة محمود) .

فقه الحنابلة :

يقول ابن مفلح فى « المستوعب والمحرر والفصول » - وهو الذى يقول فيه الخارجى ابن القيم : ماأعلم تحت أديم السماء أعلم فى الفقه على مذهب أحمد بن حنبل من ابن مفلح - القبة والبيت والحوش على القبر إن كان فى ملكه فعل ماشاء ، وإن كان فى أرض موقوفة كره للتضييق بلا فائدة ، أى أنه إذا تحققت الفائدة انتفت الكراهة فى مذهب ابن حنبل .

فقه الظاهرية :

وصرح ابن حزم فى (المحلى) بجواز بناء البيت بدون كراهة، وهو مذهب الظاهرية.

فقه الزيدية :

وفى المنتزع المختار من الغيث المدرار المفتح لكمائم الأزهار فى فقه الأئمة الأطهار - من كتب الزيدية - يكره البناء على القبر زائدا على قدر شبر - إذا كان الميت غير فاضل مشهور الفضل، ولا بأس بما يكون تعظيما لمن يستحقه كالمشاهد والقباب التى تستمر للأئمة الفضلاء. راجع كذلك «البحر الزخارى» من الكتب المعتمدة عند الزيدية. كما جاء فى (نوادر الفصول) وغيره من أن السيدة فاطمة عليها السلام كانت تأتى قبر عمها حمزة رضى الله عنه فترمه لئلا يندرس كما هو ثابت فى كتب الحديث والسيرة.

ثبوت الاحترام لقبور الأنبياء والأولياء والعلماء والصلحاء.

من ذلك كله يعلم أن البناء على القبور واتخاذ المساجد عليها لاحقًا وسابقًا راجح إذا كان على قبر نبى أو ولى أو عالم أو عابد أو صالح وغيرهم ممن يكون تعظيمه من تعظيم شعائر الله تعالى. وهذا الوجه مما يهدم كل أساس بنى عليه السلفية الهمفرية شبهاتهم ولا يرتاب فيه إلا مكابر معاند، فإنك إذا أحطت علمًا بما سردناه فى هذا الباب والباب السابق من تاريخ بناء الحجرة الشريفة النبوية من مبدأ أمرها إلى يومنا هذا، وما بنى على قبور الصالحين من الصحابة والأئمة الأولياء والصلحاء علمت أن المسلمين عمومًا من الصدر الأول إلى اليوم من جميع النحل والمذاهب الإسلامية متفقون على جواز البناء على القبور وعقد القباب عليها، عدا القرنيين أبناء السلفية الهمفرية، فإنهم مخالفون لما عليه الأمة الإسلامية جمعاء ولمذهب السلف الصالح الذين يتغنون دائمًا بأنهم متبعون له - كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا - حيث علمت أن الصحابة جميعًا ومنهم الخلفاء الأربعة اتفقوا على دفنه ﷺ فى بيته وحجرته التى كان يسكنها مع زوجته أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها وهى مبنية مسقفة، ولو كان البناء على القبور غير جائز لما خفى على الصحابة عموما ولو حَرُم ابتداء لحَرُم استدامةً، ثم دفن أبو بكر وعمر مع النبى ﷺ فى تلك الحجرة وعد ذلك أعظم منقبة لأبى بكر وعمر.

وتتابع ابن الزبير وعمر بن عبد العزيز وملوك الإسلام وأمراؤُهم فى بناء الحجرة الشريفة،

عقبة المنيفة ، جيلًا بعد جيل وقرنًا بعد قرن وخلفًا عن السلف ، متقربين بذلك إلى الله رجين ثوابه ، ولم يُسمع من أحد أنه لامهم على هذا الفعل ، أو خطأهم فيه أو منعهم منه من علماء الذين كانت لهم الكلمة النافذة عند الملوك والأمراء ، وليس ترك ذلك شيئًا مخلًا بسلطتهم وسياستهم للملك حتى يخافهُم العلماء فيه ، بل هو أمر دينى محض لايخالفهم فيه ملك ولا أمير . ولا يخرج قصد الملوك والأمراء فى ذلك عن أحد أمرين : طلب الثواب منه تعالى ، والفخر عند الناس ، كل ذلك لا يتم لهم مع نهى العلماء عنه وتحريمه ، فإذا كان هذا الأمر الذى اتفق عليه الصحابة من صدر الإسلام والتابعون وتابعوا التابعين وعلماء المسلمين وعامتهم وملوكهم وصعاليكهم خلفًا عن سلف ، وجيلًا بعد جيل ، قطعيًا وجماعيًا ، ففى أى حكم فى الشريعة يمكن دعوى القطع والإجماع ؟ وإذا لم يكن السلف قدوة فى مثل هذا ففى أى شىء يقتدى بهم ؟!

ويقول مثلث الكفريات « ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب » عن أنفسهم أنهم سلفيون .. نعم .. هم سلفيون همفريون لاسلفيون صالحون .

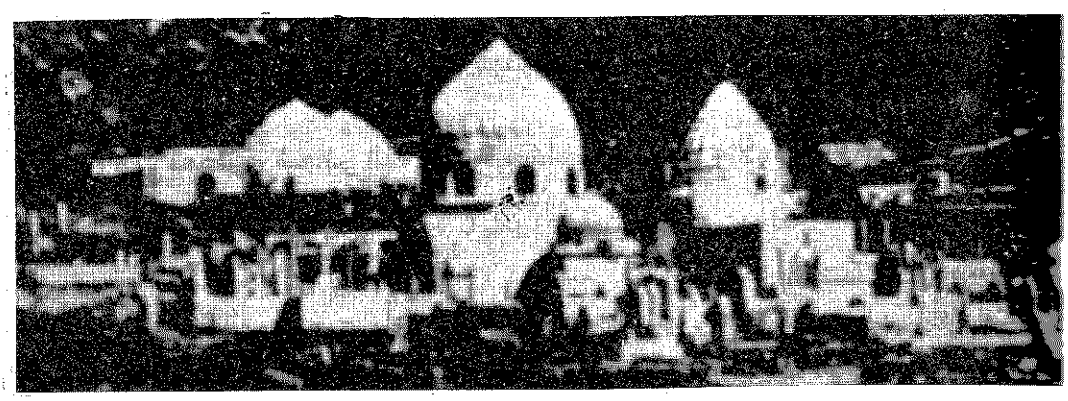

مقبرة المعلى بمكة المكرمة وقد ظلت من القرن الأول حتى القرن الثالث عشر قبل أن يهدمها الوهابيون سنة ١٣٤٣هـ وفيها روضة أم المؤمنين السيدة خديجة رضى الله عنها ، وأم النبى ﷺ السيدة آمنة رضى الله عنها ، وجدى النبى ﷺ سيدنا عبد مناف وعبد المطلب رضى الله عنهما .

الفصل السادس

تعظيم شعائر الله تعالى

احترام الأنبياء والأولياء موجب لاحترام مشاهدهم :

إن حرمة قبور الأنبياء والأولياء والعلماء والصلحاء، وفضلها وشرفها وبركتها ضرورى عند الصحابة والتابعين وتابعيهم وجميع المسلمين، لايرتاب فى ذلك أحد إلا السلفيون الهمفريون، فيجب على كل مسلم احترامها وتعظيمها بزيارتها والبناء عليها وحفظها عن دوس الأقدام، وروث الدواب والكلاب وغير ذلك، لأن ذلك من تعظيم شعائر الله وحرماته.

وحرم على المسلم كل مايوجب إهانتها واحتقارها وامتهانها بهدمها أو هدم قبابها وجعلها معرضة لوطء الأقدام وروث الدواب والكلاب ووقوع القاذورات فإن ذلك كله لاشك أنه إهانة لها ولأهلها، وقد دل العقل والنقل على حرمة إهانتهم ووجوب تعظيمهم أحياء وأمواتا، فلا يكون تعظيمها عبادة لها ولا كفرًا ولا شركًا - كما يقول « السلفيون الهمفريون البريطانيون » - بل تعظيمها لله تعالى وعبادة له كتعظيم الكعبة والحرم والحجر الأسعد والمساجد والمشاهد وكل شيء أمر الله بتعظيمه من المخلوقات.

أولا : إن من تعظيم شعائر الله إقامة مشاهد الأنبياء والأولياء لاهدمها :

شبهات وأباطيل حول إقامة المشاهد :

تتذرع السلفية الهمفرية - وأعنى الوهابية التى أسسها مستر همفر مدير المخابرات فى وزارة المستعمرات البريطانية - بأن البناء على القبور ممنوع بالحديث الوارد عن أبى الهياج الأسدى قال : « ألا أبعثك على مابعث عليه رسول الله ألا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته ».

الرد على شبهات وأباطيل منع إقامة المشاهد :

١ - **ضعف هذا الحديث :** وهذا الحديث مقدوح فى سنده، ففى سنده « وكيع » الذى قال

فى حقه أحمد بن حنبل إنه أخطأ فى خمسمائة حديث، حكاه الحافظ بن حجر العسقلانى فى تهذيب التهذيب الجزء ١١ ص ٢١٥ .

٢ - **اضطراب متن هذا الحديث**: إن هذا الحديث شاذ انفرد به أبو الهياج الأسدى، وفى هذا يقول السيوطى فى شرح سنن النسائى: إنه ليس لأبى الهياج فى الكتب إلا هذا الحديث الواحد. راجع السيوطى فى شرح سنن النسائى ص ٢٨٦ .

٣ - **التسوية ليس معناها الهدم**: إن رواية أبى الهياج الأسدى لادلالة فيها على أن المراد بالتسوية جعل المدفن مساويا للأرض من غير تعليته، بل اللفظ فى هذا الخبر كاللفظ فى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[1] وقوله تعالى: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا﴾[2] والمراد من التسوية فى الآيتين التعديل فى رفع السماء وخلقة البشر كما قال عز شأنه: ﴿فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾[3].

٤ - إنه خبر متروك الظاهر بالاتفاق، لأن الأئمة متفقون على كراهية تسوية القبر، وعلى استحباب رفعه، بل عند الحنفية قول بوجوب ذلك.

٥ - إنه مخالف للسنة الثابتة عند رسول الله ﷺ والصحابة بعده من رفع القبور وتسنيمها، ومخالف لروضة النبى ﷺ وصاحبيه رضى الله عنهما، وحينئذ فلا بد من أحد أمرين: إما أن يكون غير ثابت فى نفسه أو محمول على غير ظاهره.

٦ - وإذا ثبت أنه على غير ظاهره وأنه يجب رده أو تأويله ليتفق مع الأحاديث الأخرى التى هى أقوى منه سندًا ومتنا، فقد أجاب عنه الأئمة الفقهاء كما ذكره غير واحد، منهم النووى فقال فى شرح المهذب: أجاب عنه أصحابنا قالوا: لم يرد تسويته بالأرض وإنما أراد تسطيحه جمعا بين الأحاديث، أى يكون حجة للشافعية ومن وافقهم فيما ذهبوا إليه من أن تسطيح القبر أولى من تسنيمه، ولئن كان هذا المراد فهو حجة ظاهرة قوية فى تأييد مذهبهم.

٧ - إن هذا الحديث يراد به قبور المشركين التى كانوا يقدسونها فى الجاهلية وفى بلاد الكفار التى افتتحها الصحابة رضى الله عنهم بدليل ذكر التماثيل معها، وإلا فالسنة وعمل الصحابة على خلافه بالنسبة لقبور المسلمين، وقد مر أن قبور الشهداء كانت مرتفعة،

---

(١) سورة الحجر آية ٢٩ .

(٢) سورة النازعات آية ٢٨ .

(٣) سورة الانفطار آية ٧ .

ومن فعل بها ذلك سيدنا على بن أبى طالب عليه السلام نفسه، لأنه كان وقتئذ بالمدينة، وهو من أهل الحل والعقد فى الأمور.

ولو كان عنده أمر من النبى ﷺ بتسوية القبور لما وافق على رفع قبره ﷺ وقبر صاحبيه رضى الله عنهما، فكيف يجوز مع هذا أن يأمر أبو الهياج بتسوية القبور؟!.

٨ - إن الحكيم الترمذى روى عن سيدتنا فاطمة عليها السلام أنها كانت تأتى قبر سيدنا حمزة رضى الله عنه فترمه وتصلحه، وكذلك رواه أحمد فى مسنده ونقله عنه ابن عبد البر فى التمهيد أنها كانت تتعاهد قبر سيدنا حمزة رضى الله عنه كل سنة وترمه وهذا فى حياة رسول الله ﷺ لأنها لم تعش بعده إلا ستة شهور، كما أنها ماكانت تخرج لذلك إلا بإذن من زوجها وموافقته، فلو كان عنده أمر من النبى ﷺ بتسوية القبور كما يقول أبو الهياج لما وافق زوجته على ذلك.

ولو كان عنده أمر بذلك من النبى ﷺ لما تأخر عن تنفيذه لا سيما فى زمن خلافته وإفضاء الأمر إليه.

٩ - ثبت فى الآثار السابقة أن قبور الصحابة والشهداء كانت مرتفعة فى زمن الخلفاء الراشدين وبعدهم فى زمان التابعين، فوجب أن يكون مراد سيدنا على عليه السلام قبور المشركين أو يكون الخبر مردودًا، وغير هذا لايكون أصلًا.

ثانيا: إن من تعظيم شعائر الله الكتابة على مشاهد الأنبياء والأولياء:

شبهات وأباطيل حول الكتابة على المشاهد:

منعت السلفية الهمفرية الكتابة على مشاهد الأنبياء والأولياء بما رواه ابن ماجه عن عبد الله بن سعيد عن حفص بن غياث عن ابن جريح عن سليمان بن موسى عن جابر: نهى رسول الله ﷺ أن يكتب على القبور شيء.

الرد على شبهات وأباطيل منع الكتابة على المشاهد:

١ - إن هذا الحديث ضعيف فى السند، فحديث ابن ماجه فى سنده حفص بن غياث الذى قدحوا فى حفظه وقالوا: إنه مدلس ففى «تهذيب التهذيب» لابن حجر قال يعقوب: يتقى بعض حفظه وقال ابن عمار: كان لايحفظ فكيف يكون ثقة مأمونا من يدلس؟!.

وفى سنده كذلك ابن جريح فقد قدحوا فى روايته وحفظه وقالوا: إنه مدلس، قال ابن حجر فى تهذيب التهذيب فى حقه قال الدارقطنى: تجنب تدليس ابن جريح فإنه قبيح التدليس، لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح، وقال ابن حيان: كان يدلس فكيف يكون ثقة مأمونا من يدلس ؟!.

وفى سنده سليمان بن موسى قال ابن حجر فى «تهذيب التهذيب» قال أبو حاتم: فى حديثه بعض الاضطراب، وقال البخارى: عنده مناكير، وقال النسائى: ليس بالقوى فى الحديث فكيف يكون ثقة مأمونا من يكون فى حديثه اضطراب ؟!.

فهذا حال الأحاديث التى يعتمد عليها السلفية الهمفرية فى مخالفة سيرة المسلمين.

٢ - إن الكتابة على القبور عامة مستحبة عند الشافعية ولا سيما قبور الأنبياء والأولياء والعلماء والصالحين، فإنها لاتعرف إلا بذلك عند تطاول السنين. كما أن الكتابة على القبور جائزة عند الحنفية لئلا يذهب الأثر ولا يمتهن، أما حكمها عند المالكية فهى جائزة مطلقا عند أبى الحسن بن القصار البغدادى المتوفى سنة ٣٩٨هـ. أما حكمها عند الحنابلة فيقول ابن مفلح الذى قال له ابن تيمية «أنت مفلح لاابن مفلح» فانظر ماذا يقول ابن مفلح ؟ يقول: القبة والحظيرة والتربة إن كان فى ملكه فعل ماشاء، وإن كان فى مسبلة - وهى الأرض الموقوفة - كره للتضييق بلا فائدة، ويكون استعمالا للمسبلة فيما لم توضع له (راجع كتاب الجنائز ص ٦٨١ - ٦٨٢).

٣ - استمرار الكتابة على القبور من عهد بعيد كما فى «وفاء الوفاء» عن المسعودى فى مروج الذهب أن أبا عبد الله جعفر بن محمد الحسن توفى سنة ١٤٨هـ ودفن بالبقيع مع أبيه وجده قال: وعلى قبورهم فى هذا الموضع من البقيع رخامة مكتوب عليها «بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مبيد الأمم ومحيى الرمم هذا قبر فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيدة نساء العالمين وقبر الحسن بن على وعلى ابن الحسين بن على وقبر محمد ابن على وجعفر بن محمد عليهم السلام، وذكر أن هذا كان فى سنة ٣٢٢هـ. ثم قال السمهودى: روى ابن أبى شيبة عن محمد بن يحيى قال: سمعت من يذكر أن قبر أم سلمة رضى الله عنها بالبقيع حيث دفن محمد بن زيد بن على، وأنه كان حضر فوجد على ثمانية أذرع حجرا مكسورا مكتوبا فى بعضه: أم سلمة زوج النبى ﷺ، فبذلك عرف أنه قبرها وأمر محمد بن زيد بن على أهله أن يدفنوه فى ذلك القبر بعينه. ويتضح من كل ما تقدم أن الكتابة على قبور الأنبياء والأولياء سيرة المسلمين من عهد

الصحابة وما بعدهم .

ثالثا : إن من تعظيم شعائر الله الصلاة والدعاء عند مشاهد الأنبياء والأولياء :

شبهات وأباطيل ابن تيمية فى الصلاة والدعاء عند مشاهد الأنبياء والأولياء :

يقول ابن تيمية فى كتابه رسالة زيارة القبور ص ١٥٩، ١٦٠ : « إن الصحابة كانوا إذا جاءوا عند قبر النبى ﷺ يسلمون عليه فإذا أرادوا الدعاء لم يدعوا الله مستقبلى القبر ، بل ينحرفون ويستقبلون القبلة ويدعون الله وحده كما فى سائر البقاع ، ولهذا لم يذكر أحد من أئمة السلف - عفوا يقصد السلف الهمفرى - أن الصلاة عند القبور وفى مشاهدها مستحبة ولا أن الصلاة والدعاء هناك أفضل منها فى غيرها بل إن الصلاة فى المساجد والبيوت أفضل منها فى غيرها بل إن الصلاة فى المساجد والبيوت أفضل منها عند قبور الأنبياء والصالحين ، ثم ذكر ابن تيمية بعض الآيات والأخبار الواردة فى المساجد كقوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ** ...﴾[1] وقوله ﷺ : « من بنى لله مسجدًا بنى الله له بيتًا فى الجنة »[2] وقال ابن تيمية إنه لم يرد مثل هذه الآيات والأحاديث فى المشاهد .

الرد على شبهات وأباطيل ابن تيمية وذيوله فى منع الصلاة والدعاء عند المشاهد :

١ - إن الشرع يجوِّز الصلاة والدعاء فى كل مكان ، والأرض كلها لله تعالى ، وقد قال النبى ﷺ : « جعلت لى الأرض مسجدًا وطهورًا »[3] والصلاة والدعاء جائز فى كل بقاع الأرض ، ويرجح الصلاة والدعاء فى الأماكن التى ثبت شرفها شرعا ، لتشرف

---

(١) سورة التوبة آية ١٨ .

(٢) رواه مسلم فى كتاب المساجد الحديث رقم ٢٤، ٢٥ وكتاب الزهد الحديث رقم ٤٣، ٤٤ والبخارى فى كتاب الصلاة الباب ٦٥ وأبو داود فى كتاب السنة الباب ٢٤ والترمذى فى كتاب الصلاة الباب ١٢٠، ١٨٩، ٢٠٤ والنسائى فى كتاب المساجد الباب الأول وابن ماجه فى كتاب المساجد الباب الأول والتاسع وكتاب الإقامة الباب ١٨٥ وكتاب التجارات الباب ٤٠ .

(٣) رواه البخارى فى كتاب التيمم الباب الأول وكتاب الصلاة الباب ٥٦ ومسلم فى كتاب المساجد الحديث ٣، ٤، ٥ وأبو داود فى كتاب الصلاة الباب ٢٤ والترمذى فى كتاب المواقيت الباب ١١٩ وكتاب السير الباب ٥ والنسائى فى كتاب الغسل الباب ٢٦ وابن ماجه فى كتاب الطهارة الباب ٩٠ والدارمى فى كتاب الصلاة ١١١ وكتاب السير الباب ٢٨ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٢٥٠، ٣٠١ والجزء الثانى صفحة ٢٢٢، ٢٤٠، ٢٥٠، ٤١٢، ٤٤٢، ٥٠٢ والجزء الثالث صفحة ٣٠٤ والجزء الرابع صفحة ٤١٦ والجزء الخامس صفحة ١٤٥، ١٤٨، ١٦١، ٢٤٨، ٢٥٦، ٣٨٣ .

المكان بالمكين الموجب لتشرف روضة رسول الله ﷺ بحلول جسده الشريف فيه، ويدل عليه عمل المسلمين خلفا عن سلف.

٢ - ويدل على رجحان الدعاء عند قبر النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿وَلَو أَنَّهُم إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُم جَاءُوكَ فَاستَغفَرُوا اللَّهَ وَاستَغفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[1] وإن حرمته ﷺ ميتا كحرمته حيا كما سبق أن ذكرت في الباب السابق عندما قال الإمام مالك للخليفة العباسي المنصور. وقد استشهد بالآية المذكورة أهل المذاهب وشمس الدين الجزرى فى الحصن الحصين الذى قال: إن لم يستجب الدعاء عند روضة النبى ﷺ ففي أى موضع يستجاب؟! ولا ينافى ذلك مادل على أن أفضل الجهات جهة القبلة لأن العام يخصص والمطلق يقيد.

وفى قول الخليفة المنصور للإمام مالك: أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ؟ دلالة واضحة على أن الدعاء عند الروضة الشريفة كان مشهورا معروفا لايشك أحد فى رجحانه، وإنما الذى توقف فيه المنصور أن استقبال القبلة حال الدعاء أفضل أم استقبال القبر.

أما كون الصلاة والدعاء عند القبور وفى مشاهدها أفضل منها فى غيرها فيكفى مادل على شرف تلك البقاع بشرف من دفن فيها الذى صار ملحقا بالضروريات فى شرع الإسلام كما شرف جلد الشاة بكونه جلدا للمصحف.

٣ - أن الصلاة لله فى المسجد طلبا لشرف المكان مستحبة وليست عبادة للمسجد، فالمسلمون يصلون عند قبور شرفت بمن دفن فيها لتنالهم بركة أصحابها الذين جعلهم الله مباركين، كما يصلون عند المقام الذى هو حجر شرف بملامسته رجل سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام لقوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[2] الذى يفهم منه أن سبب اتخاذ المصلى عنده تبرك الحجر بقيام سيدنا إبراهيم عليه، ويدعون الله عندها لشرفها أيضا بمن دفن فيها، فيكون دعاؤهم عندها أرجى للإجابة.

ومما تقدم يتضح أن قول ابن تيمية وذيوله على أن الصلاة فى البيوت أفضل منها عند قبور الأنبياء والصالحين دعوى مجردة عن الدليل، فمن هو الذى صرح بذلك من أئمة السلف فضلا عن كلهم؟؟ فليأتنا ابن تيمية بواحد منهم - سوى مثلث الكفريات: هو، وابن عبد

---

(١) سورة النساء آية ٦٤.

(٢) سورة البقرة آية ١٢٥.

الوهاب الهمفرى، وابن القيم الخارجى - إن كان من الصادقين؟!.

٤ - وفى رحلة الإسراء والمعراج عن النبى ﷺ قال: «فركبت ومعى جبريل فسرت فقال: انزل فصل، ففعلت. فقال: أتدرى أين صليت؟ صليت بطيبة وإليها المهاجرة، ثم قال: انزل فصل، ففعلت، فقال: أتدرى أين صليت؟ بطور سيناء حيث كلم الله تعالى موسى، ثم قال: انزل فصل، ففعلت، فقال: أتدرى أين صليت؟ صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى» (راجع الخصائص الكبرى للإمام السيوطى).

ومن رحلة الإسراء والمعراج يفهم أن محل ولادة عيسى ينبغى الصلاة فيه كطيبة وطور سيناء لفضله وبركته بولادة عيسى فيه، أفلا يكون المكان الذى بورك بوجود جسد النبى ﷺ فيه مباركا مستحقا لاستحباب الصلاة وعبادة الله تعالى فيه؟!!.

٥ - يقول الخارجى ابن القيم فى كتابه زاد المعاد: «إن عاقبة صبر سيدتنا هاجر وابنها إسماعيل عليهما السلام على البعد والوحدة والغربة والتسليم إلى ذبح الولد آلت إلى ما آلت إليه من جعل آثارهما ومواطىء أقدامهما مناسك لعبادة المؤمنين وتعبدات لهم إلى يوم القيامة». فإذا كانت آثار إسماعيل وهاجر عليهما السلام لأجل مامسهما من الأذى - على حد قول الخارجى ابن القيم - مستحقة لجعلها مناسك وتعبدات، فآثار أفضل المرسلين الذى قال: «ما أوذى نبى قط كما أوذيت»[1] ألا تستحق أن يعبد الله فيها، وهل تكون عبادة الله عندها والتبرك بها شركا وكفرا؟!!.

٦ - كانت أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها ساكنة فى الحجرة التى دفن فيها النبى ﷺ وبقيت ساكنة فيها بعد دفنه ﷺ ودفن صاحبيه رضى الله عنهما، وكانت تصلى رضى الله عنها فيها، وذلك دليل عملى يبطل قول ابن تيمية بعدم جواز الصلاة والدعاء عند القبور كما سبق أن فندنا مزاعمه فى الباب السابق.

رابعا: إن من تعظيم شعائر الله إنارة مشاهد الأنبياء والأولياء:

شبهات وأباطيل حول إنارة المشاهد:

منعت السلفية الهمفرية إنارة روضة النبى ﷺ بعدما كانت منارة حتى عام ١٣٤٦هـ،

---

(١) أورده ابن حجر فى فتح البارى ٧/ ١٦٦، والمتقى الهندى فى كنز العمال ٢٢٦١، ٥٨١٧، ٣٢١٦٠ وأبو نعيم فى حلية الأولياء ٦/ ٣٣٣.

مستندين فى ذلك بالحديث الذى سبق أن بينا ضعف سنده وهو: «لعن الله زوارات القبور - أو زائرات القبور - والمتخذين عليها المساجد والسرج». ومع تسليم السند فالمنع عند السلفية الهمفرية محمول على صورة عدم المنفعة، لانصرافه إلى ذلك فيكون تضييعا للمال.

الرد على شبهات وأباطيل منع إنارة المشاهد:

إن هذا الحديث ضعيف السند كما سبق أن بيّنا فى الأبواب السابقة، ومع ذلك فهو محمول على صورة عدم المنفعة لانصرافه إلى ذلك فيكون تضييعا للمال. والرد على ذلك: أن إنارة مشاهد الأنبياء والأولياء لقراءة القرآن والأدعية والصلاة، وانتفاع البائتين فيها ليس بمكروه أو محرم للنفع الظاهر فى ذلك، فيكون من التعاون على البر والتقوى المأمور به فى الكتاب المجيد، ويكون نظير ماحكى عن الترمذى أنه روى عن ابن عباس أن النبى ﷺ دخل قبرا ليلا فأسرج له سراج، قال المقريزى فى شرح الجامع الصغير ص ١٩٨ الجزء الثانى فى شرح قوله والسرج: محل ذلك حيث لاينتفع بها الأحياء إلى أن قال: فإن كان هناك من ينتفع به صح ذلك، وقال السندى فى حاشية سنن النسائى: والنهى عنه لاتضييع مال بلا نفع، فدل على أنه لانهى حيث يكون هناك نفع. وقال الشيخ الحفنى فى حاشية الجامع الصغير: يحرم إسراج القناديل على قبر الولى ونحوه حيث لم يكن ثم من ينتفع لما فيه من إضاعة المال لا لغرض شرعى.

خامسا: إن من تعظيم شعائر الله تزيين مشاهد الأنبياء والأولياء بالكسوة وغيرها:

شبهات وأباطيل حول تزيين المشاهد:

يقولون إن تزيين أضرحة الأنبياء والأولياء بالكسوة والعمائم وإيقاد السراج فيها وتظليلها حرام، لأنها مما لاينتفع بها، ويستندون فى ذلك إلى أن سيدنا عمر رضى الله عنه، رأى قبة على قبر ميت فنحاها، وقال رضى الله تعالى عنه: دعوة يظله عمله. ويتعلل هؤلاء بحديث ابن عباس الذى يقول فيه: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج».

الرد على شبهات وأباطيل منع تزيين المشاهد :

ونقول ردا على هؤلاء :

١ - إن من القواعد المعروفة شرعًا أصالة الإباحة فى الأفعال والأقوال : مالم ينه عنه الشارع خصوصا أو عموما من غير معارض ، وعليها الأدلة من الإجماع وحكم العقل والنقل .

وقد اعترف بها ابن تيمية قائلا فى منهاج السنة فى الرد على الأشاعرة القائلين بتعذيب من لا ذنب له : « بأن هذا مخالف للكتاب والسنة والعقل أيضا » .

وبالبناء على ماتقدم يكون إنكار هؤلاء تزيين أضرحة الأنبياء والأولياء بالكسوة والإسراج وغيرها ، إنكارا فيما لم يرد من الشرع فيه نهى وزجر ، لأصالة الإباحة الدالة عليها فى قوله تعالى : ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ** ﴾[1] وأن الحكم فيها بالانتهاء والارتداع جزما وحتما خلاف ماعليه كتاب الله وسنة رسوله ، بل يكون قول هؤلاء بدعة لأنه إدخال ماليس من الدين فى الدين .

٢ - قياس تزيين أضرحة الأنبياء والأولياء بالكسوة والإسراج وغيرها ، بتزين الكعبة وكسوتها والإسراج وغيرها ، فإن الجهة واحدة والإسراج وعدم الاستفادة بها علة مشتركة على حد زعم السلفية الهمفرية .

والحال أن سيرة الخلفاء الراشدين على تعظيم الكعبة بذلك ، بل وسيرة النبى ﷺ كما يشهد بذلك التاريخ وكتب الحديث وقد ذكر ذلك ابن خلدون فى مقدمته .

٣ - (أ) إن مانقل عن سيدنا عمر من قوله رضى الله عنه : دعوه يظله عمله ، غايته - إن صح - كراهة التظليل دون الحرمة ، كيف وروضته ﷺ وروضة أبى بكر وعمر تحت السقف بمرأى المسلمين والصحابة والتابعين إلى يومنا هذا ؟؟!!.

(ب) مافى البخارى والعقد الفريد من أنه لما مات سيدنا الحسن بن على رضى الله عنه ضربت امرأته القبة على قبره ، ومعلوم أن القبة تظل القبر ، ولأجل ذلك يتضح المصير إلى أن الكراهة - إن صحت - ترتفع ببعض المصالح العامة ، مثل حفظ الزائر والقارىء عند القبر من الحر والبرد ، وهى مصلحة راجحة عند المسلمين ، وإن لم ينتفع بها الميت .

٤ - إن رواية ابن عباس : « لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد

---

(١) سورة التوبة آية ١١٥ .

والسرج » :

(أ) إن هذا الحديث خبر واحد ظنى ، لايقاوم الأخبار المتواترة المفيدة للقطع ، فلا ترتفع اليد عن القطع بالظن .

(ب) إن اللعنة قبل النسخ كما تدل عليه رواية ابن مليكة عن عائشة رضى الله عنها حين أقبلت من المقابر قلت : أليس كان رسول الله ﷺ نهى عنها ؟ قالت : نعم ثم أمر بها . وقال محمد بن محمد ابن عبد الهادى فى حاشية النسائى فى شرح قوله ﷺ « نهيتكم » جمع بين الناسخ والمنسوخ والنهى والإذن .

(جـ) إن النهى موجه إلى النساء لحرمة خروجهن من بيوتهن بغير الإذن ، أو لما فى الخروج من لزوم الفساد .

ولو صح قول هؤلاء فى حرمة ذلك ، لخالفتها السنة وعمل المسلمين ، فإن الإسراج فى روضة النبى ﷺ عليه المسلمون من زمن الخلفاء إلى يومنا هذا ، كما أن الإسراج ليس لغوا وعبثا كما يزعم هؤلاء ، فبالضياء يسترشد الزائرون والقارئون للقرآن عند روضة النبى وأهل بيته وروضات أولياء الله الصالحين ، ومن ثم فلا يكون لغوًا ولا عبثا ولا إسرافا .

٥ - إن القصد من تزيين أضرحة الأنبياء والأولياء بكسوتها والإسراج وغيرها ، هو تعظيمها فى أعين الناس ولجلب الخشوع والأدب ، هذا بالإضافة إلى حضور روحانيتهم المباركة عند قبورهم . وعليه فإن تزيين الأضرحة وكسوتها وإسراجها وغيرها أمر جائز لاينبغى النهى عنه ، والأعمال بالنيات ولكل امرىء مانوى ، فإنه - وإن كان بدعة حسنة - ولكنه هو من قبيل قول الفقهاء فى كتاب الحج : إنه بعد طواف الوداع يرجع الحاج القهقرى حتى يخرج من البيت ، لأن فى ذلك إجلالا للبيت ، حتى قال فى منهاج السالكين : مايفعله الناس من الرجوع القهقرى بعد الوداع ، ليس فيه سنة مروية ولا أثر محكى ، وقد فعله أصحابنا .

(راجع : كشف النور عن أصحاب القبور ، للشيخ عبد الغنى النابلسى) .

هذا فضلا عن أن تزيين أضرحة الأنبياء والأولياء وأئمة المسلمين بالكسوة والإسراج وغيرها فيه تعظيم لحرمات الله ، واجتلاب لمصلحة عباد الله ، لانتفاعهم بزيارة الأنبياء والأولياء وأئمة المسلمين ، ودفع مضرة المشى والحفر وغير ذلك ، والمحافظة على تعيين قبورهم وعدم اندثارها ، ولو وقعت المحافظة من الأمم السابقة على قبور أنبيائها لم تندثر ، فإن كثيرًا

من قبور الأنبياء اندثرت لعدم الاهتمام بها وقلة الاعتناء بأمرها .

سادسا : إن من تعظيم شعائر الله التبرك بمشاهد الأنبياء والأولياء بلمس أو تقبيل أو طواف :

شبهات وأباطيل التبرك بالمشاهد :

يقولون إن التبرك بأضرحة الأنبياء والأولياء بلمس أو تقبيل أو طواف يعد عبادة لهذه الأضرحة ومن ثم يكون حرامًا .

الرد على شبهات وأباطيل منع التبرك بالمشاهد :

وهذا القول مردود بأدلة كثيرة نذكر منها :

١ - إن التبرك بأضرحة الأنبياء والأولياء بلمس أو تقبيل أو طواف أو غيرها لايكون من الأفعال العبادية حتى يكون محرمًا ، وإنما هو من الأفعال العادية والحركات البدنية التى لايتوقف الإتيان بها حتى صدور الأمر من الشارع ، فلو أتى به الإنسان لايقصد العبادة لم يفعل محرمًا ، كما لو نظر إلى الضريح أو جلس عنده أو لمسه أو قبله أو غير ذلك مما لايتوقف على اتباع الشارع .

فنحن - الصوفية - نقول : إن الإنسان لو أتى بهذه الأفعال من لمس أو تقبيل أو طواف قاصدًا بها العبادة فهو كافر مشرك لاعلى حد قول غيرنا فحسب بل على إجماع المسلمين كافة ، أما لو أتى حبا وشوقًا وتبركا بصاحب الضريح إن كان نبيا أو وليًا فلا يكون عبادة حتى يكون حرامًا . وقد روى الطبرى فى الكبير والأوسط تمريغ - الصحابى الجليل بلال رضى الله عنه - وجهه على قبر سيدنا رسول الله ﷺ لما جاء لزيارته صلوات الله وسلامه عليه ، فلو كان تقبيل قبر سيدنا رسول الله ﷺ عبادة له لما فعله الصحابى الجليل بلال رضى الله عنه .

٢ - إن التمسح بروضة النبى ﷺ واستلامها ، نظير التمسح بالحجر الأسود وتقبيله واستلامه ، واستلام الركن اليمانى المسنون شرعا .

وإنك يا أخى المسلم لتعجب حينما يقولون إن الناس أمروا أن يصلوا عند مقام إبراهيم ولم يؤمروا أن يمسحوا ، فإنه إن كان المسح به حراما وكان شركًا خفيا ، فالصلاة أولى بعدم

لجواز شأنها شأن المسح ولأنها عادة فتكون مفسدة الشرك فيها أعظم من مضرة المسح ، على حد مفهومهم .. وقال الحافظ بن حجر : استنبط بعضهم من مشروعية تقبيل الحجر الأسود ، جواز تقبيل كل من يستحق التعظيم من آدمى وغيره ، ونقل عن ابن أبى الصيف اليمانى أحد علماء مكة من الشافعية جواز تقبيل المصحف ، وأجزاء المصحف ، وأجزاء الحديث وأضرحة الأنبياء والأولياء .

٣ - يقول قاضى القضاة تقى الدين أبو الحسن السبكى فى كتابه « شفاء السقام فى زيارة خير الأنام » الذى يرد على ابن تيمية مايأتى « نحن نقطع ببطلان كلامه - أى ابن تيمية - وإن المعلوم من الدين وسيرة السلف الصالحين التبرك ببعض الموتى من الصالحين ، فكيف بالأنبياء والمرسلين ؟ ومن ادعى أن قبور الأنبياء وغيرهم من الموتى المسلمين سواء ، فقد أتى أمرًا عظيمًا نقطع ببطلانه ، بل حط لرتبة النبى ﷺ إلى درجة غيره من المؤمنين ، وذلك كفر بيقين ، فإن من حط رتبة النبى ﷺ عما يجب له فقد كفر ، فإن قال : هذا ليس بحط ولكنه منع من التعظيم فوق مايجب له ، قلت : هذا جهل وسوء أدب ، ونحن نقطع بأن النبى ﷺ يستحق التعظيم أكثر من هذا المقدار فى حياته وبعد انتقاله ، ولا يرتاب فى ذلك من فى قلبه شىء من الإيمان » .

٤ - أما الطواف بأضرحة الأنبياء والأولياء فإن أريد به أنه مأمور به بخصوصه وأنه عبادة خاصة كالطواف بالكعبة فهو تشريعًا محرم ، لكن هذا لايقصده أحد ، إنما يقصد الطائف حصول البركة ، حتى لايبقى جانب من الضريح إلا وتناله بركته ، وكونه شبيها بالطواف بالكعبة لايوجب حرمته فإنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء مانوى ، وليس كل شبه بالعبادة يكون ممنوعًا وإلا لحرم تقبيل آدمى رحمة وتقبيل الميت لمشابهته تقبيل الحجر الأسود وهذا لايقول به أحد .

وفى تاريخ مكة المكرمة المسمى بالإعلام بأعلام بيت الله الحرام لقطب الدين الحنفى ص ١٤ بالهامش خلاصة الكلام عن قصص الأنبياء مايأتى حرفيا « إن إبراهيم عليه السلام لما جاء لزيارة ولده إسماعيل بمكة ، جاءته زوجة إسماعيل بحجر وهو حجر المقام الذى بنى عليه الكعبة فجلس عليه فغاصت رجلاه فى الحجر وانصرف ، فلما جاء إسماعيل وجد رائحة أبيه فسأل زوجته فأخبرته وقالت : هذا موضع قدميه ، فقبل موضع قدم أبيه من الحجر وحفظه تبركا به إلى أن بنى عليه فيما بعد إبراهيم عليه السلام الكعبة .

فهل كفر إسماعيل عليه السلام بتقبيله موضع قدم أبيه وتبركه بحجر وقف عليه أبوه ؟!

وهل هذا الحجر بوقوف إبراهيم عليه السلام صار أشرف من بقعة ضمت جسد سيد الأنبياء سيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه التى جعلتم تقبيلها والتبرك بها كفرًا وشركًا ؟! .

وفى البخارى فى باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ قوله تعالى : ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[1] قال : أئمة نقتدى بمن قبلنا ويقتدى بنا من بعدنا . اللهم اجعلنا نقتدى بمن قبلنا ولا نشذ عن سيرة نبينا وسيرة أصحابه والتابعين .

وختاما نبين خطأ من يتمسك بشبهات وأباطيل الذين قاموا بهدم قبور أهل البيت عليهم السلام وقبور الصحابة رضى الله عنهم والأولياء الصالحين بمكة والمدينة وغيرها مما احتلوه من البلاد لأن بلادهم « نجد » لم يجعل الله فيها نبيا ولا صحابيا ولا وليا ولا عالما ولا صالحا ولا عابدا منذ ظهور الإسلام إلى وقتنا هذا ، وإنما جعل بها قرن الشيطان وأتباعه خوارج القرن الثانى عشر والثالث عشر وما بعده ، فليتق الله من يتبع أذيال السلفية الهمفرية الفاسدة وضلالها المنصوص عليه من النبى ﷺ الذى سماهم كلاب النار وأخبر أنهم شر من تحت أديم السماء .

---

(١) سورة الفرقان آية ٧٤ .

الفصل السابع

زيارة روضات الأنبياء والأولياء

زيارة روضات الأنبياء والأولياء وشد الرحال إليها منصوص عليه فى الكتاب والسنة وقد فعله النبى ﷺ والصحابة رضى الله عنهم وندبه أئمة المذاهب الأربعة فى كتبهم.

شبهات وأباطيل حول منع زيارة القبور وشد الرحال إليها :

١ - منع مثلث الكفريات الخارجى ابن تيمية الحرانى، وابن عبد الوهاب النجدى وثالث الأثافى ابن القيم زيارة سيدنا رسول الله ﷺ وحرموها مطلقا مع شد الرحال إليها فضلا عن زيارة غيره؛ حكى ذلك القسطلانى فى إرشاد السارى، وابن حجر الهيثمى فى الجوهر المنظم. وزعم ثالوث الكفريات أنه محرم السفر لمشاهد الأنبياء والأولياء وأن شد الرحال إليها لاتقصر فيه الصلاة لأنه سفر معصية.

ففى الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية أن الأحاديث التى رواها الدارقطنى فى زيارة روضة النبى ﷺ كلها مكذوبة موضوعة باتفاق أهل المعرفة - «يقصد بذلك المعرفة التيمية والوهابية» - وكذلك تفرد بها الدارقطنى عن بقية أهل السنن والأئمة كلهم يرون بخلافه.

٢ - يقول الخارجى ابن تيمية الحرانى فى مقام تشنيعه على المسلمين: إن شد الرحال لزيارة مشاهد الأنبياء والأولياء معناه أنهم يحجون إلى المشاهد كما يحج الحاج إلى البيت العتيق وما هو حجهم إلا قصدهم زيارتها فسماه حجا إرادة لزيارة التهويل والتشنيع كما هى عادته.

وفى الرسالة الثانية من رسائل الهدية السنية لعبد الله بن الخارجى النجدى محمد بن عبد

الوهاب « وتسن زيارة النبى ﷺ إلا أنه لايشد الرحال إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه » واحتج السلفيون الهمفريون لذلك برواية البخارى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ والمسجد الأقصى » .

٣ - إن زيارة القبور مخصوص بالرجال دون النساء لورود بعض الروايات فى لعن زائرات القبور أو زوارات القبور ولتخصيص اللعن فيها بالزائرات أو الزوارات دون الزائرين . وتستند الوهابية لعدم جواز النساء زيارة القبور لظاهر هذا النص . وبناء عليه منعت النساء من دخول البقيع .

أولا : مشروعية زيارة روضة النبى ﷺ والرد على شبهات وأباطيل منع الزيارة :

إن زيارة روضة النبى ﷺ تدل على مشروعيتها أدلة الشرع الآتية :

١ - أدلة الكتاب :

قال تعالى : ﴿ **وَلَو أَنَّهُم إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُم جَآءُوكَ فَاستَغفَرُوا اللَّهَ وَاستَغفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا** ﴾[1] . إن المجىء إليه ﷺ معناه الزيارة والحضور سواء أكان لطلب الاستغفار أو التسليم فى حياته أو بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى لما دل عليه من حياته ﷺ الحياة البرزخية وسماعه تسليم من يسلم عليه وعرض الأعمال عليه ويقول شيخ الإسلام والمسلمين تقى الدين أبو الحسن على السبكى المعاصر للخارجى الأزارقى ابن تيمية الحرانى فى كتابه « شفاء السقام لزيارة خير الأنام » فيما حكاه عنه السمهودى فى وفاء الوفاء ص ٤١١ جزء ٢ .

والعلماء فهموا من الآية العموم لحالتى الموت والحياة واستحبوا لمن أتى روضة النبى ﷺ أن يتلوها .

ولا أدل على ذلك من حكاية الأعرابى التى نقلها جماعة من الأئمة عن العتبى واسمه محمد بن عبد الله عمر وهى مشهورة حكاها المصنفون فى المناسك من جميع المذاهب وذكرها البدعى النجدى ابن عبد الوهاب فى كتابه (أحكام تمنى الموت) صفحة ٦٨ هذه القصة رواها الإمام النووى فى كتابه الإيضاح الباب السادس ص ٤٩٨ تفسير القرطبى ج ٥ ص ٣٦٥ وابن قدامه فى كتابه المغنى ج ٣ ص ٤٩٥ .

---

(١) سورة النساء آية ٦٤ .

وذكرها ابن عساكر فى تاريخه وابن الجوزى فى «مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن» وغيرهما بأسانيدهم إلى محمد بن حرب الهلالى. ثم ذكر السمهودى هذه القصة بطريقتين آخرتين عن على عليه السلام.

٢ – أدلة السنة:

نقل السمهودى فى وفاء الوفاء الجزء الثانى من صفحة ٢٩٤ حتى ص ٤٠٢ أحاديث كثيرة عن زيارة روضة النبى ﷺ ونحن ننقلها عنه بيانا لأسانيد الزيارة فى السنة.

أ – ماورد من الأحاديث بلفظ الزيارة:

١ – الدارقطنى فى السنن وغيرها والبيهقى وغيرهما بالأسانيد من طريق موسى بن هلال العبدى عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال رسول الله ﷺ: «من زار قبري وجبت له شفاعتى»[١].

٢ – البزار عن طريق عبد الله بن إبراهيم الغفارى عن عبد الرحمن بن زيد عن أبيه عن ابن عمر عن النبى ﷺ «من زار قبرى حلت له شفاعتى»[٢].

٣ – الطبرانى فى الكبير والأوسط والدارقطنى فى أماليه وأبو بكر المقرىء فى معجمه من رواية مسلمة بن سالم الجهنى عن عبيد الله بن عمر بن نافع عن سالم عن ابن عمر قال رسول الله ﷺ: «من جاءنى زائرًا لاتحمله حاجة إلى زيارتي كان حقًا علىّ أن أكون له شفيعا يوم القيامة»[٣]، وأورد الحافظ ابن السكن هذا الحديث فى باب ثواب من زار قبر النبى ﷺ من كتابه السنن الصحاح المأثورة.

٤ – الدارقطنى والطبرانى فى الكبير والأوسط وغيرهما من طريق حفص بن داود القارى عن ليث عن مجاهدعن ابن عمر قال رسول الله ﷺ: «من حج فزار قبرى بعد وفاتى

---

(١) أورده الدارقطنى فى سننه ٢٧٨/٢ والدولابى فى الكنى والأسماء ٦٤/٢ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٢/٤ وابن حجر فى تلخيص الحبير ٢٦٧/٢ والسيوطى فى الدر المنثور ٢٣٧/١ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٤/ ٤١٧، ٣٦٣/١٠ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٤٢٥٨٣.

(٢) أورده الدارقطنى فى سننه ٢٧٨/٢ والدولابى فى الكنى والأسماء ٦٤/٢ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٢/٤ وابن حجر فى تلخيص الحبير ٢٦٧/٢ والسيوطى فى الدر المنثور ٢٣٧/١ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٤/ ٤١٧، ٣٦٣/١٠ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٤٢٥٨٣ .

(٣) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ٢/٤ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٤١٦/٤ والسيوطى فى الدر المنثور ٢٣٧/١ والطبرانى فى المعجم الكبير ٢٩١/١٢ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٣٤٩٢٨ .

كان كمن زارنى فى حياتى »[1] .

٥ - ابن عدى فى الكامل من طريق محمد بن محمد النعمان عن جده عن مالك عن نافع عن ابن عمر قال رسول الله ﷺ : « من حج البيت ولم يزرنى فقد جفانى »[2] .

٦ - الدارقطنى فى السنن من طريق موسى بن هارون عن محمد بن الحسن الجيلى عن عبد الرحمن بن المبارك عن عون بن موسى عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال رسول الله ﷺ : « من زارنى إلى المدينة كنت له شهيدًا وشفيعًا »[3] .

٧ - أبو داود الطيالسى عن سوار بن ميمون الجراح العبد عن رجل من آل عمر عن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من زار قبرى أو قال : من زارنى كنت له شفيعًا أو شهيدًا »[4] .

٨ - أبو جعفر العقيلى من رواية سوار بن ميمون عن رجل من آل الخطاب عن النبى ﷺ : « من زارنى متعمدًا كان فى جوارى يوم القيامة »[5] .

٩ - الدارقطنى وغيره من طريق هارون بن قزعة عن رجل من آل حاطب عن حاطب قال رسول الله ﷺ : « من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى »[6] .

١٠ - أبو الفتوح بسنده من طريق خالد بن يزيد عن عبد الله بن عمر العمرى عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ : « من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى وأناحى ومن زارنى كنت له شهيدًا أو شفيعًا يوم القيامة » .

١١ - ابن أبى الدنيا من طريق إسماعيل عن أبى فديك عن سليمان عن يزيد الكعبى عن

---

(١) رواه البيهقى فى السنن الكبرى ٥/٢٤٦ والدارقطنى فى سننه ٢/٢٧٨ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٤/٤١٦ والمتقى الهندى فى كنز العمال ١٢٣٦٨، ٤٢٥٨٢ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٤/٢ وابن حجر فى المطالب العالية ١٢/٤٠٧ .

(٢) أورده السيوطى فى الدر المنثور ١/٢٣٧ والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار ١/٢٥٩ وابن عدى فى الكامل ٧/٢٤٨٠.

(٣) أورده الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٤/٤١٦، ١٠/٣٦٤ والسهمى فى تاريخ جرجان ٢٢٠، ٤٣٤ والمتقى الهندى فى كنز العمال ١٤/٤٢٥ والسيوطى فى الدر المنثور ١/٢٣٧، ٢/٥٥ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٢/٢٢٤.

(٤) رواه البيهقى فى السنن الكبرى ٥/٢٤٥ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٢/٢٢٤ والمتقى الهندى فى كنز العمال ١٢٣٧١ والسيوطى فى الدر المنثور ١/٢٣٧.

(٥) أورده الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٤/٤١٦ والتبريزى فى مشكاة المصابيح ٢٧٥٥ والسيوطى فى الدر المنثور ١/ ٢٣٧ والمتقى الهندى فى كنز العمال ١٢٣٧٣ والسيوطى فى اللآلىء المصنوعة ٢/٧٢.

(٦) أورده الدرارقطنى فى سننه ٢/٢٧٨ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٤/٤١٦ وابن حجر فى تلخيص الحبير ٢/ ٢٦٦ والمتقى الهندى فى كنز العمال ١٢٣٧٢ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٢/٢٢٤ والطبرانى فى المعجم الكبير ١٢/ ٤٠٦ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٤/٢.

أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « من زارنى بالمدينة كنت له شفيعًا وشهيدًا يوم القيامة »[1] رواه البيهقى بهذا الطريق ولفظه : « من زارنى محتسبًا إلى المدينة كان فى جوارى يوم القيامة »[2] .

١٢ - ابن النجار فى أخبار المدينة بسنده عن أنس قال رسول الله ﷺ : « من زارنى ميتا فكأنما زارنى حيا ومن زار قبرى وجبت له شفاعتى يوم القيامة وما من أحد من أمتى له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر » .

١٣ - أبو جعفر العقيلى عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ : « من زارنى فى مماتى كان كمن زارنى فى حياتى ومن زارنى حتى ينتهى إلى قبرى كنت له يوم القيامة شهيدًا أو قال شفيعًا » .

١٤ - بعض الحفاظ فى زمن ابن منده بسنده عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ : « من حج إلى مكة ثم قصدنى فى مسجدى كتبت له حجتان مبرورتان » قال والحديث فى مسند الفردوس .

١٥ - يحيى بن الحسن عن جعفر الحسينى فى أخبار المدينة بسنده عن سيدنا على عليه السلام قال رسول الله ﷺ : « من زار قبرى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى ومن لم يزرنى فقد جفانى »[3] .

ب - ماورد من الأحاديث بغير لفظ الزيارة :

وفيما ورد من الأخبار والأحاديث دالا على فضل الزيارة وإن لم يكن فيه لفظ زيارة قوله ﷺ : « ما من أحد سلم على إلا رد الله علىَّ روحى حتى أرد عليه السلام »[4] .

---

(١) أورده الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٤/ ٤١٦، ١٠/ ٣٦٤ والسهمى فى تاريخ جرجان ٢٢٠، ٤٣٤ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٤٢٥٨٤ والسيوطى فى الدر المنثور ١/ ٢٣٧.

(٢) أورده الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٤/ ٤١٦ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٢/ ٢٢٤، والسيوطى فى الدر المنثور ١/ ٢٣٧.

(٣) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير ١٢/ ٤٠٦ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٤/ ٢ والبيهقى فى السنن الكبرى ٥/ ٢٤٥ وابن حجر فى المطالب العالية ١٢٣٥.

(٤) رواه أبو داود فى كتاب المناسك الباب ٩٩ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ٥٢٧ والبيهقى فى السنن الكبرى ٥/ ٢٤٥ والهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠/ ١٦٢ وابن حجر فى تلخيص الحبير ٢/ ٢٦٧ والتبريزى فى مشكاة المصابيح ٩٢٥ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٢/ ٤٩٩ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٢٢٠٠ وابن كثير فى تفسيره ٦/ ٤٦٤ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٤/ ٤١٩، ١٠/ ٣٦٥ والسيوطى فى الحاوى للفتاوى ٢/ ٢٦٤، ٢٦٩، ٢٧١ والنووى فى الأذكار النووية ١٠٧ والسيوطى فى اللآلىء المصنوعة ١/ ١٤٧.

ويسند هذا الحديث إلى الحافظ زين الدين الحسينى الدمياطى وإلى أبى داود فى سننه. واعتمد جماعة من الأمة على هذا الحديث فى مسألة الزيارة وصدر به أبو بكر البيهقى باب زيارة روضة النبى ﷺ وهو اعتماد صحيح واستدلال مستقيم وذكره ابن قدامة عن رواية أحمد ولفظه: «ما من أحد يسلم على عند قبرى» ثم ذكر أحاديث فى الصلاة والسلام عليه، وفى علمه ﷺ بمن يسلم عليه.

معنى قوله ﷺ: «إلا رد الله علىّ روحى فأرد عليه السلام».

المعنى فى هذا الحديث كما أخبر بذلك الحافظ أبو بكر البيهقى وغيره على وجهين.

١ - الوجه الأول: يعنى أنه ﷺ بعدما مات ودفن رد الله عليه روحه لأجل من يسلم عليه واستقرت فى جسده ﷺ.

٢ - أن يكون ردا معنويا وأن تكون روحه الشريفة مشتغلة بشهود الحضرة الإلهية والملأ الأعلى من هذا العالم فإذا سلم عليه أقبلت روحه الشريفة ﷺ على هذا العالم فيدرك سلام من يسلم عليه ويرد عليه.

حجية أحاديث الزيارة:

١ - إن هذه الأحاديث مع كثرتها يعضد بعضها بعضا، كما أنه لاحاجة لنا إلى الاستدلال بها للسيرة القطعية وعمل المسلمين البالغ حد الضرورة.

٢ - إن دعوى هذه الأحاديث على كثرتها مكذوبة دعوى كاذبة لايعضدها دليل وابن الجوزى وإن أورد بعضها فى الموضوعات فقد أورد البعض الآخر فى كتابه مثير الغرام الساكن واعتمد عليه كما روى فى الحديث الرابع مع أن الحديث الخامس الذى جعله موضوعا تعقبه - شيخ الإسلام والمسلمين الإمام تقى الدين أبو الحسن على السبكى - فيه وقال: إن ذكره له فى الموضوعات سرف منه كما مر، كما تعقبه غيره فى جملة من الأحاديث التى عدها فى الموضوعات وباقى من نقل عنهم لعلهم كابن الجوزى إن صح نقله.

٣ - أما قدوة هؤلاء الخارجي الأزارقى ابن تيمية الحرانى - فحاله معلوم فى التعصب لآرائه وأهوائه فى تكذيب الأحاديث المشهورة التى يعضدها العقل والنقل تبعا لشهوة نفسه وأوضح برهان ذلك تكذيبه حديث ضربة سيدنا على عليه السلام يوم الخندق

بالاستبعادات والدعاوى الباطلة حتى رد عليه صاحب السيرة الحلبية .

- إن قول أهل الشبهات والأباطيل أن هذه الأحاديث تفرد بها الدارقطنى عن بقية أهل السنن يكذبه أنه روى جملة منها غير الدارقطنى من أهل السنن وغيرهم كالبيهقى والبزار والطبراني وأبو بكر محمد المقرى والحافظ بن السكن وابن عدى وأبو معلى والإمام أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن الجوزى والعقيلى والأزدى وأبو الفتوح وابن أبى الدنيا وابن النجار ويحيى بن الحسن كما سبق أن أوردنا وابن عساكر باعتراف السلفية الهمفرية - أعنى الوهابية - .

- إذا كان الراوى بالرواية تفرد بها يوجب طرحها فما بال السلفية الهمفرية - أعنى الوهابية - لم يطرحوا حديث أبى الهياج وقد تفرد به راويه على ماعرفته فى الباب السابق الخاص بالبناء على القبور . ولكن السلفية الهمفرية تستند إلى الحديث الذى تفرد به أبو الهياج دون غيره لأن مؤداه استحلال دماء المسلمين وأموالهم ولا تطرحه ، أما الأحاديث الكثيرة الدالة على تعظيم النبى ﷺ واستحباب زيارته الثابتة بالفعل والنقل وإجماع المسلمين البالغ حد الضرورة فتستحق فى مذهبهم الطرح ؛ بدعوى تفرد الدارقطنى بها ويلتمس لها الوجوه والتأويلات لطرحها عند السلفية الهمفرية لأنهم يعظم عليهم تعظيم من عظمه الله . كما يعظم عليهم الخروج على قول مثلث الكفريات الخارجى الأزارقى ابن تيمية الحرانى والخارجى النجدى ابن عبد الوهاب وثالثهما الخارجى ابن القيم .

- يردد مثلث الكفريات فى كتبهم أن الأئمة كلهم يردون بخلاف هذه الأحاديث التى تدل على استحباب زيارة روضة النبى ﷺ وهذه من مثلث الكفريات دعوى كاذبة فمن هم الأئمة الذين ردوا أن زيارة روضة النبى ﷺ لا تستحب أو لا يستحب شد الرحال إليها غير ما توهمه مثلث الكفريات بعقولهم السقيمة العقيمة ؟؟ التى يتضح منها سخافة توهمهم فيها .

وقد رويت فى ذلك أحاديث كثيرة تكاد تبلغ حد التواتر عن أئمة أهل البيت رواها عنهم الأصحاب بأسانيد متصلة صحيحة موجودة فى مكانها وتدل عليها أيضا الأحاديث التى رويت عنه ﷺ بأنه يرد سلام من يسلم عليه التى اعترفت بها السلفية الهمفرية - أعنى الوهابية - وقدوتهم ابن تيمية .

٣ – الإجماع :

أجمع المسلمون خلفا عن السلف من عهد النبى ﷺ والصحابة إلى يومنا هذا قولا وعملاً على استحباب زيارة قبور الأنبياء والأولياء بل وسائر المؤمنين ومشروعيتها ولم يشذ عن هذا الإجماع إلا ابن تيمية والسلفية الهمفرية – الوهابية – بل إن سيرة المسلمين مستمرة عليها من عهد النبى ﷺ والصحابة والتابعين وتابعيهم فى كل عصر وفى كل بلد ما عدا بلدة قرن الشيطان نجد وما حولها أهل الرعوية الإبليسية .

أ – رد العلماء على الخارجى ابن تيمية الحرانى :

١ – رد شيخ الإسلام والمسلمين الإمام تقى الدين أبو الحسن على السبكى قال السمهودى فى وفاء الوفاء من ص ٤١٢ حتى ٤١٧ الجزء الثانى نقلا عن شيخ الإسلام والمسلمين الإمام تقى الدين أبو الحسن على السبكى قال عياض : زيارة روضة النبى ﷺ سنة بين المسلمين مجمع عليها ، وفضيلة مرغوب فيها . وأجمع العلماء على استحباب زيارة القبور للرجال كما حكاه النووى بل قال بعض الظاهرية بوجوبها واختلفوا فى النساء وامتازت الروضة الشريفة بالأدلة الخاصة بها ، ولهذا أقول إنه لا فرق بين الرجال والنساء ، وقال الجمال الريمى يستثنى أى من محل الخلاف روضة النبى ﷺ وصاحبيه فإن زيارتهم مستحبة للنساء بلا نزاع كما اقتضاه قولهم فى الحج ، يستحب لمن حج أن يزور روضة النبى ﷺ وقد ذكر ذلك بعض المتأخرين وهو الدمنهورى الكبير وأضاف إليه قبور الأنبياء والأولياء .

لقد تصدى لابن تيمية شيخ الإسلام والمسلمين الإمام تقى الدين أبو الحسن على السبكى قدس الله روحه فى كتابه « شفاء السقام فى زيارة خير الأنام » حيث قال : إن عثرة ابن تيمية – فى زيارة روضة النبى ﷺ وغيرها – لاتقال أبدا ، ومصيبة يستمر شؤمها سرمدا ليس بعجيب فإنه سولت له نفسه وهواه وشيطانه أنه ضرب مع المجتهدين بسهم صائب وما درى المحروم أنه أتى بأقبح المعائب إذ خالف إجماعهم فى مسائل كثيرة وتجاسر على أئمتهم ، سيما الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيفة شهير حتى تجاوز الجناب الأقدس المنزه سبحانه عن كل نقص والمستحق لكل كمال أنفس ، فنسب إليه الكبائر والعظائم وخرق سياج عظمته بما أظهره للعامة على المنابر من دعوى الجهة والتجسيم وتضليل من لم يعتقد ذلك من المتقدمين والمتأخرين حتى قام عليه علماء عصره وألزموا السلطان بقتله أو حبسه وقهره فحبسه إلى أن مات وخمدت تلك البدع وزالت تلك الضلالات ، ثم انتصر له أتباع لم يرفع الله

لهم رأسا ولم يظهر لهم جاها ولا بأسا ، بل ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله بما عصوا وكانوا يعتدون .

٢ - وسند المحدثين الشيخ محمد البرلسى فى كتابه إتحاف أهل القرآن برؤية الأنبياء والملائكة والجان .

٣ - وشهاب الدين أحمد الخفاجى المصرى فى كتابه نسيم الرياض شرح شفاء القاضى عياض فقالوا جميعا عنه أن ماتجاسر به ابن تيمية فى السفر لزيارة روضة النبى وشد الرحال إليها يعد مما تمجه الأسماع وتنفر عنه الطباع ، وقد عاد شؤم كلامه عليه بمخالفة الأئمة المجتهدين فى مسائل كثيرة واستدرك على الخلفاء الراشدين باعتراضات سخيفة حقيرة فسقط من أعين علماء الأمة ، وصار مثلة بين العوام فضلا عن الأئمة وتعقب العلماء كلماته الفاسدة وزيفوا حججه الداحضة الكاسدة وأظهروا عوار سقطاته وقبائح أوهامه .

٤ - الملا على القارىء فى المجلد الثانى من كتابه شرح الشفاء أنه قال : « قد فرط ابن تيمية حيث حرم السفر لزيارة النبى ﷺ كما أفرط غيره ، حيث قال : كون الزيارة قربة معلوم من الدين ، وجاحده محكوم عليه بالكفر ، ولعل الثانى أقرب إلى الصواب ، لأن تحريم ماأجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفرا لأنه فوق تحريم المباح .

٥ - وقال ابن حجر الهيتمى المكى الشافعى صاحب الصواعق فى كتابه « الجوهر المنظم فى زيارة القبر المكرم » مشروعية زيارة روضة النبى ﷺ بعدة أدلة منها الإجماع راجع كذلك كشف الظنون ص ١٢ طبعة عام ١٢٧٩هـ .

٦ - وقال العز بن جماعة عن قول ابن تيمية أنه عبد أضله الله تعالى وأغواه وألبسه رداء الخزى وأرداه وبوأه من قوة الافتراء والكذب ما أعقبه الهوان وأوجب له الحرمان .

ب - المنقول من فعل الصحابة والمسلمين فى زيارة روضة النبى ﷺ :

١ - المنقول من فعل الصحابة :

١ - إن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما قدم المدينة المنورة من فتوح الشام كان أول ما بدأ بالمسجد وسلم على سيدنا رسول الله ﷺ .

٢ - روى عبد الرزاق بإسناد صحيح أن ابن عمر كان إذا قدم من سفر أتى روضة النبى ﷺ

فقال : « السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليك يا أبتاه » راجع وفاء الوفاء للسمهودى ص ٤٠٩ الجزء الثانى .

٣ - وفى الموطإ من رواية يحيى بن يحيى أن ابن عمر كان يقف عند روضة النبى ﷺ فيصلى ويسلم على النبى ﷺ وعلى أبى بكر وعمر .

٤ - وعن ابن عون سأل رجل نافعا هل كان ابن عمر يسلم على القبر؟ قال : نعم لقد رأيته مائة مرة أو أكثر من مائة كان يأتى القبر عنده فيقول السلام على النبى وعلى أبى بكر وعلى أبى .

٥ - وفى مسند أبى حنيفة عن ابن عمر : من السنة أن تأتى قبر النبى ﷺ من قبل القبلة وتجعل ظهرك إلى القبلة وتستقبل القبر بوجهك ثم تقول السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، أخرجه الحافظ طلحة بن محمد فى مسنده وعن صالح بن أحمد عن عثمان بن سعيد عن أبى عبد الأضحى المقرى عن أبى حنيفة عن نافع عن ابن عمر .

٢ - المنقول من فعل المسلمين :

ذكر المؤرخون والمحدثون منهم ابن عبد البر والبلاذرى وابن عبد ربه : « إن زياد ابن أبيه أراد الحج فأتاه أبو بكرة أخوه وهو لايكلمه فأخذ ابنه فأجلسه فى حجرة ليخاطبه ويسمع زيادا فقال : إن أباك فعل وفعل وأنه يريد الحج وأم حبيبة زوج النبى ﷺ هناك فإن أذنت له فأعظم بها مصيبة لرسول الله ﷺ وإن حجبته فأعظم بها حجة عليه ، فقال زياد : ماتدع النصيحة لأخيك ، وترك الحج » . راجع وفاء الوفاء ص ٤١٠ الجزء الثانى .

والقصة تشهد على أن زيارة الحاج كانت معهودة من ذلك الوقت وإلا فكان يمكن الحج من غير طريق المدينة بل هى أقرب إليه لأنه كان بالعراق . ولكن كان إتيان المدينة عندهم أمر لا يترك .

ثانيا : مشروعية زيارة سائر القبور

ثبت أن النبى ﷺ كان يزور أهل البقيع وشهداء أحد وروى ابن ماجه بسنده عنه ﷺ : « زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة »[1] . وفى حاشية السندى عن الزوائد : إن رجال

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الجنائز الحديث رقم ١٠٨ والترمذى فى كتاب الجنائز الباب ٦٠ والنسائى فى كتاب الجنائز الباب ١٠١ وابن ماجة فى كتاب الجنائز الباب ٤٧، ٤٨.

إسناده ثقات وبسنده عنه ﷺ : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة »[1] رواه مسلم ص ٣٢٥، بهامش إرشاد السارى .

قال النووى فى شرح صحيح مسلم وهو حديث صحيح بلا شك ، روى مسلم : « أنه كلما كانت ليلة عائشة من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع » فيقول : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأتاكم ماتوعدون » وعلم ﷺ عائشة حين قالت له : كيف أقول لهم يا رسول الله ؟ قال : « السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين »[2] ص ٣١٨ الجزء الرابع بهامش إرشاد السارى .

وحكى السمهودى فى « وفاء الوفاء » عن الحافظ زين الدين الحسينى الدمياطى أن زيارة قبور الأنبياء والصحابة والتابعين والعلماء والأولياء وسائر المؤمنين للبركة أثر معروف . وقد قال حجة الإسلام الغزالى : كل من يتبرك بمشاهدته فى حياته يتبرك بزيارته بعد موته ويجوز شد الرحال لهذا الغرض .

وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال : « آنس مايكون الميت فى قبره إذا زاره من كان يحبه فى دار الدنيا » .

وعن ابن عباس : « ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن يعرفه فى الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام »[3] .

وروى « من زار قبر أبويه فى كل يوم جمعة أو أحدهما يحتسب بارا وإن كان فى الدنيا قبل ذلك بهما عاقا »[4] .

وروى عن السيدة فاطمة عليها السلام أنها كانت تزور قبر سيدنا حمزة رضى الله عنه

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الجنائز الحديث ١٠٦ وكتاب الأضاحى الحديث ٣٧ والموطأ فى كتاب الضحايا الحديث ٨ وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ٣٨.

(٢) رواه مسلم فى كتاب الجنائز الحديث ١٠٣ والنسائى فى كتاب الجنائز الباب ١٠٣ وابن ماجة فى كتاب الجنائز الباب ٣٣ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ٣٠٠، ٣٧٥، ٤٠٨ والجزء السادس صفحة ٧١، ٧٦، ١١١، ١٨٠، ٢٢١ .

(٣) أورده الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٣٦٥/١٠ والسيوطى فى الحاوى للفتاوى ٣٠٢/٢ وابن كثير فى تفسيره ٦/ ٣٣٠ .

(٤) أورده الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٣٦٣/١٠ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٥٩/٣ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٤٥٤٨٦، ٤٥٤٨٧، ٤٥٥٤٣، ٤٥٥٤٤ والتبريزى فى مشكاة المصابيح ١٧٦٨ والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار ٤٧٤ والسيوطى فى الدر المنثور ١٧٤/٤، ٢٧٥/٥ وفى اللآلىء المصنوعة ٢٣٤/٢.

وشهداء أحد كل يوم جمعة أو بين اليومين والثلاثة وكفى بفعلها دليلا وحجة .

ثالثا : منع الخارجى ابن تيمية الحرانى شد الرحال لزيارة روضة النبى ﷺ :

منع الخارجى الأزارقى ابن تيمية والخارجى النجدى ابن عبد الوهاب شد الرحال إلى زيارة النبى ﷺ فضلا عن غيره وفى مقام التشنيع يقول الخارجى الأزارقى ابن تيمية : إن الذى يزور روضة رسول الله ﷺ إنما يحج إلى مشهده كما يحج الحاج إلى البيت العتيق كما هى عادته فى إرادته زيادة التهويل وفى الرسالة الثانية عن رسائل الهدية السنية لعبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب وتسن زيارة النبى ﷺ إلا أنه لايشد الرحال إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه واحتجت السلفية الهمفرية – الوهابية – لذلك برواية البخارى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثه مساجد ، المسجد الحرام ومسجد الرسول ﷺ والمسجد الأقصى » .

الرد على منع الخارجى ابن تيمية الحرانى شد الرحال لزيارة النبى ﷺ :

١ – إن الحصر فى هذا الحديث وغيره إضافى لاحقيقى أى لاتشد الرحال إلى مسجد من المساجد إلا هذه الثلاثة لأن هذا الاستثناء مفرغ قد حذف منه المستثنى منه وكما يمكن تقديره لا تشد الرحال إلى مكان يمكن تقديره إلى مسجد لكن الثانى هو المتعين لأن ذلك هو المفهوم عرفا من أمثال هذه العبارة .

٢ – يجوز السفر وشد الرحال إلى أى مكان سواء للتجارة أو طلب العلم والجهاد أو زيارة العلماء والصلحاء والتداوى والنزهة والولاء والقضاء وغير ذلك مما لايحصى ولقد قيل إن هذا خصص بالدليل للزم تخصيص الأكثر وهو غير جائز كما تقرر فى الأصول .

٣ – لايشك من عنده أدنى معرفة فى أن المراد بقوله لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد أنه لايسافر إلى غيرها من المساجد لأنه لايسافر إلى مكان مطلقا ، على أنه لايفهم من هذه الأحاديث حرمة السفر إلى باقى المساجد بل هى ظاهرة فى أفضلية هذه المساجد على ماعداها بحيث بلغ من فضلها أن تستحق شد الرحال والسفر إليها .

٤ – إن من سافر للصلاة فى مسجد طلبا لإجراء فضيلة الصلاة فيها غير هذه المساجد الثلاثة كمسجد الإمام الحسين ومسجد السيدة زينب عليهما السلام أو مسجد الإمام أبى

حنيفة والإمام الشافعى وسيدى أحمد البدوى وسيدى إبراهيم الدسوقى رضى الله عنهم أجمعين - كيف يكون سفره للصلاة بها إثما ومعصية . فالسفر للطاعة لايكون إلا طاعة كما أن السفر للمعصية لايكون إلا معصية وكيف تكون مقدمة المستحب محرمة ؟! .

أ - زيارة النبى ﷺ إلى مسجد قباء كل يوم سبت :

إن النبى ﷺ والصحابة كانوا يذهبون كل سبت إلى مسجد قباء بينه وبين المدينة ثلاثة أميال ركبانا ومشاة لقصد الصلاة فيه ، ولا فرق فى السفر بين الطويل والقصير لعموم النهى وقد روى البخارى فى صحيحه : « أن النبى ﷺ كان يأتى مسجد قباء كل سبت ماشيا وراكبا وأن ابن عمر كان يفعل ذلك » راجع ص ٣٢٢ الجزء الثانى من إرشاد السارى .

وروى النسائى فى سننه : « أنه كان رسول الله ﷺ يأتى قباء راكبا وماشيا » وأنه قال : « من خرج حتى يأتى هذا المسجد مسجد قباء فصلى فيه كان له عدل عمرة »[1] .

ب - شجرة تستأذن المولى سبحانه فى أن تسلم على رسول الله ﷺ :

روى أحمد بإسنادين أحدهما برجال الصحيح عن يعلى بن مرة من حديث قال فيه : « ثم سرنا فنزلنا منزلا فنام النبى ﷺ فجاءت شجرة تشق الأرض حتى غشيته ﷺ ثم رجعت إلى مكانها فلما استيقظ ذكرت له فقال ﷺ : « هى شجرة استأذنت ربها عز وجل أن تسلم على رسول الله فأذن لها »[2] فإذا كان هذا حال شجرة فكيف بالمؤمن المأمور بتعيظم هذا النبى الكريم المتحلى بالشوق إليه وحديث حنين الجذع يؤكد ذلك وقد سبق أن قلنا : إن الإمام الغزالى يجوِّز شد الرحال لزيارة من يتبرك به بعد موته من الأنبياء والأولياء .

جـ - زيارة سيدنا بلال لروضة النبى ﷺ :

لما رحل عمر بن الخطاب من فتح بيت المقدس فصار إلى جابية سأله بلال بن رباح - مؤذن رسول الله ﷺ - أن يقره بالشام ففعل . فرأى بلال فى منامه النبى ﷺ وهو يقول له :

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك ١٢/٣ والطبرانى فى المعجم الكبير ٩٠/٦ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٣٤٩٧٢، والبخارى فى التاريخ الكبير ٩٦/١ والنسائى فى سننه ٣٧/٢ وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ٤٨٧ والسيوطى فى الدر المنثور ٢٧٨/٣.

(٢) رواه أحمد فى الجزء الرابع صفحة ١٧٣ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٦/٩ وأبو نعيم فى دلائل النبوة ١٣٩ والتبريزى فى مشكاة المصابيح ٥٩٢٢ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ١٩٣/٧ وابن كثير فى البداية والنهاية ١٥٨/٦.

ماهذه الجفوة يا بلال أما آن لك أن تزورنى يا بلال ؟ فانتبه حزينا وجلا خائفا ، فركب راحلته ، وقصد المدينة المنورة ، فأتى روضة النبى ﷺ ، فجعل يبكى عنده ويمرغ وجهه عليه ، فأقبل الحسن والحسين فجعل يضمهما ويقبلهما ، فقالا له : يا بلال نشتهى أن نسمع أذانك فلم قال : الله أكبر ارتجت المدينة فلما قال : أشهد أن لاإله إلا الله ، ازدادت رجتها فلما قال : أشهد أن محمدا رسول الله خرجت العواتق من خدورهن وقالوا : بعث رسول الله ﷺ فما رئى بالمدينة بعده ﷺ أكثر باكيا وباكية من ذلك اليوم « راجع إرشاد السارى ص ٤٠٨ الجزء الثانى كما رواه ابن عساكر بسند جيد عن أبى الدرداء » .

وقد قال شيخ الإسلام تقى الدين أبو الحسن على السبكى : فى كتابه شفاء السقام لزيارة خير الأنام : ليس اعتمادنا على رؤية المنام فقط بل على فعل بلال سيما فى خلافة عمر والصحابة متوافرون ولا تخفى عنهم هذه القصة ورؤيا بلال للنبى ﷺ مؤكدة لذلك .

د – زيارة كعب الأحبار لروضة النبى ﷺ :

قال الإمام أبو بكر بن عمرو بن عصام النبيل ووفاته فى المائة الثالثة فى فتوح الشام : « إن عمر لما صالح أهل بيت المقدس وقدم عليه كعب الأحبار وأسلم وفرح بإسلامه قال له : هل لك أن تسير معى إلى المدينة المنورة وتزور روضة النبى ﷺ وتتمتع بزيارته ؟ قال : نعم . ولما قدم عمر المدينة المنورة كان أول مابدأ بالمسجد وسلم على رسول الله ﷺ » « راجع كتاب إرشاد السارى ص ٤١٧ الجزء الثانى » .

هـ – إرسال عمر بن عبد العزيز بريد من الشام للسلام على النبى ﷺ :

وقد استفاض عن عمر بن عبد العزيز أنه كان يبرد البريد من الشام يقول : سلم لى على رسول الله ﷺ وذلك فى زمن صدر التابعين ومما ذكر ذلك الإمام أبو بكر بن عمرو بن عاصم النبيل فى مناسكه : « وكان عمر بن عبد العزيز يبعث بالرسول قاصدا من الشام إلى المدينة المنورة ليقرىء النبى ﷺ السلام ثم يرجع » .

رابعا : عدم اختصاص زيارة القبور بالرجال

منع ابن تيمية وابن عبد الوهاب من زيارة النساء للقبور :

يتخرص الخارجى الأزارقى ابن تيمية والخارجى النجدى ابن عبد الوهاب بحديث لعن

زائرات القبور أو زوارت القبور، ويذكرون هذا الوضر فى كتبهم مع علمهم بالقدح فى سند هذه الأحاديث بالضعف وفى متنها بالاضطراب، وبخصوص اللعن بالزائرات أو الزوارات دون الزائرين لكن إذا شد الرجال الرحال لزيارة القبور فيرد عليهم اللعن كالنساء..

وهذا اللعن الوارد على النساء من الخوارج علته فى فهمهم السقيم والعقيم منافاة ذلك لكمال الستر المطلوب للمرأة.

الرد على منع ابن تيمية وابن عبد الوهاب من زيارة النساء للقبور:

يدل على جواز زيارة النساء للقبور بل استحباب زيارتهن مشاهد الأنبياء والأولياء مافى «وفاء الوفاء» أن سيدتنا فاطمة بنت سيدنا رسول ﷺ كانت تزور روضة سيدنا حمزة وترمه وتصلحه وقد تعلمته بحجر، وأنها عليها السلام كانت تزور قبور شهداء أحد بين اليومين والثلاثة. روى ذلك ابن أبى شيبه عن أبى جعفر ورذين ورواه يحيى بنحوه عن أبى جعفر عن أبيه على بن الحسين وزاد «فتصلى هناك وتدعو وتبكى حتى انتقلت إلى الرفيق الأعلى» راجع ص ١١٢ الجزء الثانى بهامش إرشاد السارى.

الفصل الثامن

التـــــبرك

مَفهوم حقيقة التبرك:

يخطئ القَرْنِيُّونَ فى فهم حقيقة التبرك بالنبىّ ﷺ وآثاره وبأهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام، وبورثته من العلماء رضى اللّه عنهم. فهم يصفون كل من تبرك بهم بالكفر والشرك كما هى عادتهم فى كل جديد يضيق عنه نظرهم ويقصر عن إدراكه فهمهم. وقبل أن نبين أدلة مشروعية ذلك التبرك، يتعين علينا أن نعلم أن التبرك ليس إلا توسل إلَى اللّه سبحانه وتعالى بذلك المتبرك به سواء كان شخصًا أو أثرًا أو مكانًا.

أما الأشخاص فلاعتقاد فضلهم وقربهم من اللّه سبحانه وتعالى مع اعتقاد عجزهم عن جلب خير أو دفع شر إلا بإذنه سبحانه وتعالى.

أما الآثار فلأنها منسوبة إلَى هؤلاء الأشخاص فهى مشرفة بشرفهم، ومكرمة ومعظمة محبوبة لأجلهم.

أما الأمكنة فلا فضل لها لذاتها من حيث هى أمكنة، وإنما لما يحل فيها ويقع من خير وبر كالصلاة والصيام وجميع العبادات مما يقوم به عباد اللّه الصالحون. إذ تتنزل فيها الرحمات وتحضرها الملائكة وتغشاها السكينة، وهذه هى البركة التى تطلب من اللّه فى الأماكن المقصودة لذلك.

وهذه البركة تطلب للتعرض لها فى أماكنها بالتوجه إلَى اللّه تعالى ودعائه واستغفاره، وتذكر ما وقع فى تلك الأماكن من حوادث عظيمة ومناسبات كريمة، تحرك النفوس، وتبعث فيها الهمة والنشاط للتشبه بأهلها أهل الفلاح والصلاح.

مظاهر تشريف اللَّه تعالى لنبيه ﷺ :

١ - بذكر اسمه ﷺ فى الأذان :

إن اللَّه تعالى أكرم نبيه محمدًا ﷺ بأن قرن اسمه باسمه فى الأذان وعلى ألسنة النَّاس ، فكلما قال النَّاس : لا إله إلا اللَّه قالوا : محمد رَسُول اللَّه ﷺ ، وقد فسر العلماء قول اللَّه تعالى : ﴿ وَرَفَعنَا لَكَ ذِكرَكَ ﴾[1] بأنه تعالى قرن اسم نبيه ﷺ فى الأذان باسمه الكريم . قال الإمام الشافعى فى الرسالة فى قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعنَا لَكَ ذِكرَكَ ﴾ لا أذكر إلا ذكرت معى . وفى الدر المنثور للسيوطى عن أبى سعيد الخدرى عن رَسُول اللَّه ﷺ قال : أتانى جبريل فقال : إن ربك يقول : أتدرى كيف رفعت ذكرك ؟ قلت : اللَّه أعلم ، قال : إذ ذُكرتُ ذُكرتَ معى)[2] .

٢ - بذكر اسمه ﷺ فى القرآن :

إن اللَّه تعالى عطف اسم نبيه الكريم على اسمه عز وجل فى غير ما آية من كلامه العزيز ، فكان فى ذلك أعلى مقامات الكرامة والإجلال ، ومع ذلك فلم يتوهم فى عهد النبوة ولا فيما بعدها أن ذلك إشراكًا باللَّه تعالى ، ولا رفعًا لسيدنا محمد ﷺ فوق رتبة المخلوق المصطفى والعبد المكرم ومن هذه الآيات القرآنية التى نذكرها على سبيل المثال لا الحصر قال تعالى : ﴿ قُل إن كُنتُم تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحبِبكُمُ اللَّهُ وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قُل أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الكَافِرِينَ ﴾[3] فقرن حبه تعالى ومغفرته باتباع رَسُوله ﷺ وقال تعالى : ﴿ تِلكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدخِلهُ جَنَّاتٍ تَجرِى مِن تَحتِهَا الأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ وَمَن يَعصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدخِلهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾[4] .

فرتب دخول الجنة والفوز العظيم على طاعة اللَّه ورَسُوله ، وجعل الخلود فى النار والعذاب المهين جزاء المعصية لله ورَسُوله .

---

١) سورة الشرح آية ٤ .

٢) أورده الهيثمى فى موارد الظمآن ١٧٧٢ وفى مجمع الزوائد ٢٥٤/٨ والطبرى فى تفسيره ١٥١/٣٠ وابن كثير فى تفسيره ٤٥٢/٨ .

٣) سورة آل عمران آية ٣١-٣٢ .

٤) سورة النساء آية ١٣-١٤ .

وقال تعالى: ﴿يَسأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلَّهِ والرَّسُول فَاتَّقوا اللَّهَ وأَصلِحُوا ذَاتَ بَينِكم وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إن كُنتُم مُّؤمِنِينَ﴾[1].

فقد جعل طاعة اللَّه ورَسُوله علامة الإيمان كما جعل طاعة رَسُوله ﷺ طاعة له جل وعلا فقال: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَد أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرسَلنَاكَ عَلَيهِم حَفِيظًا﴾[2].

وكما قرن جل شأنه طاعته بطاعة رَسُوله ﷺ فقد قرن الإيمان به تعالى بالإيمان برَسُوله في آيات كثيرة؛ فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبلُ﴾[3] وقال تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّستَخلَفِينَ فِيهِ﴾[4] وقال جل ذكره وعلا شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَل أَدُلُّكُم عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِن عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤمِنُونَ باللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَموَالِكُم وأَنفُسِكُم ذَلِكُم خَيرٌ لَّكُم إِن كُنتُم تَعلَمُونَ﴾[5] وقد جعل تعالى حربه حرب رَسُوله فقال: ﴿فَأْذَنُوا بِحَربٍ مِن اللَّهِ ورَسُولِهِ﴾[6] وجعل تعالى براءته براءة رَسُوله ﷺ ومحاددته محاددته، ومشاققته مشاققته فقال جل من قائل: ﴿بَرَاءَةٌ مِن اللَّهِ ورَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُم مِن المُشرِكِينَ﴾[7] وقال جل ذكره: ﴿أَلَمْ يَعلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ ورَسُولِهِ فَأَنَّ لَهُ نَار جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الخِزيُ العَظِيمُ﴾[8].

وجعل تعالى ولايته ولاية رَسُوله ﷺ فقال جل شأنه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ والَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ويُؤتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم رَاكِعُونَ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ والَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزبَ اللَّهِ هُمُ الغَالِبُونَ﴾[9].

وجعل علا شأنه الهجرة إلَى اللَّه ورَسُوله ﷺ واحدة فقال: ﴿وَمَن يَخرُج مِن بَيتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَ يُدرِكهُ المَوت فَقَد وَقَعَ أَجرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[10].

وأمرنا تعالى برد ما تنازعنا فيه إلَى اللَّه ورَسُوله ﷺ فقال جل ذكره: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وأَطِيعُوا الرسُولَ وَأُولِي الأَمرِ مِنكُم فَإِن تَنَازَعتُم فِي شَيءٍ فَرُدوه إِلَى اللَّه

---

(١) سورة الأنفال آية ١.
(٢) سورة النساء آية ٨٠.
(٣) سورة النساء آية ١٣٦.
(٤) سورة الحديد آية ٧.
(٥) سورة الصف آية ١٠-١١.
(٦) سورة البقرة آية ٢٧٩.
(٧) سورة التوبة آية ١.
(٨) سورة التوبة آية ٦٣.
(٩) سورة المائدة آية ٥٥-٥٦.
(١٠) سورة النساء آية ١٠٠.

والرسُولِ إن كُنتُم تُؤمِنُون باللَّهِ واليوم الآخِرِ ذَلِكَ خَيرٌ وأَحسَنُ تَأوِيلًا﴾[1].

وجعل عز وجل تحريم رَسُوله ﷺ تحريمه فال جل ذكره وعلا شأنه: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤمِنُونَ باللَّهِ ولَا باليوم الآخِرِ ولَا يُحرِّمونَ مَا حَرَّمَ اللَّه ورَسُولهُ ولَا يَدِينُون دِينَ الحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حَتَّى يُعطُوا الجِزيةَ عَن يَدٍ وَهُم صَاغِرونَ﴾[2].

وعطف تعالى إيتاء رَسُوله ﷺ على إيتائه ورضاه على رضائه فقال تعالى: ﴿وَلَو أَنَّهُم رَضُوا ما آتَاهُمُ اللَّهُ ورَسُولُهُ وقَالُوا حَسبُنَا اللَّهُ سَيُؤتِينَا اللَّهُ من فَضلهَ ورَسُولُهُ إنَّا إلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾[3] وقال تعالى: ﴿واللَّهُ ورَسُولُهُ أَحَقُّ أن يُرضُوه إن كَانُوا مُؤمِنِينَ﴾[4].

وجعل تعالى وعد رَسُوله ﷺ وعده فقال جل ذكره وتعاظم شأنه: ﴿وَلَمَّا رَأَى المُؤمِنُون الأحزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ ورَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ ورَسُولُهُ﴾[5] وعطف تعالى قضاء رَسُوله ﷺ على قضائه ونفى الحيف والظلم عن رَسُوله كما نفاه عن نفسه فقال جل شأنه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤمِنٍ ولَا مُؤمِنةٍ إذَا قَضَى اللَّهُ ورَسُولهُ أمرًا أن يَكُونَ لَهُم الخِيَرةُ مِن أَمرِهِمْ وَمَن يَعصِ اللَّهَ ورَسُولَهُ فَقَد ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾[6].

أمر النبى ﷺ بالتبرك وإذنه فى ذلك:

١ - الأحاديث التى أمر فيها ﷺ بالتبرك به بلغت حد التواتر، وقد أقر عليها ﷺ صحابه، وقد انعقد الإجماع على أنه ﷺ لا يقر على باطل. فمن هذه الأحاديث التى أمر فيها بالتبرك به:

عن طلق بن على قال: خرجنا وفدًا إلَى رَسُول اللَّه ﷺ فبايعناه وصلينا معه وأخبرناه أن بأرضنا بيعة لنا فاستوهبناه من فضل طهوره فدعا بماء فتوضأ وتمضمض ثم صبه لنا فى إداوة وأمرنا فقال: (اخرجُوا فإذَا أتيتُم أرضَكم فاكسرُوا بيعَتَكم وانضِحُوا مكانَها بِهَذا المَاءِ واتَّخِذوها مَسجِدًا) قلنا إن البلد بعيد والحر شديد والماء ينشف قال: (مدوه من الماء فإنه لا يزيده إلا طيبا)[7] رواه النسائى كذا فى المشكاة (رقم ٧١٦) وهذا الحديث من الأصول

---

(١) سورة النساء آية ٥٩.
(٢) سورة التوبة آية ٢٩.
(٣) سورة التوبة آية ٥٩.
(٤) سورة التوبة آية ٦٢.
(٥) سورة الأحزاب آية ٢٢.
(٦) سورة الأحزاب آية ٣٦.
(٧) رواه النسائى فى كتاب المساجد الباب ١١ والتبريزى فى مشكاة المصابيح ٧١٦ والطبرانى فى المعجم الكبير ٢٩٩/٨

المعتبرة المشتهرة الدالة على مشروعية التبرك به وبآثاره وبكل ما هو منسوب إليه فإنه ﷺ أخذ وضوءه ثم جعله فى إناء ثم أمرهم أن يأخذوه معهم إجابة لطلبهم وتحقيقًا لمرادهم فلابد أن هناك سرًا قويًا متمكنًا فى نفوسهم دفعهم إلَى طلب هذا الماء بخصوصه والمدينة مملوءة بالمياه .

بل وبلادهم مملوءة بالماء فلم هذا التعب والتكلف فى حمل قليل من الماء من بلد إلَى بلد مع بعد المسافة وطول السفر وحرارة الشمس ؟! (راجع كذلك مفاهيم يجب أن تصحح للدكتور السيد محمد علوى المالكى صـ ١٣٥) .

نعم كل ذلك لم يهمهم لأن المعنى الَّذِى يحمله هذا الماء يهون عليهم كل مشقة ألا وهو التبرك به وبآثاره وبكل ما هو منسوب إليه وهو لا يوجد فى بلدهم ولا يتوافر على كل حال عندهم ، بل ويتأكد لهم ﷺ ورضاه عن فعلهم بجوابه لهم لما قالوا إن الماء ينشف لشدة الحر إذ قال لهم ، (مدوه من الماء) فبين لهم أن بركته التى حلت فى الماء لا تزال باقية مهما زادوا فيه فهى مستمرة متصلة .

٢ - ومن الأحاديث التى أذن فيها ﷺ بالتبرك به بما رواه مسلم فى كتاب الفضائل فى باب طيب عرقه ﷺ بالتبرك به عن أنس بن مالك قال : كان النبىّ ﷺ يدخل بيت أم سليم فينام على فراشها وليست فيه ، قال : فجاء ذات يوم فنام على فراشها وأتت فقيل لها : هذا النبىّ نائم فى بيتك على فراشك ، قال : فجاءت وقد عرق واستنقع عرقه على قطعة أديم على الفراش ففتحت عتيدتها - الصندوق الصغير تجعل المرأة فيه ما يعز من متاعها - فجعلت تنشف ذلك العرق وتعتصره فى قواريرها ففزع النبىّ ﷺ فقال : ما تصنعين يا أم سليم ؟ فقالت : يا رَسُول اللَّه ، نرجو بركته لصبياننا قال : أصبت .

التبرك بتقبيل يدى النبى ﷺ ورجليه :

روى أبو داود عن عبد اللَّه بن عمر رضى اللَّه عنهما أنه كان فى سرية من سرايا رَسُول اللَّه ﷺ قال : فحاص النَّاس حيصة فكنت فيمن حاص قال : فلما برزنا قلنا : كيف نصنع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بالغضب ؟ فقلنا ندخل المدينة فنثبت فيها ونذهب لا يرانا أحد ، قال : فدخلنا فقلنا لو عرضنا أنفسنا على رَسُول اللَّه ﷺ ، فإن كانت لنا توبة أقمنا ، وإن كان غير ذلك ذهبنا، قال : فجلسنا لرَسُول اللَّه ﷺ قبل صلاة الفجر فلما خرج قمنا إليه فقلنا نحن الفرارون ، فأقبل إلينا فقال : (بل أنتم العكارون) قال : فدنونا فقبلنا يده ، فقال :

(أنا فئة المسلمين)[1] رواه البخارى فى الأدب المفرد ٢٥٣ باب تقبيل اليد وروى ابن ماجة - ١٢٢١ .

وروى أبو داود ج٢ ص ٦٤٧ عن أم أبان بنت الوازع بن زارع عن جدها زارع - وكان فى وفد عبد القيس - قال : لما قدمنا المدينة فجعلنا نتبادر من رواحلنا فنقبل يد رَسُول اللَّه ﷺ ورجله ، قال : وانتظر المنذر الأشج حتى أتى عيبته فلبس ثوبه ثم أتى النبىّ ﷺ ، فقال له : (إن فيك خلتين يحبهما اللَّه الحلم والأناة قال : يا رَسُول اللَّه ، أنا أتخلق بهما أم اللَّه جبلنى عليهما ؟ قال : بل اللَّه جبلك عليهما ، قال : الحمد لله الَّذِى جبلنى على خلتين يحبهما اللَّه ورَسُوله)[2] .

رواه الطبرانى وأبو يعلى برجال ثقات وفى بعضهم خلاف بزيادة (وبقى الأشج وهو أصغر القوم فأناخ الإبل وعقلها ، ثم أقبل يمشى على تؤدة حتى أتى رَسُول اللَّه ﷺ فأخذ بيده فقبلها كما فى مجمع الزوائد ٩ ص ٣٨٨ وروى البخارى فى الأدب المفرد جزءا منه عن الوازع بن عامر قال : (فأخذنا يديه ورجليه نقبلهما) وذكر فى الإصابة عن أبى بزة قال : دخلت مع مولاى عبد اللَّه بن السائب على النبىّ ﷺ فقمت إلى النبىّ ﷺ فقبلت يده ورأسه ورجليه . رواه أبو الشيخ وابن قانع وأخرجه أبو بكر بن المقرى فى جزء الرخصة فى تقبيل اليد . (واعتمده الحافظ فى عد أبى بزة فى الصحابة) .

وذكر فى الخصائص عن البزار وأبى نعيم أنهما رويا عن بريدة أن أعرابيًا أسلم فقال : ائذن لى يا رَسُول اللَّه أن أقبل رأسك ورجليك ففعل ، ثم قال : ائذن لى أن أسجد لك فقال : (لا يسجد أحد لأحد)[3] .

---

(١) رواه أبو داود فى كتاب الجهاد الباب ٩٦ والترمذى فى كتاب الجهاد الباب ٣٦ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ٧٠ ، ٨٦ ، ١٠٠ ، ١١١ .

(٢) رواه مسلم فى كتاب الإيمان الحديث رقم ٢٥ ، ٢٦ والترمذى ٢٠١١ وأبو داود ٥٢٢٥ وابن ماجة ٤١٨٧ وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ٢٣ ، ٥٠ والجزء الرابع صفحة ٢٠٦ والبيهقى ١٠٢/٧ والهيثمى فى موارد الظمآن ١٣٩٣ ، ٢٢٦٧ وفى مجمع الزوائد ٣٨٨/٩ وابن حجر فى فتح البارى ٨٥/٨ والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ١٩٦/٣ ، ٥/ ٢٧٩ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٥٨١١ والبيهقى فى الأسماء والصفات ٤٩٩ والطبرانى فى المعجم الكبير ٢٣٠/١٢ وابن كثير فى البداية والنهاية ٤٨/٥ .

(٣) أورده أبو نعيم فى دلائل النبوة ١٣٨ .

التبرك بسؤر النبى ﷺ :

روى الشيخان والإمام مالك فى الموطأ واللفظ للبخارى عن سهل بن سعد رضى اللّه عنه قال : أتى النبىّ ﷺ بقدح فشرب منه وعن يمينه غلام أصغر القوم والأشياخ عن يساره فقال : (يا غلام أتأذن لى أن أعطيه الأشياخ ؟)[1] قال : ما كنت لأوثر بنصيبى منك أحدًا يا رَسُول اللّه فأعطاه إياه .

وروى أبو داود ١ ص ٥٧٢ عن أم هانئ قالت : لما كان يوم فتح مكة جاءت فاطمة فجلست عن يسار رَسُول اللّه ﷺ وأم هانئ عن يمينه ، قالت : فجاءت الوليدة بإناء فيه شراب فناولته ، فشرب منه ثم ناوله أمَّ هانئ فشربت منه فقالت : يا رَسُول اللّه لقد أفطرت وكنت صائمة فقال لها : (أكنت تقضين شيئًا ؟)[2] قالت : لا ، قال : (فلا يضرك إن كان تطوعًا) . رواه الترمذى ، ورواه الطيالسى فى مسنده عن شعبة وحماد بن سلمة وفيه : أما أنى كنت صائمة ولكن كرهت أن أرد سؤرك . ورواه الإمام أحمد بهذه الزيادة أيضًا ، ورواه الدارمى نحو ما روى أبو داود . ورواه الطبرانى كما فى المجمع ٣ ص ١٥٩ .

التبرك بموضع لامسه فم النبى ﷺ :

روى الإمام أحمد وغيره عن أنس رضى الله عنه أن النبىّ ﷺ دخل على أم سليم وفى البيت قربة معلقة فشرب من فيها ـــ أى من فم القربة ـــ وهو نائم ، قال : أنس : فقطعت أم سليم فم القربة فهو عندنا)[3] .

والمعنى : أن أم سليم قطعت فم القربة الَّذِى هو موضع شربه ﷺ واحتفظت به فى بيتها للتبرك بأثر النبىّ ﷺ . ورواه الطبرانى وفيه البراء بن زيد ولم يضعفه أحمد وبقية رجاله

---

(١) رواه البخارى فى كتاب المظالم الباب ١٢ وكتاب الأشربة الباب ١٩ وكتاب المساقاة الباب ١ ، ١٠ ومسلم فى كتاب الأشربة الحديث رقم ١٢٧ والموطأ فى كتاب صفة النبىّ ﷺ الحديث رقم ١٨ وأحمد فى الجزء الخامس صفحة ٣٣٣ ، ٣٣٨ .

(٢) رواه أبو داود فى كتاب الصوم الباب ٧٢ والدارمى فى كتاب الصوم الباب ٣٠ ومسلم فى كتاب الصيام الحديث رقم ١٥٤ والترمذى فى كتاب الصوم الباب ٢٢ والنسائى فى كتاب المناسك الباب ١١ وابن ماجة فى كتاب الصيام الباب ٥١ والدارمى فى كتاب المناسك الباب ٢٣ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٤٠ ، ٢٥٨ ، ٣٤٥ ، ٣٦٢ والجزء السادس صفحة ٤٢٤ .

(٣) رواه أحمد فى الجزء الثالث صفحة ١١٩ والجزء السادس صفحة ٣٦٧ ، ٤٣١ والترمذى فى كتاب الأشربة الباب ١٨ والدارمى فى كتاب الأشربة الباب ٢٣ .

رجال الصحيح .

وروى الطيالسى فى مسنده ٢ ص ١٢٥ عن أم سليم قالت : رأيت رَسُول اللَّه ﷺ شرب من فى قربة فقطعتها وقلت : لا يشرب منها أحد بعده .

ورواه الترمذى أيضًا فى الشمائل . ورواه ابن ماجة ص ١١٣٢ .

التبرك بفضل وضوئه ﷺ :

روى الستة واللفظ للبخارى فى الصلاة فى الثوب الأحمر ، عن أبى جحيفة رضى الله عنه قال : (رأيت رَسُول اللَّه ﷺ فى قبة حمراء أدم ، ورأيت بلالًا أخذ وضوء رَسُول اللَّه ﷺ ، ورأيت النَّاس يبتدرون ذلك الوضوء ، فمن أصاب منه شيئًا تمسح به ، ومن لم يصب منه شيئًا أخذ من بلل يد صاحبه)[١] ، وروى البخارى فى كتاب الأشربة فى باب البركة والماء المبارك عند جابر بن عبد اللَّه رضى اللَّه عنهما قال : قد رأيتنى مع النبىّ ﷺ وقد حضرت العصر وليس معنا ماء غير فضلة ، فجعل فى إناء ، فأتى النبىّ ﷺ به وأدخل يده فيه وفرج أصابعه ثم قال : (حىّ على الوضوء البركة من اللَّه)[٢] فلقد رأيت الماء ينفجر من بين أصابعه فتوضأ النَّاس وشربوا ، فجعلت لا آلو ما جعلت فى بطنى منه ، فأيقنت أنه بركة . قلت لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : ألفا وأربعمائة .

وروى الإمام أحمد والطبرانى عن عائذ بن عمرو قال : كان فى الماء قلة فتوضأ رَسُول اللَّه ﷺ فنضحنا ، قال : والسعيد فى أنفسنا من أصابه ، ولا نراه إلا قد أصاب القوم كلهم قال : ثم صلى بنا رَسُول اللَّه ﷺ الضحى[٣] .

وروى الطبرانى عن عبد الرحمن بن الحارث بن أبى مرداس السلمى قال : كنا عند النبىّ ﷺ فدعا بطهور فغمس يده فتوضأ فتتبعنا ، فحسوناه ، فقال النبىّ ﷺ (ما حملكم على ما فعلتم ؟) قلنا : حب اللَّه ورَسُوله ، قال : (فإن أحببتم أن يحبكم اللَّه ورَسُوله فأدوا إذا ائتمنتم ، واصدقوا إذا حدثتم ، وأحسنوا جوار من جاوركم)[٤] .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الصلاة الباب ١٧ وكتاب اللباس الباب ٤٢ ومسلم فى كتاب الصلاة الحديث رقم ٢٥٠ .

(٢) رواه الترمذى فى كتاب المناقب الباب السادس والدارمى فى كتاب المقدمة الباب الخامس وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٤٠٢ ، ٤٦٠ والنسائى فى كتاب الطهارة الباب ٦٠ والبخارى فى كتاب المناقب الباب ٢٥ .

(٣) رواه أحمد فى الجزء الخامس صفحة ٦٤ .

(٤) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٤٥/٤ ، ٢٧١/٨ .

التبرك بشعر النبىّ ﷺ :

روى مسلم عن أنس قال : (لقد رأيت رَسُول اللَّه ﷺ والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا فى يد رجل)[1] .

وروى الشيخان وغيرهما واللفظ للبخارى عن أنس أن رَسُول اللَّه ﷺ لما حلق رأسه كان أبو طلحة أول من أخذ من شعره .

وروى البخارى عن ابن سيرين قال : قلت لعبيدة بن عمر أحد كبار التابعين المخضرمين أسلم قبل وفاته ﷺ ولم يره وعندنا من شعر النبىّ ﷺ ما أصبناه من قبل أنس أو من قبل أهل أنس فقال : لئن تكن عندى شعرة منه أحب إلَىّ من الدنيا وما فيها[2] .

التبرك بلباس النبىّ ﷺ والاستشفاء به :

عن أسماء بنت أبى بكر : أنها أخرجت جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجاها مكفوفان بالديباج ، وقالت : هذه جبة رَسُول اللَّه ﷺ كانت عند عائشة فلما قُبِضَتْ قَبَضْتُهَا ، وكان النبىّ ﷺ يلبسها ، فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها[3] رواه مسلم كتاب اللباس والزينة ص ٣ .

وذكر الحافظ بن عبد البر فى الاستيعاب أن سعدان بن الوليد السامرى روى عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس قال : لما ماتت فاطمة بنت أسد أم على بن أبى طالب ألبسها رَسُول اللَّه ﷺ قميصه واضطجع فى قبرها ، فقالوا : ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه ، فقال : (إنه لم يكن أحد بعد أبى طالب أبَر بى منها ، إنما ألبستُها قميصى لتكسى من حلل الجنة واضجعت ليهون عليها) .

وذكر الحافظ بن حجر فى الإصابة أن ابن أبى عاصم روى أن النبىّ ﷺ كفنها قميصه وقال : (لم نلق بعد أبى طالب أبر بى منها) .

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الفضائل الحديث رقم ٧٥ .

(٢) رواه البخارى فى كتاب الوضوء الباب ٣٣ .

(٣) رواه أحمد فى الجزء السادس صفحة ٣٤٨ ومسلم فى كتاب اللباس والزينة الحديث رقم ١٠ .

من مظاهر التبرك بآثار النبى ﷺ :

١ – التبرك بآنية النبىّ ﷺ :

عن أبى بردة قال قدمت المدينة فلقينى عبد اللّه بن سلام فقال لى : انطلق إلَى المنزل فأسقيك فى قدح شرب فيه رَسُول اللّه ﷺ وتصلى فى مسجد صلى فيه النبىّ ﷺ فانطلقت معه فسقانى وأطعمنى تمرًا وصليت فى مسجده رواه البخارى فى كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة .

٢ – التبرك بموضع قدم النبىّ ﷺ :

جاء فى الحديث عن أبى مجلز أن أبا موسى كان بين مكة والمدينة فصلى العشاء ركعتين ثم قام فصلى ركعة أوتر بها فقرأ فيها بمائة آية من النساء ثم قال : ما ألوت أن أضع قدمى حيث وضع رَسُول اللّه ﷺ قدميه وأنا أقرأ بما قرأ به رَسُول اللّه ﷺ . (رواه النسائى ٣/ ٢٤٣) .

٣ – التبرك بمنبر النبىّ ﷺ :

قال القاضى عياض ، روى عن ابن عمر رضى اللّه عنهما واضعًا يده على مقعد النبىّ ﷺ من المنبر ثم وضعها على وجهه .

وعن أبى قسيط والعتبى كان أصحاب رَسُول اللّه ﷺ وآله إذا خلا المسجد حسوا رمانة المنبر التى تلى القبر بميامينهم ثم يستقبلون القبلة يدعون . (ا . هـ) من الشفا للقاضى عياض .

قال الملا على قارى شارح الشفا رواه ابن أسعد عن عبد الرحمن ابن عبد القارى (جـ ٣ ص ٥١٨) .

وروى ذلك ابن تيمية أيضًا عن الإمام أحمد وأنه رخص فى التمسح بالمنبر والرمانة وذكر أن ابن عمر وسعيد بن المسيب ويحيى بن سعيد من فقهاء المدينة كانوا يفعلون ذلك (ا . هـ اقتضاء الصراط المستقيم ص ٣٦٧) .

٤ - التبرك بقطيفة وبثوب النبى ﷺ :

وروى ابن أبى شيبة فى مسنده قال : حدثنا محمد بن بشر أخبرنا أيوب بن النجار أخبرنا أبو عبد الله الجنينى عن جده المزنى أنه كانت عنده قطيفة رَسُول الله ﷺ ، فلما استخلف عمر بن عبد العزيز أرسل إليه فأتاه بها فى أديم ، فجعل يمسح بها وجهه لبركتها .

وروى الإمام الحافظ عبد الله بن المبارك فى كتاب الزهد - ج١ ص ٢٦٤- عن ابن لهيعة عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل أنه حدثه عن عروة بن الزبير أن ثوب رَسُول الله ﷺ الَّذِى كان خرج فيه للوفد رداؤه ثوب حضرمى طوله أربعة أذرع وعرضه ذراعان وشبر ، وهو عند الخلفاء قد أخلق فطووه بثوب يلبسونه يوم الفطر والأضحى .

٥ - التبرك بنعل النبى ﷺ :

قال الحافظ بن حجر فى الإصابة ج٢ ص ٧٢ : كانت قلادة نعل النبىّ ﷺ عند أحفاد الصحابى سليمان السلمى ، ومات آخرهم دون وارث سنة خمس وعشرين وستمائة ، وأخذ الأشرف بن العادل موجوده فجعله فى أوقاف المدرسة الأشرفية بدمشق ، قلت : ومن جملتها النعل المذكورة . وقد ذكرها الذهبى وغيره ويعبرون عنها بالأثر الشريف . انتهى كلامه .

فأنت ترى حرص أهل المدينة قديمًا على الاحتفاظ بنعل النبىّ ﷺ واحتذاء حذوها ، واحتفاظ أبناء ذلك الصحابى بقلادة النعل الشريفة مدة تزيد على ستة قرون ، وارتضاء علماء الأمة لذلك ونقلهم له فى مصنفاتهم وتعظيمهم لها إذ كانوا يسمونها الأثر الشريف .

وقد اعتنى العلماء منذ القديم بنعل المصطفى ﷺ فألف فيها منهم الجمّ الغفير ، وذكر منهم العلامة الكردى جملة فى كتابه فى تبرك الصحابة بالنبىّ ﷺ واعتنى العلماء كذلك وقالوا فيه الشعر وتبركوا به .

٦ - التبرك بروضة النبى ﷺ :

لما حضرت الوفاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لابنه عبد الله : انطلق إلَى أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فقل : يقرأ عليك عمر السلام ولا تقل أمير المؤمنين فإنى لست اليوم بأمير المؤمنين ، وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه قال : فاستأذن وسلم ثم دخل عليها وهى تبكى فقال : يقرأ عليك عمر السلام ويستأذن أن يدفن مع

صاحبيه ، فقالت : كنت أريده لنفسى ولأوثرنه اليوم على نفسى فلما أقبل قيل : هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال : ارفعونى فأسنده رجل إليه فقال : ما لديك ؟ قال : الَّذِى تحب يا أمير المؤمنين أذنت فقال : الحمد لله ما كان شئ أهم إلَىّ من ذلك فإذا أنا قبضت فاحملونى ثم سلم وقل : يستأذن عمر فإن أذنت لى فأدخلونى وإن ردتنى فردونى إلَى مقابر المسلمين .

أخرجه بطوله البخارى فى كتاب الجنائز باب ما جاء فى قبر النبىّ ﷺ وفى كتاب فضائل الصحابة باب قصة البيعة .

٧ - التبرك بتقبيل قبر النبىّ ﷺ :

وقال الحافظ العراقى أخبرنى الحافظ أبو سعيد العلائى قال : رأيت فى كلام ولد أحمد بن حنبل فى جزء قديم عليه خط ابن ناصر وغيره من الحفاظ أن الإمام أحمد سئل عن تقبيل قبر النبىّ ﷺ وتقبيل غيره فقال : لا بأس بذلك ، فأريناه ابن تيمية فصار يتعجب من ذلك ويقول : عندى أحمد جليل يقول هذا ؟ قال : وأى عجب فى ذلك .

وفى كتاب العلل والسؤلات لعبد الله بن أحمد بن حنبل : سألت أبى عن الرجل يمس منبر النبىّ ﷺ يتبرك بمسه ويقبله ، ويفعل بالقبر مثل ذلك رجاء ثواب الله تعالى ، قال : لا بأس به .

٨ - تبرك السيدة فاطمة الزهراء بتراب قبر النبىّ ﷺ :

وفى وفاء الوفا للعلامة السمهودى ص ١٤٠٥ أن ابن عساكر روى فى تحفته من طريق طاهر بن يحيى الحسينى بسنده إلَى على رضى الله عنه قال : لما رمس رَسُول الله ﷺ جاءت فاطمة رضى الله عنها فوقفت على قبره ﷺ وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعت على عينيها وبكت وأنشأت تقول :

ماذا على من شم تربة أحمد ألَّا يشم مدى الزمان غواليا

٩ - التبرك بتراب المدينة المنورة :

وورد فى التبرك بترابها ما رواه ابن البحار وابن الجوزى فى كتابه : (غبار المدينة شفاء من الجذام)[1] .

---

(١) أورده المتقى الهندى فى كنز العمال ٣٤٨٢٨ ، ٣٤٨٢٩ ، ٣٤٨٣٠ .

وفى الصحيحين حديث (كان النبىّ ﷺ إذا اشتكى الإنسان أو كانت به قرحة أو جرح قال بأصبعه هكذا ، ووضع سفيان سبابته بالأرض ثم رفعها وقال : (بسم اللّه تربة أرضنا بريق بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا)[1] .

التبرك بالصالحين وآثارهم :

روى مسلمٌ فى صحيحه عن مصعب بن سعد قال : رأى سعد رضى الله عنه أن له فضلًا على من دونه فقال النبىّ ﷺ (هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم)[2] .

وروى الإمام أحمد عن شريح بن عبيد قال : ذكر أهل الشام عند على وهو بالعراق فقالوا : ألعنتهم يا أمير المؤمنين . قال : لا ، إنى سمعت رَسُول اللّه ﷺ يقول : (البدلاء بالشام وهم أربعون رجلا كلما مات رجل أبدل اللّه رجلًا مكانه ، يستسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب)[3] .

ومن أراد استقصاء أحاديث الأبدال فعليه بالحاوى للفتاوى للحافظ السيوطى .

وروى الإمام مالك فى الموطأ فى باب (ما جاء فى دفن الميت) والبخارى ومسلم وغيرهم أن رَسُول اللّه ﷺ قال : (إن من عباد اللّه من لو أقسم على اللّه لأبره)[4] .

وروى الترمذى عن أنس بن مالك رضى اللّه عنه قال : قال رَسُول اللّه ﷺ : (كم من أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على اللّه لأبره منهم البراء بن مالك)[5] .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الطب الباب ٣٨ ومسلم فى كتاب السلام الحديث رقم ٥٤ وأبو داود فى كتاب الطب الباب ١٩ وابن ماجة فى كتاب الطب الباب ٣٦ وأحمد فى الجزء السادس صفحة ٩٣ .

(٢) رواه البخارى فى كتاب الجهاد الباب ٧٦ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ١٧٣ والجزء الخامس صفحة ٣٢٥ وأبو داود فى كتاب الجهاد الباب ٧٠ والترمذى فى كتاب الجهاد الباب ٢٤ والنسائى فى كتاب الجهاد الباب ٤٣ .

(٣) رواه أحمد فى الجزء الأول صفحة ١١٢ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٦٢/١٠ .

(٤) ، (٥) رواه البخارى فى كتاب الصلح الباب ٨ وكتاب الجهاد الباب ١٢ وكتاب تفسير القرآن (سورة البقرة) الباب ٢٣ وسورة المائدة الباب ٦ وسورة القلم الباب ٦ وكتاب الأدب الباب ٦ وكتاب الإيمان الباب ٩ ومسلم فى كتاب القسامة الحديث رقم ٢٤ وكتاب فضائل الصحابة الحديث رقم ٢٢٥ وكتاب البر الحديث رقم ١٣٨ وكتاب الجنة الحديث رقم ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، وأبو داود فى كتاب الديات الباب ٢٨ والترمذى فى كتاب جهنم الباب ١٣ وكتاب المناقب الباب ٥٤ والنسائى فى كتاب القسامة الباب ١٧ ، ١٨ وابن ماجة فى كتاب الديات الباب ١٦ وكتاب الزهد الباب ١٤ وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ١٢٨ ، ١٤٥ ، ١٦٧ ، ٢٨٤ والجزء الرابع صفحة ٣٠٦ والجزء الخامس صفحة ٤٠٧ .

وروى البخارى فى باب التواضع عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رَسُول اللَّه ﷺ : (إن اللَّه قال : من عادى لى وليًّا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلَىّ عبدى بشئ أحب إلَىّ مما فترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلَىّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الَّذِى يسمع به وبصره الَّذِى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه ، وما ترددت عن شئ أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته)[1] ..

وروى مسلم فى صحيحه عن أسير بن جابر قال : كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه إمداد أهل اليمن سألهم أفيكم أويس بن عامر؟ حتى أتى على أويس فقال : أنت أويس بن عامر؟ قال : نعم ، قال : من مراد ثم من قرن؟ قال : نعم قال : فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم؟ قال : نعم . قال : لك والدة؟ قال : نعم - قال : سمعت رَسُول اللَّه ﷺ يقول : يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمراء أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم ، له والدة هو بها بر لو أقسم على اللَّه لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل ، فاستغفر لى ، فاستغفر له[2] .

التبرك بتقبيل يد ورجل الصالحين :

وقال القاضى عياض فى الشفا ص ٤٩ : عن الشعبى قال : صلى زيد بن ثابت على جنازة أمه ثم قربت له بغلته ليركبها ، فجاء ابن عباس فأخذ بركابه ، فقال زيد : خل عنه يا ابن عم رَسُول اللَّه ﷺ ، فقال : هكذا نفعل بالعلماء ، فقبل زيد يد ابن عباس وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا .

وأورده الحافظ فى الإصابة بصيغة الجزم .

وروى أحمد والطبرانى عن عمير بن إسحاق قال : رأيت أبا هريرة لقى الحسن بن على فقال له : اكشف عن بطنك حيث رأيت رَسُول اللَّه ﷺ يقبل منه فكشف عن بطنه فقبله .

وروى الإمام أحمد عن عبد الرحمن بن رزين أنه نزل المدينة هو وأصاحبه يريدون الحج ، قيل لهم : ها هنا سلمة بن الأكوع صاحب رَسُول اللَّه ﷺ فأتيناه فسلمنا عليه ثم سألناه ،

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الرقاق الباب ٣٨ ورواه أحمد فى الجزء السادس صفحة ٢٥٦ .

(٢) رواه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة الحديث رقم ٢٢٥ وابن سعد فى الطبقات الكبرى ١١٣/٦ والحاكم فى المستدرك ٤٠٣/٣ والبيهقى فى دلائل النبوة ٣٧٧/٦ .

فقال : بايعت رَسُول اللَّه ﷺ بيدى هذه وأخرج لنا كفه وقال : قمنا إليه فقبلنا كفيه جميعا .

ورواه البخارى فى الأدب المفرد فى باب تقبيل اليد ، وفى مجمع الزوائد ٨ ص ٤٢ أنه رواه الطبرانى بسند رجال ثقات .

وروى عبد الرزاق فى الجامع والخرائطى فى مكارم الأخلاق وابن عساكر فى التاريخ والبيهقى فى السنن : عن تميم بن سلمة قال : لما قدم عمر الشام استقبله أبو عبيدة بن الجراح فصافحه وقبل يده ثم خلوا يبكيان ، فكان تميم يقول : تقبيل اليد سنة .

التبرك بثياب الصالحين :

وقال مالك فى من أوصته أمه أن يكفنها فى ثوب معين : أحب إلَى أن يكفن أمه فى الثوب الَّذِى أوصت أن تكفن فيه ، قال ابن رشد : قول مالك (أحب إلَىّ) ليس على ظاهره ، بل هو الواجب عليه إذا أوصت بذلك تبركا لأنها حجت فيه أو كانت تشهد به الصلوات ، لأن من أوصى بقربة وجب أن تنفذ وصيته . وقال ابن بطال : ينبغى التبرك بثياب الصالحين .

التبرك بصحيح البخارى :

وقال الحافظ بن حجر فى مقدمة فتح البارى ج١ ص ٢٤ : ذكر الإمام القدوة أبو محمد ابن أبى جمرة فى اختصاره للبخارى قال : قال لى من لقيته من العارفين عمن لقى من السادة المقر بالفضل أن صحيح البخارى ما قرىء فى شدة إلا فرجت ولا ركب به فى مركب فغرق .

وقال الشيخ اللكنوى فى مقدمة تحفة الأحوذى ص ١١٦ : قال الحافظ بن كثير : وكتاب البخارى الصحيح يستسقى بقراءته الغمام وأجمع على قبوله وصحته أهل الإسلام .

التبرك بمس قبر الإمام أحمد بن حنبل :

وذكر العلامة المحدث زاهد الكوثرى فى مقالاته ص ٣٧٦ أنه قرأ فى كتاب الحكايات المنثورة للحافظ الضياء المقدسى الحنبلى أنه سمع الحافظ عبد الغنى المقدسى يقول : إنه خرج فى عضده شئ يشبه الدمل فأعيته مداواته فمسح به قبر الإمام أحمد فبرئ ولم يعد إليه . والكتاب المذكور بخط الحافظ المذكور ومن خطه نقلت ، وهو بظاهرية دمشق برقم ٩٨ .

حكم من حكم بالكفر على من مس وقبل آثار الأنبياء والأولياء :

فأنت ترى أن أجلاء العلماء قد أباحوا مس قبور الأنبياء والأولياء وتقبيلها ، فأين هذا من الكفر الَّذِى تدعيه السلفية والشرك الَّذِى يصفون به النَّاس ؟ إن فى ذلك خروجهم عن نهج الشريعة الإسلامية ، وخرقا لقواعدها التى أجمع عليها المسلمون من عهد الرسُول ﷺ إلَى اليوم ، فمن المعلوم أن للمنهيات درجات كما أن للمأمورات درجات ، فالخروج بمنهى من درجته إلَى درجة أخرى خرق للشريعة وقلة فهم مقاصدها الأساسية ، فلو لم ير العلماء أن المس والتقبيل أمر سهل قريب لما اختلفوا فيه بين الكراهة والجواز ، بل والاستحباب كما يفهم من كلام الإمام أحمد ، فإذا جاء من جاء وقال : إن هذا الأمر الَّذِى كرهه البعض وأجازه البعض ، ليس مكروهًا ولا حرامًا وإنما هو كفر ومن جنس الشرك ، فإنا نرد عليه قوله ونقول : إنه قد خرق الإجماع وهدم الشريعة ، لأنه جعل كماليات الشريعة وتحسيناتها وآدابها أساسًا من أسسها فقلب الوضع وشذ عن الجماعة .

لا شك أن الاستغراق فى المحبة يحمل على الإذن فى ذلك ، والمقصود من ذلك كله الاحترام والتعظيم للأنبياء والأولياء ،والنَّاس تختلف مراتبهم فى ذلك كما كانت تختلف فى حياته ﷺ ، فأناس حين يرونه لا يملكون أنفسهم بل يبادرون إليه ﷺ ، وأناس فيهم أناة يتأخرون ، والكل محل خير .

وختامًا نقول : إن قبور الأنبياء والأولياء وأحبابهم روضات جنان يتبرك بها ، أما قبور ثالوث التكفير وذيولهم فهى حفائر نيران يصطلى بها .

الفصل التاسع

النـــــذر

تعريف النذر:

ومعنى النذر لغة الوعد، وشرعًا إلزام إنسان بالغ عاقل نفسه بفعل شئ أو تركه لوجه اللَّه، على أن يكون الفعل أو الترك لله فيه رضا وألا يكون الكلام هذرا لا نذرًا عند أهل التحقيق. ولا ينفذ النذر إطلاقًا إذا تعلق لمحرم أو مكروه.. فقد نذر شخص فى عهد رَسُول اللَّه ﷺ أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل ولا يتكلم، ويصوم.. فقال الرسُول ﷺ: (مروه فليتكلم ويستظل، ويقعد وليتم صومه)[1] أخرجه البخارى ومالك وأبو داود.

أدلة النذر من الكتاب:

ومن أدلة الكتاب فى النذر، قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِن نَفَقَةٍ أَو نَذَرْتُم مِن نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنصَارٍ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[4].

إن اللَّه تبارك وتعالى وصف ثواب الأبرار فى الآخرة، ومدح أعمالهم التى كانوا فى الدنيا يعملونها، فاستوجبوا بها ذلك النعيم بصفات ثلاث:

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الإيمان الباب ٣١ وأبو داود فى كتاب الإيمان الباب ١٩ وابن ماجة فى كتاب الكفارات الباب ٢١ والموطأ فى كتاب النذور الحديث رقم ٦.

(٢) سورة البقرة آية ٢٧٠.

(٣) سورة الحج آية ٢٩.

(٤) سورة الإنسان آية ٥ - ٨.

- يوفون بالنذر، فهى مستأنفة مسوقة لبيان ما لأجله رزقوا ما ذكر من النعيم، مشتملة على نوع تفصيل لما ينبئ عنه اسم الأبرار إجمالًا، كأنه قيل: ماذا فعلوا فى الدنيا حتى نالوا تلك الرتبة العالية؟ فقيل: يوفون بما أوجبوه على أنفسهم، فكيف بما أوجبه اللَّه تعالى عليهم؟! فإن من وفى بما أوجبه على نفسه، كان لما أوجبه اللَّه تعالى عليه أوفى.

- ويخافون يوما كان شره مستطيرا.

- ويطعمون الطعام على حبه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا.

السنة النذر من السنة:

- عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رَسُول اللَّه ﷺ: (إن النذر لا يقرب من ابن آدم شيئًا لم يكن اللَّه قدره له، ولكن النذر يوافق القدر، فيخرج بذلك من البخيل ما لم يكن البخيل يريد أن يخرج)[1] - أخرجه الخمسة واللفظ لمسلم.

- عن عائشة رضى الله عنها قالت: سمعت رَسُول اللَّه ﷺ يقول: (من نذر أن يطيع اللَّه فليطعه، ومن نذر أن يعصى اللَّه فلا يعصه)[2] - أخرجه الستة إلا مسلمًا.

- عن ابن عمر رضى الله عنهما، أن عمر رضى الله عنه قال: يا رَسُول اللَّه إنى نذرت فى الجاهلية أن أعتكف يومًا. وفى رواية: ليلة فى المسجد الحرام قال: (أوف نذرك)[3] - أخرجه الخمسة.

- عن عقبة بن عامر رضى الله عنه، قال: نذرت أختى أن تمشى إلَى بيت اللَّه الحرام حافية فأمرتنى أن أستفتى لها رَسُول اللَّه ﷺ فقال: (فلتمش ولتركب)[4] - أخرجه

---

(١) رواه مسلم فى كتاب النذر الحديث ٣، ٥، ٧ والبخارى فى كتاب الإيمان الباب ٢٦ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ٢٦٠، ٣٧٣، ٤١٢، ٤٦٣ والترمذى فى كتاب النذور الباب ١١ والنسائى فى كتاب الإيمان الباب ٢٦.

(٢) رواه البخارى فى كتاب الإيمان الباب ٢٨، ٣١ وأبو داود فى كتاب الإيمان الباب ١٩ والترمذى فى كتاب النذور الباب الثانى والنسائى فى كتاب الإيمان ٢٧، ٢٨ وابن ماجة فى كتاب الكفارات الباب ١٦ والموطأ فى كتاب النذور الباب الثامن وأحمد فى الجزء السادس صفحة ٣٦، ٤١، ٢٢٤.

(٣) رواه البخارى فى كتاب الاعتكاف الباب ٥، ١٥، ١٦ ومسلم فى كتاب الإيمان الحديث رقم ٢٧ وأبو داود فى كتاب الإيمان الباب ٢٢، ٢٥ والترمذى فى كتاب النذور الباب ١٢ وابن ماجة فى كتاب الطلاق الباب ٣٦ وكتاب الكفارات الباب ١٨ والدارمى فى كتاب النذور الباب الأول وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ٢٠ والجزء الثالث صفحة ٤٠٤، ٤١٩ والجزء الخامس صفحة ١٩٦ والجزء السادس صفحة ٣٦٦.

(٤) رواه البخارى فى كتاب الصيد الباب ٢٧ ومسلم فى كتاب النذر الحديث رقم ١١ وأبو داود فى كتاب الإيمان الباب ٢٠ والترمذى فى كتاب النذور الباب ١٠ والنسائى فى كتاب الإيمان الباب ٣٢، ٣٣ والدارمى فى كتاب النذور الباب =

الخمسة وزاد فى رواية الترمذى ، حافية غير مختمرة . فقال : (مروها فلتختمر ولتركب ولتصم ثلاثة أيام) .

٥ - عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رَسُول اللَّه ﷺ : (لا نذر فى معصية وكفارته كفارة يمين)[١] . - أخرجه أصحاب السنن .

٦ - عن ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رَسُول اللَّه ﷺ : (لا نذر إلا فيما يبتغى به وجه اللَّه تعالى ولا يمين فى قطيعة رحم)[٢] - أخرجه أبو داود .

٧ - عن عمر أن ابن حصين رضى الله عنهما قال : قال رَسُول اللَّه ﷺ : (لا نذر فى معصية ولا فيما لا يملك ابن آدم)[٣] - أخرجه النسائى .

٨ - عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رَسُول اللَّه ﷺ قال : (كفارة النذر إذا لم يسم شيئًا كفارة يمين)[٤] - أخرجه الخمسة إلا مسلمًا .

النذر عند المذاهب الأربعة

النذر عند الحنفية :

قالوا : من نذر نذرًا مطلقًا أو معلقًا بشرط وكان من جنسه فرض ، ووجد الشرط المعلق به لزمه الوفاء بما سمى كصلاة وصوم وصدقة واعتكاف وإعتاق رقبة وحج ولو ماشيًا .

= الثانى والموطأ فى كتاب النذور الحديث رقم ٤ .

(١) رواه مسلم فى كتاب النذر الحديث رقم ٨ والترمذى فى كتاب النذور الباب الأول وأبو داود فى كتاب الإيمان الباب ١٢ ، ١٩ والنسائى فى كتاب الإيمان الباب ١٧ ، ٣١ ، ٤١ وابن ماجة فى كتاب الكفارات الباب ١٦ والدارمى فى كتاب النذور الباب الثالث وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ٢٠٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣٢ والجزء الرابع صفحة ٤٣٣ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤٣ والجزء السادس صفحة ٢٤٧ .

(٢) رواه أبو داود فى كتاب الطلاق الباب السابع وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ١٨٥ .

(٣) رواه مسلم فى كتابب النذر الحديث رقم ٨ وأبو داود فى كتاب الإيمان الباب ٢١ ، ٢٢ والنسائى فى كتاب الإيمان الباب ٣١ ، ٤١ والدارمى فى كتاب السير الباب ٦٢ وكتاب النذور الباب الثالث وأحمد فى الجزء الرابع صفحة ٤٣٠ .

(٤) رواه مسلم فى كتاب النذر الحديث رقم ١٢ وأبو داود فى كتاب الإيمان الباب ٢٥ والترمذى فى كتاب النذور الباب الرابع والنسائى فى كتاب الإيمان الباب ٤١ وابن ماجة فى كتاب الكفارات الباب ١٧ وأحمد فى الجزء الرابع صفحة ١٤٤ ، ١٤٦ ١٤٧ .

النذر عند المالكية :

إلتزام المسلم المكلف بنذره إلا فى عصيان ، فعن عائشة رضى الله عنها أن النبىّ ﷺ قال : (من نذر أن يطيع اللّه فليطعه ، ومن نذر أن يعصى اللّه تعالى فلا يعصه)[1] وينعقد نذر المعصية كشرب خمر عندهم على الأصح وإن حرم الوفاء به ويكفر من لم يفعله كفارة يمين ويقضى الصوم غير صوم يوم حيض .

والنذر لنبىّ أو ولى عند المالكية صحيح ، فإن قصد الناذر الفقراء الملازمين للمحل أو الخدمة وجب عليه بعثه إليهم ، وإن قصد به نفع الميت تصدق به حيث شاء وإن لم يكن له قصد حمل على عادة موضع ذلك الولى .

النذر عند الشافعية :

وحده بالمعنى الخاص عند الشافعية ، إيجاب العبد على نفسه قربة لم يوجبها اللّه تعالى ، والنذر للولى الحى عند الشافعية صحيح يجب صرفه إليه ، ولا يجوز صرف شئ منه لغيره ، والنذر لولى إن قصد الناذر الميت ، بطل نذره لأن الميت لا يملك ، وإن قصد قربة أخرى كأولاده وخلفائه أو إطعام الفقراء الَّذِينَ عند قبره أو غير ذلك من القرب ، صح النذر ووجب صرفه فيما قصده الناذر ، وإن لم يقصد شيئًا لم يصح نذره ، إلا إن كانت عادة النَّاس فى زمن الناذر ينذرون للميت ويريدون جهة مخصوصة وعلمها الناذر ينزل نذره عليها .

النذر عند الحنابلة :

يقول صاحب الروض البديع من الحنابلة : إلزام مكلف مختار نفسه لله تعالى شيئًا غير محال بكل قول يدل عليه ، وتقسيم الحنابلة للنذر إلَى ستة أقسام دليل على أنه ليس بقربة لذاته .

النذر ليس بقربة لذاته ولا عبادة :

النذر ليس بقربة لذاته ، وقد تحقق بهذا اتفاق المذاهب الأربعة عليه ، وتحققت مباينته

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الإيمان الباب ٢٨ ، ٣١ وأبو داود فى كتاب الإيمان الباب ١٩ والترمذى فى كتاب النذور الباب الثانى والنسائى فى كتاب الإيمان الباب ٢٧ ، ٢٨ وابن ماجة فى كتاب الكفارات الباب ١٦ والموطأ فى كتاب النذور الحديث رقم ٨ وأحمد فى الجزء السادس صفحة ٣٦ ، ٤١ ، ٢٢٤ .

للعبادة تمام المباينة بمقتضى تعريف كل منهما لغة وشرعًا.

فالعبادة لغة: أقصى نهاية الخضوع والتذلل، ولا يكون ذلك إلا لمن له غاية التعظيم.

والعبادة شرعًا: امتثال أمر اللَّه تعالى كما أمر على الوجه المأمور به من أجل أنه أمر مع المبادرة بغاية الحب والخضوع والتعظيم.

الأدلة على أن النذر ليس بعبادة للمنذور:

١ - الحديث الَّذِى رواه أبو داود قال: نذر رجل على عهد رَسُول اللَّه ﷺ أن ينحر إبلًا ببوانة - هضبة وراء ينبع ـــ فأتى النبىّ ﷺ فأخبره فقال رَسُول اللَّه ﷺ لأصحابه: (هل كان فيها من وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ فقالوا: لا، قال: هل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا - خشية أن يكون النذر جاريا على عادة أهل الجاهلية لقرب العهد بهم وإن كان السائل مسلمًا ـــ فقال رَسُول اللَّه ﷺ: أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر فى معصية)[1].

يدل هذا الحديث على أن النذر فى مكان لا وثن فيه ولا عيد من أعياد الجاهلية جائز وليس بعبادة للمنذور وهو النذر، ولا للمنذور فيه وهو المكان.

٢ - الحديث الَّذِى رواه أبو داود أيضًا عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن امرأة قالت: يا رَسُول اللَّه ﷺ إنى نذرت أن أضرب على رأسك بالدف، قال: (أوف بنذرك)[2].

يدل على أن النذر ليس بقربة لذاته ولا عبادة، لأن حكم الضرب بالدف دائر عند الفقهاء بين الجواز والكراهية والتحريم، وقد صار قربة بكونه على رأس النبىّ ﷺ فرحًا بقدومه من الغزو سالمًا والفرح بسلامته ﷺ واجب من الإيمان، فلذلك أمرها ﷺ بالوفاء بنذرها.

---

(١) رواه أبو داود فى كتاب الإيمان الباب ٢٢ وابن ماجة فى كتاب الكفارات الباب ١٨ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٩٠ والجزء الرابع صفحة ٦٤ والجزء الخامس صفحة ٣٧٦ والجزء السادس صفحة ٣٢٦.

(٢) رواه أبو داود فى كتاب الإيمان الباب ٢٢ والترمذى فى كتاب المناقب الباب ١٧ وأحمد فى الجزء الخامس صفحة ٣٥٣، ٣٥٦.

تلبيس فى أحاديث ذكر النهى عن النذر :

يتذرع ثالوث التكفير بحديث ابن عمر رضى الله عنهما وقوله : لا تنذروا فإن النذر لا يغنى من القدر شيئًا ، وفى رواية : لا يأتى بخير ، وفى رواية أخرى : إنما يستخرج به من البخيل ، فهذا الحديث محمول على من علم من نفسه عدم الوفاء بما التزمه ، ومعنى : لا يأتى بالخير ، أنه لا يرد شيئًا من القدر كما فى الرواية الأخرى ومعنى : إنما يستخرج به من البخيل ، أن البخيل لا يأتى بالنذر تطوعًا محضًا مبتدئًا ، وإنما يأتى به فى مقابلة غرضه نذره الَّذِى علق عليه .

قال ابن الأثير وقد تكرر فى أحاديث النذر ذكر النهى عنه ، وهو تأكيد لأمره وتحذير عن التهاون به بعد إيجابه ، لأن الأمر بعد النهى يقتضى الوجوب .

فلو كان معنى هذا الحديث الزجر حتى لا يفعل لكان فى ذلك إبطال حكمه ، وإسقاط لزوم الوفاء به ، إذ كان بالنهى يصير معصية فلا يلزم ، وإنما وجه الحديث أنه قد أعلمهم أن ذلك أمر لا يجر لهم فى العاجل نفعًا ولا يصرف عنهم ضررا ولا يرد قضاء فقال : لا تنذروا ، على أنكم تدركون بالنذر شيئًا لم يقدره اللَّه لكم أو تصرفون به عنكم ما جرى به القضاء عليكم ، فإذا نذرتم ولم تعتقدوا هذا فأخرجوا عنه بالوفاء فإن الَّذِى نذرتموه لازم لكم .

فلو كان النذر لغير اللَّه عبادة لذاته ما حل فى مكان أبدًا ولو خاليًا من أوثان الجاهلية وأعيادها ، ولو كان عبادة لغير اللَّه لكان أمره ﷺ لذلك الرجل بالنحر فى بوانه ، ولتلك المرأة بالضرب بالدف على رأسه ﷺ أمرًا لها بعبادته ﷺ . برأه اللَّه من ذلك وﷺ .

شبهات وأباطيل حول النذر للأنبياء والأولياء :

صرح ثالوث التكفير ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب . أن النذر لمساجد الأنبياء والأولياء أو مشاهدهم أو موالدهم لا يجوز وأنه موجب للشرك للأسباب الآتية :

١ - إن التقرب إلَى الأنبياء والأولياء بالنذور يعد نوعًا من العبادة ، وصرف شئ من العبادة لغير اللَّه كصرف جميعها ، ومن فعل ذلك لمخلوق فهذا شرك فى العبادة وصار من يفعل له ذلك إلهًا .

٢ - إن اعتقاد النفع والضر فى المخلوق أو الشفاعة شرك بعينه كالَّذِى كان عليه عباد الأصنام والنذر بالمال على الميت هو بعينه الَّذِى كان تفعله الجاهلية .

٣ - وإن قلت هذه النذور عزيزة على أهلها ، والناذر ما أخرج من ماله إلا معتقدًا لجلب نفع أكثر منه أو دفع ضرر . ولو عرف بطلان ما أراده ما أخرج درهمًا فالواجب تعريفه بأنه إضاعة لماله ولا ينفعه ما يخرجه ولا يدفع عنه ضررًا .

ويستند ثالوث التكفير فى ذلك إلَى أن الرسُول ﷺ يقول : (إن النذر لا يأتى بخير وإنما يستخرج به من البخيل ويجب رده إليه ويحرم قبضه) ولأنه تقرير للناذر على شركه وأنه عين ما كان يفعله المشركون لأصنامهم .

٤ - ويقول ثالوث التكفير : النذر للقبور أو لأهلها كالنذر لإبراهيم الخليل عليه السلام والشيخ فلان نذر معصية لا يجوز الوفاء به ، وإن تصدق بما نذره من ذلك على من يستحقه من الفقراء والصالحين كان خيرًا له عند اللَّه وأنفع - راجع شرح دليل الطالب لابن تيمية .

وقال ثالوث التكفير : من نذر إسراج مقبرة أو قبر أو جبل أو شجرة أو نذر له أو لسكانه أو المضافين إلَى ذلك المكان لم يجز ، ولا يجوز الوفاء به إجماعًا ويصرف فى المصالح مالم يعرف ربه ومن الحسن صرفه فى نظيره من المشروع وفى لزوم الكفارة خلاف .

١ - الرد على شبهات وأباطيل النذر للأنبياء والأولياء :

١ - إن من ينذر لنبيّ أو ولى أو رجل صالح - لا يقصد إلا نذر الصدقة وإهداء ثوابها إلَى النبيّ أو الولى أو الصالح ، ولا يقصد التقرب إليه بالنذر بل التقرب إلَى اللَّه تعالى ، وكيف يقصد التقرب إليه وهو يعلم أنه ميت لا يمكنه الانتفاع بالمنذور : لا يأكله إن كان طعامًا ، ولا يصرفه إن كان نقودًا ، ولا يلبسه إن كان ثيابًا ، ولا بشئ ينتفع به مهما كان المنذور . ولو فرض صدور ما يوهم خلاف ذلك فهو محمول عليه حملاً لحمل أفعال المسلمين وأقوالهم على الصحة مهما أمكن ، وعدم جواز التهجم على الدماء ، والأموال والأعراض لمجرد الظنون والأوهام ، فلا يزيد هذا النذر على من نذر لأبيه وأمه أو حلف أو عاهد أن يتصدق عنهما كما روى عنه ﷺ أنه قال للبنت التى نذرت لأبيها عملاً : (أوف بنذرك) فإن كان النذر للأباء والأمهات كفرًا لم يأمر به الرسُول ﷺ .

٢ - اختيار بعض الأمكنة للنذر ما هو إلا طلب لشرف المكان حتى يتضاعف ثواب العبادة كما تختار بعض الأزمنة لبعض العبادات لا بأس به بتخصيص الأمكنة كما يستفاد مما روى عن ثابت عن الضحاك عن النبيّ ﷺ : أن رجلًا نذر أن يذبح ببوانه - هضبة وراء ينبع - فقال ﷺ : (هل كان فيها وثن يعبد ؟ فقال : لا ، قال : فهل فيها عيد من أعياد الجاهلية ؟ فقال : لا ، خشية أن يكون النذر جاريًا على عادة أهل الجاهلية لقرب العهد بهم ، وإن كان السائل مسلمًا - فقال ﷺ : أوف نذرك) .

٣ - النذر للمجاورين لمشاهد الأنبياء والأولياء لا مانع منه شرعًا فالمجاورة لمشاهد الأنبياء والأولياء راجحة طلبًا لشرف البقعة التي تشرفت بصاحب الروضة ، وإنكار شرف روضة النبيّ ﷺ أو الولي مصادمة للضرورة ، ويكفي ردًا على ذلك دفن الصاحبين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عند سيدنا محمد ﷺ حتى عد ذلك منقبة عظيمة لهما . ومنع بني أمية من دفن سيدنا الحسن عليه السلام عند جده قائلين : أيدفن عثمان في أقصى البقيع ويدفن الحسن عند جده ، وإصرار بني هاشم على ذلك حتى كاد يؤدي إلى إراقة الدماء .

والمجاورون لروضات الأنبياء والأولياء عباد لله يجوز التصدق عليهم كالتصدق على غيرهم إن لم يكن هم أولى ، ولم يخرجوا بمجاورتهم عن استحقاق الصدقة ، وليست لمجاورة عند القبر عبادة له حتى تكون محرمة .

٤ - إنه ليس كل تعظيم واحترام عبادة ، وقياس ثالوث التكفير ، ودًا وسواعًا ويغوث ويعوق الأمد ونسرا - وهي أسماء قوم صالحين من قوم نوح فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم طال عليهم الأمد فاتخذوا تماثيلهم أصنامًا - قياس فاسد ، فإن أولئك صوروا صورهم في المساجد وكانوا يصلون إليها ، ثم اتخذوها أوثانًا وعبدوها ، فسبب عبادتهم لها تصورهم تلك الصور وصلاتهم إليها لا احترام قبورهم ، وليس في المسلمين من يفعل مثل فعلهم ، ومجرد احتمال أن يؤدي الشئ إلى محرم لا يوجب تحريمه وإلا لم يبق في الدنيا حلال .

٥ - لو كان الناذر كافرًا عند ثالوث التكفير لم يأمرونه بالصدقة ؟! لأن الصدقة لا تقبل من الكافر ، بل يأمرونه بتجديد إسلامه ويقولون : خرجت من الإسلام بالنذر لغير الله - راجع الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية للشيخ سليمان بن عبد الوهاب في أول رسالته - ردًا على أخيه بكلام شيخه ابن تيمية هذا .

٦ – لو نهى اللَّه عن النذر لغيره بصريح النهى لم يلزم منه كفر من نذر لغيره إجماعًا ، فكيف مع عدم نهيه ؟! وقد نهى اللَّه فى كتابه العزيز : عن الربا ، والزنا ، وأكل أموال النَّاس بالباطل وحرمتها فى دين الإسلام معلومة بالضرورة ، وقد أجمع أهل الحق على عدم تكفير مرتكب واحد منها ما لم يكن مستحلًا له .

من كل ما تقدم يتضح أن النذر لا يزيد عن نذر الصدقة عن الميت الثابت جوازه ، وأنه لا يحرم أخذه ، وأنه ليس فيه شئ من الشرك حتى يكون أخذه تقريرًا للشرك ، وأن النفع حاصل به وهو الثواب منه تعالى ، والضرر يندفع به كما يندفع بالصدقة إذ هو لا يخرج عنها .

الفصل العاشر

النحر والذبح

دلالة النحر والذبح من الكتاب:

١ - يقول اللّه تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِكَ وانحَر﴾[١] أى: فدم على الصلاة لربك، الَّذِى أفاض عليك ما أفاض من الخير خالصًا لوجهه عز وجل - خلاف الساهين عنها والمتمصوفة أو المرائين فيها من السلفية - أداء لحق شكره تعالى على ذلك، فإن الصلاة جامعة لجميع أقسام الشكر، ولذا قيل: فصل دون: فاشكر، وانحر البدن التى هى خيار أموال العرب باسمه تعالى وتصدق على المحتاجين، وقيل: المراد بها صلاة العيد وبالنحر: الأضحية.

٢ - والدليل الثانى قوله تعالى: ﴿قُل إِن صَلَاتِي ونُسُكِي ومَحيَاى ومَمَاتِى للّه رَب العَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وبِذَلِكَ أُمِرتُ وأَنَا أَولُ المُسلِمِينَ﴾[٢]. والراجح فى معنى النسك خمسة أقوال للمفسرين: كل ما يتقرب به إلَى اللّه تعالى من صلاة وحج وذبح وغيرها، وقيل: هو العبادة، وقيل: هو أعمال الحج، وقال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والسدى: المراد به الذبيحة فى الحج والعمرة، وقيل: هو الذبح، وهذا والثلاثة قبلة داخلة فى الأول، لأن ذبح الأضاحى والهدايا مما يتقرب به إلَى اللّه تعالى، فالآية دالة على أن العبد مطلوب منه الإخلاص لله فى جميع الطاعات. ويؤكده قوله تعالى: ﴿لِلّهِ رَبِّ العَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ والإخلاص محله القلب، ولا يعلم كون العبد أخلص فى طاعته أم لا إلا عالم الأسرار والنجوى، وقصر النسك فيها على مطلق الذبح الَّذِى هو خامس الأقوال فيها وتهجمه على قلوب الذابحين ومقاصدهم، وحكمه عليهم بالكفر تورط فى وحل الجهل دفعات.

---

(١) سورة الكوثر آية ٢.

(١) سورة الأنعام آية ١٦٢ - ١٦٣.

دلالة النحر والذبح من السنة :

١ - روى أبو داود : نذر رجل على عهد رَسُول اللَّه ﷺ أن ينحر إبلًا ببوانه - هضبة وراء ينبع - فأتى النبيّ ﷺ فأخبره ، فقال رَسُول اللَّه ﷺ لأصحابه : (هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ فقالوا : لا ، قال : هل كان فيها عيد من أعيادهم ؟ قالوا : لا - خشية أن يكون الذبح جاريا على عادة أهل الجاهلية لقرب العهد بهم وإن كان السائل مسلمًا ـــ فقال رَسُول اللَّه ﷺ : أوف بنذرك فإنه لا وفاء لنذر فى معصية)[1] .

٢ - الحديث الَّذِى رواه أبو داود أيضًا عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده أن أمرأة قالت : يا رَسُول اللَّه ﷺ إنى نذرت أن أضرب على رأسك بالدف ، قال : (أوفِ بنذرك)[2] .

وزاد رزين فى جامعه قالت : ونذرت أن أذبح بمكان كذا وكذا - وكان يذبح فيه أهل الجاهلية - فقال ﷺ : (هل كان بذلك المكان وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟ قالت : لا ، قال : هل كان فيه عيد من أعيادهم ؟ قالت : لا ، قال ﷺ : أوف بنذرك)[3] فأمرها بوفاء نذرها حيث كان فى مكان لا وثن فيه ولا عيد من أعياد الجاهلية .

شبهات وأباطيل حول النحر والذبح للأنبياء والأولياء :

١ - يزعم ثالوث التكفير - ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب ـــ أن المسلمين يذبحون وينحرون للأموات والقبور ، ويقربون لها القرابين ، وأن ذلك كالذبح والنحر للأصنام الَّذِى كانت تفعله أهل الجاهلية الموجب للشرك ، صرح بذلك البدعى النجدى ابن عبد الوهاب فى الباب الثانى المنقول عن رسالته « كشف الشبهات » حيث قال : إن النبيّ ﷺ قاتل المشركين لتكون جملة أشياء لله تعالى وعدّ منها الذبح ، وقال فى الرسالة المذكورة - فى أثناء كلام له علَّم به أصحابه كيف يحتجون على غيرهم - قال : هل الصلاة والنحر لله عبادة إذ يقول : ﴿ **فصل لربك وانحر** ﴾ ؟ فلابد أن يقول : نعم ، فقل : إذا نحرت لمخلوق نبيّ أو ولى أو غيرهما هل أشركت فى هذه العبادة غير اللَّه ؟

---

(١) رواه أبو داود فى كتاب الإيمان الباب ٢٢ وابن ماجة فى كتاب الكفارات الباب ١٨ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٩٠ والجزء الرابع صفحة ٦٤ والجزء الخامس صفحة ٣٧٦ والجزء السادس صفحة ٣٢٦ .

(٢) رواه أبو داود فى كتاب الإيمان الباب ٢٢ والترمذى فى كتاب المناقب الباب ١٧ وأحمد فى الجزء الخامس صفحة ٣٥٣ ، ٣٥٦ .

(٣) رواه أبو داود فى كتاب الإيمان الباب ٢٢ .

فلابد أن يقول : نعم ، فقل : المشركون هل كانوا يعبدون الأنبياء والأولياء ؟ فلابد أن يقول : نعم ، فقل : وهل كانت عبادتهم إياهم إلا فى الدعاء والذبح والالتجاء ، وإلا فهم يشعرون أنهم عبيد اللّه تحت قهره .

٢ - يقول الصنعانى - أحد ذيول ثالوث التكفير - فى عدة مواضع فى كتابه « تطهير الاعتقاد » : إن إفراد اللّه بتوحيد العبادة لا يتم إلا أن تكون أشياء لله وعدَّ منها النحر ، وأن تعظيم الأولياء ونحرهم لهم النحائر شرك ، واللّه تعالى يقول : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانحَرْ ﴾ أى لا لغيره ، وأن النحر على القبر بعينه الَّذِى كانت تفعله الجاهلية لما يسمونه وثنًا وصنمًا ، ويفعله القبوريون لما يسمونه وليًا وضريحًا وقبرا .

٣ - ويقول ثالث الأثافى - ابن عبد الوهاب : إن نحر النحائر للأنبياء والأولياء شرك ، فإن قال قائل : إنما نحرت لله وذكر اسم اللّه عليه ، فقل إن كان النحر لله فلأى شئ قربت ما تنحره بأى ضريح ممن تفضله وتعتقد فيه ؟ هل أردت بذلك تعظيمه ؟ إن قال : نعم ، فقل له : هذا النحر لغير اللّه ، بل أشركت مع اللّه تعالى غيره ، وإن لم ترد تعظيمه ، فهل أردت توسيخ باب الضريح وتنجيس الداخلين إليه ؟! أنت تعلم يقينًا أنك ما أردت ذلك أصلًا ، ولا أردت إلا الأول ، ولا خرجت من بيتك إلا قصده ، فهذا الَّذِى عليه هؤلاء شرك بلا ريب .

٤ - وقد يضاف النحر والذبح إلَى المخلوق بقصد التقرب إليه - كما تتقرب إلَى اللّه تعالى - طلبًا للخير منه مع كونه حجرًا وصنمًا لا يضر ولا ينفع ولا يفعل ولا يسمع سواء أكان تمثالًا لنبىّ أو صالح أو غير ذلك . ومع نهى اللّه تعالى عن ذلك ، يذكر اسمه على المنحور والمذبوح ويعرض عن اسم اللّه تعالى فيجعل نظيرًا لله تعالى وندًا له ، ويطلى بدم المنحور أو المذبوح قصد التقرب إليه ، مع كون ذلك عبثًا ولغوًا فهى عند اللّه تعالى كما كان يفعل المشركون مع أصنامهم ، وهذا قبيح مستنكر بل شرك وكفر سواء سمى عبادة أو لا . وهذا ما توهم ثالوث التكفير أن المسلمين يفعلون مثله للأنبياء والأولياء والعلماء ، فينحرون ويذبحون لهم عند مشاهدهم أو غيرها ، ويقربون لهم القرابين كما كان عبدة الأصنام والأوثان يفعلون ذلك بأصنامهم وأوثانهم .

٥ - يقول ثالوث التكفير : إن الذبح لغير اللّه عبادة للمذبوح له ومن عبد غير اللّه فقد كفر ، ويقولون من ذبح لغير اللّه فقد كفر وأشرك ، ويستندون فى ذلك لقوله ﷺ فى الحديث : (لعن اللّه من لعن والديه ولعن اللّه من ذبح لغير اللّه ..) .

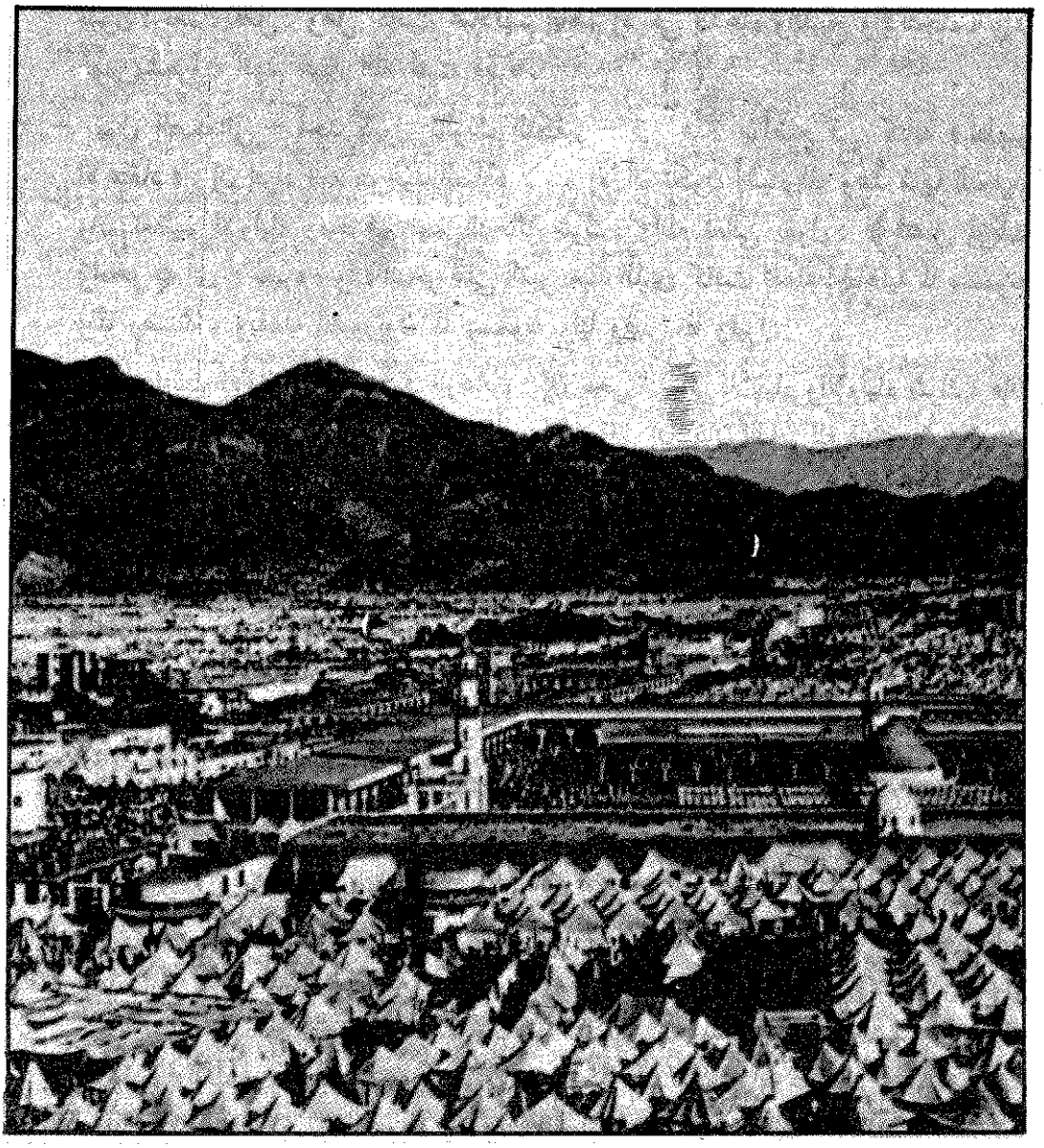

مِنَى حيث مكان الذبح والنحر

الرد على شبهات وأباطيل النحر للأنبياء والأولياء :

١ - النحر والذبح ، قد يضاف لله تعالى فيقال : ذبح لله ، ونحر لله ، ومعناه أنه نحر لوجهه تعالى امتثالاً لأمره وتقربًا إليه ، كما فى الأضحية بمنى وغيرها ، والفداء فى الإحرام والعقيقة وغير ذلك ، وهذا يدخل فى عبادته تعالى ، أو نحر باسمه تعالى ، فذكر اسمه على المنحور لا ربط له بالعبادة إنما هو شرط فى حلية الذبيحة مع التفطن لقوله تعالى : ﴿وَلَا تَأْكُلوا مِما لَم يُذكَرِ اسمُ اللَّهِ عَلَيهِ﴾[1] .

٢ - وقد يضاف النحر والذبح إلَى المخلوق ، فيقال : ذبحت الدجاجة للمريض ، ونحرت البعير أو ذبحت الشاه للأضياف ، أو ذبحت كذا لسمو الأمير فلان ، تريد بذلك الَّذِى أمرك بالذبح ، وهذا لا محذور فيه ، أليس النبىّ أو الولى أهلًا للتعظيم ومحلًا لإهداء الثواب . وبناء عليه فليس كل تعظيم لمخلوق شركًا وكفرًا كما تقتضيه حجج ثالوث التكفير فيعمهم الشرك ، أترى لو أن جلالة الملك خادم الحرمين الشريفين ، أو أحد السادة أصحاب السمو الأمراء ، أو أحد أصحاب المعالى الوزراء - زار كلا منهم شخصية من الشخصيات فأتى بالإبل والغنم ونحر وذبح لضيافة زائره وإكرامه وإظهار تعظيمه ، وذكر اسم اللَّه على الذبيحة ، يكون كافرًا ومشركًا لأنه ذبح لغير اللَّه ، وقصد بالذبح تعظيم المذبوح له ، حتى لو كان هذا الزائر هو الظالم صدام حسين ، أو البعثى حافظ الأسد ، أو الكافر بوش أو بيكر ؟ لم يكن الذبح له - قصدًا لتعظيمه - كفر ولا شرك ، مع أنه ليس أهلًا للتعظيم ، فكيف بمن هو أهل للتعظيم من نبىّ أو ولى حيا أو ميتًا ؟! فقول ثالوث التكفير : إن هذا شرك - بلا ريب - إفك أو إفتراء بلا ريب .

٣ - إن ما يفعله المسلمون لا يخرج عن الذبح والنحر لله تعالى ، لأنه يقصد أني أذبح هنا ، فى سبيل اللَّه لأتصدق بلحمه وجلده على الفقراء أو مطلق عباد اللَّه ، وأهدى ثواب ذلك لرب المشهد ، والذبح الَّذِى يقصد به هذا يكون راجحًا ، وطاعة لله تعالى وعبادة ، سواء أهدى ثواب ذلك لنبىّ أو ولى أو أب أو أم أو أى شخص من سائر النَّاس . ونظيره من يقصد أنى أطحن هذه الحنطة لأعجنها وأخبزها وأتصدق بخبزها على الفقراء وأهدى ثواب ذلك لأبوى ، فأفعاله هذه كلها طاعة وعبادة لله تعالى لا لأبويه ، ولا يقصد أحد من المسلمين بالذبح لنبىّ أو ولى أو غيره ما كانت تقصده

---

(١) سورة الأنعام آية ١٢١ .

عبدة الأوثان من التقرب إليها بالذبح لها، ولا يفعل ما كانت تفعله من ذكر اسمها على الذبيحة والإهلال بها لغير الله، وطليها بدمها مع نهى الله تعالى لهم عن ذلك. ولو ذكر أحد من المسلمين اسم نبيّ أو ولى على الذبيحة لكان ذلك عندهم منكرًا وحرمت الذبيحة، فليس الذبح لهم بل عنهم، بمعنى أنه عمل يهدى ثوابه إليهم كسائر أعمال الخير، أو لهم باعتبار ثوابه، ولذلك لا ينفعه قولهم: ذبحت لفلان، أو أريد أن أذبح لفلان، أو عندى ذبيحة لفلان لو فرض وقوعه، فالمقصود فى الكل كونها له باعتبار الثواب. وهذا كما يقال: ذبحت للضيف أو للمريض أو لسمو الأمير أو جلالة الملك الآمر بالذبح أو نحو ذلك، بل قصد بالذبح امتثال أمر الآمر به من المخلوقين وطلب رضاه، وأتى به على وجهه من شرائط الذبح الشرعية لم يكن بذلك آثمًا، ولا عابدًا للآمر ولا شركا، مع أنه لو وقع مثل ذلك امتثالًا لأمر الله تعالى كما فى الأضحية ونحوها لكان عبادة له تعالى كما مر، وكل من يأمرهم سمو الأمير أو جلالة الملك بالذبح أو النحر من الخدم أو العبيد أو الأتباع حالهم كذلك مع أنهم يزعمون أنهم الموحدون الوحيدون.

٤ - إن المسلمين لا يقصدون من الذبح للنبيّ أو الولى غير إهداء الثواب، وعلى ذلك لا يكون حالهم إلا على أنواع ثلاثة:

أ - فالعارفون منهم حالهم واضح فى أنهم لا يقصدون غير ذلك.

ب - أما العامة فإنما يقصدون ما يقصد العارفون منهم ولو إجمالًا، حتى لو فرض وقوع إضافة الذبح إلَى النبيّ أو الولى كما مر، فليس المقصود إلا كون ثوابها له لا يشك فى ذلك إلا معاند.

ولو سألنا عارفًا أو عاميًا أيًا كان، هل مرادك الذبح لصاحب المشهد تقربًا إليه كما كان المشركون يذبحون لأصنامهم؟ أو مرادك إهداء الثواب له؟ لقال: معاذ الله أن أقصد غير إهداء الثواب.

جـ - لو فرضنا أننا شككنا فى قصده أو خفى علينا وجه نعلمه، لما جاز لنا أن نحمله إلا على الوجه الصحيح لوجوب حمل أفعال المسلمين وأقوالهم على الصحة حتى يعلم الفساد، ولم يجز لنا أن ننسبه إلَى الشرك، ونستبيح دمه وماله وعرضه لمجرد ظننا أن قصده الذبح لها كالذبح للأصنام لما عرفت فى المقدمات من وجوب الحمل على الصحة ما أمكن.

٥ - يتهجم ثالوث التكفير مستندين بقول الحديث : (لعن اللّه من لعن والديه ولعن اللّه من ذبح لغير اللّه ....) ويحتجون به على كفر من ذبح لغير اللّه . فالتكفير سهل عند ثالوث التكفير ولا ارتباط لهم فى تكفيرهم بكتاب اللّه ولا بسنة رَسُول اللّه ﷺ فضلًا عن درجة الحديث فيها ولا بما عليه السواد الأعظم وإنما ارتباطهم بفهمهم السقيم العقيم ، ويرد على ذلك بالأدلة الآتية :

أ - لا إرشاد لكفر من ذبح لغير اللّه فى منطوق هذا الحديث ولا فى مفهومه فإن منطوقه : (لعن اللّه من ذبح لغير اللّه) ومفهومه عدم لعن من ذبح لله تعالى .

ب - يلزم على حد زعم ثالوث التكفير تكفير كل من لعنه النبىّ ﷺ وهو فى السنة كثير فمنه (لعن اللّه الراشى والمرتشى والرائش)[١] ، و (لعن اللّه النائحة والمستمعة)[٢] و (لعن اللّه المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء)[٣] و (لعن اللّه الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها)[٤] و (لعن اللّه الربا وآكله وموكله وكاتبه وشاهده وهم يعلمون)[٥] .

ولم يقل ذو عقل ودين بكفر أحد من المكلفين الَّذِينَ لعنهم رَسُول اللّه ﷺ فى هذه الأحاديث وغيرها ، غير الجاحد والمستحل لما هو معلوم من الدين بالضرورة .

جـ - يلزم على فهم ثالوث التكفير ، تكفير جميع المسلمين من أول الإسلام إلَى قيام الساعة فالآلاف المؤلفة من الغنم والبقر والإبل المذبوحة والمنحورة فى المدن والقرى يوميًا للأكل ، علاوة على ما يذبح فى الولائم والحفلات وللضيوف فرحًا بقدوم جلالة الملك أو سمو الأمير أو أصحاب المعالى الوزراء وغير ذلك من المقتضيات فكلها مذبوحة لغير

---

(١) رواه الترمذى فى كتاب الأحكام الباب ٩ وأبو داود فى كتاب الأقضية الباب الرابع وابن ماجة فى كتاب الأحكام الباب الثانى وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ١٦٤ ، ١٩٠ ، ١٩٤ ، ٢١٢ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ والجزء الخامس صفحة ٢٧٩ .

(٢) رواه أبو داود فى كتاب الجنائز الباب ٢٥ وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ٦٥ .

(٣) رواه البخارى فى كتاب اللباس الباب ٦٢ وكتاب الحدود الباب ٣٣ وأبو داود فى كتاب الأدب الباب ٥٣ والدارمى فى كتاب الاستئذان الباب ٢١ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣٧ ، ٢٥٤ ، ٣٣٩ ، ٣٦٥ والجزء الثانى صفحة ٩١ ، ٢٨٧ ، ، ٢٨٩ .

(٤) رواه أبو داود فى كتاب الأشربة الباب الثانى وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٣١٦ والجزء الثانى صفحة ٩٧ .

(٥) رواه البخارى فى كتاب اللباس الباب ٨٦ ، ٩٨ ومسلم فى كتاب المساقاة الحديث رقم ١٠٦ وأبو داود فى كتاب البيوع الباب الرابع والترمذى فى كتاب البيوع الباب الثانى والنسائى فى كتاب الزينة الباب ٢٥ وابن ماجة فى كتاب التجارات الباب ٥٨ والدارمى فى كتاب البيوع الباب الرابع وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٨٣ ، ٨٨ ، ٩٣ ، ١٠٧ ، ١٢١ ، ١٣٣ ، ١٥٠ ، ١٥٨ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٤٠٢ ، ٤٠٩ ، ٤٥٣ .

اللّه تعالى قطعًا .

رأى الشيخ محمد عبده يرد دعوى ثالوث التكفير :

ولقد أيد ذلك الشيخ محمد عبده فى كتابه الإسلام والنصرانية ص ٥٥ إذ يقول : (إن من أصول الأحكام فى الدين الإسلامى البعد عن التكفير، وأن مما اشتهر بين المسلمين وعرف من قواعد أحكام دينهم إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه ، ويحتمل الإيمان من وجه واحد ، حمل على الإيمان ، ولا يجوز حمله على الكفر) .

فما رأى القرنيين فى الجمع بين هذا الكلام الصادر ممن يلقبونه (الأستاذ الإمام حكيم الإسلام) .. وبين أقوال أسيادهم الوهابيين ؟ .. الَّذِينَ ينشرون كتب فكرهم التى يكفرون بها المسلمين ، ويستحلون دماءهم وأموالهم بقولهم : يا رَسُول اللّه اشفع لى .. اقض حاجتى ، مع أنه لو احتمل الكفر من وجه واحد فهو يحتمل الإيمان من مائة وجه كما تعلمه من تضاعيف هذا الكتاب .

أسانيد إهداء الثواب إلَى الأموات :

أما إهداء ثواب الخيرات والعبادات إلَى الأموات فأمر راجح مشروع ، ولم يمنع منه كتاب ولا سنة ، بل وردت به السنة فى صحاح الأخبار ، وقامت عليه سيرة المسلمين وعملهم فى كل عصر وزمان ، من عهد النبىّ ﷺ والصحابة إلَى اليوم ، ومن أولى بالهدايا من أنبياء اللّه وأوليائه .

١ - روى مسلم فى صحيحه فى باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه بعدة أسانيد عن السيدة عائشة رضى الله عنها : أن رجلًا أتى النبىّ ﷺ فقال يا رَسُول اللّه إن أمى افتلتت نفسها ولم توص وأظنها لو تكلمت لتصدقت ، أفلها أجر إن تصدقت عنها ؟ قال ﷺ : (نعم)[1] .

قال النووى فى الشرح : (افتلتت نفسها) نائب فاعل أو مفعول به ، أى ماتت فجأة ، ثم قال : وفى الحديث إن الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها وهو كذلك بإجماع

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الجنائز الباب ٩٥ وكتاب الوصايا الباب ١٩ ومسلم فى كتاب الزكاة الحديث رقم ٥١ وكتاب الوصية الحديث ١٢ ، ١٣ وأبو داود فى كتاب الوصايا الباب ١٥ والنسائى فى كتاب الوصايا الباب السابع وابن ماجة فى كتاب الوصايا الباب الثامن .

لعلماء .

٢ - روى أحمد بن حنبل فى مسنده عن السيدة عائشة رضى الله عنها أن رجلًا قال للنبىّ ﷺ : (إن أمى افتلتت نفسها وأظنها لو تكلمت لتصدقت فهل لها أجر أن أتصدق عنها ؟ قال : (نعم)[١]

٣ - روى أحمد بن حنبل أيضًا عن ابن عباس أن بكرًا أخا بنى ساعدة توفيت أمه وهو غائب عنها فقال : يا رَسُول اللّه إن أمى توفيت وأنا غائب عنها ، فهل ينفعها إن تصدقت بشئ عنها ؟ قال :(نعم) ، فقال : أشهدك أن حائط المخرف صدقة عليها[٢] .

٤ - وعن أحمد وأبى داود والترمذى : (أن النبىّ ﷺ ذبح بيده وقال : اللّهم عنى وعمن لم يضح من أمتى)[٣] .

٥ - وعن سيف وأبى داود : (أن عليًّا كان يضحى عن النبىّ ﷺ بكبش وكان يقول : أوصانى أن أضحى عنه دائمًا)[٤] .

٦ - وعن الإمام علىّ عليه السلام : (أن النبىّ ﷺ أوصانى أن أضحى عنه)[٥] .

٧ - وعن بريدة : أن امرأة سألت النبىّ ﷺ هل تصوم عن أمها بعد موتها ؟ وهل تحج عنها ؟ قال (نعم) .

٨ - وعن ابن عباس أنه قال : (تفى البنت نذر أمها) .

٩ - وروى أن العاص بن وائل أوصى بالعتق ، فسأل ابنه النبىّ ﷺ عن العتق له فأمر به .

١٠ - عن السيدة عائشة رضى الله عنها : أن النبىّ ﷺ قال عند الذبح : (اللهم تقبل من

---

(١) نفس التخريج السابق .

(٢) رواه البخارى فى كتاب الوصايا الباب ١٥ ، ٢٠ ، ٢٦ ومسلم فى كتاب الزكاة الحديث رقم ٥٢ والترمذى فى كتاب الزكاة الباب ٣٣ وأبو داود فى كتاب الوصايا الباب ١٥ والنسائى فى كتاب الوصايا الباب الثامن وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٣٣٠ ، ٣٧٠ .

(٣) رواه أحمد فى الجزء الثالث صفحة ٨ ، ٣٥٦ ، ٣٦٢ وأبو داود فى كتاب الأضاحى الباب الثامن والترمذى فى كتاب الأضاحى الباب ١٠ ، ٢٠ .

(٤) ، (٥) رواه أبو داود فى كتاب الأضاحى الباب الأول وأحمد فى الجزء الأول صفحة ١٠٧ ، ١٤٩ ، ١٥٠ .

محمد وآل محمد وأمته)[1] .

ومما تقدم يتضح أن إهداء ثواب الخيرات والعبادات إلَى الأموات أمر لا يشك أحد من المسلمين فى جوازه وعليه جرت سيرتهم خلفًا عن سلف . وقد ذكر النووى إجماع العلماء عليه ، فهذا حال الذبح والنحر للأنبياء والأولياء - الَّذِى أعظم ثالوث التكفير أمره واستحلوا لأجله الدماء والأموال والأعراض - هذا الأمر الَّذِى لا يخرج عن مندوبات الشرع ومستحباته . ومن ذلك يظهر فساد قول ثالوث التكفير .

حكمة اختيار النحر أو الذبح بجوار مشهد النبى أو الولى :

إن اختيار النحر والذبح فى جوار مشهد النبىّ أو الولى يرجع للأسباب الآتية :

١ - لطلب زيادة الثواب لتشرف البقعة بمن فيها إن كان نبيًا أو وليًا ، فيزاد ثواب العمل بذلك لما ورد أن الأعمال يتضاعف أجرها لشرف الزمان والمكان ، وإنكار شرف المكان بشرف المكين إنكار للضرورى .

٢ - لما كان المراد إهداء الثواب إليه ناسب كون هذا العمل الَّذِى هو عبادة وصدقة لله فى المكان الَّذِى فيه قبره ، لأن الهدية يؤتى بها عادة للمهدى إليه نظير قراءة القرآن عند قبره ، وإهداء ثواب القراءة إليه ، وليس فى ذلك منافاة للدين ولا محذور لأن ذلك إن لم يكن راجحًا فلا أقل من كونه مباحًا .

٣ - إن مريد النحر أو الذبح يأتى غالبًا للزيارة التى هى راجحة ومشروعة سواء بعدت المسافة أو قربت ، فيحضر الزائر ما يريد ذبحه وإهداء ثوابه إلَى المزور معه .

وليس فى واحد من هذه الوجوه الثلاثة محذور ولا مانع ولا منافاة للحنيفية السهلة السمحاء التى تشدد فيها ثالوث التكفير تشدد سلفهم الخوارج ، فما يفعله المسلمون بذكر اسم اللَّه تعالى وبنحر للصدقة وإهداء الثواب ، بخلاف ما ينحر للأوثان الَّذِى يذكر اسمها عليه ، ويقصد التقرب إليها لا إلَى اللَّه تعالى .

---

(٥) رواه مسلم فى كتاب الأضاحى الحديث رقم ١٩ وأبو داود فى كتاب الأضاحى الباب الرابع وأحمد فى الجزء السادس صفحة ٧٨ .

الباب الثالث

حول توقير النبى ﷺ وإحياء ذكرى الأنبياء والأولياء والسيادة لهم والقسم بغير الله تعالى

الفصل الأول

توقير النبى ﷺ

القَرْنِيُّونَ لا يوقرون النبىّ ﷺ :

التوقير والتعظيم لسيدنا محمد ﷺ من الإيمان فمن لم يعظمه ﷺ بما يليق بمقامه فهو كافر، ومن رفعه فى التعظيم إلَى مقام الألوهية فهو كافر..

وقد أشاع ثالوث التكفير – ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب – وأمثالهم عدم توقير النبىّ ﷺ ، لاعتقادهم أن كل ما فيه إجلاله ﷺ من قول أو فعل فهو شرك وعبادة له، من قائله وفاعله، فسجل ثالوث التكفير على أنفسهم للعالم الإسلامى أنهم موتورون منه ﷺ يسوءهم ما فيه توقيره ﷺ ، ويسرهم ما فيه انتهاك حرمته ﷺ . وهذا يدل على أنه قام فى أدمغة ثالوث التكفير الفاسدة أن كل من عظم النبىّ ﷺ فهو عابد له، فهم بذلك منتهكون حرمته ﷺ .

ولقد زاد البدعى النجدى ابن عبد الوهاب الطين بلة حيث يقول: إن النبىّ ﷺ (طارش) أى أدى الرسالة وذهب فلا حرمة ولا قيمة له. وهكذا أهل بيت النبىّ ﷺ الطيبون الطاهرون وأصحابه رضوان اللّه عليهم الهداة المهديون وأولياء اللّه الصالحون، يقولون فى الواحد منهم: قال فلان بدون صيغة تدل على احترامه كالسلام أو الترضية، لأن كل ما يدل على تبجيله ﷺ وتبجيل أهل بيته وأصحابه وأئمة دينه والأولياء – من الألفاظ

التى تدعو إلَى احترامهم - غلو عندهم ينافى التوحيد، ولا يكون غلوًا منافيًا للتوحيد إذا كان فى ثالوث التكفير، فيقولون فى كل منهم: قال شيخ الإسلام قدس الله روحه ونور قبره، تأليهًا لهم.

أما إذا كان فى الأسرة المالكة السعودية فيقولون: صاحب الجلالة سيدنا ومولانا الملك فلان المعظم أو المفدى، وصاحب السمو الملكى الأمير فلان ولى العهد الأمين، وصاحب السمو الأمير فلان، وصاحب المعالى الوزير فلان، وصاحب السعادة الوجيه فلان.

ولا تكون هذه الألقاب غلوا ولا منافية للتوحيد، نعوذ بالله من زلقات اللسان وفساد الجنان !!.

تعظيم القرآن للرسول ﷺ:

اعلم أن هذه العجالة لا تتسع لتتبع الآيات الواردة فى التنويه بعظيم قدر رَسُول الله ﷺ والحض على توقيره وتعظيمه، وإنما المراد منها التنبيه إلَى أمثلة من تلك الآيات الكريمة.

١ - آيات أشارت بعظيم قدره وعدّدت نعم الله عليه وهى:

أ - قوله تعالى: ﴿**إِنَّا فَتَحنَا لَكَ فَتحًا مُبِينًا لِيَغفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِم نِعمَتَهُ عَلَيكَ وَيَهدِيَكَ صِرَاطًا مُستَقِيمًا وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصرًا عَزِيزًا**﴾[1].

وقد قال رَسُول الله ﷺ لما نزلت عليه هذه الآية: (لقد أنزلت علىّ الليلة سورة أحب إلَى من الدنيا وما فيها ﴿**إِنَّا فَتَحنَا لَكَ فَتحًا مُّبِينًا ...**﴾[2] رواه البخارى وأحمد وغيرهما عن عمر بن الخطاب رضى الله عنهم كما فى الدر المنثور.

ب - ومثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَرسَلنَاكَ شَاهِدًا ومُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا**﴾[3].

فهو ﷺ شاهد على أمته التى هى شاهدة على النَّاس كما قال تعالى: ﴿**لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ**

---

(١) سورة الفتح آية ١ - ٣.

(٢) رواه البخارى فى كتاب المغازى الباب ٣٥ ومسلم فى كتاب الجهاد الحديث رقم ٩٧ والموطأ فى كتاب القرآن الحديث رقم ٩.

(٣) سورة الأحزاب آية ٤٥ - ٤٦.

﴿عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرسُولُ عَلَيكُم شَهيدًا﴾[1] فهو ﷺ الرقيب المؤتمن على الرقباء، قال القاضي عياض: وقد جمع الله له ﷺ في هذه الآية دروبًا من رتب الأثرة جملة وأوصاف من المدحة، وجعله سراجًا ينير للناس طريقهم كما قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلنَاهُ إِلَيكَ لِتُخرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[2].

٢ - تعظيم الله تعالى لنبيه ﷺ أنه ناداه في كتابه العزيز بالوصف الشريف:

أ - فقال: ﴿يَأَيُّهَا النبيُّ﴾[3]، وقال: ﴿يَأَيُّهَا الرسُولُ﴾[4].

بينما جرت العادة أن ينادي الله تعالى أنبياءه الكرام بأسمائهم فقد قال تعالى: ﴿يَا آدَمُ اسكن أَنتَ وَزَوجُكَ الجَنَّةَ﴾[5]، وقال: ﴿يَا نُوحُ اهبِط بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيكَ﴾[6]، وقال: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنا رَبُّكَ﴾[7]، وقال: ﴿يَا عِيسَى ابنَ مَريَمَ اذكُر نِعمَتِي عَلَيكَ﴾[8].

وقال شيخ الإسلام العز بن عبد السلام: ولا يخفى أن السيد إذا دعا عبده بأفضل ما أحب له من الأوصاف العلية والأخلاق السنية فقد فضله على غيره، ومن دعا بأفضل أوصافه وأخلاقه كان ذلك مبالغة في تعظيمه واحترامه.

ب - وهكذا علّمنا الله تعالى كيف نخاطب النبيّ ﷺ وكيف نتأدب فقال: عز وجل: ﴿لَا تَجعَلُوا دُعَاءَ الرسُولِ بَينَكُم كَدُعَاءِ بَعضِكُم بَعضًا﴾[9].

أخرج أبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿لَا تَجعَلُوا دُعَاءَ الرسُولِ بَينَكُم كَدُعَاءِ بَعضِكُم بَعضًا﴾ يعني كدعاء أحدكم إذا دعاه أخاه باسمه ولكن وقروه وعظموه وقولوا له: يا رَسُول الله - راجع الدر المنثور.

جـ - وأمر المولى سبحانه أن نخفض أصواتنا عند رَسُول الله ﷺ، وألا نرفع أصواتنا فوق صوته فقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرفَعُوا أَصوَاتَكُم فَوقَ صَوتِ النبيّ وَلَا تَجهَرُوا لَهُ بِالقَولِ كَجَهرِ بَعضِكُم لِبَعضٍ أَن تَحبَطَ أَعمَالُكُم وَأَنتُم لَا تَشعُرُونَ إِنَّ

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٣.
(٢) سورة إبراهيم آية ١.
(٣) سورة الأحزاب آية ١، ٢٨، ٤٥.
(٤) سورة المائدة آية ٤١، ٦٧.
(٥) سورة البقرة آية ٣٥.
(٦) سورة هود آية ٤٨.
(٧) سورة طه آية ١١ - ١٢.
(٨) سورة المائدة آية ١١٠.
(٩) سورة النور آية ٦٣.

الَّذِينَ يَغُضُّونَ أصواتَهُم عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أولَئِكَ الَّذِينَ امتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُم للتَقوى لَهُم مَّغفِرة وَأجرٌ عَظِيمٌ﴾[1] .

د - كما حذرنا سبحانه وتعالى من التقدم بين يديه وعصيان أمره والافتئات عنه فقال جل ذكره: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّموا بَينَ يَدَيِ اللَّهِ ورَسُولِهِ﴾[2] .

٣ - وقد أخذ الله تعالى على النبيين الميثاق ليؤمنن به ولينصرنه فقال جل من قائل: ﴿وإذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النبيِّين لَمَا آتَيتُكُم مِن كِتَابٍ وحِكمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُم رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُم لَتُؤمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقرَرتُم وأَخَذتُم عَلَى ذَلِكُم إِصرِى قَالُوا أقرَرنَا قَالَ فَاشهَدوا وأَنَا مَعكُم مِن الشَّاهِدِين﴾[3] .

وفى الدر المنثور وشرح المواهب للزرقانى عن ابن جرير عن سيدنا على بن أبى طالب: (ما بعث الله نبيًا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد ﷺ وهو حى ليؤمنن به ولينصرنه)[4] .

٤ - وقد أقسم الله تعالى فى آيات عديدة على عظيم فضل نبيه ﷺ:

أ - قال جل وعلا: ﴿ن وَالقَلَمِ ومَا يَسطرون مَا أَنتَ بِنِعمَةِ ربِّكَ بِمَجنونٍ وَإِنَّ لَكَ لأجرًا غَيرَ مَمنون وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[5] ، وقد وصفت السيدة عائشة رضى الله عنها وغيرها من الصحابة خلقه ﷺ وحلمه وصبره وإغضاءه وحياءه كما هو مدون فى الدر المنثور والشمائل وكتب الحديث والسيرة ويبقى خلقه ﷺ فوق الوصف، وقد أقسم الله جل جلاله على أنه عظيم، ولله در الإمام المجدد أبى العزائم:

على قدرى أصوغ لك المديحا ... ومدحك صاغه ربى صريحا
ومن أنا يا إمام الرسل حتى ... أوفى قدرك السامى شروحا

ب - ومن الآيات التى أقسم فيها المولى جل وعلا على عظيم فضل النبىّ ﷺ وزكى أخلاقه قوله تعالى: ﴿والنَّجمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُم وَمَا غَوَى وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى﴾[6] ، وقوله تعالى: ﴿يس والقُرآنِ الحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ المُرسَلِينَ عَلَى

---

(١) سورة الحجرات آية ٢ - ٣ .
(٢) سورة الحجرات آية ١ .
(٣) سورة آل عمران آية ٨١ .
(٤) رواه ابن كثير فى البداية والنهاية ٢ / ٣٠٦ .
(٥) سورة القلم آية ١ - ٤ .
(٦) سورة النجم آية ١ - ٣ .

صِراطٍ مُستَقِيمٍ ﴾[1] .

وكيف لا يكون ﷺ كذلك وقد اختاره اللَّه تعالى قدوة لعباده ، ومثلًا أعلى ينتهجون نهجه ويسيرون سيرته فقال جل وعلا : ﴿ لَقَد كَانَ لَكُم فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[2] .

٥ - وأقسم اللَّه تعالى بحياة رَسُول اللَّه ﷺ ولم يقسم بحياة أحد غيره ، فقال تعالى : ﴿ لَعمرُكَ إِنَّهُم لَفِى سَكرَتِهِم يَعمَهُون ﴾[3] ، قال السيوطى فى الدر المنثور : أخرج ابن أبى شيبة والحارث بن أبى أسامة وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقى عن ابن عباس قال : ما خلق اللَّه وما ذرأ وما برأ أكرم عليه من محمد ﷺ وما سمعت اللَّه أقسم بحياة أحد غيره قال : ﴿ لَعمرُكَ إِنَّهُم لَفِى سَكرَتِهِم يَعمَهُون ﴾[4] ، يقول وحياتك يا محمد وعمرك ومقامك فى الدنيا ، ورواه أيضًا ابن مردويه عن أبى هريرة مرفوعًا وفى هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه عريض لرَسُول اللَّه ﷺ .

٦ - ولنختتم تعظيم القرآن الكريم لرَسُول اللَّه ﷺ بسورة كريمة فيها ما لا مزيد عليه من التشريف والتعظيم لنبينا ﷺ وهو قوله تعالى : بسم اللَّه الرحمن الرحيم ﴿ أَلَم نَشرَح لَكَ صَدرَكَ وَوَضعنَا عَنكَ وِزرَكَ الَّذِى أَنقَضَ ظَهرَكَ وَرفَعنَا لَكَ ذِكرَكَ فَإِنَّ مَعَ العُسرِ يُسرًا إِنَّ مَعَ العُسرِ يُسرًا فَإِذَا فَرَغتَ فَانصَب وَإِلَى رَبِّكَ فَارغَب ﴾[5] .

ففى هذه السورة من أنواع التكريم ما لا يحيط به ، ولا يدركه إلا هذا النبىّ الكريم الَّذِى من اللَّه تعالى عليه به من شرح الصدر ، ورفع وزر ، ومن دلالة له ﷺ على الالتجاء إلى ربه عز وجل والرغبة إليه ووعده باليسر .

ولنقف هنا عند قوله تعالى : ﴿ وَرفَعنَا لَكَ ذِكرَكَ ﴾ ، وكفاه رفعًا لذكره ، ألا يذكر اللَّه تعالى - خالق السماء والأرض وجميع المخلوقات ، المنفرد بالعظمة والجلال والكبرياء ، الواحد الَّذِى لا شريك له ولا مثيل - إلا ذكر معه .

فأى ترقية أعظم وأى مطمع فوق ذلك ، أن يقرن اسم المخلوق العبد مع خالقه الرب الجليل المتكبر العظيم .

---

(١) سورة يس آية ١ - ٤ .
(٢) سورة الأحزاب آية ٢١ .
(٣) ، (٤) سورة الحجر آية ٧٢ .
(٥) سورة الشرح .

قال الإمام الشافعي في الرسالة ص ١٢ أخبرنا ابن عيينه عن ابن أبي فجيج عن مجاهد في قوله : ﴿ورفعنا لَكَ ذِكرَكَ﴾ قال : لا أذكر إلا ذكرت معي . **أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رَسُول الله** .

يعني - والله أعلم - ذكره عند الإيمان بالله والأذان ، ويحتمل ذكره عند تلاوة الكتاب وعند العمل بالطاعة والوقوف عن المعصية . وذكر الإمام السيوطي في الدر المنثور مثل ذلك من رواية عدد كبير من أئمة الحديث .

وقد قرن الله جل جلاله اسمه الكريم باسم نبيه ﷺ في القرآن العظيم في مواضع كثيرة فقال : ﴿وَأَطِيعوا اللَّهَ والرسُولَ﴾[١] وقال : ﴿فآمِنوا باللَّهِ ورَسُولِهِ﴾[٢] وقال : ﴿لَا تُقَدِّموا بَيْنَ يَدى اللَّهِ ورَسُولِهِ﴾[٣] .

تعظيم الصحابة رضى الله عنهم له ﷺ :

أما تعظيم الصحابة ــ رضى الله عنهم - له ﷺ فيكفي فيه ما ورد في كتب الأحاديث وكتب السيرة والشمائل والدر المنثور وغيرها :

١ - إن حديث البخاري في صلح الحديبية جاء فيه : أن عروة جعل يرمق أصحاب النبيّ ﷺ بعينيه قال : فو الله ما تنخم رَسُول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له[٤] .

٢ - ولم يكن سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر رضى الله عنهما يكلمانه إلا كأخي السَّرار .

٣ - وكان الصحابة رضى الله عنهم في مجلسه ﷺ يكونون كأنما على رؤوسهم الطير لا يرفعون الأصوات ، وكانوا يهابون سؤاله فيتمنون أن لو جاء أحد من الأعراب فيسأله فيستفيدون منه ﷺ .

٤ - ذكر شيخ الإسلام السبكي في شفاء السقام ص ٢٠٦ أنه روى عن أبي بكر رضى الله عنه أنه قال : (لا ينبغي رفع الصوت على نبيٍّ حيًّا ولا ميتًا) .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٣٢ .
(٢) سورة التغابن آية ٨ .
(٣) سورة الحجرات آية ١ .
(٤) رواه البخاري في كتاب الوضوء الباب ٧٠ وكتاب الشروط الباب ١٥ وأحمد في الجزء الرابع صفحة ٣٢٩ ، ٣٣٠

٥ - وروى البخارى عن السائب بن يزيد قال : كنت قائمًا فى المسجد فجذبنى رجل، فنظرت إليه فإذا به عمر بن الخطاب فقال : اذهب فائتنى بهذين، فجئته بهما قال : من أنتما؟ أو من أين أنتما؟ قالا : من أهل الطائف قال : لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما فى مسجد رَسُول اللَّه ﷺ ؟!.

٦ - وذكر فى شفاء السقام ص ٢٠٦ أنه روى أن السيدة عائشة رضى الله عنها كانت تسمع صوت الوتد يوتد والمسمار يضرب فى بعض الدور القريبة من مسجد رَسُول اللَّه ﷺ فأرسلت إليهم : لا تؤذوا رَسُول اللَّه ﷺ، وما عمل سيدنا على بن أبى طالب عليه السلام مصراعى داره إلا بالمناصع توقيًا لذلك، هكذا رواه الحسينى فى أخبار المدينة.

تعظيم السلف الصالح له ﷺ :

١ - وفى الشفاء للقاضى عياض ج ٢ ص ٤٠ وما بعدها : أن مصعب بن عبد اللَّه قال : كان مالك إذا ذكر النبىّ ﷺ يتغير لونه وينحنى حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يومًا فى ذلك، فقال : لو رأيتم ما رأيت ما أنكرتم علىّ ما ترون :

أ - لقد كنت أرى محمد بن المنكدرة - وكان سيد القراء - لا تكاد تسأله عن حديث أبدًا إلا ويبكى حتى ترحمه.

ب - ولقد كنت أرى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم، فإذا ذكر عنده النبىّ ﷺ اصفر، وما رأيته يحدث عن رَسُول اللَّه ﷺ إلا على طهارة.

جـ -ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبىّ ﷺ فينظر إلَى لونه كأنه نزف منه الدم وقد جف لسانه فى فمه، هيبة منه لرَسُول اللَّه ﷺ.

د - ولقد كنت أرى عامر بن عبد اللَّه بن الزبير فإذا ذكر عنده النبىّ ﷺ بكى حتى لا يبقى فى عينيه دموع.

هـ - ولقد رأيت الزهرى وكان من أهنأ النَّاس وأقربهم، فإذا ذكر عنده النبىّ ﷺ بكى ولا يزال يبكى حتى يقوم النَّاس ويتركوه.

٢ - وفى شواهد الحق أن مالكًا قال : موضع وطئه ﷺ بأقدامه الكريمة ما كان لى أن أطأه بحافر بغلة. وفى الشفاء للقاضى عياض : أن مالكا أفتى فيمن قال : تربة المدينة ردية، أن يضرب ثلاثين درة، وأمر بحبسه، وكان له عذر، وقال : ما أحوجه إلَى ضرب

عنقه، تربة دفن فيها النبىّ ﷺ يزعم أنها غير طيبة !!.

ومن تعظيم مالك لرَسُول اللّه ﷺ كراهته لقول: زرنا قبر النبىّ ﷺ قال القاضى عياض فى الشفاء: وكره مالك أن يقال زرنا قبر النبىّ ﷺ وكره تسوية النبىّ ﷺ مع النّاس بهذا اللفظ، وأحب أن يخص بأنه يقال: سلمنا على النبىّ ﷺ.

٣ - وقال القاضى عياض فى الشفاء: كان أصحاب النبىّ ﷺ بعده لا يذكرونه إلا خشعوا واقشعرت جلودهم، وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقًا إليه، ومنهم من يفعله تهيبًا وتوقيرًا.

ومن المعلوم أن جميع هذا التعظيم للنبىّ ﷺ والتنويه بأمره فى القرآن الكريم، وتفانى أصحابه الكرام فى خدمته وتعظيمه إنما زاده ﷺ تواضعًا وخضوعًا لربه تعالى، وحسن عبادة لله جل وعلا.

مظاهر عدم توقير النبىّ ﷺ وتعظيمه عند ثالوث التكفير:

١ - يسوء ثالوث التكفير ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب اجتماع النّاس لتعظيم قدر النبىّ ﷺ بإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف، ويرون أن هذا العمل منكرًا عظيمًا يجب عليهم إزالته باليد. وكذلك يسوءهم إحياء موالد الأنبياء والأولياء. ولا يسوءهم الاحتفال بمولد ابن عبد الوهاب تحت مسمى «أسبوع ابن عبد الوهاب».

٢ - يسوء ثالوث التكفير الاحتفال بهجرة الرسُول ﷺ أو ليلة الإسراء والمعراج أو ليلة النصف من شعبان أوليلة غزوة بدر أو ليلة القدر، والحقيقة فى كون هذه الاحتفالات منكرة عندهم هى تعظيمه ﷺ بما أمر به اللّه تعالى فى هذه المناسبات الإسلامية، وتعظيمه ﷺ - فى نفوسهم المريضة - بدعة تنافى التوحيد. ولا يسوءهم عيد جلوس الملك عبد العزيز تحت مسمى العيد الوطنى.

٣ - يسوء ثالوث التكفير من يسود النبىّ ﷺ فى صلاة أو غيرها ويرون ذلك منكرًا عظيمًا، ولا يسوءهم ألفاظ الغلو والتعظيم التى تكال للملوك والرؤساء والأمراء الوزراء.

٤ - يسوء ثالوث التكفير طلب الشفاعة والتوسل بالنبىّ ﷺ وجعل طلب الشفاعة منه ﷺ أو التوسل به ﷺ كفرًا منكرًا، ولا يسوءهم التوسل بمستر بوش مرجريت تاتشر وبمسيو ميتران فى حرب الخليج.

٥ - يسوء ثالوث التكفير الصلاة والسلام على سيدنا رَسُول اللَّه ﷺ بعد الأذان لأن هذا الأمر فى عقولهم السقيمة بدعة لم تكن فى عهد الرسُول ﷺ مع أن حكم الصلاة والسلام على رَسُول اللَّه وارد بصريح القرآن فى قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النبىّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنوا صَلُّوا عَلَيهِ وسَلِّموا تَسلِيمًا** ﴾[1] .

٦ - يسوء ثالوث التكفير الإقسام على اللَّه بمخلوق أو بحق مخلوق سواء أكان نبيًا أو وليًا ، ويعتبر القسم باطل ، كما أن الحلف بغير اللَّه تعالى يعد شركًا ، وقد وقع القسم بغير اللَّه تعالى من اللَّه تعالى ومن النبىّ ﷺ ومن الصحابة والتابعين وجميع المسلمين خلفًا عن سلف .

٧ - يسوء ثالوث التكفير حال المسلمين وينسبونهم إلَى الشرك إذا ذبحوا ونحروا لمولد النبىّ ﷺ وموالد أهل البيت وأولياء اللَّه الصالحين ، فالمقصود كونها فى كل ذلك باعتبار الثواب وهذا كما يقال ذبحت للضيف أو المريض أو الملك أو لمستر بوش ومسز مارجريت تاتشر ومسيو ميتران عند زيارتهم لمملكة التوحيد .

٨ - يسوء ثالوث التكفير النذر لنبىّ أو ولىّ حيًا أو ميتًا وكل ذلك فى فهمهم نذر معصية موجب للشرك ، ولا يقصد الناذر لنبىّ أو ولى إلا نذر الصدقة وإهداء ثوابها إلَى النبىّ أو الولى . ولا يقصد التقرب إليه بالنذر بل التقرب إلَى اللَّه تعالى وكيف يقصد التقرب إليه وهو يعلم أنه ميت ؟! لا يمكنه الانتفاع بالمنذور : لا بأكله إن كان طعامًا ، ولا يصرفه إن كان مالًا ، ولا يلبسه إن كان ثيابًا .

٩ - يسوء ثالوث التكفير تعظيم روضة النبىّ ﷺ وروضات أهل البيت والصحابة : بناء القباب عليها ، والصلاة عندها ، والتبرك بها ، وغير ذلك ، ويعتبر ذلك كله من الشرك وعبادة الأوثان .

١٠ - يسوء ثالوث التكفير زيارة النبىّ ﷺ وحرموها مطلقًا وشد الرحال إليها . فضلًا عن زيارة غيره من أهل البيت والعلماء والأولياء .

١١ - لا يتم إيمان المسلم عند ثالوث التكفير إلا بالتشنيع والتشهير به ﷺ بأن أبويه .... وقد رد عليهم الإمام السيوطى فى رسالته « مسالك الحنفا فى نجاة والدى المصطفى » .

١٢ - يثير ثالوث التكفير بعض النعوت - لسيدنا رَسُول اللَّه ﷺ - التى لا تليق بمقامه : منها أنه كان يتيمًا تأباه المراضع ، وأنه كان ضالًا فهداه اللَّه ، وأن الوحى نزل برأى عمر

---

(١) سورة الأحزاب آية ٥٦ .

ابن الخطاب ولم ينزل برأيه فى موضوع الأسرى، قاصدين بذلك انتهاك حرمته ﷺ وصدق اللّه العظيم حيث يقول فى ثالوث التكفير وأمثالهم: ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ النبىّ﴾[1]، وقوله: ﴿وكَذٰلِكَ جعلنَا لِكُلّ نَبىّ عَدُوًا مِن المُجرِمِينَ وَكفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا ونَصيرًا﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَكَذٰلِكَ جَعلنَا لِكُلّ نَبىّ عَدوًا شَيَاطِينَ الإنسِ وَالجِنِّ﴾[3].

والحقيقة فى كون كل ما تقدم وغيره عند ثالوث التكفير منكر عظيم، هو تعظيمه ﷺ وتعظيمه فى زعمهم شرك ينافى التوحيد، وقد كذبهم اللّه تعالى فى كتابه العزيز قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّم حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيرٌ لَهُ عِندَ رَبِّهِ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّم شَعَائِرَ اللَّهَ فَإِنَّهَا مِن تَقوَى القُلُوبِ﴾[5].

---

(١) سورة التوبة آية ٦١.
(٢) سورة الفرقان آية ٣١.
(٣) سورة الأنعام آية ١١٢.
(٤) سورة الحج آية ٣٠.
(٥) سورة الحج آية ٣٢.

الفصل الثانى

إحياء ذكرى الأنبياء والأولياء

الاحتفال بذكرى الأنبياء والأولياء من تعظيم شعائر الله :

لعل تجديد الذكرى بالمواليد والوفيات ، والجرى على مراسم النهضات الدينية أو الشعبية العامة ، والحوادث العالمية الاجتماعية ، وما يقع من الطوارق المهمة فى الزمان والمكان ، واتخاذ تلك المناسبات أعيادًا وأفراحًا أو مآتمًا وأحزانًا ، وإقامة الحفل السار أو التأبين من الشعائر المطردة ، والعادات الجارية منذ القدم ، دعمتها الطبيعة البشرية وأسستها الفكرة الصالحة لدى الأمم الغابرة ، عند كل ملة ونحلة قبل الجاهلية وبعدها وهلم جرا حتى اليوم .

هذه هى مراسم اليهود والنصارى والعرب ، فى أمسها ويومها ، وفى الإسلام وقبله ، سجلها التاريخ فى صفحاته ، وكأن هذه السنة نزعة إنسانية ، نبعت من عوامل الحب والعاطفة ، وتسقى من منابع الحياة ، وتتفرع على أصول التبجيل والتجليل والتقدير والإعجاب ، لرجال الدين والدنيا ، أفذاذ الملأ وعظماء الأمة ، إحياءً لذكراهم ، وتخليدًا لاسمهم ، وفيها فوائد تاريخية واجتماعية ، ودروس أخلاقية صافية راقية ، لمستقبل الأجيال ، وعظات وعبر ، ودستور عملى صالح للناشئة الجديدة ، وتجارب واختبارات تولد حنكة الشعب ، ولا تخص جيلًا دون جيل ، ولا فئة دون فئة أخرى .

وإنما الأيام تقتبس نورًا وازدهارًا ، وتتوسم بالكرامة والعظمة ، وتكتسب سعدًا ونحسًا وتتخذ صبغة مما وقع فيها من الحوادث الهامة وقوارع الدهر ونوازله .

ولا ينبئنا التاريخ قط يومًا أجل وأعظم من مولد النبىّ ﷺ لقد كان مولده ﷺ نورًا وبعثته رحمة ، ورسالته هدى ، ولذلك فإن إحياء مولده ﷺ إحياء لنا ، لتبلغ الإنسانية كمالها ، ولتنطلق العقول من أغلالها ، وليرتفع النَّاس إلَى ربهم بالمحبة ، وليكون أتباعه ﷺ أتقياء علماء ، بل علماء كالأنبياء ، خصوصية لأمته ﷺ لأن لها ميراثًا من نبوته ﷺ واقتباسًا من رحمته ﷺ .

القرآن يدعو لإحياء الذكرى:

إن إحياء الذكريات الإسلامية واجب على علماء الأمة الإسلامية، من أجل تذكير الشباب المسلم خاصة، وجميع المسلمين عامة بالمواقف الرائعة للرسُول ﷺ وأهل بيته وأصحابه خلال الهجرة النبوية، والإسراء والمعراج، وغزوة بدر، وغزوات أحد والخندق، والقادسية وأمثالها، وإن هذا التذكير مبدأ تربوى قرآنى ركز عليه القرآن ظاهرًا حيث لا يخفى على القارئ المسلم لآيات القرآن الكريم.

فيقول عز وجل: ﴿تِلكَ القُرى نَقُصُّ عَليكَ مِن أَنبائِهَا﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿وَلَقَد أَرسَلنَا رُسُلًا مِن قَبلِكَ مِنهُم مَن قَصَصنَا عَليكَ﴾[2]، ويقول جل ذكره: ﴿نَحنُ نَقُصُّ عَليكَ أَحسَنَ القَصَصِ﴾[3]، ويقول جل جلاله: ﴿فَاقصَصِ القَصَصَ لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرونَ﴾[4].

فاللَّه عز وجل يذكر رَسُوله محمدًا ﷺ والمسلمين من خلال آيات القرآن المتعددة، بقصص الأنبياء والرسل قبله، وما بذلوه من جهد وقدموه من عمل، من أجل إبلاغ دعوة التوحيد إلَى أقوامهم، وما لاقوه فى سبيل ذلك من عناء وبلاء - لماذا؟ ليتخذ ﷺ منهم قدوة على الصبر وانتظار النصر، والأمثلة على ذلك لا تحصيها هذه الكلمة الموجزة ولكننا نكتفى بقوله عز وجل لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَاذكُر أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَومَهُ بِالأَحقَافِ﴾[5]، وقوله أيضًا: ﴿وَاذكُر عَبدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾[6]، وقد تكرر ذلك فى سورة مريم بالنسبة لإبراهيم وموسى وإسماعيل وإدريس عليهم السلام، وفى سورة ص قوله عز وجل: ﴿وَاذكُر عِبَادَنَا إِبرَاهِيمَ وإسحاقَ ويَعقوبَ أُولِى الأَيدِى والأَبصَارِ﴾[7]، وقوله أيضًا: ﴿واذكُر إسماعيلَ واليَسعَ وذَا الكِفلِ﴾[8].

وكان كل نبىّ - كما جاء فى القرآن - يذكر قومه بالنبىّ السابق وما حدث له ولقومه، ونكتفى بما جاء حكاية عن هود عليه السلام وهو يحدث قومه: ﴿واذكُرُوا إِذْ جَعَلَكُم خُلَفَاءَ مِن بَعدِ قَومِ نُوحٍ وزَادَكُم فِى الخَلقِ بَسطَةً﴾[9].

---

(١) سورة الأعراف آية ١٠١.
(٢) سورة غافر آية ٧٨.
(٣) سورة يوسف آية ٣.
(٤) سورة الأعراف آية ١٧٦.
(٥) سورة الأحقاف آية ٢١.
(٦) سورة ص آية ٤١.
(٧) سورة ص آية ٤٥.
(٨) سورة ص آية ٤٨.
(٩) سورة الأعراف آية ٦٩.

ومثله صالح عليه السلام فقد قال لقومه أيضًا: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾[1].

وبالنسبة للمسلمين يقول الله عز وجل: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ﴾[2].

ويقول أيضًا: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾[3].

إذن فالقرآن الكريم يضع أصلًا بارزًا من أصول التربية الدينية والاجتماعية والسياسية، بهذا المنهج التذكيرى... ذلك أن الإنسان - والأمة أيضًا - الكل معرض للنسيان والسهو والغفلة؛ فلابد من تذكيره بما فيه خيره ومصلحته.

ولقد تأمل أئمة الإسلام - عدا ثالوث التكفير «ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب» - هذه الآيات وغيرها، فاستنوا سُنة إحياء موالد الأنبياء والأولياء، مبينين للناس مآثرهم وما كانوا عليه من خلق وجهاد، وفضل وطاعة، وصبر وعزم، حتى يجد المسلم المعاصر فى حياة من مضى من أهل الفضل عبرة، ويكون له فيهم أسوة؛ فيطمئن قلبه، ويثبت فؤاده، ويزداد هديه.

شبهات وأباطيل ثالوث التكفير حول الاحتفال بالموالد:

يسوء ثالوث التكفير«ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب» تعظيم الرسُول ﷺ خاصة وكافة الأنبياء والأولياء عامة وتخليد ذكرياتهم وإحياء مناسبات مواليدهم أو وفياتهم، ويعتبرون اجتماع النَّاس فى المجالس المقصودة لهذا الشأن شركًا وضلالًا فى هذا الصدد، ويستدلون على ذلك بحجج واهية:

١ - إن الذكريات التى ملأت البلاد الإسلامية باسم الأنبياء وأهل البيت والأولياء نوع من العبادة لهم، لأن فيها تعظيمهم، وتعظيمهم عندهم شرك، ولأجل ذلك يجعلون اجتماع النَّاس على سماع قراءة ما تيسر من القرآن، وقراءة الأخبار الواردة فى مبدأ أمر النبىّ ﷺ وما وقع فى مولده من الآيات، وقراءة شمائله الكريمة تعظيمًا لقدره ﷺ وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف، ثم مد الطعام لهم يأكلون ويشربون، وبعد

(١) سورة الأعراف آية ٧٤.
(٢) سورة الأنفال آية ٢٦.
(٣) سورة آل عمران آية ١٠٣.

ذلك ينصرفون، يرون هذا العمل منكرًا عظيمًا تجب عليهم إزالته باليد، فإذا سمعوا بإنسان عمل مولدًا قبضوا عليه وعلى الحاضرين معه إلَى أجل غير مسمى وفقًا لقانون الطوارئ الوهابى.

٢ - إن عمل الموالد وإحياء الذكريات الإسلامية لم يؤثر عن الرسُول ﷺ وكل أمر لم يحدث في عهده فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة فى النار. ولم يفعلها من بعده ﷺ الصحابة رضوان اللّه عليهم فهى بذلك بدعة سيئة محرم فعلها، ويجب الإنكار عليها.

٣ - يزعم ثالوث التكفير أن فى الاحتفالات بالموالد بعض المنكرات كاختلاط النساء بالرجال والرقص والغناء وغير ذلك من البدع والمنكرات.

الرد علىَ شبهات وأباطيل ثالوث التكفير:

١ - إن ثالوث التكفير لم يعينوا حدًا للتوحيد والشرك، وللعبادة على الأخص، ولذلك رموا كل عمل بالشرك حتى أنهم تصوروا أن كل نوع من التعظيم عبادة وشركًا.

ولأجل ذلك جعلوا «العبادة» إلَى جانب «التعظيم» وتصوروا أن للفظين معنى واحدًا، ومما لا شك فيه أن القرآن يعظم فريقًا من الأنبياء والأولياء بعبارات صريحة، كما يقول فى شأن زكريا ويحيى عليهما السلام: ﴿**إِنَّهُم كَانوا يُسارِعُونَ فِي الخَيراتِ ويَدعُونَنَا رَغبًا ورَهبًا وكَانوا لَنَا خَاشِعين**﴾[1].

فلو أن أحدًا أقام مجلسًا عند قبر من عناهم اللّه وسماهم فى هذه الآية، وقرأ فى ذلك المجلس هذه الآية المادحة، معظمًا بذلك شأنهم، فهل اتبع غير القرآن؟ كما يقول فى شأن أهل بيت النبىّ ﷺ: ﴿**وَيُطعِمُون الطعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسكِينًا وَيَتِيمًا وأسِيرًا**﴾[2] فهل ترى لو اجتمع جماعة فى يوم ميلاد سيدنا على بن أبى طالب وهو أحد الآل وقالوا: إن عليًا كان يطعم الطعام للمسكين واليتيم والأسير، كانوا مشركين؟.

أو ترى لماذا يكون شركًا لو أن أحدًا تلا الآيات المادحة لرَسُول اللّه ﷺ وآله فى حفلة عامة فى يوم مولده الشريف ﷺ كالآيات الآتية:

---

(١) سورة الأنبياء آية ٩٠.

(٢) سورة الإنسان آية ٨.

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1] ، ﴿ إِنَّا أَرسلنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشرًا ونَذِيرًا ودَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذنِهِ وسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾[2] ، ﴿ لَقَد جَاءَكم رَسُولٌ مِن أَنفُسِكم عَزِيزٌ عَلَيهِ مَا عَنِتم حَرِيصٌ عَلَيكم بِالمؤمِنِين رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[3] ، ﴿ إِنّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النبىّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّموا تَسلِيمًا ﴾[4] .

فلو تلا أحد هذه الآيات المثنية على النبىّ ، أو قرأ ترجمتها بلغة أخرى ، أو سكب هذا المديح الإلهى القرآنى فى قالب الشعر وأنشد ذلك فى مجلس كان مشركًا ؟!

٢ - إن عمل المولد وإن حدث بعد عهد النبىّ ﷺ وصحابته ليس فيه مخالفة لكتاب الله ولا لسنة رَسُوله ﷺ ولا لإجماع المسلمين ، فلا يقول ذلك من له مُسْكَةٌ[5] من عقل ودين بأنه مذموم فضلًا عن كونه منكرًا عظيمًا ، وكون السلف الصالح لم يفعلوه صحيح ، ولكنه ليس بدليل ، وإنما هو عدم دليل ، ويستقيم الدليل على كونه ممنوعًا أو منكرًا لو نهى الله تعالى عنه فى كتابه العزيز ، أو نهى عنه رَسُول الله ﷺ فى سنته الصحيحة ، والحقيقة أنه صلوات الله وسلامه عليه لم ينه عنه فيها .

قال الإمام الشافعى رضى الله عنه : ما أحدث وخالف كتابًا أو سنة أو إجماعًا أو أثرًا فهو البدعة الضالة ، وما أحدث من الخير ولم يخالف شيئًا من ذلك فهو المحمود .

وجرى شيخ الإسلام العز بن عبد السلام والنووى على ذلك وأن الأثر على تقسيم البدعة إلَى خمسة أقسام :

أ - **بدعة واجبة** : كالرد على أهل الزيغ وتعليم النحو وطباعة المصحف وعلم أصول الفقه وتاريخه .

ب - **بدعة مندوبة** : كإحداث الربط والمدارس والمستشفيات والأذان على المنابر وصنع إحسان لم يعهد فى الصدر الأول كالإسعاف ودار اليتامى والسجون .

حـ - **بدعة مباحة** : كاستعمال السيارات والطائرات والتوسع فى المأكل والمشرب .

د - **بدعة مكروهة** : كزخرفة القصور وتزويقها مما يعد إسرافا .

هـ - **بدعة محرمة** : وهى ما أحدث لمخالفة السنة ولم تشمله أدلة الشرع العامة ولم يحتو على

---

(٠) سورة القلم آية ٤ .

(١) سورة الأحزاب آية ٤٥ - ٤٦ .

(٣) سورة التوبة آية ١٢٨ .

(٤) سورة الأحزاب آية ٥٦ .

(٥) مسكة : بقية .

مصلحة شرعية .

٣ - إن مشروعية الاحتفال بالمولد لا يقصد بها إلا المولد الَّذِى خلا من المنكرات المذمومة التى يجب الإنكار عليها ، أما إذا اشتمل المولد على شىء مما يجب الإنكار عليه كاختلاط الرجال بالنساء وارتكاب المحرمات وكثرة الإسراف مما لا يرضى به صاحب المولد الشريف ﷺ فهذا لاشك فى تحريمه ومنعه لما اشتمل عليه من المحرمات ، لكن تحريمه يكون عارضيًا لا ذاتيًا .

أدلة إحياء المولد فى الكتاب :

إن الآيات القرآنية تدل على جواز هذه الاحتفالات بعناوين خاصة نشير إليها بعد ذلك ، عجبًا كيف يعظم ثالوث التكفير أمراءهم بالاحترام الَّذِى يفوق ما يفعله غيرهم تجاه الأنبياء والأولياء فلا يكون ذلك شركا ؟! وأما إذا أتى أحد بشىء يسير من ذلك فى حق الأنبياء والأولياء عد شركًا ؟! إن المنع عن تعظيم الأنبياء والأولياء وتكريمهم - أحياءً وأمواتًا - يصور الإسلام فى نظر الأعداء دينا جامدًا لا مكان فيه للعواطف الإنسانية ، كما يصور تلك الشريعة السمحاء المطابقة للفطرة الإنسانية دينا يفقد الجاذبية المطلوبة القادرة على اجتذاب أهل الملل الأخرى واكتسابهم ، ماذا يقول الَّذِينَ يخالفون إقامة مجالس العزاء للشهداء فى سبيل الله فى قصة يعقوب عليه السلام ؟ ، وماذا يقولون فيه وهو يبكى على ابنه أسفا وحزنا على فراق ولده يوسف ، ليله ونهاره ؟! ويسأل كل من لقيه عن ابنه المفقود حتى يفقد بصره كما يقول سبحانه : ﴿ **وَابيَضَّتْ عَينَاهُ مِن الحُزنِ** ﴾ (١) . فلماذا يكون إظهار مثل هذه العلاقة فى حال حياة الولد جائزا ومشروعًا ومطابقا لأصول التوحيد ، بينما إذا كان فى حال مماته عد شركًا ؟ . فإذا اتبع أحد طريق يعقوب فبكى على فراق الأنبياء والأولياء وأحباء الله يوم استشهادهم فلماذا لا يعد عمله اقتداء بيعقوب عليه السلام ؟! .

لا ريب فى أن مودة ذوى القربى هى إحدى الفرائض الإسلامية التى دعا إليها بأوضح تصريح ، فلو أراد أحد أن يقوم بهذه الفريضة الدينية بعد أربعة عشر قرنا فكيف يمكنه ؟ وما هو الطريق إلَى ذلك ؟ هل هو إلا أن يفرح فى أفراحهم ويحزن فى أحزانهم ؟! .

١ - إن الفرح برَسُول الله ﷺ مطلوب بأمر القرآن من قوله تعالى : ﴿ **قُل بِفَضلِ الله**

---

(١) سورة يوسف آية ٨٤ .

وَبِرَحمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَليفرَحوا ﴾ [1] . فالله تعالى أمرنا أن نفرح بالرحمة والنبىّ ﷺ أعظم الرحمة قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرسَلنَاكَ إِلَا رَحمةً للعَالَمِينَ ﴾ [2] .

٢ - إن المولد الشريف يبعث على الصلاة والسلام المطلوبين بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النبىّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلمُوا تَسلِيمًا ﴾ [3] . وما كان يبعث على المطلوب شرعًا فهو مطلوب شرعا فكم للصلاة عليه من فوائد نبوية وإمدادات محمدية ، يسجد القلم فى محراب البيان عاجزًا عن تعداد آثارها ومظاهر أنوارها .

٣ - إن الله تعالى قال : ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَليكَ مِن أَنباءِ الرُّسُلِ ما نُثبت بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ [4] . يظهر منه أن الحكمة فى قص أنباء الرسل عليهم السلام تثبيت فؤاده الشريف بذلك ، ولاشك أننا اليوم نحتاج إلَى تثبيت أفئدتنا ، بأنبائه وأخباره أشد من احتياجه هو ﷺ .

٤ - إن القرآن الكريم يثنى على أولئك الَّذِينَ أكرموا النبىّ ﷺ وعظموا شأنه وبجَّلوه إذ يقول : ﴿ فالَّذِينَ آمَنوا بِهِ وعَزّرُوهُ ونَصَرُوه واتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ المُفلحون ﴾ [5] .

إن الأوصاف التى وردت فى هذه الآية والتى استوجبت الثناء الإلهى هى :

آمنوا به - وعزروه - ونصروه . واتبعوا النور الَّذِى أنزل معه فهل يحتمل أحد أن تختص هذه الجمل :

« آمنوا به - وعزروه - ونصروه - واتبعوا » بزمن النبىّ ﷺ ؟ الجواب : لا .

فإن الآية لا تعنى الحاضرين فى زمن النبىّ ﷺ - خاصة - فعندئذ من القطعى ألا تختص جملة (عزروه) بزمان النبىّ ﷺ ، أضف إلَى ذلك أن القائد العظيم يجب أن يكون موضعًا للتكريم والاحترام والتعظيم فى كل العهود والأزمنة . فهل إقامة المجالس لإحياء ذكريات : المبعث أو المولد النبوى ، وإنشاء الخطب والمحاضرات والقصائد والمدائح ؛ إلا مصداقا جليا لقوله تعالى : (وعزروه) ؟! والتى تعنى : أكرموه وعظموه .

٥ - قال سبحانه : ﴿ قَالَ عيسى ابنُ مَريَمَ اللَّهُم رَبَّنَا أَنزِل عَلَينَا مَائِدةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا

---

(٠) سورة يونس آية ٥٨ .
(١) سورة الأنبياء آية ١٠٧ .
(٣) سورة الأحزاب آية ٥٦ .
(٤) سورة هود آية ١٢٠ .
(٥) سورة الأعراف آية ١٥٧ .

عِيدًا لأَوَلِنَا وآخِرِنَا وآيةً مِّنكَ وارزُقنَا وأنتَ خَيرُ الرَّازِقِينَ﴾ [1] . فالمسيح عليه السلام اتخذ نزول المائدة السماوية والبركة الإلهية عيدًا لأنه سبحانه أكرمه وأكرم تلاميذه بهذه المائدة ، فإذا كانت المائدة السماوية سببًا لاتخاذ يوم نزولها « عيدًا » ، فلماذا لا يجوز أن نتخذ يوم « البعثة النبوية » الَّذِى هو يوم البركة ويوم نزول المائدة المعنوية عيدًا ؟! .

هل يستطيع أن يدعى أحد أن وجود رَسُول الله ﷺ وما جاء به من شريعة عظيمة خالدة أقل بركة من المائدة المادية التى نزلت على المسيح عليه السلام وتلاميذه ؟! .

٦ - إن القرآن الكريم يصرح بأن الله سبحانه منَّ على رَسُوله بشرح صدره ووضع الوزر عنه وإعلاء اسمه الَّذِى عبر عن كل ذلك بقوله : ﴿ **أَلَمْ نَشرَح لَكَ صَدرَكَ وَوَضعنَا عَنكَ وِزرَكَ الَّذِى أَنقَضَ ظَهرَكَ وَرَفعنَا لَكَ ذِكرَكَ** ...﴾ [2] فالله سبحانه رفع اسمه وأعلاه وجعله مشهورًا معروفًا فى العالم إجلالًا له . فهذه الاحتفالات التى يقصد منها تخليد ذكرى النبىّ لا تتعدى رفع ذكر رَسُول الله وإعلاء اسمه ، وإلفات نظر العالم إلَى مقامه ومكانته السامية ، فإذا كان القرآن أسوة ، فلماذا لا نقتدى بالقرآن ؟! ولماذا لا نرفع ذكره واسمه ؟!.

أدلة إحياء المولد من السنة :

١ - جاء فى البخارى أنه يخفف عن أبى لهب كل يوم الاثنين بسبب عتقه لثويبة جاريته لما بشرته بولادة المصطفى ﷺ ويقول فى ذلك الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقى :

إذا كان هذا كافرًا جاء ذمه ... وتبَّت يداه فى الجحيم مخلدا
أتى أنه فى يوم الاثنين دائما ... يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الَّذِى كان عمره ... بأحمد مسرورًا ومات موحدا

وهذه القصة رواها البخارى فى الصحيح فى كتاب النكاح ونقلها الحافظ بن حجر فى الفتح ورواها الإمام عبد الرازق الصنعانى فى المصنف ج ٧ ص ٤٧٨ والحافظ فى الدلائل وابن كثير فى السيرة النبوية من البداية ج ١ ص ٢٢٤ وابن الربيع الشيبانى فى حدائق الأنوار ج ١ ص ١٣٤ والحفاظ البغوى فى شرح السنة ج ٩ ص ٧٦ وابن هشام والسهيلى فى

---

(١) سورة المائدة آية ١١٤ .
(٢) سورة الشرح آية ١ - ٤ .

الروض الأنف ج ٥ ص ١٩٢ . والعامرى فى بهجة المحافل ج ١ ص ٤١ والبيهقى ، وهى وإن كانت مرسلة إلا أنها مقبولة لأجل نقل البخارى لها واعتماد العلماء من الحفاظ لذلك ، ولكونها فى المناقب والخصائص لا فى الحلال والحرام ، وطلاب العلم يعرفون الفرق فى الاستدلال بالحديث بين المناقب والأحكام . وأما انتفاع الكفار بأعمالهم ففيه كلام بين العلماء ليس هذا محل بسطه ، والأصل فيه ما جاء فى الصحيح من التخفيف عن أبى لهب بطلب رَسُول الله ﷺ .

٢ - إنه ﷺ كان يعظم يوم مولده ويشكر الله تعالى فيه على نعمته الكبرى عليه وتفضله عليه بالوجود لهذا الوجود ، إذ سعد به كل موجود وكان يعبر عن ذلك التعظيم بالصيام كما جاء فى الحديث عن أبى قتاده : أن رَسُول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الاثنين ؟ فقال « فيه ولدت ، وفيه أنزل علي »[1] . رواه الإمام مسلم فى الصحيح فى كتاب الصيام وهذا فى معنى الاحتفال به ، إلا أن الصورة مختلفة ولكن المعنى موجود سواء كان ذلك بصيام ، أو إطعام طعام ، أو اجتماع على ذكر أو صلاة على النبىّ ﷺ أو سماع شمائله الشريفة .

٣ - إن النبىّ ﷺ كان يلاحظ ارتباط الزمان بالحوادث الدينية العظمى التى مضت وانقضت ، فإذا جاء الزمان الَّذِى وقعت فيه كان فرصة لتذكرها وتعظيم يومها لأجلها ولأنه ظرف لها .

وقد أصَّل ﷺ هذه القاعدة بنفسه كما صرح فى الحديث أنه ﷺ لما وصل إلَى المدينة ورأى اليهود يصومون يوم عاشوراء سأل عن ذلك فقيل له : إنهم يصومون لأن الله نجى نبيهم وأغرق عدوهم فهم يصومونه شكرًا لله على هذه النعمة فقال ﷺ : « نحن أولى بموسى منكم »[2] . فصامه وأمر بصيامه .

٤ - يؤخذ من قوله ﷺ فى فضل يوم الجمعة وعد مزاياه « وفيه خلق آدم »[3] . تشريف

---

(١) رواه أحمد فى الجزء الخامس صفحة ٢٩٧، ٢٩٩ ومسلم فى كتاب الصيام الحديث رقم ١٩٧ والبيهقى فى دلائل النبوة ٧٢/١ وأبو نعيم فى حلية الأولياء ٥٢/٩ .

(٢) رواه البخارى فى كتاب الصوم الباب ٦٩ وكتاب تفسير القرآن (تفسير سورة يونس) الباب الأول ومسلم فى كتاب الصيام الحديث رقم ١٢٦ وابن ماجة فى كتاب الصيام الباب ٤١ .

(٣) رواه مسلم فى كتاب الجمعة الحديث رقم ١٧، ١٨ وأبو داود فى كتاب الصلاة الباب ٢٠١ والترمذى فى كتاب الجمعة الباب ١، ٢ والنسائى فى كتاب الجمعة الباب ٤، ٥، ٤٥ وابن ماجة فى كتاب الإقامة الباب ٧٩ والدارمى فى =

الزمان الَّذِى ثبت أنه ميلاد لأى نبىّ كان من الأنبياء عليهم السلام فكيف باليوم الَّذِى ولد فيه أفضل النبيين وأشرف المرسلين.

ولا يختص هذا التعظيم بذلك اليوم بعينه بل يكون له خصوصًا ولنوعه عمومًا مهما تكرر كما هو الحال فى يوم الجمعة، شكرًا للنعمة وإظهارًا لمزية النبوة وإحياء للحوادث التاريخية الخطيرة ذات الإصلاح المهم فى تاريخ الإنسانية وجبهة الدهر وصحيفة الخلود.

كما يؤخذ تعظيم المكان الَّذِى ولد فيه نبىّ من أمر جبريل عليه السلام النبىّ ﷺ بصلاة ركعتين ببيت لحم ثم قال له: «أتدرى أين صليت؟ قال: لا، قال: صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى» كما جاء ذلك فى حديث شداد بن أوس الَّذِى رواه البزار وأبو يعلى والطبرانى قال الحافظ الهيثمى فى مجمع الزوائد، ورجاله رجال الصحيح ج ١ ص ٤٧ وقد نقل هذه الرواية الحافظ بن حجر فى الفتح ج ٧ ص ١٩٩ وسكت عنها.

٥ - إن المولد أمر استحسنه العلماء والمسلمون فى جميع البلاد، وجرى به العمل فى كل صقع فهو مطلوب شرعًا للقاعدة المأخوذة من حديث ابن مسعود الموقوف: «ما رآه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحًا فهو عند الله قبيح»[1].

٦ - إن المولد اشتمل على: اجتماع، وذكر، وصدقة، ومدح وتعظيم للجناب النبوى؛ فهو سنة، وهذه أمور مطلوبة شرعًا وممدوحة، وجاءت الآثار الصحيحة بها وبالحث عليها.

التأويلات الشيطانية لكلمتى السنة والبدعة لثالوث التكفير:

يشيع فى حياتنا الإسلامية خطأ كبير يتردد دائمًا على ألسنة بعض النَّاس فى أحاديثهم وفى جدلهم، هذا الخطأ هو التأويل الشيطانى لكلمتى (السنة) و (البدعة) فقد استغل ثالوث التكفير عن عمد هاتين الكلمتين استغلالا سيئا، أثر أثرًا ضارًا بالمجتمع الإسلامى وبتطور الحياة الإسلامية.

فكل أمر لم يؤثر عن الرسُول ﷺ، وكل أمر لم يحدث فى عهد صحابته رضوان الله عليهم فهو لدى ثالوث التكفير بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار.

= كتاب الصلاة الباب ٢٠٦ والموطأ فى كتاب الجمعة الحديث رقم ١٦ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ١، ٤، ٤١٨، ٥٠٤، ٥١٢، ٥٤٠ والجزء الرابع صفحة ٨ والجزء الخامس صفحة ٢٨٤، ٤٥٠، ٤٥٣.

(١) رواه أحمد فى الجزء الأول صفحة ٣٧٩ والزيلعى فى نصب الراية ١٣٣/٤ والحاكم فى المستدرك ٧٨/٣ والسيوطى فى الدر المنثور ١٥٦.

ولا جدال فى أن التأويلات الشيطانية لكلمتى السنة والبدعة تتنافى مع روح الإسلام وتعاليمه التى جاءت صالحة لكل زمان ومكان، لقد جاء الإسلام بالكليات العامة وترك الجزئيات، وترك التطبيق للناس وللتطور وللحياة المتحركة. والرسُول ﷺ يفتح لنا أرحب الآفاق اللازمة للحركة والتطور. فقد روى الإمام مسلم فى كتاب العلم من صحيحه المشهور أن النبىّ ﷺ قال: «من سن سنةً حسنةً فعمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيئًا»[1].

إذن فليس كل جديد بدعة، فمن أضاف إلَى الحياة الإسلامية جديدًا نافعًا - لا يتعارض مع الكليات الأساسية للإسلام - فقد أضاف سنة حسنة له أجرها وأجر من عمل بها إلَى يوم القيامة أما الحجر على الحياة الإسلامية ومحاولة حبسها داخل قوالب ضيقة فليس من الإسلام ولا من روحه وتعاليمه. ورجال الفقه الإسلامى مثلًا، حينما اتسعت عليهم الحياة، وتعددت مشاكلها ابتدعوا وقاسوا، وأوجدوا لنا بعد الكتاب والسنة مصادر أخرى للتشريع كمنافذ للامتداد والتطور وأوجدوا لنا الاجتهاد والمصالح المرسلة وسد الذرائع.

فالإسلام نور يقتبس منه كل ما يصلح للمجتمعات فى كل زمان ومكان، ولو أننا قصرنا ما يؤخذ من الإسلام على عهد الرسُول وعهد صحابته، لضيقنا قوالب الإسلام وآفاق الإسلام، وجعلناه دينًا زمنيًا كغيره من الأديان، فإذا وجد فى المجتمع جديد، أو وجد مالم يعرفه النَّاس فإنه يجب عليهم أن ينظروا: هل وجد فى القرآن قدح فيه؟ ثم ينظروا هل ورد فى السنة طعن فيه؟ فإن لم يجدوا، نظروا فى آراء الصحابة هل وجد قدح أو جرح؟ فإن لم يجدوا وجب أن يطبقوه بما يصلح لدنياهم عملًا بالحديث الشريف: «أنتم أعلم بأمور دنياكم»[2].

مشروعية الاحتفال بالموالد:

ويدخل فى التجديد وفى التطور، وفى العمل بما فيه صالح الحياة، وخير المجتمع، الاحتفال بمولد النبىّ ﷺ وإحياء موالد أهل البيت عليهم السلام وأولياء الله الصالحين رضى الله عنهم، والَّذِى يعترض عليها إنما هو جاهل أوْ دَعِيٌّ، ومع الأسف لا يوجد فى أى بلد

(١) رواه مسلم فى كتاب الزكاة الحديث رقم ٦٩ وكتاب العلم الحديث رقم ١٥ والنسائى فى كتاب الزكاة الباب ٦٤ وابن ماجة فى كتاب المقدمة الباب ١٤.

(٢) رواه مسلم فى كتاب الفضائل الحديث رقم ١٤١ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٣٢١/٨٢ والقاضى عياض فى الشفا ٤١٧/٢.

آخر من الأدعياء كما يوجد فى بلادنا، والجهل عندهم أساس الهجوم - مع أن الجهل كان يجب أن يكون أساسا للصمت - فإذا نظرنا إلَى نتيجة الموالد ألفيناها عظيمة جليلة.

فالمراد بالحج مثلًا هو تعظيم الإسلام فى نظر خصومه، واجتماع المسلمين فى ساحة واحدة للطاعة والذكر والعبادة، فذكريات سيدنا إبراهيم وبناء البيت، وهاجر وابنها ذكريات يعيش فيها الحاج معيشة روحية، إنه يصلى فى مقام إبراهيم وحجر إسماعيل، إنه استمرار لذكريات مجيدة، وتصفية للنفس وتزكية.

إن المسلم لا يشهد فى هذه الأماكن الأحجار، وإنما يشهد الذكريات.

والموالد إنما هى بعث لذكريات طيبة، ذكرى إنسان أطاع الله واهتدى به النَّاس، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

والموالد إنما هى وفاء منا لأهل الخير، واستنهاض الهمم للمسابقة إلَى فعل الخيرات؛ والموالد حب منا لمن أحب الله تمسكًا بأوثق عرى الإيمان، كما يقول ﷺ: «أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله»[1].

والموالد مواسم للبر بالفقراء والمساكين وتنمية روح العطف عليهم.

فالموالد لهذا كله مواسم للخير فى الدين والدنيا، وهى سنة حسنة استنها المصلحون العاملون.

ليلة المولد أفضل من ليلة القدر وأدلة ذلك:

أولا: إن ليلة المولد ليلة ظهوره ﷺ وليلة القدر معطاة له، والَّذِى شرف بظهور ذات المشرف من أجله أشرف مما شرف بسبب ما أعطيه ولا نزاع فى ذلك، فكانت ليلة المولد أفضل من ليلة القدر.

ثانيا: إن ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها، على أحد الأقوال فى سبب تسميتها بذلك، وعلى قول آخر أن الَّذِى يراها يصير ذا قدر، وعلى قول آخر لما يكتب فيها من الأقدار وفيها يفرق كل أمر حكيم، وليلة المولد شرفت بظهوره ﷺ، ومن شرفت به ليلة

---

(١) أورده الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٦/ ١٧٧، ٩/ ٦٦٥ والسيوطى فى الدر المنثور ٦/ ١٨٧ وابن أبى شيبة فى الإيمان ١٣٤ وفى مصنفه ١١/ ٤٨، ١٣/ ٢٢٩.

المولد أفضل ممن شرفت بهم ليلة القدر وهم الملائكة على الأصح عند جمهور أهل السنة من أن النبيّ أفضل من المَلَك ، فإن نبينا ﷺ أفضل من جميع العالمين إجماعًا ، فتكون ليلة المولد أفضل .

ثالثا : إن ليلة القدر وقع فيها التفضيل على أمة محمد ﷺ فقط لأنها مخصصة لهم ولم تكن لمن قبلهم ، وليلة المولد الشريف وقع الفضل فيها على سائر جميع الموجودات أمته وغيرهم من حيث الأمن من العذاب كالخسف والمسخ ، فهو الَّذِى بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين فعمت بمولده النعمة على جميع الخلائق ، فكانت ليلة المولد أهم نفعًا ، فكانت بذلك أفضل من ليلة القدر .

رابعا : ليلة القدر لم تكن موجودة إذ ذاك ، وإنما أتى فضلها على سائر ليالى السنة بعد الولادة بمدة ، فلم يكن اجتماعهما حتى يتأتى بينهما تفضيل ، وتلك انقضت ، وهذه باقية إلَى اليوم .

اول من احدث عمل المولد :

أول من أحدث عمل المولد صاحب أربل الملك المظفر أبو سعيد كوكدى بن زين الدين على أحد الملوك الأمجاد والكبراء الأجواد ، وكان له آثار حسنة ، وهو الَّذِى عمّر الجامع المظفرى بسطح قايسون .

قال ابن كثير فى تاريخه : كان يعمل المولد الشريف فى ربيع الأول ويحتفل به احتفالا هائلا وكان شهمًا شجاعًا بطلًا عاقلًا عالمًا عادلًا .

وقد صنف له الشيخ أبو الخطاب بن دحية مجلدًا فى المولد النبوى سماه (التنوير فى مولد البشير النذير) فأجازه على ذلك بألف دينار ، وقد طالت مدته فى الملك إلَى أن مات وهو محاصر للإفرنج بمدينة عكا سنة ثلاثين وستمائة ، محمود السيرة والسريرة ، وقال سبط بن الجوزى فى مرآة الزمان : كان يحضر عنده فى المولد أعيان العلماء والصوفية ، فيخلع عليهم وكان يصرف على المولد فى كل سنة ثلاثمائة ألف دينار ، وكانت له دار ضيافة للوافدين من أى جهة على أى صفة ، فكان يصرف على هذه الدار فى كل سنة مائة ألف دينار ، وكان يصرف على الحرمين والمياه بدرب الحجاز فى كل سنة ثلاثين ألف دينار هذا كله سوى صدقات السر ، وحكت زوجته ربيعة خاتون بنت أيوب أخت الملك الناصر صلاح الدين أن

قميصه من كرباس غليظ لا يساوى خمسة دراهم، قالت: فعاتبته فى ذلك فقال: ألبس ثوبا بخمسة، وأتصدق بالباقى خير من أن ألبس ثوبًا مثمنًا وأدع الفقير والمسكين.

رأى الإمام أبى العزائم فى الاحتفال بالمولد:

أصغر مسلم لا يغيب عنه رَسُول اللَّه ﷺ ما دام يعمل بالقرآن وبسنة سيد المرسلين، فبشرى لنا بمولده ﷺ الَّذِى يذكرنا بما أكرمنا اللَّه به من الخير والتمكين، نفرح بمولده ﷺ فرحًا يفوق فرحنا بالعافية والمال، بل ويفوق فرحنا بالملك والعيال، نحيى لياليه بالفرح والمسرات، حبورًا بمولده الشريف الَّذِى توالت به الخيرات، وأى مسلم لا يحيى تلك الليالى فرحًا مسرورًا، تجديدًا لذكراه ﷺ وشكرًا لله تعالى على نعماه وحبورًا؟! وقد عين اللَّه للخير أوقاتًا وجعلها للعطايا آنات، كما جعل لغيث السماء أوقاتًا معينة، وجعل لزيادة النيل والأنهار هى الأخرى أيامًا معينة، فكذلك جعل أوائل ربيع الأول لتشرق فيها شمس الرحمة الربانية، وتفاض فيها أنوار الفضل الإحسانية، فطوبى لمن أحيا تلك الليالى حبًا فى رَسُول اللَّه ﷺ، وقدم فيها الخير لينال ما يتمناه، بل وبشرى لمن بيَّن للمسلمين شمائل الحبيب المصطفى، ووضح لهم ما نالته الأمة المحمدية من الخير والصفا، فتمثلت النفوس جماله المحمدى، وما تفضل به علينا من الخير بالنبىّ الأمى.

وإن كان ابن الحاج فى المدخل قد أنكر، فإنه غفر اللَّه له حكم ولم يتبصر، إن إحياء ليالى المولد الشريف وإن لم يظهر فى عهد السلف، فإن أنفسهم كلها كانت ذكرى له ﷺ وبه تحف، وكانت قلوبهم تتمثله فى كل همة وحركة، وتستحضره ﷺ فى كل لمسة وسكنة، وقد شغلت الدنيا وحظوظها القلوب، فاحتاجت إلَى اليقظة لذكر شمائل الحبيب المحبوب، لتحيا فى رياض الشهود، وتتناول من طهور المشروب.

وإنى أستحسن كل الاستحسان، ما يقوم به المسلمون من إحياء ليالى المولد فى هذا الزمان، تجديدًا لذكرى من به أسعدنا اللَّه بالإيمان، وإن ادعى من ينكر علينا بحصول المفاسد والبدع، فإن الخير العام الَّذِى به كل إنسان انتفع، لا يمنع بحصول مفسدة بسببه إذا عم النفع به وسطع، ولو كان الأمر كذلك لكانت بعثة الرسل وشروق الشمس وإنزل الأمطار أولى بالمنع ممن منع، فليتق اللَّه من يمنعون هذا الخير فإن منعهم هو شر البدع، واللَّه تعالى يهدى من سبق له الهدى، ويضل من سبق له الردى، وإن فقراء آل العزائم يفرحون برَسُول اللَّه ويشهدون أنواره عند ذكراه.

وخلاصة القول أن للموالد فوائد اجتماعية ودينية فهى تزيد من رابطة الولاء والمحبة بين المحتفى بهم وبين أوليائهم، وتجدد فى النفوس ذكر مآثرهم، كما تجمع أشتات المسلمين على صعيد واحد ليتعارفوا ويتآلفوا، ثم تطبع فى قلوبهم روح الانقياد إلى الله تعالى والانقطاع إليه.

الكتب المصنفة فى مولد النبى ﷺ :

الكتب المصنفة فى هذا الباب كثيرة جدًا منها المنظوم، ومنها المنثور ومنها المختصر والمطول والوسط، وسأقتصر هنا على ذكر كبار علماء الأمة من الحفاظ والأئمة الَّذِينَ صنفوا فى هذا الباب وظهرت لهم موالد مشهورة معروفة فمنهم:

١ - الحافظ عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن المصرى الشهير بالحافظ العراقى المولود سنة ٧٢٥ هـ والمتوفى سنة ٨٠٨ هـ، إن هذا الإمام قد صنف شريفًا أسماه: «المورد الهنى فى المولد السنى» ذكره ضمن مؤلفاته غير واحد من الحفاظ مثل ابن فهد والسيوطى فى ذيولهما على التذكرة.

الإمام الكبير الشهير أبو الفضل زين الدين وحيد عصره وفريد دهره حافظ الإسلام وعمدة الأنام العلامة الحجة الحبر الناقد، من فاق بالحفظ والإتقان فى زمانه وشهد له بالتفرد فى فئة أئمة عصره وأوانه، برع فى الحديث والإسناد والحفظ والإتقان، وصار المشار إليه فى الديار المصرية بالمعرفة.

٢ - الحافظ محمد بن أبى بكر بن عبد الله القيس الدمشقى الشافعى المعروف بالحافظ ابن ناصر الدين الدمشقى المولود سنة ٧٧٧ هـ والمتوفى سنة ٨٤٢ هـ قال عنه الحافظ بن فهد فى لحظ الألحاظ ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣١٩ : هو إمام حافظ مفيد، مؤرخ مجيد، له الذهن الصافى السالم الصحيح، والحظ الجيد المليح، على طريق أهل الحديث.

وقد تولى مشيخة دار الحديث الأشرفية بدمشق، وقال عنه السيوطى : صار محدث البلاد الدمشقية. وقال الشيخ محمد زاهد فى تعليقه على ذيل الطبقات وقال الحافظ جمال الدين بن عبد الهادى الحنبلى فى الرياض اليانعة لما ترجم لابن ناصر الدين المذكور: قلت: إن هذا الإمام قد صنف فى المولد الشريف أجزاء عديدة، فمن ذلك ما ذكره صاحب كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ص ٣١٩، وجامع الآثار فى مولد النبىّ المختار فى ثلاثة

مولدات ، واللفظ الرائق فى مولد خير الخلائق ، وهو مختصر ، وقال ابن فهدة وله أيضًا مورد الصادى فى مولد الهادى .

٣ - ومن أولئك الحافظ بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد القاهرى المعروف بالحافظ السخاوى المولود سنة ٨٣١ هـ والمتوفى سنة ٩٠٢ هـ بالمدينة المنورة ، وهو المؤرخ الكبير والحافظ الشهير ترجمة الإمام الشوكانى فى البدر الطالع وقال هو من الأئمة الأكابر .

وقال ابن فهد لم أر فى الحفاظ المتأخرين مثله ، وهو له اليد الطولى فى المعرفة وأسماء الرجال وأحوال الرواة والجرح والتعديل ، وإليه يشار فى ذلك ، حتى قال بعض العلماء : لم يأت بعد الحافظ الذهبى مثله سلك هذا المسلك ، وبعده مات فن الحديث ، وقال الشوكانى ولو لم يكن له من التصنيف إلا الضوء اللامع لكان أعظم دليل على إمامته .

قلت : وقد قال فى كشف الظنون أن للحافظ السخاوى جزءًا فى المولد الشريف ﷺ .

٤ - ومن أولئك الحافظ المجتهد الإمام ملا على قارى بن سلطان بن محمد الهروى المتوفى سنة ١٠١٤ هـ صاحب شرح المشكاة وغيرها .

ترجمة الشوكانى فى البدر الطالع وقال : قال العصامى فى وصفه بالجامع للعلوم النقلية والمتضلع من السنة النبوية أحد جماهير الأعلام ومشاهير أولى الحفظ والأفهام ، ثم قال : قلت : هذا الإمام المحدث المجتهد الَّذِى ترجم له الشوكانى الَّذِى قالوا عنه : إنه مجتهد قد صنف فى مولد الرسُول ﷺ كتابًا ، قال صاحب كشف الظنون : واسمه المورد الروى فى المولد النبوى .

٥ - ومن أولئك الحافظ الإمام عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير صاحب التفسير .

قال الذهبى فى المختص : الإمام المفتى المحدث البارع ثقة متفنن محدث متقن .

وترجمه الشهاب أحمد بن حجر العسقلانى فى الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة فى صفحة ٣٧٤ جاء منها : إنه اشتغل بالحديث مطالعة فى متونه ورجاله .

وقد صنف الإمام ابن كثير مولدًا نبويًا طبع أخيرًا بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد .

٦ - ومن أولئك الحافظ وجيه الدين عبد الرحمن بن على بن محمد الشيبانى اليمنى الزبيدى الشافعى « المعروف بابن الديبع والديبع بمعنى الأبيض بلغة السودان وهو لقب لجده الأعلى ابن يوسف » ولد فى المحرم سنة ٨٦٦ هـ وتوفى يوم الجمعة ثانى عشر من

رجب الفرد سنة ٩٩٤ هـ وكان رحمه اللّه أحد أئمة الزمان إليه انتهت مشيخة الحديث، حدث البخارى أكثر من مائة ألف مرة وقرأه مرة فى ستة أيام. وقد صنف مولدًا نبويًا مشهورًا فى كثير من البلاد.

٧ - ومن أولئك الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة الخرطوم سابقًا، الَّذِى صنف فى مولد الرسُول ﷺ كتابه المسمى: «بشائر الأخيار فى مولد المختار ﷺ» الَّذِى طبع عدة مرات، أولاها عام ١٣٤٠ هـ الموافق ١٩٢١ م وتقوم «دار الكتاب الصوفى» حاليًا بعرض أحدث طبعاته.

الفصل الثالث

السيادة للأنبياء والأولياء

سلوك الأدب راجح على امتثال أمر اللّه :

يرجح كثير من العلماء المحققين سلوك الأدب على امتثال الأمر، وسندهم فى ذلك أخذًا من قوله ﷺ فى الصحيح : (ما منعك يا أبا بكر أن تثبت إذ أمرتك ؟)[1] .

فقال أبو بكر رضى الله عنه : ما كان لابن أبى قحافة أن يتقدم بين يدى رَسُول اللّه ﷺ يعرف ذلك كل من له إلمام بالعلم ما عدا ثالوث التكفير - ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب - لأنهم يسوءهم من يسود النبىّ ﷺ فى الأذان وفى الصلاة أو فى غير ذلك، ويرون ذلك منكرًا عظيمًا .

ومعلوم لدى كل مسلم أنه ﷺ سيد المتواضعين، فلا يعقل أن يقول لأمته سودونى ولا حجة فى قوله ﷺ : (قولوا اللّهم صلّ على محمد) على منع تسويده ﷺ سواء حمل الأمر منه على الوجوب أم حمل على الاستحباب، لأن الصلاة عليه شئ، وكونها بلا تسويد أو بتسويد شئ آخر .

فمن امتثل ظاهر الأمر، وصلى عليه ﷺ فقد امتثل بالأمر، ومن سلك الأدب كالصديق الأكبر فسوده فقد أحسن، لأن سلوك الأدب مع رَسُول اللّه ﷺ يرجح امتثال الأمر .

روى ابن السنى فى عمل اليوم والليلة عن بريده أن النبىّ ﷺ قال : (لا تقولوا للمنافق سيدنا فإنه إن يكن سيدكم فقد أسخطتم ربكم)[2] ومقتضى ذلك أن الصالح يجوز لنا أن ندعوه سيدنا فما بالك بالأنبياء والأولياء ؟!!.

---

(١) رواه البخارى ٢٣٩/٣ وابن حجر فى فتح البارى ٢٩٧/٥ والحميدى فى مسنده ٩٢٧ .

(٢) رواه أحمد فى الجزء الخامس صفحة ٣٤٦ ، ٣٤٧ وأبو داود ٤٩٧٧ والتبريزى فى مشكاة المصابيح ٣٧٨٠ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٥٧٩/٣ والنووى فى الأذكار النووية ٣٢٢ .

شبهات وأباطيل حول إطلاق لفظ السيادة:

يجعل ابن عبد الوهاب «الكذاب»، قول المسلم للنبيّ أو الولي: «يا سيدى يا مولاى» موجبًا للشرك، لأن المشركين فى الجاهلية بهذه العبارة عبدوا اللات والعزى، وإنما يعنى المشركون فى الجاهلية بالإله ما يعنى المشركون فى زماننا - وهم غير الشرذمة النجدية - بلفظ «السيد» وعليه يدعى ابن عبد الوهاب الكذاب، أنه من قال لأحد مولانا أو سيدنا فهو كافر. «راجع الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية ص ٢٨».

ويوهم ابن عبد الوهاب ورود بعض الأخبار، ويتذرع بها فى تأييد شبهاته وأباطيله، فى عدم جواز إطلاق لفظ «السيد» على غير الله منها:

١ - يزعم ابن عبد الوهاب، أن السيوطى أورد فى الجامع الصغير عن الديلمى فى مسند الفردوس أن «السيد هو الله»، وأورد للعزيزى فى شرح الجامع الصغير عن مسند أبى داود أنه جاء وفد بنى عامر إلَى النبيّ ﷺ فقالوا: أنت سيدنا، فقال: (السيد هو الله).

٢ - يتذرع ابن عبد الوهاب بأحاديث فهمها فهمًا سقيمًا عقيمًا تورد النهى عن قول «عبدى وأمتى» كما فى الحديث البخارى ص ٢١٢ جـ ٤ من كتاب إرشاد السارى: (لا يقل أحدكم عبدى وأمتى). وفى رواية لمسلم: (لا يقولن أحدكم عبدى فإن كلكم عبيد الله) وفى رواية لأبى داود والنسائى: (فإنكم المملوكون والرب الله).

٣ - ينسب ابن عبد الوهاب إلَى رَسُول الله ﷺ قوله: (لا تسيدونى فى الصلاة).

الرد على شبهات وأباطيل إطلاق لفظ السيادة:

إن إطلاق لفظ «السيد» على غير الله تعالى ونداءه به صحيح لا محذور، فإنه لا يراد به الملكية الحقيقة المساوية لملكيته تعالى، ولا يقصد أحد من المسلمين ذلك، ولو فرض أننا جهلنا قصدهم لوجب حمل كلامهم على الصحيح.

حاشا لله أن يقصد المسلمون بإطلاق لفظ «السيد» على غير الله تعالى معنى يوافق إخلاص العبادة، كيف وهم يعلمون أن ما عداه، لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعًا ولا ضرًا إلا بأمره تعالى وإرادته واقتداره؟! فقول ابن عبد الوهاب: إن المسلمين يعنون بلفظ «السيد» ما يعنى المشركون بلفظ «الإله» افتراء منه على المسلمين، فلا يريد المسلمون -

الَّذِينَ سماهم المشركين - بلفظ «السيد» غير ما أريد من الاستعمالات الواردة فى كلامه سبحانه وتعالى وفى كلام النبىّ ﷺ والصحابة كما سيأتى.

١ - إطلاق لفظ «السيد» على غيره سبحانه فى القرآن:

أ - صرح القرآن الكريم بأن بعض عباد اللّه الصالحين سادة، وكان يتعين على الوهابيين - على ما سنه لهم شيخهم ابن عبد الوهاب - الإنكار على الله تعالى قوله فى حق يحيى عليه السلام: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾[1].

﴿وَسَيِّدًا﴾ فى العلم والدين ومكارم الأخلاق، ﴿وَحَصُورًا﴾ يملك زمام نفسه ويمنعها من الذنوب، ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[2]. وكل الأنبياء صالحون بل معصومون، والعصمة فوق العدل والصلاح. وعليه يكون قوله سبحانه ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ إشارة إلَى أن زكريا تحرر من أصلاب طاهرة، وأرحام مطهرة. وليس كما يقول ابن تيمية أن ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ إشارة إلَى أنه ما من نبىّ إلا وقد عصى أو هم بمعصية غير يحيى فلم يعص أو يهم!!.

وكما لم يسلم المولى سبحانه من فساد وعقيدة ابن تيمية، الَّذِى ذلَّ فكره وانحرف عقله عن الصواب فجسَّم وشبَّه الخالق، فلا عجب بعد الجرأة على الخالق أن نجد منه الجرأة على صفوة الخلق فنجده يقول فى كتابه الفتاوى الجزء الثانى ص ٢٨٢: «إن عصمة الأنبياء ليست فى أنهم لا يذنبون، إنما العصمة فى أنهم لا يؤخرون التوبة» فإذا كان الأمر كذلك فما هو الفرق بين الأنبياء وأتباعهم؟ وما هو الفرق بين الرسُول وآحاد أمته؟ إنهم بهذا المقياس الَّذِى وضعه ابن تيمية يتساوون فى العصمة.

والإمام أبو العزائم رضى الله عنه يقول فى كتابه «أسرار القرآن»: إن هذا القول فيه مساس بمقام النبوة، فإنه يتنافى وحكم العقل، لأن النبىّ إنما أرسل لدفع المعاصى، فإن عصى احتاج إلَى نبىّ، ثم يقول: «إن الخوارج هم الَّذِينَ يجوِّزون الذنب على الأنبياء ولا يثبتون العصمة لهم، فلو صدر الذنب من الأنبياء لكانوا أقل درجة من عصاة الأمة، وذلك غير جائز. إن إلحاق النقص بالأنبياء لحظة يحطِّم العقيدة ويفسد القدوة، لأن كل نبىّ لابد أن يكون إماما يؤتم به، لأن الله أمرنا باتباعهم فى أقوالهم وأفعالهم».

فكيف يلحق الخارجى الأزارقى ابن تيمية الحرانى، النقص بالأنبياء ويتهجم على من يدافعون عن عصمتهم المطلقة؟!.

---

(١)، (٢) سورة آل عمران آية ٣٩.

ومن معانى « سيدًا » يعنى مالكًا لمن يجب عليه طاعته ، ومن ذلك سيد الغلام يعنى مالكه ، ولا يقال سيد « الثوب » بمعنى مالك الثوب ، لأنه لا يتصور هناك وجوب طاعته ، وأصل السواد الشخص ، فقيل سيد القوم ، بمعنى مالك السواد الأعظم وهو الشخص الَّذِى تجب طاعته لمالكه ، وهذا إذا قيل مضافًا أو مقيدًا ، فأما إذا أطلق فلا ينبغى إلا لله تعالى ، لأنه المالك لجميع الخلق .

ومن معانى « سيدًا » فسره ابن عباس بالكريم ، وقتادة بالحليم ، والضحاك بالحسن الخلق ، وسالم بالتقى ، وابن زيد بالشريف ، وابن المسيب بالفقيه العالم ، وأحمد بن عاصم بالراضى بقضاء الله تعالى ، والخليل بالمطاع الفائق أقرانه ، وأبو بكر الوراق بالمتوكل ، والترمذى بالعظيم الهمة ، والثورى بمن لا يحسد ، وأبو إسحاق عمن يفوق بالخير قومه ، وبعض أهل اللغة بالمالك الَّذِى تجب طاعته ، إلَى غير ذلك من الأقوال ، وكل ما فيها من الأوصاف مما يصلح ليحيى عليه السلام ، لأنها صفات كمال ، وأحق النَّاس بصفات الكمال النبيون .

ب – معنى آخر من معانى لفظ « السيد » فى القرآن :

وكان يتعين على الوهابيين – على ما سنه شيخهم ابن عبد الوهاب – الإنكار على الله حيث أثبت السيادة لكافر به فى قوله تعالى : ﴿ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى البَابِ ﴾ (١) .

﴿ سَيِّدَهَا ﴾ أى زوجها وهو فرعون وهو فعل من ساد يسود ، وشاع إطلاقه على المالك وعلى الرئيس ، وكانت المرأة إذ ذاك على ما قيل تقول لزوجها « سيدى » ولذا ورد لفظ القرآن « بسيدها » ولم يقل القرآن سيدهما لأنه لم يكن فرعون مالكًا ليوسف حقيقة لحريته . إنما هو مالك لزوجته . وقال صاحب تفسير المنار : كان النساء فى مصر يلقبن الزوج « بالسيد » واستمر هذا إلَى زماننا هذا .

٢ – إطلاق لفظ « السيد » على غيره سبحانه فى الأحاديث :

وقد ورد إطلاق لفظ « السيد » على غيره تعالى فى كلام النبىّ ﷺ بما يبلغ حد التواتر .

أ – فعن أبى هريرة عنه ﷺ قال : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة »(٢) وفى رواية : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر »(٣) . وعن السيدة عائشة عنه ﷺ : « أنا سيد ولد آدم وعلى سيد

---

(١) سورة يوسف آية ٢٥ .

(٢) ، (٣) رواهما أبو داود فى كتاب السنة الباب ١٣ وابن ماجة فى كتاب الزهد الباب ٣٧ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٥ .

العرب »[1] .

ب - وقد ثبت السيادة لمن هو دونه ﷺ قدرًا . فعن أبى سعيد الخدرى عنه ﷺ قال : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة »[2] . وعن الترمذى عن فاطمة أخبرني النبىّ ﷺ : « أنى سيدة نساء العالمين »[3] وعن أبى نعيم الحافظ فى حيلة الأولياء عنه ﷺ قال : « ادعوا لى سيد العرب عليًا »[4] . وفى الحلية أيضًا أنه ﷺ قال لعلى : « مرحبًا بسيد المؤمنين »[5] فقد روى الحاكم بسند على شرط الشيخين عن ابن عباس أنه قال : نظر النبىّ ﷺ إلَى « على » فقال : « يا علىّ أنت سيد فى الدنيا سيد فى الآخرة ، حبيبك حبيبى وحبيبى حبيب الله ، وعدوك عدوى وعدوى عدو الله ، والويل لمن أبغضك بعدى »[6] ذكر الحافظ الغمارى ذلك فى تشنيف الآذان .

وعن السيدة عائشة أنه ﷺ قال للسيدة فاطمة : « أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين »[7] وعنه ﷺ : « هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين »[8] يعنى أبا بكر وعمر رضى الله عنهما .

وإقراره للأعرابى فى قوله :

يا سيد الرسل وديان العرب أشكو إليك ذربةً من الذرب[9]

جـ - وفى الفائق للزمخشرى ص ٢٠٨ قال ﷺ : « أرأيتم لو أن رجلًا وجد مع امرأته رجلًا كيف يصنع به » فقال سعد بن عبادة : والله لأضربنه بالسيف ولا أنتظر أن آتى بأربعة

---

(١) رواهما أبو داود فى كتاب السنة الباب ١٣ وابن ماجة فى كتاب الزهد الباب ٣٧ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٥ .

(٢) رواه الترمذى فى كتاب المناقب الباب ٣٠ وابن ماجة فى كتاب المقدمه الباب ١١ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٨٠ والجزء الثالث صفحة ٣، ٦٢، ٦٤، ٨٠، ٨٢ والجزء الخامس صفحة ٣٩١، ٣٩٢ .

(٣) رواه البخارى فى كتاب فضائل أصحاب النبىّ ﷺ الباب ٢٩ وكتاب المناقب الباب ٢٥ والترمذى فى كتاب المناقب الباب ٣٠ وأحمد فى الجزء الخامس صفحة ٣٩١ .

(٤) رواه أبو نعيم فى حيلة الأولياء ٦٣/١ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٣٦٤٤٨ .

(٥) رواه أبو نعيم فى حلية الأولياء ٦٦/١ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٣٣٠٠٩، ٣٦٥٢٧ .

(٦) رواه الحاكم فى المستدرك ١٢٧/٣ .

(٧) رواه البخارى فى كتاب الاستئذان الباب ٤٣ ومسلم فى كتاب فضائل الصحابة الحديث رقم ٩٨، ٩٩ وابن ماجة فى كتاب الجنائز الباب ٦٤ وأحمد فى الجزء السادس صفحة ٢٨٢ .

(٨) رواه الترمذى فى كتاب المناقب الباب ٣٠ وابن ماجة فى كتاب المقدمة الباب ١١ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٨٠ والجزء الثالث صفحة ٣، ٦٢، ٦٤، ٨٠، ٨٢ والجزء الخامس صفحة ٣٩١، ٣٩٢.

(٩) رواه أحمد فى الجزء الثانى صفحة ٢٠٢ .

شهداء، فقال رَسُول الله ﷺ: «انظروا إلَى سيدنا هذا ما يقول؟» قالوا: يا رَسُول الله من السيد؟ فقال: «يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام؟» قالوا: ما فى أمتك من سيد؟ قال: «بلى من أتاه الله مالًا ورزقًا وسماحةً فأدى شكره وقلت شكايته فى النَّاس»[1].

د - روى أحمد بن حنبل بمسنده عن أبى سعيد الخدرى: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ فأرسل له رَسُول الله ﷺ فأتاه على حمار فلما دنا قريبًا من المسجد قال ﷺ: «قوموا إلَى سيدكم»[2] رواه البخارى ص ١٤٦ جـ ٩ إرشاد السارى.

هـ - فقد روى البخارى فى الأدب المفرد من حديث جابر عنه ﷺ من سيدكم يا بنى سلمة؟ قالوا: الجد ابن قيسٍ[3].

٣ - إطلاق لفظ «السيد» على غيره سبحانه من الصحابة:

أ - فعنِ البخارى عن جابر أن عمر كان يقول: إن أبا بكرٍ سيدنا وأعتق سيدنا، يعني بلالًا[4]. وعن أبى بكر أنه قال: أتقولون هذا شيخ قريشٍ وسيدهم[5]، وعن على أنه قال: أنا سيد البطحاء.

وروى عبد الرازق عن أيوب وجابر الحنفى قال: من قال عند الإقامة: «اللَّهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت سيدنا محمدًا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وأورثه المقام المحمود. حقت له الشفاعة على النبى ﷺ» المصنف رقم ١١٩١ وليس يقال مثال هذه بالرأى.

ب - وفى الفائق للزمخشرى قالت أم الدرداء: حدثنى سيدى أبو الدرداء.

---

(١) رواه مسلم فى كتاب اللعان الحديث رقم ١٤، ١٦ وأبو داود فى كتاب الديات الباب ١٢ وابن ماجة فى كتاب الحدود الباب ٣٤.

(٢) رواه البخارى فى كتاب العتق الباب ١٧ وكتاب الاستئذان الباب ٢٦ وأبو داود فى كتاب الأدب الباب ١٤٤ وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ٢٢، ٧١ والجزء السادس صفحة ١٤٢.

(٣) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير ٨١/١٩ وابن سعد فى طبقاته ١١٢/٢/٣ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٣١٥/٩ وابن حجر فى تغليق التعليق ٨٥٨ وابن حجر فى فتح البارى ١٧٨/٥، ١٧٩ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٣٦٨٥٨، ٣٦٨٥٩، ٣٨٠١٠، والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ١٩٥/٨ وابن كثير فى تفسيره ١٠٢/٤. والقرطبى فى تفسيره ٢٩٢/٤، ٤٠٦/٥، ١٥٩/٨ والواحدى فى أسباب النزول ١٦٧.

(٤) رواه البخارى فى كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ الباب ٢٣.

(٥) رواه مسلم فى كتاب فضائل الصحابه رضوان الله عليهم الحديث رقم ١٧٠ وأحمد فى الجزء الخامس صفحة ٦٤.

فأين هؤلاء من مقام سيدنا ونبينا محمد ﷺ؟ وأين لفظ السيادة مما يجب علينا من تعظيمه ﷺ؟ وأين السيادة من التعبير عما هو دون الدون من مرتبته ﷺ وفضله وقربه من ربه؟

وأين أنتم أيُّهَا الوهابيون - فى موقفكم كالشيطان الأخرس - أمام ألفاظ الغلو والتعظيم التى تكال بمرأى منكم ومسمع، للملوك والأمراء فى كافة وسائل الإعلام من إذاعة وتليفزيون وصحافة وفى غيرها؟ بل أين أنتم أيُّهَا الوهابيون من ألفاظ التعظيم والسيادة «لبوش، وميتران» وغيرهما من الكفار على الحقيقة؟ وأين أنتم أيُّهَا الوهابيون من ألقاب: أصحاب المعالى، وأصحاب السعادة، لمن هب ودب؟

وقد كان اللازم على الوهابية على ما سنه لهم شيخهم الأكبر ابن عبد الوهاب الإنكار على الله تبارك وتعالى حيث قال: ﴿فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾[1]. ولكن يقرأ ابن عبد الوهاب هذه الآية ولا تجاوز تراقيه.

مالا يجوز لنا ويجوز للرسول ﷺ:

من يزعم عدم الإتيان بلفظ السيادة للنبىّ، لأن النبىّ ﷺ لم يأت بها لنفسه، فهو ضيق الأفق لا يفهم مقاصد الشريعة، فمن الضرورى أنه لا يجوز لنا أن نخاطب رَسُول الله ﷺ بالألفاظ التى يطلقها هو ﷺ على نفسه، والتى يستعملها فى مقام التواضع والخضوع لربه عز وجل.

وقد وجهتنا الشريعة وجهة تركت لنا فى إطارها كثيرًا من الاختيارات، فأمر الله تعالى بالدعاء وعلمنا رَسُوله ﷺ أدعية، ثم لم يحظر علينا الدعاء بغيرها، وعلمنا كيف نصلى عليه ﷺ ثم لم يحظر علينا الصلاة عليه بلفظ آخر، وأذن لنا فى الرقية ولم يحجر علينا فيها، وكذلك أمرنا بتعظيمه واستعمال الأدب معه ولم يحجر علينا فيها.

وقد فهم الصحابة رضوان الله عليهم هذا، وأقرهم رَسُول الله ﷺ فقد رقى جابر بالفاتحة كما فى الصحيح، وقال له ﷺ: (وما أدراك إنها رقية)[2]؟ ثم أقره على ذلك وكان

---

(١) سورة التحريم آية ٤.

(٢) رواه البخارى ٧٠/٧ ومسلم فى كتاب السلام الحديث رقم ٦٥ وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ٤٤ وابن حجر فى فتح البارى ١٩٨/١٠ والقرطبى فى تفسيره ١١٣/١، ٣١٨/١٠.

الصحابى الآخر يقرأ قل هو الله أحد قبل كل سورة فى صلاته فاستفهمه ﷺ عن ذلك ثم أقره على فعله بهذه البشارة الكريمة إذ قال له : « حبكها أدخلك الجنة »[1] وسمع رجلا آخر يصلى فقال : الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، فلما فرغ من صلاته قال : « من صاحب الكلمات ؟ » مرتين ، فقام إليه الرجل فقال : أنا يا رَسُول الله فقال : « لقد ابتدرها اثنا عشر ملكًا أيهم يسبق بها يحيى بها الله تبارك وتعالى »[2] إلَى غيرها من الأدعية التى سمعها ﷺ فأقرهم عليها أو قال : إن فيها اسم الله الأعظم .

١ - أما ما ورد من أقوال النبىّ ﷺ عندما جاءه وقد بنى عامر فقالوا : أنت سيدنا فقال ﷺ « السيد الله » فالجمع بينه وبين ما سبق باختلاف القصد فى معنى السيد أو بأنه قال ذلك تواضعًا ، أى السيد الحقيقى هو الله . وفى النهاية أى هو الَّذِى تحق له السيادة ولكن كره ﷺ أن يحمد فى وجهه وأحب التواضع .

وفى رواية لمسلم لا يقولن أحدكم عبدى فإن كلكم عبيد الله ، وفى رواية لأبى داود والنسائى : فإنكم المملوكون والرب الله مع قوله تعالى : ﴿ **وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ** ﴾[3] . وقوله تعالى : ﴿ **عَبْدًا مَمْلُوكًا** ﴾[4] . وقوله تعالى : ﴿ **اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ** ﴾[5] . فهذه المناهى الواردة على لسان رَسُول الله ﷺ للتنزيه قصدًا للتواضع .

٢ - وجهل ابن عبد الوهاب « الكذاب » قوله ﷺ : - سيد الاستغفار - « اللَّهم أنت ربى لا إله إلا أنت ...»[6] وجهل كذلك قوله ﷺ : « سيد الأيام يوم الجمعة فيه خلق آدم »[7] .

---

(١) رواه البخارى ١٩٧/١ وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ١٤١، ١٥٠ والدارمى فى سننه ٤٦١/٢ وابن حجر فى فتح البارى ٢٥٥/٢ والبغوى فى شرح السنة ٤٧٥/٤ وابن السنى فى عمل اليوم والليلة ٦٨٤ والسيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٤١١ والبغوى فى تفسيره ٣٢١/٧ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٣٨٢/٢ وابن كثيره فى تفسيره ٥٣٩/٨ والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ٢٦٣/٥ .

(٢) رواه النسائى ١٢٥/٢، ١٤٩ وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ١٩١، ٢٦٩ والمتقى الهندى فى كنز العمال ١٩٧٤٧، ٢٢٠٥٣، ٢٢٦٧٦ .

(٣) سورة النور آية ٣٢ .

(٤) سورة النحل آية ٧٥ .

(٥) سورة يوسف آية ٤٢ .

(٦) رواه البخارى فى كتاب الدعوات الباب ٢، ١٦ والترمذى فى كتاب الدعوات الباب ١٥ والنسائى فى كتاب الاستعاذة الباب ٥٧ وأحمد فى الجزء الرابع صفحة ١٢٢، ١٢٥ .

(٧) رواه ابن ماجة فى كتاب الإقامة الباب ٧٩ .

وجهل كذلك قوله ﷺ : « سيد الشهور شهر رمضان وأعظمها حرمة ذو الحجة »[1] .

وذكر الحافظ العلامة ابن الصديق فى تشنيف الآذان أن الحافظ السخاوى ذكر أن مجد الدين صاحب القاموس اختار الإتيان بلفظ السيادة قبل اسم النبىّ ﷺ فى غير المأثورات .

وقال الخطاب : والَّذِى أختاره وأفعله فى الصلاة وغيرها الإتيان بلفظ السيد ، وأفتى إمام الحرمين بلفظها فى الصلاة وغيرها .

أما حديث « لا تسيدونى فى الصلاة » فإنه حديث مكذوب وخطأ فى اللغة والفقهاء لهم آراء فى هذا الحكم كما سبق أن بيَّنا .

فرية ابن عبد الوهاب فى أحاديث السيادة :

يتذرع ابن عبد الوهاب الكذاب بالأحاديث التى ليس فيها لفظ السيادة ولا غرابة فى ذلك ، واللفظ بها آت من النبىّ ﷺ وهو من هو فى تواضعه فى جميع أحواله ، وهو الَّذِى يقول عن نفسه أنه ابن امرأة من قريش تأكل القديد ، ولكنا نحن أمته مأمورون بتعظيمه وتوقيره وتعزيره وبغض الصوت عنده ، وبعدم التقدم بين يديه وبألَّا نجعل دعاءه كدعاء بعضنا لبعض ، نهى الله أن يقولوا : يا محمد يا أبا القاسم ولكن يقولون : يا نبىّ الله .. يا رَسُول الله .

والله سبحانه وتعالى أكرمه بما لم يكرم به أحدًا من الأنبياء ، فلم يدعه باسمه فى القرآن قط بل يقول : ﴿ يَاأَيُّهَا النبىّ ﴾ ، ﴿ يَاأَيُّهَا الرسُولُ ﴾ مع أنه قال تعالى : ﴿ يَا آدَمُ ﴾ ، ﴿ يَا نُوحُ ﴾ ، ﴿ يَابراهِيمُ ﴾ ، ﴿ يَا مُوسَى ﴾ ، ﴿ يَا عِيسَى ﴾ .

يقول ابن تيمية فى الصارم المسلول : إن الله سبحانه وتعالى أوجب لنبينا ﷺ على القلب واللسان والجوارح حقوقًا زائدة على مجرد التصديق بنبوته . كما أوجب سبحانه وتعالى على خلقه من العبادات أمورًا زائدة على مجرد التصديق له سبحانه .

السيادة للنبى مستحبة عند الشافعية وسنة عند الحنفية :

وقد أوضح إمامنا الشافعى فى هذا الأمر فيما رواه عن الحافظ الحجة ابن عساكر بسنده

---

(١) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٤٠/٣ والسيوطى فى الدر المنثور ١٨٦/١ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٤٣٦٧٠ وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق ٢٥٦/٧ .

إليه فى كتابه « تبيين المفترى فيما نسب إلَى الإمام أبى الحسن الأشعرى ص ٩٧» قال الإمام الشافعى رضى الله عنه : « المحرمات من الأمور ضربان أحدهما ما أحدث يخالف كتابًا أو سنة أو أثرًا أو إجماعًا ، فهذه البدعة والضلالة ، والثانى ما أحدث من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذه فهذه محدثة غير مذمومة ، وقد قال عمر رضى الله عنه فى قيام رمضان : نعمت البدعة هذه . يعنى إنها محدثة لم تكن ، وإذا كانت فليس فيها رد لما مضى . فقول : « سيدنا محمد » مستحب عند الشافعية فى التشهد والصلاة على النبىّ ﷺ ، وسنة عند الأحناف فى الصلاة عليه لا فى التشهد .

نبينا ﷺ سيد الوجود وسيد الكائنات :

ومن المعلوم أن نبينا محمد ﷺ هو سيد الوجود وسيد الكائنات وأفضل المخلوقات ، فقد روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أتي رَسُول الله ﷺ بلحم فرفع إليه الذراع - وكانت تعجبه - فأكل منه ثم قال : « أنا سيد النَّاس يوم القيامة »[1] . وروى مسلم فى باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق عن أبى هريرة قال : قال رَسُول الله ﷺ : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفع »[2] .

قال الإمام النووى فى شرحه : وأما الحديث الآخر : « لا تفضلوا بين الأنبياء »[3] . فجوابه من خمسة أوجه .. ثم ذكر أن أحدها أنه ﷺ قاله : أدبًا وتواضعًا ثم قال : ولابد من اعتقاد التفضيل ، فقد قال الله تعالى : ﴿ **تِلكَ الرُّسُلُ فَضَّلنَا بَعضَهُم عَلَى بَعضٍ مِنهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعضَهُم دَرجَاتٍ** ﴾[4] .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الأنبياء الباب الثالث وكتاب تفسير القرآن (سورة الإسراء) الباب الخامس ومسلم فى كتاب الإيمان الحديث ٣٢٧، ٣٢٨ وكتاب الفضائل الحديث ٣ والترمذى فى كتاب القيامة الباب ١٠ وكتاب تفسير القرآن (سورة الإسراء) الباب ١٩ والدارمى فى كتاب المقدمة الباب ٨ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٢٨١، ٢٩٥ والجزء الثانى صفحة ٤٣٥، ٥٤٠ والجزء الثالث صفحة ٢، ١٤٤ والجزء الخامس صفحة ٣٨٨ .

(٢) رواه مسلم فى كتاب الفضائل الحديث ٢ وأبو داود ٤٦٧٣ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ٥٤٠ وفى مناهل الصفا ٣٣ والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار ٥٧/٣ .

(٣) رواه البخارى فى كتاب الأنبياء الباب ٣٥ ومسلم فى كتاب الفضائل الحديث ١٥٩ وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ٤١، ٤٧، ٥٣

(٤) سورة البقرة آية ٢٥٣ .

وروى مسلم فى باب فضل نسب النبىّ ﷺ عن واثله بن الأسقع عن النبىّ ﷺ قال: «إن الله عز وجل اصطفى كنانة من ولد إسماعيل عليه الصلاة والسلام، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشمٍ، واصطفانى من بنى هاشمٍ»[1].. ومثل هذه الأحاديث كثيرة.

ولم يقله ﷺ فخرًا بل صرح بنفى الفخر فى الحديث المشهور: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر ...»[2].

بل ذكره كما قال النووى لوجهين:

أ - امتثال قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[3].

ب - إنه من البيان الَّذِى يجب عليه تبليغه إلَى أمته ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه ويوقروه ﷺ بما تقتضى مرتبته ﷺ كما أمرهم الله تعالى.

روى الإمام أحمد عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال: أصبح رَسُول الله ﷺ ذات يوم فصلى الغداة ثم جلس حتى إذا كان من الضحى ضحك رَسُول الله ﷺ ثم جلس مكانه حتى صلى الأولى والعصر والمغرب كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الآخرة، ثم قام إلَى أهله فقال النَّاس: ألا نسأل رَسُول الله ﷺ ما شأنه صنع اليوم شيئًا لم يصنعه قط؟ قال: فسأله، فقال: «نعم عرض على ما هو كائن من أمر الدنيا وأمر الآخرة، فجمع الأولون والآخرون بصعيدٍ واحدٍ ففزع النَّاس».

ثم ذكر مثل حديث الشفاعة المشهور إلَى أن قال: فيفتح الله عز وجل عليه من الدعاء

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الفضائل الحديث رقم ١ والترمذى فى كتاب المناقب الباب الأول وأحمد فى الجزء الرابع صفحة ١٠٧.

(٢) رواه مسلم فى كتاب الفضائل الحديث رقم ٣ والترمذى ٣١٤٨، ٣٦١٥ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٢٨١ والجزء الثالث صفحة ٢ والقاضى عياض فى الشفا ٣٩٩/١ والتبريزى فى مشكاة المصابيح ٥٧٤١، ٥٧٦١ والبغوى فى شرح السنة ٢٠٤/١٣ والقرطبى فى تفسيره ٣/ ٢٦٢، ٤/ ٨٤، ٥/ ٦١، ١٠/ ٤٩، ٣١٠، ٥/١٥ وفى مناهل الصفا ٣٢ والبغوى فى تفسيره ١٧٨/٤ والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار ٣/ ١٥٧، ١٦٦/٤ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٤/ ٤٤٢ والهيثمى فى موارد الظمآن ٢١٢٧ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٩/ ٢٢٥، ١٠/ ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٢ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٣١٨٨١، ٣١٨٨٢، ٣٢٠٣٣، ٣٩٠٥٢، وأبو نعيم فى دلائل النبوة ١٣/١ والكاف الشاف فى تخريج أحاديث الكشاف ٩٠ والإتحافات السنية ١٩١ وابن كثير فى البداية والنهاية ١/ ١٧١، ٢٨٥، ٢٥٧/٢.

(٣) سورة الضحى آية ١١.

ثم بين بعد ذلك ما صح من الآيات القرآنية وأحاديث المصطفى ﷺ وأقوال العلماء أى كلام لأحد فى استحباب لفظ السيادة قبل اسم من هما خير.

والأمر فى ذلك سهل ميسور لا يستحق هذه الضجة من الشرذمة النجدية، فلنوجه همنا إلى ما هو أخطر من ذلك مما اتفق على وجوبه الجميع وعلى حرمته الجميع، وإلى الله المرفع.

(٥) رواه أبو داود فى كتاب السنة الباب ١٣ وابن ماجة فى كتاب الزهد الباب ٣٧ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٥ .

الفصل الرابع

حكم الإقسام على الله والقسم بغيره تعالى

أولًا : الإقسام على الله بمخلوق أو بحق مخلوق

صور الإقسام على الله بمخلوق أو بحق مخلوق :

مثل أقسمت عليك أو أقسم عليك بفلان أو بحق فلان ، أو سألتك أو أسألك بفلان ، وهذا داخل فى التوسل ، الَّذِى سبق أن تناولناه فى الباب الثامن . وإنما نعيد ذكره فى هذا الباب لكونه نوعًا مخصوصًا من التوسل ، ولثالوث التكفير - ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب - كلام فيه بعنوانه الخاص وأدلة خاصة ، وهو ما منعه ثالث الأثافى ابن عبد الوهاب ، وحرمه على عادته من التشدد والتضييق على عباد الله فيما وسع الله فيه عليهم ، وعدم رضاه بتعظيم من عظمه الله ما وجد لذلك حيلة ، ولا ندرى هل يجعله كفرا أو شركًا ؟.

لا نستبعد منه ذلك ، بعد أن جعل سؤال الشفاعة من النبىّ ﷺ شركًا ، مع تسليمهم بأن الله أعطاه الشفاعة ، وأنه الشفيع المشفع .

شبهات وأباطيل حول الإقسام على الله بمخلوق أو بحق مخلوق :

١ - فى الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية : « إن الإقسام على الله بمخلوق منهى عنه باتفاق العلماء - يعنى علماء الوهابية - وهل هو نهى تنزيه أو تحريم ؟ وللرد على ذلك قولان أصحهما : أنه كراهة تحريم ، واختاره العز بن عبد السلام فى فتاويه ، ثم نقل عن أبى حنيفة أنه قال : لا ينبغى لأحد أن يدعو الله إلا به وأكره أن تقول : بمعاقد العز من

عرشك ، أو بحق خلقك . وعن أبي يوسف : بمعاقد العز من عرشك هو الله ، فلا أكره هذا ، وأكره بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك ، ثم حكى عن القدوري : أن المسألة بحق المخلوق لا يجوز لأنه لا حق للمخلوق على الخالق .

٢ - قال صاحب الرسالة : « وأما قوله بحق السائلين عليك ففيه عطية العوفي وفيه ضعف ، ومع صحته فمعناه بأعمالهم ، لأن حقه تعالى عليهم طاعته وحقهم عليه الثواب والإجابة » .

وقال الشيخ رشيد رضا - أحد أبواق الوهابية - : « المتبادر من معنى هذه الجملة : أنها سؤال لله تعالى بوعده للسائلين أن يستجيب دعاءهم بمثل قوله تعالى : ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾[1] .

الرد على شبهات وابطيل الإقسام على اللّه بمخلوق او بحق مخلوق :

١ - الإقسام على اللّه تعالى بكريم عليه من نبيّ أو ولي أو عبد صالح أو غير ذلك من أنواع التوسل الّذي تقدم الكلام عليه في الفصل الرابع من الباب الثاني ، وبينا جوازه ورجحانه ، وأنه ليس ببدعة ، وأنه محبوب لله تعالى ، وأنه تعالى يجب أن يتوسل إليه عبده بأنواع الوسائل وكلها لا تخرج عن دعائه وعبادته ، ومن أجل ذلك جعل اللّه الشفاعة كرامة للشفيع ورحمة بالمشفوع به ، لأنها نوع من عبادته ودعائه والتضرع إليه ، فهو يحب ذلك كله سواء كان من العبد نفسه أو على لسان غيره ، ولذلك قبل الدعاء بلسان الغير بل جعله أرجى للإجابة .

٢ - وقول صاحب الرسالة : إن الإقسام على اللّه بمخلوق منهى عنه باتفاق العلماء ، جزاف من القول ، ولم يأت بما يثبته سوى ما نقله عن أبي حنيفة وأبي يوسف وابن عبد السلام والقدوري - كأن علماء الإسلام في جميع الأمصار والأعصار انحصرت في هؤلاء الأربعة ، فأين اتفاق العلماء من فتوى الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل ؟ ولِمَ لم ينقلها إن كانوا موافقين ؟ وأين فتوى باقي العلماء الّذينَ لا يحصى عددهم إلا اللّه ؟ وهل اطلع على فتواهم فوجدهم موافقين أو لا ؟ فكيف تجرأ على دعوى اتفاقهم ؟ وكيف يدعي الاتفاق بفتوى أربعة - أبي حنيفة وأبي يوسف وابن عبد السلام ورابعهم القدوري ؟.

---

(١) سورة غافر آية ٦٠ .

الكبير والأوسط من قول رسول الله ﷺ : « اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء السائلين عليك وبحق ممشاى هذا »[2]

٤ - أما استدلال الوهابية بالقدورى على تحريمهم الإقسام على الله بمخلوق أو بحق مخلوق فباطل من عدة وجوه :

أ - لأن الإقسام على الله بالمخلوق لا يلزم أن يقال فيه أسألك بحق فلان بل يكفى بحق فلان أو بفلان ، فإن الحق فى اللغة الأمر الثابت الواجب من حق يحق حقًا إذا ثبت ، فتارة يكون ثابتًا للإنسان فى نفسه من : فضل ، وعلم ، وشرف ، وعبادة ، وزهادة ، وغير ذلك ، وتارة يثبت له على غيره .

ب - دعواه أنه لا حق للمخلوق على الخالق : إن أريد أن له عليه حقًا حتميًا إلزاميًا شاء أو أبى وتسلطًا كحق الدائن على المدين فمسلّم ، ولكن هذا لا يقول به أحد ، وإن أريد أن له عليه حقًا جعله الله على نفسه وأكرم به عبده فأى مانع منه ؟ وأى دليل يقتضى نفيه ؟ بل الدليل على ثبوته موجود قال الله تعالى : ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[4] وقوله

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك ٢/٦١٥ والبيهقى فى دلائل النبوة ٥/٤٨٩ وفى الإتحافات السنية ٢٥٦ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٣٢١٣٨ وابن كثير فى البداية والنهاية ١/٨١، ٢/٣٢٢ وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق ٢/١٤٧ .

(٢) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير والأوسط وابن حبان والحاكم وصححوه عن أنس بن مالك وروى ابن أبى شيبة عن جابر وابن عبد البر عن ابن عباس رضى الله عنهما وأبو نعيم فى الحلية عن أنس أورد ذلك كله الحافظ جلال الدين السيوطى فى الجامع الكبير والهيثمى فى مجمع الزوائد ٩/٢٥٦، والمتقى الهندى فى كنز العمال ٣٤٤٢٥ .

(٣) أورده العلامة المنذرى فى الترغيب والترهيب ١/٤٧٧ والزيلعى فى نصب الراية ٤/٢٧٢، ٢٧٣ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٥/٤٤ .

(٤) سورة الروم آية ٤٧ .

تعالى : ﴿ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعدًا مَسئُولًا ﴾ [1].

أفنترك قول الله تعالى فى كتابه ونتبع قول القدورى والطناجرى والمعرفى !! .

الطبرانى فى الكبير والبيهقى فى شعب الإيمان عن معاذ « حق على الله عون من نكح التماس العفاف عما حرم الله »[2] . وفى النهاية الأثيرية « الحق ضد الباطل » ومنه الحديث « أتدرى ما حق العباد على الله »[3] . أى ثوابهم الَّذِى وعدهم به فهو واجب الإنجاز ثابت بوعده الحق .

ذكر ابن تيمية حديث : « كان حقًّا على الله أن يسقيه من طينة الخبال »[4] وقوله جاء فى غير حديث كان حقًا على الله كذا وكذا ، وما نقله فى الصحيح « حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا وحق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ألا يعذبهم »[5] . وما حكاه من رواية ابن ماجة فى دعاء الخارج للصلاة « اللَّهم إني أسألك بحق السائلين وبحق ممشاى هذا[6] ... إلخ .

وفى خلاصة الكلام ص ٤٢٠ أنه رواه ابن ماجة بإسناد صحيح عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رَسُول الله ﷺ : « من خرج من بيته إلَى الصلاة فقال : اللَّهم إنى أسألك بحق السائلين عليك ، وأسألك بحق ممشاى هذا إليك فإنى لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا رياءً ولا سمعةً خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تعيذنى من النار وأن تغفر لى

---

(١) سورة الفرقان آية ١٦ .

(٢) أورده المتقى الهندى فى كنز العمال ٤٤٤٤٣ وابن عدى فى الكامل ٢٧١٩/٧ .

(٣) رواه أحمد فى الجزء الخامس صفحة ٢٣٤ وابن كثير فى تفسيره ٢/ ٢٦٠، ٢٥٨/٣ .

(٤) رواه مسلم فى كتاب الأشربة الحديث قم ٧٢ وأبو داود فى كتاب الأشربة الباب الخامس والترمذى فى كتاب الأشربة الباب الأول وكتاب القيامة الباب ٤٧ والنسائى فى كتاب الأشربة الباب ٤٥، ٤٩ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ٣٥، ١٧٦، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٩، والجزء الثالث صفحة ٣٦١، والجزء الخامس صفحة ١٧١ والجزء السادس صفحة ٤٦٠ .

(٥) رواه البخارى فى كتاب اللباس الباب ١٠١ وكتاب الجهاد الباب ٤٦ وكتاب الاستئذان الباب ٣٠ وكتاب الرقاق الباب ٣٧ وكتاب التوحيد الباب الأول ومسلم فى كتاب الإيمان الحديث رقم ٤٨-٥١ والترمذى فى كتاب الإيمان الباب ١٨ وابن ماجة فى كتاب الزهد الباب ٣٥ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ٣٠٩، ٥٢٥، ٥٣٥ والجزء الثالث صفحة ٢٦٠، ٢٦١ .

(٦) رواه ابن ماجة ٧٧٨ وأحمد فى الجزء الثالث صفححة ٢١ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٤٩٧٧ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٨٩/٥، ٩٠ وابن السنى فى عمل اليوم والليلة ٨٣ والسيوطى فى الدر المنثور ٣٦/٢ والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار ٣٢٦/١ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٤٥٨/٢ .

ذنوبى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت - أقبل الله عليه بوجهه واستغفر له سبعون ألف ملكٍ »[1] .

وذكره الجلال السيوطى فى الجامع الكبير ، وكثير من الأئمة فى كتبهم بل قال بعضهم : ما من أحد من السلف إلا وكان يدعو به ، قال رواه ابن السنى بإسناد صحيح عن بلال مؤذن رَسُول الله ﷺ وفيه : « اللَّهم إنى أسألك بحق السائلين عليك وبحق مخرجى »[2] مع بعض التفاوت .

وقال رواه الحافظ أبو نعيم فى عمل اليوم والليلة من حديث أبى سعيد بلفظ رواية ابن السنى . فإذا كان الله تعالى ورَسُوله قد صرحا بالحق على الله تعالى فهل نتركه ونتبع قول القدورى والطناجرى والمعرفى أيُّهَا القَرَنِيُّونَ ؟!! .

٥ - ومع كل هذا التصريح من الله تعالى ورَسُوله ، فهم يتمحلون[3] فى رد الأحاديث بالقدح فى إسنادها أو مفادها ؛ لأنه يعظم عليهم أن يعظموا أحدًا ممن عظم الله ، فيردون ما دل على ذلك بكل وسيلة لشبهتهم وتمسكا بها فيقولون :

بالقدح فى حديث بحق السائلين عليك بأن فيه « عطية العوفى بن سعد بن جنادة العوفى أبو الحسن الكوفى » فيه ضعف وهذا القول مردود :

أ - بحكاية الحافظ بن حجر العسقلانى فى « تهذيب التهذيب » ج ٧، ص ٢٢٤-٢٢٦ عن ابن سعد أنه قال : وكان ثقة - إن شاء الله - وله أحاديث صالحة .

ب - وحكى فيه عن الدورى عن ابن معين : أنه صالح .

جـ - وفى خلاصة تذهيب الكمال فى أسماء الرجال ص ٢٢٦ « الحافظ أحمد بن عبد الله الأنصارى » : عطية بن سعد بن جناده العوفى أبو الحسن الكوفى عن أبى هريرة وأبى سعيد وابن عباس وعنه أبناء عمر والحسن وإسماعيل بن أبى خالد ومسعد وخَلْق ضَعَّفَه الثورى وهشيم وابن عدوى وَحَسَّنَ له الترمذى أحاديث .

د - وحكى فى الحاشية عن التهذيب : « قال أبو حاتم وابن سعد : ومع ضعفه يكتب

---

(١) ، (٢) رواهما ابن ماجة ٧٧٨ وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ٢١ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٤٩٧٧ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٥/ ٨٩، ٩٠ وابن السنى فى عمل اليوم والليلة ٨٣ والسيوطى فى الدر المنثور ٣٦/٢ والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار ٣٢٦/١ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٤٥٨/٢ .

(٣) المحال : المكار ، الخداع ، الشيطان .

حديثه » . فدل ذلك على أن أحاديثه مقبولة ليس فيها مناكير ، والَّذِينَ ضعفوه لم يضعفوه إلا لكونه من شيعة على عليه السلام فرموه بما رموه . فدل على أن سبب القدح تقديمه سيدنا عليًا عليه السلام على الكل . وقد تحمل من الحجاج ضرب أربعمائة سوط وحلق لحيته ليسُب سيدنا عليا عليه السلام ولم يسب .

هـ - وقد أورد حديثه أئمة الحديث فى صحاحهم كالبخارى فى الأدب المفرد وأبو داود والترمذى وابن ماجة القزوينى ، كما يدل عليه وضع صاحب مختصر تهذيب الكمال على اسمه رمز « بخ دت ن » الَّذِى هو رمز لهؤلاء .

ثانيا : الحلف بغير الله من نبىّ أو ولى

شبهات وأباطيل حول الحلف بغير الله :

١ - صرح الصنعانى فى كتابه تطهير الاعتقاد ص ١٤ أن الحلف بغير الله شرك على الإطلاق قال : إن القبوريين - يعنى غير الوهابيين - سلكوا مسالك المشركين حذو القذة بالقذة ، وعد أعمالهم الموجبة لذلك قال : ويقسمون بأسمائهم بل إذا حلف من عليه حق باسم الله تعالى لم يقبل منه ، فإذا حلف باسم ولى من الأولياء قبلوه وصدقوه وهكذا كانت عبادة الأصنام ﴿ **وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحدَهُ اشمَأَزَّت قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُم يَستَبشِرُونَ** ﴾ (١) .

٢ - وفى الحديث : « من حلف فليحلف بالله أو ليصمت » وسمع رَسُول الله ﷺ رجلًا يحلف باللات فأمره أن يقول : لا إله إلا الله ، وهذا يدل على أنه ارتد بالحلف بالصنم فأمره أن يجدد إسلامه فإنه قد كفر بذلك . ثم ذكر الصنعانى فى كتابه تطهير الاعتقاد ص ١٥ أن رأس العبادة وأساسها الاعتقاد ، وقد حصل فى قلوبهم ذلك بل يسمونه معتقدًا ، ويضعون له ما سمعته مما تفرع عن الاعتقاد وعد من جملته الحلف .

٣ - وفى الرسالة الأولى من رسائل الهدية السنية ص ٢٥ أن الشرك شركان :

أ - الشرك الأكبر وله أنواع ومنه طلب الشفاعة من المخلوق والتوسل وغيره .

ب - الشرك الأصغر كالرياء والسمعة والحلف بغير الله .

فقد روى ابن عمر عن رَسُول الله ﷺ « من حلف بغير الله فقد أشرك » أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى والحاكم وصححه ابن حبان . وقال ﷺ : « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت » أخرجه الشيخان . قال : « والشرك الأصغر لا يخرج عن الملة ويجب التوبة منه » .

رد الشبهات والأباطيل حول الحلف بغير الله :

١ - أما حديث من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك فهو محمول إما على الكراهة الشديدة وإطلاق الشرك عليه من باب المبالغة بيانا لشدة الكراهة ، فقد ورد اللعن على فعل

---

(١) سورة الزمر آية ٤٥ .

[illegible] كلمن الحلال والحلل [illegible] [illegible] [illegible]
الساري شرح صحيح البخاري ص ٢٥٨ ج ٩ بعد نقل [illegible] [illegible]
يعني الكفر والشرك للمبالغة في الزجر والتغليظ.

وهل النهي للتحريم أو للتنزيه؟ المشهور عند المالكية الكراهة، وعند الشافعية التحريم، وجمهور الشافعية أنه للتنزيه، وقال إمام الحرمين: المذهب القطع بالكراهة، وقال غيره بالتفصيل: فإن اعتقد فيه من التعظيم ما يعتقده في الله حرم وكفر بذلك الاعتقاد، وإن حلف لاعتقاد تعظيم المحلوف به على ما يليق به من التعظيم فلا يكفر.

٢ - وأما عن الحلف بالأصنام كما يشير إليه الحديث - «سمع رَسُول الله ﷺ رجلًا يحلف باللات فأمره أن يقول: لا إله إلا الله» وهذا يدل على أنه ارتد بالحلف بالصنم فأمره أن يجدد إسلامه فإنه قد كفر بذلك - في كلام الصنعاني - أحد ذيول الوهابية - فيمن حلف باللات مما يدل على أن ذلك كان يقع منهم بعد إسلامهم لقرب عهدهم بالشرك.

ولكن ذلك لا يتأتى على رواية أحمد، لأن فيها إن كان يحلف وأبى أو على الحلف بغير الله باعتقاد مساواته لله تعالى، أو على الحلف بالبراءة ونحوها كأن يقول: إن فعل كذا فهو يهودي أو بريء من الإسلام أو من الله أو من رَسُوله، فإنه إما محرم فقط أو موجب للكفر إن قصد الرضا بذلك إذا فعله. ولكن لا يتأتى على رواية أحمد كما عرفت، أو على الحلف في مقام القضاء والمرافعة لإثبات حق أو نفيه الَّذِي لا يجوز بغير الله تعالى في غير ذلك قطعا بل من ضروريات الإسلام يعرف جوازه الخواص والعوام. ولو كان حرامًا لاشتهر اشتهار الشمس في رابعة النهار لكثرة الابتلاء به، ولم يخف على النَّاس كلها، ويظهر للوهابية تهمفرية وحدها. وستعرف أحكام الأئمة الأربعة على الجواز.

٣ - أما حديث النهي عن الحلف بالآباء: فرواه أحمد في مسنده أيضًا كما رواه الشيخان، أن النبيّ ﷺ سمع عمر وهو يقول: «وأبي. وفي رواية: وأبي وأبي مكررًا فقال: إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت».

وكانت قريش تحلف بآبائها فقال: لا تحلفوا بآبائكم. وهو كالَّذِي سبق محمول إما على الكراهة أو على عدم الانعقاد. فيكون إرشاديًا كما في النهي عن بيع الغرر أي بيع المجهول. أي أنه لا يترتب عليه آثار اليمين من: وجوب الوفاء، ولزوم الكفارة لمخالفته، وغير ذلك، أو على الحلف في مقام المرافعة أو غير ذلك قال النووي في شرح صحيح مسلم ص ١١٩ ج ٧

بهامش إرشاد السارى : « فى شرح إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم فيه النهى عن الحلف بغير أسمائه تعالى وصفاته ، وهو عند أصحابنا - الشافعية - مكروه وليس بحرام » .

٤ - لقد وقع الحلف بغير الله من الله تعالى ومن النبىّ ﷺ ومن الصحابة والتابعين وجميع المسلمين خلفًا عن سلف :

أ - الحلف بغير الله من الله تعالى :

فإنه قد أقسم فى كتابه العزيز بكثير من مخلوقاته ، كما أقسم بذاته وبعزه وجلاله مثل قوله تعالى : ﴿ **وَالعَصرِ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسرٍ** ﴾ (١) . وقوله ﴿ **وَالعَادِيَاتِ ضَبحًا فَالمُورِيَاتِ قَدحًا فَالمُغِيرَاتِ صُبحًا** ﴾ (٢) . وقوله تعالى : ﴿ **وَالنَّازِعَاتِ غَرقًا والنَّاشِطَاتِ نَشطًا والسَّابِحَاتِ سَبحًا فَالسَّابِقَاتِ سَبقًا فَالمُدَبِّرَاتِ أَمرًا** ﴾ (٣) . وقوله تعالى : ﴿ **وَالمُرسَلَاتِ عُرفًا فَالعَاصِفَاتِ عَصفًا والنَّاشِرَاتِ نَشرًا فَالفَارِقَاتِ فَرقًا فَالمُلقِيَاتِ ذِكرًا** ﴾ (٤) . وقوله تعالى : ﴿ **وَالذَّارِيَاتِ ذَروًا فَالحَامِلَاتِ وقرًا فَالجَارِيَاتِ يُسرًا فَالمُقَسِّمَاتِ أَمرًا** ﴾ (٥) . وقوله تعالى : ﴿ **وَالصَّآفَّاتِ صَفا فَالزَّاجِرَاتِ زَجرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكرًا** ﴾ (٦) . وقوله تعالى : ﴿ **وَالتِّينِ والزَّيتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا البَلَدِ الأَمِينِ** ﴾ (٧) . وقوله تعالى : ﴿ **وَالضُّحَى وَاللَّيلِ إِذَا سَجَى** ﴾ (٨) . وقوله تعالى : ﴿ **وَاللَّيلِ إِذَا يَغشَى وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى** ﴾ (٩) . وقوله تعالى : ﴿ **وَالشَّمسِ وضُحَاهَا وَالقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا وَاللَّيلِ إِذَا يَغشَاهَا والسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا وَالأَرضِ وَمَا طَحَاهَا وَنَفسٍ وَمَا سَوَّاهَا** ﴾ (١٠) . وقوله تعالى : ﴿ **والسَّمَآءِ ذَاتِ الرَّجعِ وَالأَرضِ ذَاتِ الصَّدعِ** ﴾ (١١) .

وقوله تعالى : ﴿ **والسَّمَاءِ ذَاتِ الحُبُكِ** ﴾ (١٢) . وقوله تعالى : ﴿ **وَالسَّمَاءِ ذَاتِ البُرُوجِ وَاليَومِ المَوعُودِ وَشَاهِدٍ وَمَشهُودٍ** ﴾ (١٣) وقوله تعالى : ﴿ **وَالسَّمَاءِ والطَّارِقِ** ﴾ (١٤) . وقوله

---

(١) سورة العصر آية ١ - ٢ .
(٢) سورة العاديات آية ١ - ٣ .
(٣) سورة النازعات آية ١ - ٥ .
(٤) المرسلات آية ١ - ٥ .
(٥) سورة الذاريات آية ١ - ٤ .
(٦) سورة الصافات آية ١ - ٣ .
(٧) سورة التين آية ١ - ٣ .
(٨) سورة الضحى آية ١ - ٢ .
(٩) سورة الليل آية ١ - ٢ .
(١٠) سورة الشمس آية ١ - ٧ .
(١١) سورة الطارق آية ١١ - ١٢ .
(١٢) سورة الذاريات آية ٧ .
(١٣) سورة البروج آية ١ - ٣ .
(١٤) سورة الطارق آية ١ .

تعالى: ﴿وَالنَّجمِ إِذَا هَوَى﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وَالفَجرِ وَلَيَالٍ عَشرٍ وَالشَّفعِ وَالوَترِ وَاللَّيلِ إِذَا يَسرِ هَل فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجرٍ﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿نٓ وَالقَلَمِ وَمَا يَسطُرُونَ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَّسطُورٍ فِي رَقٍّ مَنشُورٍ وَالبَيتِ المَعمُورِ وَالسَّقفِ المَرفُوعِ وَالبَحرِ المَسجُورِ﴾[4]. وقوله تعالى: ﴿لَآ أُقسِمُ بِيَومِ القِيَامَةِ وَلَآ أُقسِمُ بِالنَّفسِ اللَّوَّامَةِ﴾[5]. وقوله تعالى: ﴿لَآ أُقسِمُ بِهَذَا البَلَدِ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا البَلَدِ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾[6]. وقوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّو تَعلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[7]. وقوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقسِمُ بِالخُنَّسِ الجَوَارِ الكُنَّسِ وَاللَّيلِ إِذَا عَسعَسَ وَالصُّبحِ إِذَا تَنَفَّسِ﴾[8]. وقوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقسِمُ بِمَا تُبصِرُونَ وَمَا لَا تُبصِرُونَ﴾[9]. وقوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقسِمُ بِالشَّفَقِ وَاللَّيلِ وَمَا وَسَقَ وَالقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾[10]. وقوله تعالى: ﴿لَعَمرُكَ إِنَّهُم لَفِي سَكرَتِهِم يَعمَهُونَ﴾[11].

الحلف بالمخلوق شرك عندهم ... والله نعم المقتدى للمقتدى
فالله في القرآن صرح مقسما ... بالخلق في قسم له متعدد
بالتين والزيتون والبلد الأمي ... ن وبالضحى الضاحي وليل أربد
والعاديات النازعات الناشطا ... ت السابحات السابقات لقصد
بالفجر أقسم والليالي العشر والشـ ... ـفع الَّذِي بالوتر أصبح يبتدي
والمصطفى وأبيك قال بمورد ... وأبيه أيضا قالها في مورد
وكذا ببيت الله أقسم عمه ... فأقر وهو بمسمع وبمشهد

يقول ثالث الأثافي ابن عبد الوهاب: إن صدور هذا الحلف من الله تعالى لا يستلزم صدوره منا فهو لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون.

وللرد على ذلك نقول:

١ - إن صدور هذا الحلف من الله يدل على أنه لا قبح فيه؛ لأنه تعالى منزه عن فعل

---

(١) سورة النجم آية ١.
(٢) سورة الفجر آية ١ - ٥.
(٣) سورة القلم آية ١.
(٤) سورة الطور آية ١ - ٦.
(٥) سورة القيامة آية ١ - ٢.
(٦) سورة البلد آية ١ - ٣.
(٧) سورة الواقعة آية ٧٥ - ٧٦.
(٨) سورة التكوير آية ١٥ - ١٨.
(٩) سورة الحاقة آية ٣٨ - ٣٩.
(١٠) سورة الانشقاق آية ١٦ - ١٨.
(١١) سورة الحجر آية ٧٢.

أما قول القسطلاني في إرشاد الساري ص ٣٥٨ ج ٩: «لله تعالى أن يقسم بما يشاء من خلقه» ليعجب به المخلوقين ويعرفهم قدرته لعظيم شأنها عندهم ولدلالاتها على خالقها وأما المخلوق فلا يقسم إلا بالخالق.

وللرد على ذلك نقول إن ما يقبح من العبد لكونه شركًا أصغر وتشبيها للخلق في العظمة به تعالى، لا يمكن أن يحسن منه تعالى إذ صدوره منه تعالى لا يخرجه عن تلك الصفة إن كانت.

ب - الحلف بغير الله من النبيّ ﷺ فعلًا فما رواه مسلم في صحيحه ص ٤١٩ ج ٤:

«إنه جاء رجل إلَى النبي ﷺ فقال: يا رَسُول الله أي الصدقة أعظم أجرًا، فقال: أما وأبيك لتنبأنه أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء»[1].

وروى مسلم أيضًا في كتاب الإيمان ص ٢٢٤ - ٢٢٧ بهامش إرشاد الساري: «أنه جاء رجل إلَى رَسُول الله ﷺ من أهل نجدٍ يسأل عن الإسلام، فقال رَسُول الله ﷺ خمس صلواتٍ في اليوم والليلة وصيام شهر رمضان والزكاة ومع كل واحدةٍ يقول: هل على غيرها؟ وهو ﷺ يقول: لا إلا أن تطوع، فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه، فقال رَسُول الله ﷺ: أفلح وأبيه إن صدق، أو دخل الجنة وأبيه إن صدق»[2].

وقد ثبت في لفظ أبي بكر الصديق في قصة السارق الَّذِي سرق على ابنته فقال:

---

(١) رواه البخاري في كتاب الوصايا الباب ٧ ومسلم في كتاب الزكاة الحديث ٩٢ وأبو داود في كتاب الوصايا الباب الثالث والنسائي في كتاب الزكاة الباب ٦٠ وابن ماجة في كتاب الوصايا الباب الرابع وأحمد في الجزء الثاني صفحة ٢٣١، ٢٥٠، ٤١٥، ٤٤٧.

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان الباب الثالث وكتاب الصوم الباب الأول وكتاب الشهادات الباب ٢٦ وكتاب الحيل الباب الثالث ومسلم في كتاب الإيمان الحديث ٨، ٩ وأبو داود في كتاب الصلاة الباب الأول والنسائي في كتاب الصلاة الباب الرابع وكتاب الصيام الباب الأول وكتاب الإيمان الباب ٢٣ والدارمي في كتاب الصلاة الباب ٢٠٨ والموطأ في كتاب السفر الحديث رقم ٩٤.

« وأبيك ما ليلك بليل سارق »[1] . وأن العرب تقصد به القسم وإلا كان إتيانه عبثًا وهذرًا سمع ذلك رَسُول الله ﷺ ولم ينكره .

جـ – الحلف بغير الله من العلماء والتابعين وجميع المسلمين :

فقد سمعت قول أبى بكر : وأبيك ماليلك بليل سارق ، ووقع الحلف من الكل : بلفظ لعمرى أو لعمر أبيك ونحو ذلك فى الشعر والنثر بكثرة لا يمكن معها ضبطها ، وهو قسم باتفاق أهل اللغة ، وحلف بالعمر يفتح العين وهو الحياة أو الدين كما نشره أهل اللغة . « وأبيك » فاه بها أبو بكر ، ومن قالوا : لعمرك ، جمعهم لم يعدد بل جعله النحويون نصًا فى القسم . قال ابن مالك فى أَلْفِيَّتِهِ :

وبعد لولا غالبًا حذف بالخبر حتم وفى نص يمين ذا استقر

وقال ابنه : فى الشرح الثانى خبر المبتدأ الصريح فى القسم نحو لعمرك لأفعلن ، وكذا ذكر ابن هشام فى كتبه ، وغيرهم من النحويين : ففى كتاب سيدنا على لمعاوية : « لعمرى لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنى أبرأ النَّاس من دم عثمان » . وفى كتاب آخر لسيدنا على لمعاوية : « فلعمرى لو كنت الباغى لكان لك أن تخوفنى » .

ولسيدنا الحسين عليه السلام :

لعمرك أننى لأحب دارا تحل بها سكينة والرباب

وقال سيدنا على بن الحسين الأكبر يوم كربلاء :

أنا على بن الحسين بن على نحن وبيت الله أولى بالنبىّ

وفيما رواه أحمد بن حنبل فى مسنده أن عائشة قال لها مسروق : سألتك بصاحب هذا القبر ما الذى سمعت من رَسُول الله ﷺ في حق الخوارج ؟ قالت : سمعته يقول : « إنهم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة وأقربهم عند الله وسيلةً » .

فإن قول مسروق : سألتك بصاحب هذا القبر بمنزلة قوله أقسمت عليك به ولا فرق بين أن يقول القائل أقسم بفلان وأقسم عليك بفلان . وأقربهم عند الله وسيلة من أدلة جواز التوسل .

ويقول مسروق :

---

(١) رواه مالك فى الموطأ فى كتاب الحدود الحديث ٣٠ .

سألتك بالَّذِى فى القبر إقناع لكل مفئد

وصرح الخطيب الشربينى الشافعي فى الإقناع بأن اليمين بالمخلوق مكروه ومثله عن شرح المنهاج، وأفتى أحمد بن حنبل - الذِى ينسب الوهابية أنفسهم إليه - بجواز الحلف بالنبىّ ﷺ وأنه ينعقد لأنه أحد ركنى الشهادة. فهذا الَّذِى يقول الوهابية أنهم على مذهبه. وأحد الأئمة الأربعة قائلون بجواز الحلف بالنبىّ ﷺ بل وغيره من المخلوقات لكنه مكروه، إنما الخلاف فى انعقاد الحلف بالنبىّ ﷺ ولزوم الكفارة بالحنث.

القسم بالنبى ﷺ كما أورده ابن تيمية:

وذكر أيضا أن للإمام أحمد روايتين فى القسم بالنبىّ ﷺ، إحداهما أنه لا تنعقد به اليمين. والثانية تنعقد به اليمين. واختار ذلك طائفة من أصحابه كالقاضى وأصحابه وابن المنذر. وعدى ابن عقيل هذا الحكم إلَى سائر الأنبياء.

فالإمام أحمد لم يقتصر على التوسل به ﷺ بل كان هو وكثير من أصحابه يرون أنه ﷺ تنعقد به اليمين أى أن من حلف بالرسُول ﷺ ثم حنث تلزمه الكفارة.

رجل يقسم لابن عباس بحرمة النبى ﷺ:

ومما يمكن الاستدلال به لرأى الإمام فى جواز اليمين برَسُول الله ﷺ ما رواه الطبرانى فى الأوسط والبيهقى والحاكم وصححه عن ابن عباس رضى الله عنهما: أنه كان معتكفا فى مسجد رَسُول الله ﷺ فأتاه رجل فسلم عليه ثم جلس. فقال له ابن عباس: يا فلان أراك مكتئبا حزينا. قال: نعم يا بن عم رَسُول الله. لفلان على حق ولاء. وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه.

قال ابن عباس: أفلا أكلمه فيك؟ فقال: أحببت، قال: فانتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد. فقال له الرجل: أنسيت ما كنت فيه؟ قال: لا ولكن سمعت صاحب هذا القبر ﷺ والعهد به قريب فدمعت عيناه وهو يقول: «من مشى فى حاجة أخيه وبلغ فيها كان خيرًا له من اعتكاف عشر سنين. ومن اعتكف يومًا ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق أبعد مما بين الخافقين»[1].

---

(١) أورده السيوطى فى الدر المنثور ٢٠٢/١ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٢٩٢/٦ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٩ / ٢٤٠ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ١٤٩/٢.

فإن الرجل أقسم بحرمة رَسُول الله ﷺ فلم ينكر ابن عباس رضى الله عنهما ولم ينهه عن ذلك. بل قام معه وأسعفه بجاهه واعتبره أخا له. ولو كان يرى أنه ارتكب حراما لما تركه عليه.

القرطبى يصرح بجواز القسم بحياته ﷺ :

وقال العلامة القسطلانى فى المواهب اللدنية فى المقصد السادس فى الفصل الخامس فى الكلام على قوله تعالى : ﴿لَعَمرُكَ إِنَّهُم لَفِي سَكرَتِهِم يَعمَهُونَ﴾[1] ، قال القرطبى : وإذا أقسم اللّه بحياة نبيه ﷺ فإنما أراد بيان التصريح لنا أنه يجوز أن نحلف بحياته.

الإمام أحمد يبين أن اليمين تنعقد بالنبى ﷺ :

وقد قال الإمام أحمد : إنه تنعقد به اليمين واحتج بكونه ﷺ أحد ركنى الشهادة قال ابن حويز منداد : واستدل من جواز الحلف به حتى أن أهل المدينة إلى يومنا هذا إذا جاء أحدهم صاحبه قال له : احلف بحق صاحب هذا القبر وبحق ساكن هذا القبر يعنى النبىّ ﷺ.

وخلاصة القول : أن الحلف باللّه تعالى له أحكام خاصة لا تترتب على غيره : كفصل الخصومات به، وترتيب الأئمة، والكفارة على مخالفته.

ومذهب أئمة أهل البيت عليهم السلام : جواز الحلف بغير اللّه تعالى، عدا البراءة فيحرم الحلف بها، ولكنه لا ينعقد بغير اللّه تعالى، ولا تسقط به الدعوى.

أما قول الصنعانى : إنه إذا حلف من عليه حق باسم اللّه لم يقبل منه، وإذا حلف باسم نبى قبلوه وصدقوه. فالرد عليه أن هذا الحلف إنما يصدر من عوام النّاس وجهالهم أمثال الشرذمة النجدية. أما أهل المعرفة من السادة الصوفية فهم براء منه.

فهل تستحل دماء المسلمين وأموالهم لأمر يصدر من بعض الجهال، مع كونه أيضًا لا يوجب شركًا ولا كفرًا وإن كان خطأ ؟!.

---

(١) سورة الحجر آية ٧٢ .

الباب الرابع

عصمة الأنبياء

الفصل الأول

شرف نسب النبى ﷺ

الرسول ﷺ تنقل من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى لا تتشعب شعبتان إلا كان ﷺ فى خيرهما

الحكم على أبويه ﷺ ليس من عقائد الإسلام :

اعتقد ثالوث التكفير أن كل ما فيه إجلاله ﷺ من قول أو فعل، فهو شرك وعبادة له، من قائله ومن فاعله، فسجلوا على أنفسهم للعالم الإسلامى أنهم موتورون منه ﷺ، يسوؤهم ما فيه توقيره ويسرهم ما فيه انتهاك حرمته ﷺ. والحكم على أبويه ﷺ بأنهما ماتا .. ليس من العقائد التى تجب على المُسلِم، فلو مات قرنى جاهلًا مصير أبويه ﷺ لم يسأله اللّه تعالى عنهما، ولو مات قرنى معتقدًا نجاة أبويه ﷺ وهما فى الواقع ... لا يؤاخذه اللّه تعالى على خطئه فى هذا الاعتقاد فهو غير خاسر على كلا الأمرين ولو مات معتقدًا كفرهما وهما فى الواقع مُسلِمان كان خاسرًا. وقد جرى حوار بين عمر بن عبد العزيز وبين أصحاب شوذب الخارجى فى مسألة قريبة الشبه بموضوع هذا الباب.

الخارجى : إن قرابتك من بنى أمية الَّذِينَ ظلموا الناس تجعلك تلعنهم فلم لا تلعنهم وتتبرأ منهم ؟.

عمر بن عبد العزيز : متى - عمرك - يُلْعَن إبليس ويُتَبرأ منه ؟.

الخارجى : لا أذكر ذلك.

عمر بن عبد العزيز : إذا كان إبليس شر خلق اللّه لم يوجب اللّه لعنه عليك فلم تلعنه وتتبرأ

منه ، فكيف أكون واثقاً أنا من قرابتي وهم مسلمون؟!

نهيه ﷺ عن سب الأموات وتتبع عثراتهم :

وقد نهى الله تعالى عن سب الأموات فى الحديث الذى أخرجه الأئمة أحمد والبخارى والنسائى عن عائشة – رضى الله عنها – أنه ﷺ قال : (لا تسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ما قدموا)[1] . وفى الحديث الذى أخرجه الإمام أحمد فى مسنده والترمذى عن المغيرة بإسناد حسن أنه ﷺ قال : (لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء)[2] .

لم يكتف ثالوث التكفير فى اعتقادهم .. أبويه ﷺ ، بل طبعوا رسالة أسندوها لملا على القارئ فى ... أبويه ﷺ وكأن رأى ملا على القارئ – الشاذ عن جماعة المُسلِمين – عندهم هو منزل من عند الله ، وكأن إيمان المُسلِم عندهم لا يتم إلا بطبع هذه الرسالة ولا يتم إلا بتشنيع والتشهير به ﷺ بأن أبويه .... وقد رد الشيخ مصطفى الحمامى فى كتابه (النهضة الإصلاحية) على ملا على القارئ فى نسبته عدم نجاة أبويه ﷺ إلى الفقه الأكبر للإمام أبى حنيفة ، وقد منعت الوهابية دخول هذا الكتاب إلى المملكة . وقد جرى حوار بين قاضى قضاة الوهابية والشيخ مصطفى الحمامى رأينا أن نسجله :

مصطفى الحمامى : لم منعتم كتابى (النهضة الإصلاحية) وما فيه إلا الإصلاح ؟.

قاضى الوهابية : ما مذهبك ؟.

مصطفى الحمامى : حنفى .

قاضى الوهابية : هذا ملا على القارئ ألف رسالة فى عدم نجاة أبويه ﷺ ، وذكر أن ذلك موجود فى الفقه الأكبر لإمامكم أبى حنيفة .

مصطفى الحمامى : ملا على القارئ ليس بمعصوم من الخطأ ، وهذه مسألة ليست من عقائد الدين الواجبة على المُسلِم ، وليست موجودة فى الفقه الأكبر للإمام أبى حنيفة ونسبة هذا إلى الإمام أبى حنيفة غير صحيح ، وكأنكم سجلتم على أنفسكم للعالم الإسلامى ـــ بطبعكم هذه الرسالة – عداوتكم لرسُول الله ﷺ .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الجنائز الباب ٩٧ وكتاب الرقاق الباب ٤٢ والنسائى فى كتاب الجنائز الباب ٥٢ والدارمى فى كتاب السير الباب ٦٧ وأحمد فى الجزء السادس صفحة ١٨٠ .

(٢) رواه الترمذى فى كتاب البر الباب ٥١ والنسائى فى كتاب القسامة الباب ٢٣ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٣٠٠ والجزء الرابع صفحة ٢٥٢ .

قاضى الوهابية : ما تقولون فى : ﴿الرَّحمَنُ عَلَى العَرشِ استَوَى﴾[1] ؟ .

مصطفى الحمامى : أقول كما قال إمام دار الهجرة : الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ، ولا أزيد على هذا .

قاضى الوهابية : هل استوى بذاته ؟.

مصطفى الحمامى : إن ثبتت هذه اللفظة عن النبىّ ﷺ فأنا أقولها . وإن ثبتت عن ابن تيمية فأنا أضرب بها عرض الحائط .

ولكن متأخرى المذهب الحنفى قرروا أن ملا على القارئ رجع عن كل ما قاله عن أبوى النبىّ ﷺ واستغفر وأناب .

كتاب السيف المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية :

لابن تيمية كتاب سماه « السيف المسلول على شاتم الرسُول » وهو لون من الطعن الخفى فى سيدنا رسُول اللّه ﷺ فمن شتم الرسُول سواه ؟! حتى يسل عليه السيف . فأهل القبلة جميعًا ليس فيهم واحد أصلًا شتم الرسُول ﷺ ؛ لأن أهل القبلة يعلمون أن الرسُول ﷺ معصوم ، أما ابن تيمية وابن القيم وثالث الأثافى ابن عبد الوهاب هم الشاتمون للرسُول ﷺ ، بقولهم أن النبىّ ﷺ غير معصوم إلا لحظة الوحى فقط ، وهم المانعون زيارة روضته ﷺ وشد الرحال إليها ، ويحرمون قصر الصلاة فى سفرها ، ويمنعون التوسل والشفاعة بجاهه ﷺ ، ويمنعون السيادة له فى الأذان والتشهد . فتحقق بهذا أن ابن تيمية وذيوله هم الَّذِينَ يشتمون الرسُول وما محاولة سل السيف التى يجعجع بها ابن تيمية إلا ذر للرماد . وهيهات لابن تيمية أن يسل سيفه فإن سل السيف منه محال .

مسالك الحنفاء فى نجاة والدى المصطفى :

قال العلامة السيوطى فى رسالة (مسالك الحنفاء فى نجاة والدى المصطفى) ما نصه : وسئل القاضى الكاف أبو بكر العربى عن رجل قال : إن آباء النبىّ ﷺ فى النار فأجاب : بأن من قال ذلك فهو ملعون بقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤذُونَ اللَّهَ ورسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِى الدُّنيَا والآخِرَةِ﴾[2] ، قال : ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبويه أنهما فى النار .

---

(١) سورة طه آية ٥ .

(٢) سورة الأحزاب آية ٥٧ .

نهيه ﷺ عن تتبع عثرات المسلمين:

وتحسين الظن بالمُسلِم واجب له على أخيه المُسلِم، فمثلًا أمره ﷺ: (اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم)[1] متجنبًا نهيه ﷺ عن تتبع عثرات المُسلِمين. وقد أخرج الإمام أحمد فى مسنده عنه ﷺ أنه قال: (من تتبع عثرات المسلِمين تتبع اللَّه عثرته ومن تتبع اللَّه عثرته يفضحه ولو فى جوف بيته)[2] متجنبًا تكفير أهل القبلة، عالمًا أن تكفيرهم شنته الخوارج.

فقد أخرج الإمام البخارى فى صحيحه عن ابن عمر وأبى هريرة رضى اللَّه عنهما عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: (إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما)[3] متجنبًا الطعن فى أنساب الناس، فقد أخرج الإمامان أحمد فى مسنده ومُسلِم فى صحيحه عن أبى هريرة عنه ﷺ أنه قال: (اثنتان فى الناس هما بهما كفر، الطعن فى الأنساب، والنياحة على الميت)[4] صحيح، وأخرج مُسلِم فى صحيحه عن أبى مالك الأشعرى قال: قال رسُول اللَّه ﷺ: (أربعة فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر فى الأحساب، والطعن فى الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة)[5] حسن.

وأخرج الإمام البخارى فى التاريخ والطبرانى عن جنادة بن مالك قال: قال رسُول اللَّه ﷺ: (ثلاثة من فعل أهل الجاهلية لا يدعهن أهل الإسلام: استسقاء بالكواكب، وطعن فى النسب، والنياحة على الميت)[6] وأخرج الحاكم عن أبى هريرة عنه ﷺ أنه قال: (ثلاثة من الكفر باللَّه شق الجيب، والنياحة، والطعن فى النسب)[7].

---

(١) رواه أبو داود فى كتاب الأدب الباب ٤٢ والترمذى فى كتاب الجنائز الباب ٣٤.

(٢) رواه السيوطى فى الدر المنثور ٩٣/٦ والبغوى فى تفسيره ٢٨٨/٦ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٥٣٤/٧.

(٣) رواه البخارى فى كتاب الأدب الباب ٧٣ ومُسلِم فى كتاب الإيمان الباب ١١١ والموطأ فى كتاب الكلام الحديث رقم ١ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ١٨، ٤٤، ٦٠، ٧٧، ١٠٥، ١١٣.

(٤) رواه مُسلِم فى كتاب الإيمان الحديث رقم ١٢١.

(٥) رواه البخارى فى كتاب مناقب الأنصار الباب ٢٧ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ٣٧٧، ٤٣١، ٤٤٠، ٤٩٦، ٥٢٦ والجزء الخامس صفحة ٣٤٢، ٣٤٤.

(٦) رواه أحمد فى الجزء الثانى صفحة ٢٦٢ والطبرانى فى المعجم الكبير ٣١٧/٢ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٤٣٧٨٣.

(٧) رواه الحاكم فى المستدرك ٣٨٣/١ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٤٣٧٨٤ والهيثمى فى موارد الظمآن ٥٧.

الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ فى بيت أم سلمة فدعا النبى ﷺ فاطمة وحسنًا وحسينًا وعليًّ خلف ظهره فجللهم بكساء ثم قال : (اللَّهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا ، فقالت أم سلمة : وأنا معهم يا نبىّ اللَّه ، قال : أنت على مكانك وأنت على خير)[1] .

توقير وتعظيم أبوى النبى ﷺ :

اعلم - وقانا اللَّه وإياك من سوء الاعتقاد - أنه ينبغى للمُسلِم أن يلحق أبوى النبىّ ﷺ بآله الكرام وأصحابه رضى اللَّه عنهم ، وأن يعظمهما ويوقرهما إعظامًا وتوقيرًا لرسُول اللَّه ﷺ وحبًا وإكبارًا لما كان منه ﷺ بسبب ما . وقد ورد حديث أنه تعالى أحيى الأبوين فآمنا بالنبىّ ﷺ ، وقد ذكره جماعة من الحفاظ وقالوا : إنه حديث ضعيف لا موضوع ، ولخص الحافظ شمس الدين بن ناصر الدمشقى أمر هذا الحديث بالأبيات التالية :

حبا اللَّه النبىّ مزيد فضل ... على فضل وكان به رءوفا
فأحيا أمه وكذا أباه ... لإيمان به فضلًا لطيفا
فسلم فالقديم بذا قديرٌ ... وإن كان الحديث به ضعيفا

والمزية من إحيائهما رضى اللَّه عنهما هى أن يدخلا فى جملة أصحابه ﷺ وعداد أمته الشريفة وإلا فإنهما قد وردت أحاديث كثيرة تدل على أنهما كانا مُؤمِنين بما لا مجال معه للشك . فقد وردت الأحاديث بأن النبىّ ﷺ خرج من نكاح ولم يخرج من سفاح ، وأنه من أصلاب الطاهرين وأرحام الطاهرات وأنه خيرنا نفسًا ، وخيرنا أمًا ، وقد قال اللَّه تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾[2] فامتنع أن يكون آباؤه وأجداده مشركين ، وفى أحاديث أخرى

---

(١) رواه الترمذى فى كتاب المناقب الباب ٦٠ وابن كثير فى البداية والنهاية ٣٥/٨ والطبرانى فى المعجم الكبير ٤٧/٣ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ١١/٩ وأحمد فى الجزء الرابع صفحة ١٠٧ والجزء السادس صفحة ٢٩٢ ، ٣٠٤ والبيهقى فى السنن الكبرى ١٥٢/٢ والحاكم فى المستدرك ٤١٦/٢ ، ١٤٧/٣ والسيوطى فى الدر المنثور ١٩٨/٥ والهيثمى فى موارد الظمآن ٢٢٤٥ والبخارى فى التاريخ الكبير ٧٠/٢ وابن حجر فى فتح البارى ٧٤/٧ ، ١٣٨ وابن كثير فى تفسيره ٤٠٨/٦ والطبرى فى تفسيره ٦/٢٢ والتبريزى فى مشكاة المصابيح ٦١٢٦/٤ والقاضى عياض فى الشفا ١٠٦/٢ وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق ٢٠٧/٤ والنسائى فى تهذيب خصائص سيدنا على رضى اللَّه عنه ٩ .

(٢) سورة التوبة آية ٢٨ .

صحيحة أن كل أصل من أصول آبائه ﷺ هو خير قرنه وأفضلهم، ولا أحد من قرنه ذلك أفضل منه ولا خير، ودلت أحاديث أخرى وآثار على أنه لم تخل الأرض من عهد نوح أو آدم إلى بعثته ﷺ من أناس على الفطرة يعبدون الله ويوحدونه ويصلون له، وبهم تحفظ الأرض ولولاهم لهلكت الأرض ومن عليها.

فإذا قرنت بين هذه الأحاديث خرجت بالنتيجة العظيمة أن آباءه ﷺ لم يكن منهم مشرك، لأنهم كانوا خير قرنهم، وقرنهم ثبت أنه كان دائمًا فيه ناس مُسلِمون صالحون، فلا يمكن أن يكون مشرك خيرًا منهم وإلا لكان المشرك خيرًا من المُسلِم وذلك محال.

الأحاديث الواردة فى فضل الآباء الكرام:

من الأحاديث الواردة فى فضل الآباء الكرام:

١ - ما رواه البخارى عن أبى هريرة عن النبىّ ﷺ قال: (بعثت من خير قرون بنى آدم قرنًا فقرنًا، حتى كنت من القرن الذى كنت منه)[١].

٢ - ما رواه البيهقى وابن عساكر من طريق مالك بن الزهرى عن أنس أن النبىّ ﷺ قال: (ما افترق الناس فرقتين إلا جعلنى الله فى خيرهما، فأخرجت من بين أبوى فلم يصبنى شئ من عهد الجاهلية، وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبى وأمى فأنا خيركم نفسًا وخيركم أمًا)[٢].

٣ - ما رواه أبو نعيم فى دلائل النبوة من طرق عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسُول الله ﷺ: (لم يزل الله ينقلنى من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى ومهذبًا، لا تتشعب شعبتان إلا كنت فى خيرهما)[٣].

٤ - ما رواه البزار والطبرانى عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿**وتقلبك فى الساجدين**﴾[٤]. قال: (من صلب نبىّ إلى صلب نبىّ حتى صرت نبيًا)[٥].

---

(١) رواه البخارى فى كتاب المناقب الباب ٢٣.

(٢) أورده السيوطى فى الحاوى للفتاوى ٣٦٨/٢ والدر المنثور ٢٩٤/٣ والخصائص ٩٥/١ وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق ٢٧٩/١.

(٣) أورده السيوطى فى الحاوى للفتاوى ٣٦٨/٢ والدر المنثور ٢٩٤/٣، ٩٨/٥.

(٤) سورة الشعراء آية ٢١٩.

(٥) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨٦/٧.

٥ - ما رواه البزار والطبرانى وأبو نعيم عن ابن عباس بلفظ (ما زال النبىّ ﷺ يتقلب فى أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمه)[1].

٦ - وأما الأحاديث الدالة على وجود ناس مُؤمنين فى كل عصر فمنها ما رواه عبد الرازق فى المصنف عن معمر عن ابن جريج قال ابنُ المسيب: قال على بن أبى طالب: لم يزل على وجه الدهر فى الأرض سبعة مُسلِمين فصاعدًا، فلولا ذلك لهلكت الأرض ومن عليها.

٧ - وأخرج الإمام أحمد فى الزهد فى كتاب كرامات الأولياء صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس رضى اللّه عنهما قال: (ما خلت الأرض من بعد نوح من سبعة يدفع اللّه تعالى بهم عن أهل الأرض) ذكر ذلك كله الحافظ السيوطى فى رسائله، فى تحقيق نجاة أبوى المصطفى ﷺ ص ٣١ وما بعدها، وذكر ذلك أيضًا العلامة الحافظ محمد حبيب اللّه الشنيطى فى كتابه فتح النعم جـ٢ ص ٦.

قال السيوطى: ومثل هذا لا يقال من قبل الرأى فله حكم الرفع، والآثار فى هذا المعنى كثيرة فمن أرادها فلينظرها فى رسائل السيوطى.

الإمام المجدد أبو العزائم والنسب النبوى الشريف:

يرى الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم أن اللّه طهر آباءه وأمهاته ﷺ من لدن آدم إلى أبويه وذلك فى كتاب «بشائر الأخيار فى مولد المختار ﷺ» طبعة ١٣٤٠ هـ الموافق ١٩٢١ م ص ١١ والذى ننقل منه نسبه الشريف:

تحققت عناية اللّه تعالى، من البدء إلى النهاية بمراده المحبوب، وفرده المطلوب فصاغ جوهر نفسه ﷺ من نوره المنسوب إليه، وأقامه فى مقام المواجهة، وأقبل سبحانه عليه، فكان ﷺ ولا وجود لروح ولا ملك، بل ولا محيط ولا فلك، مواجهًا بأنوار العزة والجبروت. مجملًا بحنانة منّازلة النعموت. كما قال ﷺ لجابر، جوابًا على سؤاله المتواتر: (خلق نور نبيك من نوره يا جابر).

لذلك اقتضت حكمته العلية انتقاله ﷺ لكمال الخصوصية، من ظهور الأفراد إلى البطون المصونة النقية، فكان ﷺ فى ظهور آدم حقيقة الأنوار، ثم تنقل ﷺ إلى أئمة الأخيار،

---

(١) أورده السيوطى فى الخصائص ٩٤/١.

السادة الأطهار، حتى أبرزه الله شمسًا أضاءت الآفاق، فأظهرت أنوار الخلاق.

فهو ﷺ سيدنا ومولانا وحبيبنا محمد ﷺ رسُول الله، ابن كنز هذه الدرة اليتيمة الذبيح عبد الله، ابن شيبة الحمد عبد المطلب الذى حفر زمزم ومولاه والاه، ابن هاشم الذى هشم الثريد لزوار بيت الله، ابن قمر البطحاء عبد مناف الذى نطق بالحكمة واقتدى العرب بهداه، ابن قصى الذى بعد مع أمه والله أرجعه إلى الحرم وفيه رقاه، ابن حكيم وسمى بكلاب لأنه كان فارس الحرم يحمى حماه، ويصطاد بالكلاب ليطعم من داناه، ابن مرة الذى قهر بالحكمة من عاداه، ابن كعب الذى جمع الله به قلوب العرب فى يوم العروبة من كل أسبوع ليذكرهم ببعثة رسُول الله ﷺ وهو الذى سمى يوم العروبة بيوم الجمعة ليجمع العرب للدعاء والمناجاة، وبشر بأن النبىّ ﷺ من ولده وبأنه خاتم رسل الله، وكان ينشد بعد حث العرب على اتباعه والإيمان به:

يالـيتنى شاهـدت فـحواء دعـوتـه حين العشيرة تبغى الحق خذلانا

ابن لؤى بن غالب بن فهر وسمى قريشًا لأنه كان يبحث عن المحتاج فيعطيه مناه، وإليه تنسب قريش لأنه قرش المحتاجين ووسعهم بنعماه، ابن مالك لأنه ملك الحرم وما حواه، ابن النضر واسمه قيس بن كنانة وهو الذى جمع قريشًا بحكمه وجدواه، ابن خزيمة، ابن مدركة، ابن إلياس، وإلياس أول من أهدى البدن للبيت فاستنت العرب بهداه، وسمع فى صلبه تلبية النبىّ ﷺ بالحج سامعًا دعاه، ابن مضر بن نزار، وسمى نزارًا لشهود نور النبىّ ﷺ بين عينيه فشكر أبوه الله، وأطعم العرب وقال: (هذا الطعام نزار - أى قليل - فى جانب ما منحنا الله) ابن معد، ابن عدنان وإليه انتهى عقد النسب الشريف شرعًا وما تعداه.

وفى الحديث عن ابن عباس رضى الله عنه أنه ﷺ كان إذا انتسب لم يجاوز معد بن عدنان، وصاحب مسند الفردوس رواه، وينتهى نسبه الشريف إلى سيدنا إسماعيل الذبيح حقًا، وغير هذا القول لا نرضاه.

عـقـد مـجـدٍ وسـؤددٍ وفـخـارٍ كـوكـب الـعـقـد حـضـرة المختار
كـان نـورًا فـى وجـه آدم بـدءًا ثـم مـنـه لـلـسـادة الأخـيـار
مـن لـدن آدمَ إلى يـوم عـيـسى وهـو شـمـسٌ ومـصـدرُ الأنـوار
مـن نـبـىّ إلـى رسُـول كـريم أو وفـىٌّ مـن صـفـوة الأطـهـار

شمسه قد تلوحُ فى كل عصرٍ ... من لدن آدمَ إلى الإظهار
أشرقت سيدى بغير غروب ... نورُ كشفٍ أو نورُها الإسفارى
من أبٍ ماجدٍ لجدٍ كريم ... أصلُكَ النورُ من علىٍّ بارى
يا ضياءً أشرَقْتَ بدأ مشيرًا ... للجمال العلى نورك سارى
نظرة الوُدِّ يا حبيبى لمضنًى ... بالكرام الأجدادِ أهل الفخار
أنت شمسٌ للرسل منك تحَلَّوْا ... بالأيادى فى مُحكم الأسفار
منك نالوا فخارهم يا حبيبى ... أسعدِ الصبِّ بالطهورِ المدار

شبهات وأباطيل حول عدم نجاة أبويه ﷺ :

وكل ما يملكه ثالوث التكفير القائلون بكفر أبوى النبىّ وأنهما فى النار مع المشركين هو زعمهم :

١ - حديث مُسلِم عن أبى هريرة أن النبىّ ﷺ عندما زار قبر أمه قال : (استأذنت ربى تعالى أن أستغفر لها فلم يأذن لى فاستأذنته أن أزور قبرها فأذن لى) .

٢ - وحديث مُسلِم عن أنس أن رجلًا قال : يا رسُول اللّه أين أبى ؟ فقال ﷺ : (إن أبى وأباك فى النار) .

٣ - قول ثالوث التكفير إن آية ﴿ **وَلَا تُسأَلُ عَنِ أَصحَابِ الجَحِيمِ** ﴾[1] نزلت فى خصوص أبويه ﷺ .

الرد على هذه الشبهات والأباطيل بنجاة أبويه ﷺ

أولا : أما الحديث الأول فلا حجة فيه :

أ - وقد أجاب العلماء بأن الاستغفار فرع المؤاخذة بالذنب ، ومن لم تبلغه دعوة نبىّ زمانه لا يؤاخذه على ذنبه فلا حاجة للاستغفار له من ذنب لم يفعله ولم يؤاخذه الله عليه فيقع الاستغفار آنئذ لغوا ، وليس من شأن الأنبياء اللغو .

ب - وقد يكون عدم الإذن فى الاستغفار لسبب آخر غير الكفر كما كان فى أول الإسلام فى شأن من عليه دين ولم يترك وفاء فكان ﷺ ممنوعًا من الصلاة عليه .

---

(١) سورة البقرة آية ١١٩ .

فيكون الاستغفار لها لغواً أو عبثًا، ورسُول الله منزه عن الوقوع فى اللغو أو العبث فافهم زادك الله أدبًا وإيمانًا.

٢ - أما الحديث الثانى فقد استدل به السيوطى على ذكرها الرواة:

أ - وإنما ذكرها حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس، وخالفه معمر عن ثابت عن أنس فلم يذكر اللفظة ولكن قال له: «إذا مررت بقبر كافرٍ فبشره بالنار»، وليس فى هذا دلالة على والده ﷺ بأمر البتة. وهذا أثبت من حيث الرواية فإنّ معمرًا أثبت من حماد، فإن حمادًا تكلم فى حفظه، ووقع فى أحاديثه مناكير ذكروا أن ربيبه دسها فى كتبه، وكان حماد لا يحفظ، فحدث بها فوَهَمَ فيها، ومن ثم لم يخرج له البخارى شيئًا. ولا أخرج له مُسلِم فى الأصول إلا من روايته عن ثابت، وخرج له فى الشواهد والمتبعات. أما معمر فلم يتكلم فى حفظه، ولا استنكر شىء فى حديثه، واتفق على التخريج له الشيخان، فكان لفظه أثبت.

ب - ثم وجدنا الحديث ورد عن سعد بن أبى وقاص بمثل لفظ معمر عن ثابت عن أنس، فأخرج البزار والطبرانى والبيهقى عن طريق إبراهيم بن سعد عن الزهرى عن عامر بن سعد عن أبيه: «أن أعرابيا قال لرسُول الله ﷺ: أين أبى، قال: فى النار، قال: فأين أبوك قال: حيثما مررت بقبر كافرٍ فبشره بالنار» وهذا إسناد على شرط الشيخين، فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره، وقد زاد الطبرانى والبيهقى فى آخره: قال: فأسلم الأعرابى بعد فقال: لقد كلفنى رسُول الله ﷺ تعبا، ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار.

جـ - وقد أخرج ابن ماجة من طريق إبراهيم عن سعد عن الزهرى عن سالم عن أبيه قال: جاء أعرابى إلى النبىّ ﷺ فقال: يا رسُول الله إن أبى كان يصل الرحم وكان .... وكان ... فأين هو؟ قال رسُول الله ﷺ: فى النار. قال فكأنه وجد ذلك فقال يا رسُول الله فأين أبوك؟ قال رسُول الله ﷺ: حينما مررت بقبر مشركٍ فبشره بالنار،

فأسلم الأعرابى بعد . فقال : كلفنى رسُول الله ﷺ تعبا ، ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار ، فهذه الزيادة أوضحت بلا شك أن هذا اللفظ العام هو الذى صدر منه ﷺ ورآه الأعرابى بعد إسلامه أمرًا مقتضيًا للامتثال فلم يتعبه إلا امتثاله ، ولو كان الجواب باللفظ الأول لم يكن فيه أمر بشىء البتة ، فعلم أن اللفظ الأول من تصرف الراوى بالمعنى على حسب فهمه .

د - وللحديث طريق آخر بلفظ رواية معمر أزيد منه وضوحًا صرح فيه أن السائل أراد أن يسأل عن أبيه ﷺ فعدل عن ذلك تأدبًا .

ثانيا : الحديثان السابقان من أخبار الآحاد التى لا تفيد علميًا إلا الظن باتفاق جميع أهل الملة ، وكبار علماء الأمة من المحدثين والأصوليين والفقهاء وغيرهم والدليل الظنى إذا عارضه دليل يقينى ، تعين أحد أمرين :

١ - إما القول بالنسخ .

٢ - أو محاولة التوفيق بين الدليلين ، وإلا سقط الظن وفقد اعتباره بقيام الدليل اليقينى .

والحديثان معارضان بالقرآن المتواتر الذى لا يفيد علما إلا اليقين القطعى الأكيد ، فإن أبوى النبىّ كانا من أهل الفترة فلم تبلغهما الرسالة ولم يبعث فى عهدهما نبىّ والله تعالى يقول : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (١) . والآية محكمة من أمهات الكتاب فهى ناسخة أو مسقطة لما عارضها من أخبار الآحاد حتى ولو صحت نسبتها وهذا هو رأى القسطلانى والجمهور لقد كان أبواه ﷺ على دين إبراهيم عليه السلام فلم يسجد أحد منهما لصنم ، ولا شرب خمرًا ، ولا استحل أحد منهم الحنيفية .

أما قول ثالوث التكفير : ابن تيمية ، وابن القيم ، وابن عبد الوهاب - أصحاب الشذوذ الفكرى وأبواقهم فى الأمة العربية أهل نفايات التعاليم والجهل والقشرية الفاضحة ، أصحاب التوقح على سيدنا رسُول الله ﷺ - للشهرة وتحصيل المال الحرام والمركز الدنيوى الفانى ؛ فهو محاولة استنقاص النبىّ ﷺ تحت أى ستار : كمحاولة إغمازه ﷺ فى شخصه باسم البشرية ، وفى أبويه باسم حماية التوحيد ، أو فى خصائصه ومعجزاته باسم الغلو ، كل ذلك بقية من حملات الزندقة والتبطن والقرمطة وميراث من الشعوبية والاستشراق والتغريب والتبشير ولعبة خطيرة من أقذر ألعاب الاستعمار اللئيم .

---

(١) سورة الإسراء آية ١٥ .

ثالثًا : إن قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُسأَلُ عَنِ أَصحَابِ الجَحِيمِ ﴾[1] . نزلت فى كفار أهل الكتاب بدليل السياق الصريح ، فتكلف تخصيصه بأبوى النبىّ ﷺ إنما هو غلو موروث ، أو انحراف فكرى من ضعف الإيمان على الأقل ، وسوء فهم لحقيقة النبوة ، وانعدام وازع الأدب والتسامى .

رابعًا : ليتأمل المُسلِم قوله تعالى : ﴿ وَلَسَوفَ يُعطِيكَ رَبُّكَ فَتَرضَى ﴾[2] . كيف يرضى ﷺ بنعيم الجنة وأبوه وأمه فى النار ؟! وأنه لا يسلم لهذا عقل ولا قلب ولا ضمير .

وقال العلامة السحيمى فى شرحه على « عبد السلام » أنه يجب اعتقاد أن جميع آباء الأنبياء وأمهاتهم مؤمنون ، وأنهم فى الجنة مخلدون . قال : وهذا هو الذى نعتقده ونلقى الله عليه ، وهو ما أجمعت عليه الجماهير المؤمنة المؤدبة وتلقته جماهير سادة الأمة بالقبول ، أما الشذوذ عن ذلك فمرض نفسى ، وغل شخصى ، وعُقد وأزمات داخلية مدسوسة على العلم والأدب .

وذكر أبو نعيم فى الحلية : أن عمر بن عبد العزيز غضب على كاتبه وعزله من جميع دواوينه ؛ لأنه سمع ما هو من هذا الباب .

ومن أدلة هؤلاء الأئمة ما رواه الطبرانى من أن عكرمة بن أبى جهل اشتكى لرسُول الله ﷺ أن الناس يسبون أباه « أبا جهل » فقال ﷺ : « لا تؤذوا الأحياء بسبب الأموات »[3] ويؤيده الحديث المشهور : « ما بال قومٍ يؤذوننى فى أهل بيتى »[4] فإذا كان الإسلام يوجب الأدب مع عكرمة فى أبيه المتفق على كفره وشركه . فلا شك أن أبوى النبىّ أحق بهذا الأدب ، ولم يثبت منهما ما ثبت فى أبى جهل من شرك وكفر صريح ، ثم إن رسُول الله ﷺ أولى بهذا الأدب وهو ﷺ فى قبره حى يرزق عند ربه .

وفى المنهل جاءت بنت أبى لهب تشكو إليه ﷺ أن بعض الناس ينادونها بابنة « حمالة الحطب » فقال ﷺ وهو مغضب شديد الغضب فقال : « ما بال أقوامٍ يؤذونى فى نسبى

---

(١) سورة البقرة آية ١١٩ .

(٢) سورة الضحى آية ٥ .

(٣) رواه الترمذى فى كتاب البر الباب ٥١ والنسائى فى كتاب القسامة الباب ٢٣ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٣٠٠ والجزء الرابع صفحة ٢٥٢ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٤٢٧٨٢ .

(٤) أوردهما ابن عدى فى الكامل ٢٧١٧/٧ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٢١٧/٨ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٩/ ٨٩ والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار ١٠٢/٤ .

٤ - أن يحاسب على الخطأ ولو كان نسيانًا أو سهواً.

فإذا اجتمعت مع هذه الأربعة ملكة تدعو الإنسان إلى الطاعة، وعلم بمضار المعصية ومنافع الطاعة، وبيان واصل إليه، ومحاسبة على الخطأ ولو كان عن سهو أو نسيان، تحصل العصمة التى هى عبارة عن عدم المعصية، فتكون هذه الأربعة مقدمات للعصمة.

مدى العصمة:

الأنبياء معصومون، قبل البعثة وبعدها، عن جميع المعاصى صغيرها وكبيرها، والدليل على وجوبها قبل البعثة: هو أنه لو وقع منه العصيان، وفعل القبيح قبل بعثته، وعرف الناس منه أنه يخطىء ويصيب، ويفعل الأمور القبيحة، لا يمكن أن يركنوا إليه بعد ذلك، إذا جاءهم مدعيًا للرسالة، ولا سيما أن من يفعل القبيح تسقط منزلته فى نفوس عارفيه، المطلعين على واقع حاله، وحقيقة أمره، وكيف يعهد الله سبحانه أمر النبوة التى هى من أعظم المراتب وأسماها، لمن فعل القبيح فيما مضى من حياته، ثم يأمره بأن ينهى الناس عما كان يفعله بالأمس؟.

إن الله سبحانه قد أراد من عباده التصديق بأنبيائه، والأخذ بتعاليمهم ونصائحهم، ورغبهم بذلك بشتى الوسائل، ووعد المؤمنين منهم خيرًا وأجرًا عظيما، وإذا جاز على النبىّ أن يكذب فى ماضيه فكيف تطمئن نفوسهم بصدقه فى حاضره؟، وأى ضرورة تدعونا إلى هذا القول الذى لا يتفق مع مرتكزات العقلاء، وأى مانع من أن يختار الله سبحانه لتلك الرسالة الكريمة من طهر نفسه من الدنس؟، وكان المثل الأعلى لجميع الصفات الإنسانية المثلى، لتكون الفائدة به أتم والغرض أقرب إلى الحصول، ولقد قال سبحانه فى محكم كتابه ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّالِمِينَ﴾[1] ولا شك فى أن مرتكب القبيح ظالم لنفسه غير محتفظ بكرامتها، والنبوة عهد من الله وأمانة يجعلها فى عنق من يختاره، ويراه أهلا لأدائها والقيام بأعبائها. هذا مجمل العصمة قبل البعثة.

وأما العصمة بعدها، فالذى عليه الجمهور: هو العصمة عن الذنوب كلها صغيرة كانت أم كبيرة، عمدًا كان أو سهوًا، من غير فرق بين ما يرجع إلى عالم تبليغ الأحكام وغيرها مما يرجع إلى أحوالهم الخاصة، وأفعالهم وتركهم.

---

(١) سورة البقرة آية ١٢٤.

الأدلة الكامنة لإثبات العصمة :

١ - منها أن النبيّ إذا لم يكن معصومًا ، لم يحصل الوثوق بالشرائع لأن النبيّ مبلغٌ عن الله . ولو جاز عليه أن يكذب ويعصى ، جاز أن يزيد فيما أوحى إليه أو ينقص ، أو يأمر بما لم يؤمر فيه من ربه ، حسب ما توحيه إليه شهواته وميوله ، إذا كان كغيره من بقية أفراد الإنسان ، وحينئذ تنتفى فائدة بعثته ولم يحصل الغرض من نبوته .

٢ - أنه إذا لم يكن معصومًا كان أسوأ حالا من بقية أفراد الأمة ، لأن درجة النبوة من أرفع الدرجات وأقربها لله سبحانه ، وكلما ازداد الإنسان علمًا بالله ، ازداد قربًا منه ، وخضوعًا له ، فلو وقع منه العصيان والحال هذه ، لزم أن يكون أسوأ حالًا ممن لم يكن بتلك المرتبة ، وكان مسئولا أكثر من غيره ، لأن العقاب على قدر المعرفة ، ويتفاوت بتفاوت ظروف الإنسان وملابسات حياته ، وفى جملة من آيات الكتاب الكريم ما يدل على التفاوت فى الجزاء مع وحدة المعصية ، قال سبحانه مخاطبًا نساء النبيّ ﷺ : ﴿ **يَا نِسَاءَ النبىّ مَن يَأْتِ مِنكُن بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَف لَهَا العَذَابُ ضِعفَينِ** ﴾[1] . وغير ذلك مما دل على تفاوت حكم الزانى بين الإحصان وعدمه ، والعقل يساعد على أن العالم بالله مسئول أكثر من غيره على حسب مراتب العلم المقرب منه سبحانه .

ولقد عاتب الله سبحانه من يرشد غيره وينسى نفسه ، ويعمل على خلاف ما يعلم : ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَتَنسَونَ أَنفُسَكُم** ﴾[2] . ﴿ **لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفعَلُونَ كَبُرَ مَقتًا عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفعَلُونَ** ﴾[3] . ولازم القول أن يكون النبيّ مصداقًا لهذه الآيات الكريمة .

المجاهدات عند بعض الناس :

إن رسالة الأنبياء لا تكلف الإنسان فوق ما يطيق ، تسير مع الزمن وتساير الحياة ، وليس فى طبيعة الإنسان ما يتنافى مع تلك الرسالة ، فليس من الصعب أن يلتزم بها الكثير من الناس ، ويعمل على نهجها ، ولو رجعنا إلى الوراء قليلا ودرسنا حياة العظماء والمصلحين ، لوجدنا عددًا ليس بالقليل تجردوا لخدمة الإنسانية ، وأعرضوا عن الملاذ والشهوات ، والتجأوا

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٠ .

(٢) سورة البقرة آية ٤٤ .

(٣) سورة الصف آية ٢ - ٣ .

إلى الكهوف والغابات ليؤدوا إلى الإنسان رسالة فرضتها عليهم إنسانيتهم المثلى، ولم يكن ما حفَّ بهم من أسباب النعيم، ودواعى المتعة ومؤهلات المعيشة الناعمة، ليصرفهم عن تفكيرهم فى مشاكل الحياة الغاصة بالكوارث والآلام والأحزان، فانصرفوا عن كل ما أحاط بهم من نعمة ونعيم، إلى الكهوف والغابات يبحثون عن السعادة، يقنعون باليسير من القوت، ولا شك أن لهذا القسم من البشر ملكات قوية قادتهم إلى أشرف الغايات وأنبلها، وحطمت مافى نفوسهم من الرغبات والشهوات.

العصمة قوة فى النفس:

وليست العصمة التى نقول بها عن الأنبياء، إلا قوة فى النفس تقودهم إلى ما يعملون لأجله من سعادة الإنسان وخيره، يتحملون فى سبيل ذلك أشد أنواع الأذى والألم، فلم يشغلهم كل ذلك عن آلام الناس، وازدادوا إيمانًا ونشاطًا، فكأنهم يجنون أطيب الأثمار وأشهاها.

ولقد اجتمع المشركون إلى أبى طالب ليكون ابن أخيه ملكًا عليهم، يحكم فيهم كما تحكم الملوك برعيتها على أن يترك دعوته، فردهم بكلمته الخالدة: «والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى، ما تركت هذا الأمر»[1] فعادوا سيرتهم الأولى تعذيبًا وإيذاء وتشريدا، وتنكيلا بأتباعه، وازداد صبرا ونشاطًا، وإيمانا بمبادئه، وتم له ما أراد.

ومن كانت له الملكات الرفيعة لا يجوز أن ينقاد لشهواته، وينسب إليه اقتراف السيئات والآثام.

عصمة النبى ﷺ عند أبواق ثالوث التكفير:

أولا: تهجم الشيخ عبد الجليل عيسى فى كتابه «اجتهاد الرسُول» على سيدنا رسُول الله ﷺ، فحشد فى كتابه هذا عورات وعيوبا وأخطاء وذنوبا أحصاها لسيدنا رسُول الله ﷺ المعصوم وكلها جرأة على أقدس شخصية وأكمل إنسان، ولا ندرى ما هو الباعث على ذلك إلا أن يكون غضب من الله فى صورة الهوى الذى يعمى عن الحق، وسوء الخاتمة مصورة فى الثراء المأمول من شيوخ البترول.

---

(١) أورده الطبرى فى تاريخه ٢/٣٢٦.

وإليك أيها القارىء نصوصًا من هذا الكتاب :

١ - قال فى ص ١٤ على سبيل التهكم باعتقاد المُسلِم فى الرسُول : بل جعل « أى الجمهور المُسلِم » لقوله وعمله (العصمة) حتى ما كان منهما خارجا عن رسالة ربه ويصبح محمد بن عبد الله ، بناء على ذلك ليس الإنسان المصطفى الذى كُلِّفَ برسالة الله بل يؤول أمره إلى ما آل إليه أمر (عيسى بن مريم) حينما نظر إليه أتباعه على أنه إنسان حلت فيه روح الإله ، وأن له طبيعة فوق طبيعة الإنسان ، له طبيعة الإله والإنسان معا .

ونقول : إنه قد مضى على الرسالة المحمدية بالعقل والنقل وتمام قوة الاعتقاد ، ولن يحدث ذلك أبدا بإذن الله ما دام فى الأرض الكتاب والسنة .

٢ - ورأى أن مافي الأنبياء من خصوصيات عقلية ، مرده إلى المران العقلى لا غير ، فقال فى ص ٢٢ : لأن الأنبياء أشد الناس حاجة إلى قوة العقل وزجاحة الفكر ، وحسن التقدير ، عن طريق المران العقلى ، فكم فى الفيافى ورؤوس الجبال وبطون الأودية ، من خصوبة عقل وجودة طبع ، قضى عليها الكسل العقلى أو قلة الدراية فى معالجة الأمور .

أى أنه لا وحى ولا إلهام ولا توجيه من السماء ، وكأن النبوة اكتساب لا اصطفاء ولا اختيار .

٣ - وقال فى ص ٣٠ : يناقش القائلين بالعصمة النبوية : وإن أردتم أنه لا ينطق عن هوى ، أنه أوحى إليه بأن يجتهد ، فاجتهاده بإذن الله ، قلنا لكم : ونحن نقول بذلك ، ولا مانع حينئذ من أن يجتهد ولا يصيب .... إلخ .

وهكذا يصر الرجل على تسوية الرسُول بعامة الناس دون أية ميزة أو خصيصة .

٤ - ثم حمل المؤلف على الإمام الرازى - متبعا رأى صاحب المنار رشيد رضا ومقلده فى عصرنا - لأنه فسر قوله تعالى : ﴿ عَفَا اللهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُم ﴾ [1] . بأن العفو كان مخالفة الأولى فقط « أو أنه كان لبيان الجواز والتشريع والتربية (كما نرى نحن) ولكن رأى هذا المؤلف أن العفو عنه ﷺ كان عن ذنب » اقترفه الرسُول ﷺ (ص ٩٣) .

٥ - وقال فى ص ١١٨ : اجتهد ﷺ فوق ذلك فى فهم القرآن ، وفهم غيره كان هو

(١) سورة التوبة آية ٤٣ .

الصواب .

نقول : (نعوذ بالله) وأين قوله تعالى : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[1] .

وكيف يخص الله بكتابه من لا يفهمه؟ وقوله تعالى : ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ﴾[2] . نستغفر الله .

٦ - وقال فى ص ١٢٤ : مكث ﷺ يستغفر لأبى طالب خطأه زهاء اثنتى عشرة سنة (أى أنه أصر على الخطأ ومارسه كل هذه المدة) .

نقول : ولماذا تركه الله ليمارس هذا الخطأ ؟ هل كان الله مشغولًا أو ناسيًا ؟ حتى يترك رسُوله عابثًا هذه المدة ؟ ونستغفر الله العظيم .

٧ - قال هذا المؤلف فى ص ١٦٥ (الطبعة الأولى من الكتاب) ونعوذ بالله ونستغفره من الجهالة العلمية - قال : «لم يكن رأيه ﷺ فيما اجتهد فيه يمثل الصواب دائمًا ، ولا محل رضاء الله تعالى عنه دائمًا كذلك» .

٨ - وقال فى ص ١٦٧ : ليس بلازم أن يكون رأيه ﷺ عن اجتهاد صوابًا على الدوام .

هذه النماذج من النصوص التى تقشعر لها الأبدان ، وتدور بها الرؤوس ، وقد اضطررنا إلى نقلها ، رموزًا إلى ما هو ألأم منها وأحط من كلام هذا المؤلف ، سوف نفرد لها - إن شاء الله - هنا أبوابًا للرد المفصل على كل خطيئة منها على حدة إن شاء الله ، خصوصًا بعد أن أطلت الفتنة برأسها فى كتابات بعض فلول المتعالمين وأشباههم بحسن الظن أو سوئه والله أعلم .

وإنما نحن هنا لأسباب شتى يعلمها الله نكتفى بتسجيل القواعد العامة والأصول الأساسية التى تصلح للرد الدائم على أمثال هذه الآثام والآلام ، التى يعتبرها المتعالون والمرضى بمرض الشهرة وبمخالفة جمهور أهل العلم ، شيئًا من الإسلام ، ثم لنحصن الشباب المغرر به ، والملتوى بطبعه والمنحرف والمنجرف وحسبنا الله ونعم الوكيل . «راجع كتاب عصمة النبىّ ﷺ للسيد محمد زكى إبراهيم رائد العشيرة المحمدية ص ٢٨» .

ثانيًا : تهجم الدكتور صبحى منصور فى كتابه «الأنبياء فى القرآن» على النبىّ ﷺ

---

(١) سورة النحل آية ٤٤ .

(٢) سورة مريم آية ٩٧ .

فحقق معه، وتقرر فصله من جامعة الأزهر الشريف، وإليك أيها القارئ بعض نماذج من أقواله فى هذا الكتاب «الأنبياء فى القرآن»:

١ - جاء فى صحيفة ٣١ من رسالة «الديك تور» ما نصه: «عصمة الأنبياء قضية لم يعرفها المُسلِمون إلا فى عصر الضعف العقيدى، والفكر الفلسفى الدخيل على الاسم» أى أن عدم توقير أنبياء الله هو الأصل عنده، وهو ما قد جعله أساسًا لهذا البحث الخبيث، فهو يسوى باسم الدين بين الرسل وعامة البشر من النصارى واليهود والمجوس وغيرهم، إلا فيما جاء به الوحى.

٢ - وفى الصحيفة ٣٥ جاء ما نصه: «الرسُول معرض للنسيان شأن البشر، ومعرض للوقوع فى الذنب، ولهذا فهو يستغفر لذنبه».

وقد عجز المؤلف أن يذكر لنا ذنبًا واحدًا.

٣ - وفى صحيفة ٣٦ يقول: «يوصف الرسُول بالتقوى وليس بالعصمة أى أنه رجل صالح فقط ولا ميزة له».

٤ - ثم يعود فيقول فى صحيفة ٥٢: «وكما أخطأ بعضهم فنسب العصمة الكاملة للأنبياء، وحرَّف الآيات حتى أنهم تدخلوا فى اختيار الله، ففاضلوا بين الأنبياء، وادعوا أن محمدًا ﷺ سيد الأنبياء وأفضلهم على الإطلاق».

نقول: نعوذ بالله من ضحالة العلم وسوء الأدب.

٥ - وفى صحيفة ٥٦ يقول: «أما عن دعواهم بأن محمدًا ﷺ أشرف المرسلين وسيد النبيين فتلك قضية تستحق التوضيح» يعنى أنه ليس كذلك ولا قوة إلا بالله وأين قول الله: ﴿تِلكَ الرُّسُلُ فَضَّلنَا بَعضَهُم عَلَى بَعضٍ﴾[1]؟

٦ - وفى صحيفة ٦٣ يقول: «ثم مات الرسُول الخاتم، ونحن لا نعرف إلى أى حد طبق الرسُول الخاتم أوامر ربه؟!!! ولا نعرف إلى أى حد تحددت درجته فى الأنبياء»؟!.

اللَّهم إنا نبرأ إليك من هذه الوقاحة التى لم يسبق إليها سابق، ولا نظن أن يلحق بها لاحق!.

٧ - وفى صحيفة ٧٨ - ٧٩ يقول: «وترتب على ذلك أن تقررت شفاعة الرسُول،

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٣.

وأصبح معلومًا من الدين بالضرورة، خلافًا للقرآن الكريم والسنة الصحيحة» وقال: «وكان لا بد أن تمتد أيديهم بالتزييف والتحريف فوضعوا أحاديث للشفاعة للرسُول والأنبياء».

نقول: أى أن كافة النصوص التى جاءت فى شفاعة الرسُول مكذوبة ومزورة، ومن هنا يأتى مدخل الشك إلى جميع النصوص الأخرى فتهتز العقيدة ويذهب الدين.

٨ - وفى صحيفة ٩٤ - ٩٥ يقول: «بهذا يصبح الرسُول فى اعتقاد المُسلِمين، أفضل من اللَّه، فاللَّه أصبح بهذا قاسيًا، أما محمد فهو الرحيم، اللَّه يدخل الناس النار، ومحمد يرجوه أن يخرجهم من النار إلى الجنة، الناس يتضرعون لمحمد أن يشفع فيهم وينسون التضرع لله، بل يتضرعون إلى اللَّه أن يجعل محمدًا شفيعهم، أى يتوسلون إلى اللَّه أن يتوسط لدى محمد ليشفع فيهم، فيصبح اللَّه واسطة عند محمد، أى يفضلون النبىّ على رب النبىّ.. إلخ (نستغفر اللَّه)، المرجع السابق ص ١١، ١٢.

هذا هو الكتاب السفيه الذى يدل على الإسفاف والسقوط.

وتلك النماذج من بعض ما جاء فى هذه الرسالة المقررة على الطلبة والتى سوف ينقلون ما بها إلى جماهير المُسلِمين. وهنا نماذج أخرى لم يأذن لنا الأدب مع اللَّه ورسُوله أن ننقلها، أو تدنس أقلامنا بذكرها هنا، مما يؤذى العقل والعاطفة والعقيدة والعلم المجرد.

والسؤال الآن: من الذى أشرف على هذه الرسالة من علماء المُسلِمين؟ فإن من أجازوا هذا الضلال وكافأوا صاحبه عليه بالدكتوراه، لابد أن يكونوا من نفس هذه النوعية، ومن هم أعضاء اللجنة التى أجازوها ومنحوا صاحبها هذا اللقب الكبير، ثمنًا لتجريح رسُول اللَّه ﷺ والتطاول عليه؟.

وما هى أقوالهم فيما نقلناه من نصوص هذه الرسالة، فضلًا عن بقية النصوص المتوقحة والمقززة؟ التى نعف عن الإشارة إليها فضلًا عن أن ننقلها ونسجلها، ثم كيف تقرر هذه الرسالة على الطلبة على أن يدفعوا فيها ثمنًا باهظًا غير مقبول ولا معقول؟ ثم يكلفون بحمل هذا الضلال العقلى والعقائدى إلى جماهير أهل القبلة.

وإذا كان الأزهر قد أقر ما فى هذه الرسالة، فما هو الدليل العلمى الذى يقتنع به الناس؟ فإن ما فى هذه الرسالة لا علم فيه إلا العلم بالجهل المركب، والغرور الاستفزازى المقزز، وهذا ما يزلزل عقيدة الجمهور المُسلِم فى الأزهر وما يجيزه أو يصدر عنه من بحوث، وما

ينتسب إليه من أشخاص ما لم يتحرك مجمع البحوث حركة إيجابية فعالة.

إن صاحب هذا الكتاب لا يقوى أن يوجه لفظًا واحدًا مما جاء فى كتابه إلى أصغر مسئول، ولكنه استأسد على الأنبياء والأولياء شأن كل أبواق ثالوث التكفير، فجزاه اللّه ما هو أهله اليوم وغدًا.

الفصل الثالث

ثبوت عصمة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وإهانة اليهود والنصارى والقرنيين لهم

وجوب عصمة الأنبياء:

الأنبياء معصومون قاطبة عليهم جميعًا التحيات الزاكيات، واليهود والنصارى ومن على شاكلتهم حرَّفوا كتبهم ونسبوا إلى الأنبياء - الَّذِينَ كفل اللَّه تعالى نزاهتهم وعصمتهم - ما هم منه براء فجزاهم اللَّه اللعنة وسوء الخاتمة، والعصمة هى التنزه عن الذنوب والمعاصى صغائرها وكبائرها، وعن الخطأ والنسيان، وإن لم يمتنع عقلًا على النبىّ أن يصدر منه ذلك، بل يجب أن يكون منزهًا حتى عما ينافى المروءة، كالتبذل بين الناس من: الأكل فى الطريق، أو ضحك عال، وكل عمل يستهجن فعله عند العرف العام.

إذا كان إرسال الأنبياء إلى البشر، لأجل هدايتهم إلى تزكية أنفسهم بما تصلح به أحوالهم فى دنياهم، ويستعدون به لحياة أعلى من هذه الحياة الدنيا فى نشأة أخرى، فلا يتم هذا الغرض ولا تتحقق هذه الحكمة إلا إذا كان هؤلاء الأنبياء أهلًا لأن يقتدى بهم فى أعمالهم وسيرتهم، والتزام الشرائع والآداب التى يتلقونها عن ربهم ومن ثم يتعين وجوب عصمة الأنبياء.

والدليل على وجوب العصمة: أنه لو جاز أن يفعل النبىّ المعصية، أو يخطئ وينسى، وصدر منه شئ من هذا القبيل، فإما أن يجب اتباعه فى فعله الصادر منه عصيانًا أو خطأ، أو لا يجب، فإن وجب اتباعه، فقد جوزنا فعل المعاصى برخصة من اللَّه تعالى، بل أوجبنا ذلك، وهذا باطل بضرورة الدين والعقل، وإن لم يجب اتباعه، فذلك ينافى النبوة التى لابد أن تقترن بوجوب الطاعة أبدًا.

وأهل الكتاب لا يقولون بهذه العصمة، وكتبهم المقدسة - عندهم - ترمى بعض كبار الأنبياء بكبائر الفواحش المنافية لحسن الأسوة، بل المجرئة على الشرور والمفاسد.

فإن اليهود والنصارى افتروا على اللّه تعالى وأنبيائه :

أولًا : افتراء اليهود على أنبيائهم :

اليهود لم يكتفوا بنسبة المعصية إلى أنبياء اللّه وعدم الاعتقاد بعصمتهم بل إنهم جعلوا منهم قادة ورواداً للفجور والدعارة ، وارتكاب أعظم الآثام والشرك والكفر باللّه ، ومن الأمثلة الواردة فى كتبهم المحرفة :

١ - الافتراء على نبىّ اللّه لوط عليه السلام :

جاء فى التوراة - المحرفة - أن نبىّ اللّه لوطًا صعد وسكن فى الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن فى صوغر ، فسكن فى المغارة هو وابنتاه .

وقالت البكر للصغيرة : أبونا قد شاخ وليس فى الأرض رجل ليدخل علينا عادة كل الأرض ، هلم نسقى أبانا خمرًا ونضطجع معه فنحيى من أبينا نسلًا .. فسقيتا أباهما خمرًا فى تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها .

وحدث فى الغد أن البكر قالت للصغيرة : إنى قد اضطجعت البارحة معه فادخلى اضطجعى معه فنُحيى من أبينا نسلًا ، فسقيتا أباهما خمرًا فى تلك الليلة أيضًا ، وقامت الصغرى واضطجعت معه .. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما « راجع سفر التكوين : الإصحاح ١٩ » .

وهكذا يتهم نبىّ اللّه لوط بالزنا وشرب الخمر - وحاشاه - وهما من الكبائر .

٢ - الافتراء على نبىّ اللّه داود عليه السلام :

أما داود عليه السلام فإنه تآمر على قائد جيشه ودخل بزوجته ، فقد جاء فى سفر صموائيل ما نصه :

كان داود يتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة جدًا فأرسل داود وسأل عن المرأة .. فقال واحد : امرأة أوريا . فأرسل داود رسلًا وأخذها فدخلت إليه ، فاضطجع معها وهى مطهرة من طمسها ثم رجعت إلى بيتها ، وحبلت المرأة من داود . فكتب داود مكتوبًا يقول فيه : « اجعلوا أوريا فى وجه الحرب

الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت » « راجع سفر صموائيل الثانى : الإصحاح ١» .

هذا بعض ما نسبه اليهود كذبًا وافتراء إلى نبىّ اللّه داود الذى قال فيه اللّه تعالى : ﴿ **نِعمَ العَبدُ إِنَّهُ أَوَّاب** ﴾[1] وقال عنه : ﴿ **وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلفَى وَحُسنَ مَآبٍ** ﴾[2] . وقال عنه كذلك : ﴿ **وَآتَينَاهُ الحِكمَةَ وَفَصلَ الخِطَابِ** ﴾[3] وقد روى عن الإمام على أنه قال : لا أوتى برجل يزعم أن داود تزوج امرأة أوريا إلا جلدته حدين حدًا للنبوة وحدًا للإسلام .

٣ – الافتراءعلى نبىّ اللّه سليمان عليه السلام :

أ – كما أنهم قد افتروا على نبىّ اللّه سليمان فرموه بالكفر . فهو عندهم « لم يكن قلبه كاملًا مع الرب كقلب داود أبيه .. فغضب الرب على سليمان ، لأن قلبه مال عن الرب إله إسرائيل ، الذى تراءى له مرتين ، وأوصاه ألّا يتبع آلهة أخرى ، فلم يحفظ ما أوصاه به الرب ، « راجع سفر الملوك الأول : الإصحاح ١» .

ولا شك أن هذه دعوى كاذبة يراد بها التهجم على أنبياء اللّه تعالى .

ب – ومن أباطيل اليهود أيضًا ما جاء فى توراتهم : « وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة .. فالتصق بهؤلاء بالمحبة ، وكانت له سبعمائة من النساء السيدات ، وثلاثمائة من السرارى .. وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى » .

أى أن نبىّ اللّه سليمان قد أشرك مع اللّه آلهة أخرى !!.

٤ – الافتراء على نبىّ اللّه نوح عليه السلام :

ومما جاء عن نوح عليه السلام فى التوراة – المحرفة – أنه « ابتدأ يكون فلاحًا وشرب من الخمر ، فسكر وتعرى داخل خبائه ، فأبصر سام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجًا . فأخذ سام ويافت الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما ، فلما استيقظ نوح من خمره ، علم ما فعله به ابنه الصغير ، فقال : ملعون كنعان عبد العبير يكون لإخوته .. « راجع سفر التكوين : الإصحاح ٩ : ٢: ٢٦» .

---

(١) سورة ص آية ٣٠ .

(٢) سورة ص آية ٢٥ .

(٣) سورة ص آية ٢٠ .

هكذا نبيّ اللّه يسكر فيهذى ولا يدرى ما أحدث ولا ما حدث به، كيف يبلغ إذن عن ربه؟ وكيف يوثق فيما يقول؟.

إنه الكذب إنه الافتراء على من كفل اللّه تعالى نزاهتهم وعصمتهم.

٥ - الافتراء على نبيّ اللّه يوشع عليه السلام:

ومما يروى فى العهد القديم أيضًا عن الأنبياء تلك القصة عن يوشع، فقد زعم أن: أول ما كلم الرب يوشع، قال الرب ليوشع: اذهب لنفسك امرأة زنا، لأن الأرض قد زنت زنى تاركة الرب، فذهب وأخذ جومر بنت حبلايم فحبلت وولدت له أبناء.

ثم حبلت أيضًا وولدت له بنتًا. فقال له: ادع اسمها - لو رحامة - لأنى لا أعود أرحم بيت إسرائيل بل أنزعهم نزعًا «يوشع: ١، ٢، ٤».

وفى نفس الكتاب يقول إصحاح آخر: وقال الرب لى: اذهب أيضًا أحبب امرأة حبيبة صاحب، وزانية».

لقد أبى العلماء العاملون المحققون قبول هذه الافتراءات وقالوا: هذا من أباطيل اليهود. وصدق اللّه العظيم حين قال واصفًا أخلاقيات اليهود: ﴿**فَبِمَا نَقضِهِم مِيثَاقَهُم لَعَنَّاهُم وَجَعلنَا قُلُوبَهُم قَاسِيةً يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَوَاضِعِه وَنَسُوا حَظًا مِّمَّا ذُكِّروا بِه**﴾[1].

وعن التكذيب والقتل يقول اللّه تعالى: ﴿**أَفَكُلَّمَا جَاءَكُم رَسُولٌ بِمَا لَا تَهوَى أَنفُسُكُم استَكبَرتُم فَفَرِيقًا كَذَّبتُم وَفَرِيقًا تَقتُلُونَ**﴾[2].

ثانيًا: افتراء النصارى على نبيهم وسائر الأنبياء:

العصمة عند النصارى قاصرة على السيد المسيح وحده وابتداء نتساءل: ما الفرق بين المسيح وسائر النبيين؟.

أما عندنا نحن المؤمنين فإن: ﴿**مَثَل عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾[3].

---

(١) سورة المائدة آية ١٣.

(٢) سورة البقرة آية ٨٧.

(٣) سورة آل عمران آية ٥٩.

والمثلية فى الخلقة فقد خلق آدم من غير أب ولا أم وعيسى خلق من غير أب ، فكان خلقهما أمرًا عجيبًا فضلًا عن تماثلهما - أيضًا - فى أن كليهما خلق بالكلمة ﴿كُن﴾ فكانا .

ولقد قال الله تعالى فى شأن عيسى ﴿بِكَلِمَةٍ مِنهُ﴾[1] وأراد بالكلمة لفظ ﴿كُن﴾ التى يستوى أمامها كل ما هو مخلوق لله تعالى : ﴿إِنَّمَا قَولُنَا لِشَيءٍ إِذَا أَرَدنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[2] .

المسيح - عليه السلام - عبد الله ورسُوله ونحن أول المُؤمِنين به والموقرين له ، وإنما خلافنا فى ألوهيته لا نبوته .

ويعتقد المسيحيون أن المسيح إله أو ابن الله ، أو أنه قتل وصلب فداء للبشرية ، وهم يتخذون من خطيئة آدم دليلًا على حكمة الصلب والفداء ، وتجريح الأنبياء عامة وآدم خاصة . وأن توبة آدم لم تكفر خطيئته ، ومن ثم كان لابد من فداء .

ولما كان آدم أبو البشر قد أخطأ ولم يقبل الله تعالى - فيما يزعمون - توبته ، وإن هذه الخطيئة تلزم نسله كله بما فيهم الأنبياء ، عدا المسيح طبعًا باعتباره إله أو ابن الله ، ومن ثم فلا عصمة لأحد من البشر على الإطلاق ، وإذن لابد من مخلِّص والمخلِّص لا يكون مذنبًا ، ولما كان المسيح له العصمة المطلقة فإنه هو المخلِّص للبشرية « راجع كتاب عصمة أنبياء اليهود والمسيحيين للدكتور محمود ماضى » .

إن النصارى يجعلون معاصى الأنبياء دليلًا على عقيدتهم ، وهى أن المسيح هو المعصوم وحده لأنه رب وإله ، ولأنه هو المخلِّص للناس من العقاب على الخطيئة اللازمة لكل ذرية آدم بالوراثة له ، وأنه لا شفيع ولا مخلِّص لهم غيره ، لا يخلِّص المخطئين وهو منهم ، وهذه العقيدة وثنية مخالفة لدين الأنبياء وكتبهم وللعقل ، ومطابقة للأديان الوثنية الهندية وغيرها . « راجع الوحى المحمدى للشيخ رشيد رضا » .

وهذه المطابقة التى عناها الشيخ رشيد رضا تتضح من خلال عرض بعض المقابلات بين أقوال الهنود الوثنيين فى أن بوذا ابن الله وأقوال النصارى فى أن المسيح ابن الله .

---

(١) سورة آل عمران آية ٤٥ .

(٢) سورة النحل آية ٤٠ .

أقوال الهنود الوثنيين فى بوذا :

١ – كان تجسيد بوذا بواسطة حلول روح القدس على العذراء « مايا » .

٢ – لما نزل بوذا من مقعد الأرواح ودخل فى جسد العذراء « مايا » صار رحمها كالبلور الشفاف النقى ظهر بوذا فيه كزهرة جميلة .

٣ – وقد دل على ولادة بوذا نجم ظهر فى أفق السماء ويدعونه نجم بوذا .

٤ – لما كان بوذا طفلًا قال لأمه « مايا » إنه أعظم الناس جميعًا .

٥ – وقال مارا « الشيطان » لبوذا لا تصرف حياتك فى الأعمال الدينية لأنك بمدة سبعة أيام تصير ملك الدنيا .

٦ – قال بوذا فلتكن الذنوب التى ارتكبت فى هذه الدنيا علىَّ ليخلّص العالم من الخطيئة .

أقوال النصارى فى المسيح :

١ – كان تجسيد يسوع المسيح بواسطة حلول الروح القدس على العذراء مريم .

٢ – لما نزل يسوع من مقعده السماوى ودخل فى جسد مريم العذراء صار رحمها كالبلور الشفاف النقى وظهر فيه يسوع كزهرة جميلة .

٣ – وقد دل على ولادة يسوع نجم ظهر فى المشرق وقال داود : من الواجبات أن يدعى نجم المسيح .

٤ – لما كان يسوع طفلًا قال لأمه مريم : « أنا ابن الله » .

٥ – وقال « أى ابليس » له « أى يسوع » أعطيك هذه « أى الدنيا » جميعها إن خررت وسجدت لى .

٦ – يسوع هو مخلِّص العالم وكافة الذنوب التى ارتكبت فى العالم تقع عليه عن الَّذِينَ اقترفوها ويخلِّص العالم .

أقوال القرآن فى عصمة الأنبياء :

١ – لقد شهد القرآن الكريم لأنبياء اللّه ورسله أنهم كانوا من الصالحين الَّذِينَ يقتدى بهم فِي البر والتقوى مثل قوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَاهُم أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ**

الخَيرَاتِ وَإِقَامِ الصَّلَاةَ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ وَكَانُوا لنَا عَابِدِينَ ﴾[1] .

٢ - وقال تعالى فيهم بعد ذكر أشهرهم : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقتَدِه ﴾[2] .

لقد كان فى هذه العصمة والأمانة والنزاهة التى اتصف بها الأنبياء ضمان لسلامة أتباعهم وأمتهم فى العقائد والشرائع ، وأمان مما استهدفت له الأمم والأجيال البشرية الماضية من الوقوع فى المهالك ، والتورط فى الشبهات والحيرة فى أمر هؤلاء القادة ونتيجة اتباعهم « راجع النبوة والأنبياء فى القرآن للشيخ أبى الحسن النووى » .

أما اليهود والنصارى فلم يزدادوا إلا كفرًا وخزيًا ، وأباطيلهم تعج بها بطون الكتب ، تتوارثها الأجيال شاهدة عليهم باللعنة وسوء الخاتمة .

فبعدًا لمن حرف كتاب اللّه ممن هم على شاكلة اليهود والنصارى ، ونسبوا إلى الأنبياء ما هم منه براء ، منزهون عنه .

٣ - فمن النصوص الجلية على عصمته ﷺ مطلقًا قوله تعالى فى وصف نبيه ﷺ : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى إِن هُوَ إِلَّا وَحى يُوحَى ﴾[3] فإن الإثبات بكلمة ﴿ إلا ﴾ بعد : ما ، النافية يفيد العموم عند العلماء ويعنى ذلك أنه ﷺ ما ينطق عن الهوى فى كل شئ وفى سائر الحالات وبمختلف الأوقات مطلقًا كما يدل عليه عموم الآية منطوقًا ومفهومًا فتخصيص عصمته ﷺ بخصوص التبليغ مخالف لنص الآية من جهة ، وتخصيص بلا مخصص من جهة أخرى ، وكلاهما باطلان .

٤ - ومنها قوله تعالى : ﴿ قُل إِنَّمَا أَتبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّى هَذَا بَصَائِرُ مِن رَبِّكُم وَهُدىً وَرَحمَةٌ لِقَوم يُؤمِنُونَ ﴾[4] وكلمة ﴿ إِنَّمَا ﴾ أداة حصر وهى تعنى قصر الحكم على مدخولها ونفيه عما عداه وهو يفيد أنه ﷺ لا يتبع غير ما يوحى إليه من ربه وأن ما يقوله أو يفعله ﷺ كله هدى ورحمة . فلو جاز عليه السهو والنسيان والخطأ والعصيان ، لا تبع غير ما يوحى إليه من ربه ولم يكن شئ من ذلك هدى ورحمة . ولما ثبت أنه ﷺ لا يتبع غير ما أوحى إليه بنص الآية ثبت أنه ﷺ معصوم من ذلك كله .

٥ - ومنها قوله تعالى : ﴿ وَالنَّجمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُم وَمَا غَوَى ﴾[5] ولا شك

---

(١) سورة الأنبياء آية ٧٣ .
(٢) سورة الأنعام آية ٩٠ .
(٣) سورة النجم آية ٣ - ٤ .
(٤) سورة الأعراف آية ٢٠٣ .
(٥) سورة النجم آية ١ - ٢ .

لكل من فهم كلام العرب وموارد استعمالها أن كل نسيان ضلال وكل معصية غواية، أما الأول فيدل عليه قوله تعالى عند ذكر الشهود: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُم فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾[1] فمعنى أن تضل أن تنسى فعبر عنه بالضلال لأنه أحد معانيه. وأما الثاني فيدل عليه قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾[2] فسمى العصيان مطلقًا غواية فإذا ثبت أن كل نسيان ضلال وكل عصيان غواية ثبت نفى النسيان عنه من كل وجه، ونفى العصيان عنه ﷺ على كل وجه، وذلك لما ثبت فى علم الأصول عند الفريقين أن نفى العام للخاص، وبتعبير أوضح لما كان الضلال منفيًا عن النبىّ ﷺ فى الآية الأولى بمعناه العام كان ذلك يعنى نفى جميع معانيه، ومن معانيه النسيان، وقد نفاه القرآن عنه ﷺ، ولما كانت الغواية منفية عن النبىّ ﷺ فى الآية الثانية بمعناها العام كان ذلك يعنى نفى جميع معانيها، ومن معانيها العصيان فهو منفى عنه ﷺ بنص القرآن.

٦ - ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ﴾[3] فلو كان رسُول اللَّه ﷺ ينسى لكان نفى النسيان عنه مطلقًا لغوًا باطلًا، تعالى اللَّه عن اللغو والباطل.

٧ - ومنها قوله تعالى: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾[4] فإن الاستثناء بـ ﴿إلا﴾ بعد ﴿إن﴾ النافية يفيد العموم وأنه ﷺ لا يتبع غير ما يوحى إليه فى سائر الحالات وفى جميع الأعمال بمختلف الأوقات فلو لم يكن معصومًا مطلقًا لاتبع غير ما يوحى إليه، ولما ثبت بنص هذه الآيات أنه لا يتبع غير ما يوحى إليه مطلقًا ثبت أنه ﷺ معصوم على الإطلاق.

رأى الخوارج فى العصمة:

أهل السنة والجماعة مجتمعون على أن الأنبياء معصومون قبل البعثة وبعدها. ولكن الخوارج يجوزون الكفر على الأنبياء ترتيبًا على إطلاقهم الكفر على كل معصية، والحشوية جوزوا على الأنبياء الإقدام على الكبائر والصغائر.

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٢.

(٢) سورة طه آية ١٢١.

(٣) سورة الأعلى آية ٦.

(٤) سورة الأنعام آية ٥٠، سورة يونس آية ١٥، سورة الأحقاف آية ٩.

رأى ابن حزم الأندلسى فى العصمة :

١ - يقول ابن حزم الأندلسى : إن العصمة غير ذات موضوع فى حق النبىّ الذى لم يكلف بشرع لأن المعاصى فى نظره بعد ورود الشرع والتكليف ، وليست قبل ورود الشرع والتكليف .

٢ - ويجوز ابن حزم على الأنبياء الذنوب محتجًا بقوله تعالى : ﴿وَذَا النونِ إِذ ذَهَبَ مُغَاضِبًا﴾[1] ، والمغاضبة لله تعالى على حد زعمه من أعظم الذنوب .

الرد على فكر ابن حزم الأندلسى فى عصمة الأنبياء يتضمن :

١ - هذا القول من ابن حزم الأندلسى لا يكون من اللائق فى حق الأنبياء ، لأن اللّه يعلم حسن رسالة هؤلاء الأنبياء فلا يجوز على الأنبياء أن يؤتوا من الأفعال ما يصادمها ، لأن رسالة اللّه إليه هى مقتضى الفطرة ، وكل مخالفة لها هى خروج على الفطرة السليمة حتى ولو كان ذلك سابقًا على الرسالة .

٢ - ومعنى الآية فى الحقيقة ﴿وَذَا النُّونِ﴾ النون الحوت ، ﴿وَذَا النُّونِ﴾ أى يونس ويحمل المعنى : اذكر يا محمد خبر يونس حين دعا قومه إلى الإيمان باللّه ، فلم يستجيبوا لدعوته فضجر منهم وخرج عنهم مغاضبًا لهم . ولا يحق لنبىّ اللّه أن يغاضب ربه .

رأى بن تيمية فى عصمة الأنبياء :

ابن تيمية زل فى عقيدته فى الخالق - فقال بالتجسيم والتشبيه - فلا ريب أن ينزلق فى الخطأ فيما يتعلق بصفوة المخلوقين ﷺ فهو يقول :

١ - العصمة للنبىّ فيما يتعلق بالوحى ، ويجوز الخطأ على الأنبياء ولكنه يمنع الاستمرار فى الخطأ واستشهد فى ذلك بحديث « الغرانيق » الذى طعن العلماء فيه ، ولم يردد هذا القول قديمًا إلا ابن تيمية وحديثًا سلمان رشدى . « راجع كتاب الفتاوى لابن تيمية الجزء الثانى ص ٢٨٢ ، ٢٩٦ » .

٢ - لا تثبت العصمة للنبىّ سواء أكان ذلك قبل البعثة أو بعدها ، ولكن لابد للنبىّ أن

---

(١) سورة الأنبياء آية ٨٧ .

يسارع بالتوبة ولا يؤخرها.

٣ - يقول: إن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تؤخذ على ظاهرها، حتى ولو أدى هذا الظاهر إلى نفى العصمة عن الأنبياء عليهم السلام وأن وقوع الاستغفار من الأنبياء لا محل له إلا بسبب ذنب، والتوبة لا وجود لها إلا بسبب الخطيئة، ويستنكر كل تأويل للآيات والأحاديث.

رأى المودودى فى عصمة الأنبياء:

المودودى يعتقد أن كل الأنبياء خطاءون مذنبون لا عصمة لهم، وذلك يظهر فى كل كتاباته، ويعتقد أن الرسُول ﷺ بشر كسائر البشر يخطئ ويصيب، ويطيع ويعصى، ولا يكون معصومًا.

وإليك نماذج من زيغ وضلال المودودى:

١ - بالنسبة للنبىّ الخاتم ﷺ:

يقول المودودى فى ختام رسالته ص ١٥٦: إن اللّه سبحانه وتعالى أمر النبىّ ﷺ فى سورة النصر بأن يستغفر ربه لتقصير فى فرائض نبوته، مستندًا إلى قوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾[1]، فهو لا يفهم فى عقله السقيم إلا أنه لا استغفار إلا من أهل الذنوب، وأن الرسُول ﷺ كان مذنبًا ومقصرًا فى أداء رسالته، ولذلك أمره المولى بالاستغفار، ولا يدرى هذا الجاهل المتعالم، أن هناك محامل لاستغفاره ﷺ، فهو ﷺ كان إذا سلم وفرغ من صلاته يقول أستغفر اللّه، فهل الصلاة كانت ذنبًا يستغفر الرسُول ﷺ ربه عنها؟.

٢ - إهانته لنبىّ اللّه موسى عليه السلام:

يقول المودودى فى كتابه «رسائل ومسائل» الجزء الأول ص ٣١: أن موسى ارتكب ذنبًا كبيرًا جدًا بقتله إنسانًا. ولو كان المودودى من أهل العلم لعرف أن سيدنا موسى عليه السلام قتل كافرًا ولم يقتل مؤمنًا. وقديمًا قالوا: لا تأخذ العلم من صحفى ولا القرآن من مصحفى.

---

(١) سورة غافر آية ٥٥.

٣ – إهانته لنبيّ اللّه يوسف عليه السلام :

يقول المودودى فى كتابه « تفهيمات » ص ١٢٢ : إن سيدنا يوسف عليه السلام لم يكن وزيرًا للمالية فقط بل كان ديكتاتورًا ، ونتيجة لذلك كان يوسف يشبه جدًا موسولينى فى إيطاليا ، فكيف يشبه المودودى سيدنا يوسف عليه السلام برجل كافر من أظلم خلق اللّه وهو موسولينى ، فتعالى اللّه أن يبعث نبيًا ظالمًا لخلقه ، والأنبياء جميعًا محل اصطفاء المولى سبحانه وتعالى .

٤ – إهانته لنبيّ اللّه يونس عليه السلام :

يقول المودودى فى كتابه « تفهيم القرآن » الجزء الثانى بحاشيته ص ٣١٢ :

إن سيدنا يونس قد صدر منه بعض التقصير فى تبليغ رسالته .

ويعلل المودودى سقيم فكره : بأن اللّه يرفع عصمته من كل نبيّ بين حين وآخر ، فيصدر منه بعض زلات ، لكى نعلم أن النبيّ ليس بإله ، وأن نعلم أنه بشر .

فيا سبحان اللّه أليس يكفى لكون النبيّ بشرًا أن يشرب ويأكل ويولد ويصح ويمرض وما إلى ذلك من خصائص البشرية ؟! فصدور المعاصى وحدها هى التى تكفى لإضفاء بشرية الأنبياء . أيها الخارجى المودودى ؟!.

هذه هى الأفكار الخبيثة التى سرت فى كتابات أبواق ثالوث التكفير فى حق الأنبياء والصحابة والأولياء وهم العباد المكرمون .

الباب الخامس

من تأويلات القرنيين الشيطانية

التأويلات الشيطانية لبعض آيات القرآن فى كتب أبواق الوهابية لم يصل لمدى فحشها ونذالتها مستعمر غاصب ولا حاكم مستبد ولا طاغية متحلل ولا مبشر ولا مستشرق ولا ملحد ولا زنديق- مع أقدس شخصية وأكمل إنسان سيدنا ومولانا محمد ﷺ ..

سبق أن ذكرنا فى الأبواب السابقة أن اليهود والنصارى افتروا على الله تعالى ، ونسبوا إلى الأنبياء ما هم منه براء ، وسار على دربهم الخوارج فجوزوا الكفر على الأنبياء وشايع ذلك ابن حزم الأندلسى فى القرن الرابع الهجرى وابن تيمية الحرانى فى القرن السادس الهجرى وابن عبد الوهاب النجدى فى القرن الثانى عشر الهجرى وتابع هؤلاء وأولئك أبواق الوهابية كالمودودى فى كتابه « رسائل ومسائل » والشيخ عبد الجليل عيسى فى كتابه « اجتهاد الرسل » والدكتور صبحى منصور فى كتابه « الأنبياء فى القرآن » وهنا نبين ما كتبه الدكتور على أحمد السالوس فى كتابه « فقه الشيعة لدى الإمامية » الذى يدلك ظاهره على أنه هجوم على الشيعة ومعتقداتها ، حتى يدلس على أهل السنة والجماعة فإذا به يتناول داخل صفحات هذا الكتاب عورات وعيوبًا وأخطاء وذنوبًا أحصاها لسيدنا رسُول الله ﷺ وإخوانه الأنبياء وسجل ذلك بجرأة منقطعة النظير وإليك أيها القارئ نصوصًا من كتابه هذا والرد عليها .

الدكتور السالوس ينفى العصمة المطلقة للأنبياء والرسل :

يقول الدكتور على أحمد « الثالوث » فى صفحة ٣٣ من كتابه المذكور : « القرآن الكريم ينفى وجوب العصمة المطلقة لخير البشر أجمعين وهم الأنبياء والرسل وإنما عصمتهم مقيدة محدودة فيما يبلغون » وللرد على هذا القول :

١ - إذا كان الأنبياء خير البشر - كما يعترف الدكتور - فكيف نسب إليهم العصيان وإطاعة الشيطان وارتكاب المحرمات التى أوجبت عليهم أن يتوبوا منها ، ويطلبوا المغفرة

من اللّه تعالى عنها ؟ فهل يا ترى أن من شرط خير البشر أن يعصى اللّه ويطيع الشيطان ويرتكب الزلات كما نسب ذلك كله إلى نبىّ اللّه آدم عليه السلام بصريح المقال في أول ص ٢٩؟ وهل هذا إلا التناقض بعينه ؟! وإذا كان خير البشر يعصون اللّه ويخالفون أمره ويطيعون الشيطان ويرتكبون الزلات فمن هم إذن يا ترى شر البشر ؟!.

٢ - إن الذى فات على الدكتور « الثالوث » ولم يهتد إليه هو عدم معرفته لشخص النبىّ ﷺ ، وكان عليه قبل أن يحكم على الأنبياء عليهم السلام بالعصيان والفسق والطغيان والخطأ والنسيان ، أن يعلم جيدًا أن النبىّ ﷺ هو الشخص الإنسانى المخبر عن اللّه تعالى ، ويدخل فى إخباره عنه تعالى جميع أحكام شريعته التى جاء بها من عند اللّه تعالى ، لتحديد فعله وقوله وتقريره على ضوء تلك الأحكام التى شرعها اللّه لعباده ليبنوا عليها كيانهم الإنسانى ، وهى لا تزيد على خمسة ولا تنقص عنها :

١ - الواجب ٢ - المندوب ٣ - الحرام ٤ - المكروه ٥ - المباح .

وما من قول أو فعل لأى مكلف من البشر ، سواء أكان نبيًا أو غيره ، إلا كان خاضعًا لواحد من هذه الأحكام المذكورة ولا يتعداها إطلاقًا فلو كان النبىّ ﷺ غير معصوم لجاز عليه الخطأ فى بعضها والنسيان لجملة منها وحينئذ فلا يكون فى إخباره بذلك مخبرًا عن الله تعالى ، وإنما يكون من عند نفسه ، وإذا كان من عند نفسه ، بطل أن يكون مخبرًا عن اللّه تعالى بشئ منه ، وقد فرضنا أنه مخبر عن اللّه مطلقًا فوجب أن يكون معصومًا فى جميعها .

الدكتور السالوس يخصص عصمة الأنبياء بالتبليغ فقط :

وأما قول الدكتور على أحمد « الثالوث » - بأن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن اللّه تعالى - فغير صحيح ، وذلك لأن ما يبلغونه عن اللّه تعالى هى تلك الأحكام الخمسة التى أوحى اللّه تعالى بها إليهم لتبليغها ، ولا شئ غيرها ، والقرآن يقرر هذا ويؤكده بقوله تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾[1] ، فأمر كل واحد من تلك الأحكام يرجع إليه تعالى لا إلى غيره مطلقًا .

وقال تعالى : ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ﴾[2] وهو يفيد الاستيعاب لكل أمر ، ومن ذلك أمر كل واحد من تلك الأحكام المتعلق بفعل النبىّ أو قوله أو تقريره ، فليس من المعقول أن

---

(١) سورة الأعراف آية ٥٤ .

(٢) سورة هود آية ١٢٣ .

يكونوا معصومين فى بعضها ومخطئين فى البعض الآخر، لخروجهم بذلك عن كونهم أنبياء مخبرين عن الله تعالى وبطلانه واضح، ثم لو كان هناك شئ وراء تلك الأحكام، كان لزامًا على الدكتور أن يذكره لنا، ومن حيث أنه أهمل ذكره وقلد غيره فى مقاله من غير دليل، علمنا أن ما جاء به من التفصيل بين ما يبلغونه وما لا يبلغونه غير صحيح، لأنه من السالبة المنتفية بانتفاء موضوعها.

٣ - لما كانت العصمة قوة فى عقل النبىّ ﷺ تمنعه من الخطأ والنسيان فلا يعقل أن تزول عنه من جهة وتثبت له من جهة أخرى، لوضوح بطلانه حتى عند القائلين بالجبر الباطل عقلًا وشرعًا كما تقرر فى موضعه من علم الكلام.

عصمة النبى محمد ﷺ ثابتة بنص القرآن:

إن من الغريب أن يهمل الدكتور على أحمد السالوس ذكر النص القرآنى على عصمة رسول الله ﷺ ولا يأتى على ذكر شئ منه، وإذا كان الدكتور قد أهمل ذكره فلا يسوغ لنا أن نهمله، فمن النصوص الجلية على عصمته ﷺ مطلقًا قوله تعالى فى وصف نبيه ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَى﴾[1]، فإن الإثبات بكلمة ﴿إلا﴾ بعد: ما، النافية يفيد العموم عند العلماء ويعنى ذلك أنه ﷺ ما ينطق عن الهوى فى كل شئ وفى سائر الحالات وبمختلف الأوقات مطلقًا، كما يدل عليه عموم الآية منطوقًا ومفهومًا.

فتخصيص عصمته ﷺ بخصوص التبليغ كما يقول الدكتور على «الثالوث» مخالف لنص الآية من جهة وتخصيص بلا مخصص من جهة أخرى، وكلاهما باطلان ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَىَّ مِن رَبِّى هَذَا بَصَائِرُ مِن رَبِّكُمْ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[2] وكلمة ﴿إنما﴾ أداة حصر وهى تعنى قصر الحكم على مدخولها ونفيه عما عداه وهو يفيد أنه ﷺ لا يتبع غير ما يوحى إليه من ربه وأن ما يقوله أو يفعله ﷺ كله هدى ورحمة فلو جاز عليه السهو والنسيان والخطأ والعصيان، لا يتبع غير ما يوحى إليه من ربه ولم يكن شئ من ذلك هدى ورحمة. أو لما ثبت أنه ﷺ لا يتبع غير ما أوحى إليه بنص الآية ثبت أنه ﷺ معصوم من ذلك كله. ومنها قول تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾[3] ولا شك لكل من فهم كلام

---

(١) سورة النجم آية ٣ - ٤.

(٢) سورة الأعراف آية ٢٠٣.

(٣) سورة النجم آية ١ - ٢.

العرب وموارد استعمالها أن كل نسيان ضلال وكل معصية غواية، أما الأول فيدل عليه قوله تعالى عند ذكر الشهود: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾[1] فمعنى أن تضل أن تنسى فعبر عنه بالضلال لأنه أحد معانيه. وأما الثانى فيدل عليه قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾[2] فسمى العصيان مطلقًا غواية فإذا ثبت أن كل نسيان ضلال وكل عصيان غواية ثبت نفى النسيان عنه من كل وجه، ونفى العصيان عنه ﷺ على كل وجه، وذلك لما ثبت فى علم الأصول أن نفى العام للخاص، وبتعبير أوضح لما كان الضلال منفيًا عن النبىّ ﷺ فى الآية الأولى بمعناه العام كان ذلك يعنى نفى جميع معانيه، ومن معانيه النسيان، وقد نفاه القرآن عنه ﷺ، ولما كانت الغواية منفية عن النبىّ ﷺ فى الآية الثانية بمعناها العام كان ذلك يعنى نفى جميع معانيها، ومن معانيها العصيان فهو منفى عنه ﷺ بنص كتاب الله تعالى.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ﴾[3] فلو كان رسُول اللَّه ﷺ ينسى لكان نفى النسيان عنه مطلقًا لغوًا باطلًا، تعالى اللَّه عن اللغو والباطل. ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾[4] فإن الاستثناء ﴿إلا﴾ بعد ﴿إن﴾ النافية يفيد العموم وأنه ﷺ لا يتبع غير ما يوحى إليه فى سائر الحالات وفى جميع الأعمال بمختلف الأوقات فلو لم يكن معصومًا مطلقًا لاتبع غير ما يوحى إليه، ولما ثبت بنص هذه الآيات أنه لا يتبع غير ما يوحى إليه مطلقًا ثبت أن العصمة المطلقة له صلوات الله وسلامه عليه.

الخطأ من الرسُول ﷺ يوجب الخطأ فى السنة يا دكتور سالوس:

وشئ آخر فات الدكتور على السالوس ولم يلتفت إليه وهو أن السنة قول الرسُول ﷺ أو فعله أو تقريره فلو جاز عليه الخطأ لجاز الخطأ فى السنة، ولا شئ من الخطأ بالسنة، ولما ثبت أن ذلك كله سنة ثبت أنه معصوم من الخطأ والنسيان مطلقًا، لوجود تلك القوة فى عقله ﷺ الحافظ لها من ذلك كله وأنه يمتاز بها على سائر البشر.

---

(١) سورة البقرة آية ٢٨٢.

(٢) سورة طه آية ١٢١.

(٣) سورة الأعلى آية ٦.

(٤) سورة الأنعام آية ٥٠ - سورة يونس آية ١٥ - سورة الأحقاف آية ٩.

كيف تكون الأمة معصومة والأنبياء عليهم السلام غير معصومين يا دكتور سالوس؟! :

والغريب أن الدكتور على السالوس تراه هنا ينفى العصمة عن جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام عامة وعن رسُول اللَّه ﷺ خاصة ويثبتها للأمة الإسلامية، فالأمة الإسلامية عنده أفضل من جميع الأنبياء عليهم السلام حتى رسُول اللَّه ﷺ لأنها معصومة على حد تعبيره وهم عليهم السلام غير معصومين، ولا شك في أن المعصوم أفضل من غير المعصوم فرسُول اللَّه ﷺ عنده دون مستوى الأمة الإسلامية، وهذا القول كما تراه غريب على الدين غريب على العقل، أعوذ باللَّه من زلقات اللسان وفساد الجنان.

نسبة الذنوب إلى رسُول اللَّه ﷺ يا دكتور سالوس قباحة ووقاحة منك:

إن الدكتور بسرده بعض هذه الآيات ودعواه أنها تنفى العصمة عن الأنبياء عليهم السلام عامة ورسُول اللَّه ﷺ خاصة يحاول أن يلحقهم بالمجرمين الَّذِينَ يستحقون العذاب الأليم، ويريد أن يفضل الأمة عليهم، لأنه أوجب لها العصمة وحرمها على أنبياء اللَّه ورسله عليهم السلام أجمعين.

وأن الأمة هى المعصومة وهى التى تعصم النبىّ من الخطأ فإذا كانت الأمة تعصم النبىّ من الخطأ كما يقول فلماذا يا ترى لم تعصم نبيها من الذنب والخطأ والزلل والعصيان التى ألحقها الدكتور برسُول اللَّه ﷺ أفضل خلق اللَّه تعالى جميعًا؟.

وإذا كان رسُول اللَّه ﷺ الذى ما ضل وما غوى ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَى**﴾[1]. مذنبًا مجرمًا تجب عليه التوبة وطلب المغفرة من اللَّه والعفو منه مما ارتكبه من المعاصى والذنوب، كما يقول الدكتور بمقتضى ما ساقه من الآيات لإثبات معصية الرسُول ﷺ لربه ومخالفته لأمره، والأمة - التى نرى أكثرها بباصرة العين ظالمين مجرمين متعدين لحدود اللَّه - معصومة لديه، وتعطى العصمة للنبىّ، فكيف يا ترى أرسله اللَّه تعالى رحمة للعالمين بقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[2]؟ وكيف يا ترى يكون رحمة للعالمين من يرتكب المعاصى ويقترف الذنوب كما يقول الدكتور على «الثالوث» حتى أوجب اللَّه تعالى أن يستغفر منها ويتوب إليه، ويطلب العفو منه على حد قوله؟ ولماذا يا ترى لم يرسل هذه الأمة نبيًا ويختارها رسُولًا بديلًا عنه وهى المعصومة من الخطأ كما يقول، ورسُوله ﷺ

(١) سورة النجم آية ٣ - ٤.
(٢) سورة الأنبياء آية ١٠٧.

عنده غير معصوم والمعصوم أفضل من غير المعصوم وأولى منه بالرسالة؟ وماذا يا ترى يقول أعداء الإسلام حينما يسمعون الدكتور «الثالوث» يقول: إن نبى الإسلام ومن فضله الله تعالى على جميع الأنام يرتكب الذنوب ويفعل السيئات ويعمل الموبقات ألا تراهم يقولون إن مثل هذا الإنسان لا يصلح أن يكون نبيًا ولا رسُولًا مرسلًا من عند الله فضلًا من أن يكون أفضل الأنبياء عليهم السلام أجمعين؟!.

وإذا كان أنبياء الله تعالى كلهم عصاة مخالفين لأمر الله ونهيه فمن هم المطيعون له تعالى من سائر الناس وما الفرق بينهم عليهم السلام وبين غيرهم من الأشقياء.

التاويلات الشيطانية لبعض آيات القرآن فى كتاب الدكتور على السالوس:

أولًا: ما قاله فى حق سيدنا موسى عليه السلام:

نعود إلى ما استدل به من ظواهر بعض الآيات الذى قلد فيه غيره دون تحقيق، كما قلنا على نفى العصمة عن الأنبياء عليهم السلام عامة وعن رسُول الله ﷺ خاصة فنقول له: من أين فهم الدكتور «الثالوث» أن قتل موسى عليه السلام خاصة للرجل كان من عمل الشيطان حتى يتسنى له نفى العصمة عنه، فإن الظاهر المستفاد من الآية أن قتل موسى عليه السلام للرجل لم يكن إلا بحق لأنه كان كافرًا مستحقًا للقتل وغير محقون الدم، ولم يكن من عمل الشيطان إلا محاولة الرجل قتل ذلك الذى من شيعته، ومن وجب قتله شرعًا لا يكون قتله من عمل الشيطان مطلقًا.

وأما قوله ﴿ظَلَمتُ نَفسِى﴾[1] فلا يدل على نفى العصمة عنه، لأن ظلم النفس يعنى بخسها من الثواب، وذلك يجتمع مع فعل المباح، كما يجتمع مع ترك المندوب، ولا يختص بترك الواجب، كما أن طلب المغفرة من الله تعالى يعنى طلب ثوابه، وهو لا يفيد وقوع المعصية منه، ولا ينفى العصمة عنه، إذ ليس كل من طلب المغفرة من الله تعالى يجب أن يكون مذنبًا عاصيًا، لأنه واضح البطلان، فإن طلب المغفرة منه تعالى فى نفسه عبادة مندوب إليها فى الشريعة، وإن لم يكن طالبها عاصيًا، ويدل قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغفِرَةٍ مِن رَبِّكُم﴾[2]، فإنه لا يلزم أن يكون كل من سارع إلى طلب المغفرة من ربه مذنبًا، لوضوح بطلانه، فالآية من هذا القبيل وإن خفى أمره على الدكتور «الثالوث» فظن أن طلب

---

(١) سورة القصص آية ١٦.

(٢) سورة آل عمران آية ١٣٣.

. موسى عليه السلام المغفرة من اللّه تعالى ينفى العصمة عنه .

ثانيًا : ما قاله فى حق سيدنا رسُول اللّه ﷺ

١ - آية ﴿ مَا كَانَ لنبىٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسرَى ﴾[١] :

وأما آية ﴿ مَا كَانَ لنبىٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسرَى حَتَى يُثخِنَ فِى الأَرض تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾ فمفهومها واضح وهو لا يتفق مع ما يدعيه الدكتور « الثالوث » من نسبة المعصية إلى رسُول اللّه ﷺ ، وذلك لأن المخاطبين فيها جماعة من أصحاب النبىّ ﷺ الَّذِينَ رغبوا فى أخذ الفداء من الأسرى فى أول وقته ، ورغبوا فى حرب المشركين لأجل الغنيمة لا لأجل إقامة الدين ، وتوحيد اللّه والدعوى إلى طاعته ، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ ﴾ .

وقد ذكر المفسرون من أهل السنة أنها نزلت فى المشيرين على النبىّ ﷺ أخذ الفداء من الأسرى فى واقعة بدر وهي أول واقعة شهدها المُسلِمون مع النبىّ ﷺ ، فمن أين يا ترى فهم الدكتور « الثالوث » أن الآية تريد النبىّ ﷺ ؟! والمخاطبون فيها جماعة الذكور من أصحابه ﷺ بقوله تعالى : ﴿ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنيَا ﴾ ، وأنهم آثروا عاجل الدنيا على ثواب الآخرة ، فأنزل اللّه تعالى فى ذمهم قرآنًا وأنهم يستحقون العذاب العظيم على ما أشاروا به عليه ﷺ .

٢ - آية ﴿ عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُم ﴾[٢] :

وأما قوله تعالى : ﴿ عَفَا اللّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُم ﴾ فلا يفيد وقوع المعصية منه ﷺ ، لأن كلمة العفو لا تعنى وقوع الذنب من المعفو عنه ، ولا يوجبه كما لا توجب كلمة (غفر اللّه لك) وقوع المعصية منه لاجتماعها مع وقوع ما كان غيره أفضل منه ، كما تقول لمن فعل ما كان غيره أفضل منه لم فعلته ، كما يجتمع مع من لم يقع منه شئ ، لأنها تفيد معنى طلب الثواب أيضًا فيكون معنى عفا اللّه عنك على هذا : أثابك اللّه . وذلك لأن النبىّ ﷺ لم يكن منهيًا عن الإذن لكى يكون إذنه موجبًا لمعصيته ويدل على جواز إذنه ﷺ قوله تعالى فى موضع آخر : ﴿ فَإِذَا استَأذَنُوكَ لِبَعضِ شَأنِهِم فَأذَن لِّمَن شِئتَ مِنهُم وَاستَغفِر لَهُمُ اللّهَ ﴾[٣] .

---

(١) سورة الأنفال آية ٦٧ .

(٢) سورة التوبة آية ٤٣ .

(٣) سورة النور آية ٦٢ .

٣ - آية ﴿وتخشى النَّاسَ واللَّهُ أَحَق أَن تَخشَاهُ﴾[١] :

وأما قوله تعالى : ﴿وَإِذ تَقُولُ لِلَّذِى أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيهِ وَأَنعَمتَ عَلَيهِ﴾ إلى قوله : ﴿وَتَخشَى النَّاسَ واللَّهُ أَحَق أَن تَخشَاهُ﴾ فلا يفيد نسبة العصيان إلى الرسُول ﷺ لوضوح أنه لا يريد خشية التقوى كما يدل عليه سبب النزول ، لأن رسُول الله ﷺ كان يتقى الله حق تقاته ، ويخشاه فيما يجب أن يخشاه فيه ، ومن قال فيه غير هذا فقد طعن فيه ﷺ وإنما يريد خشية الاستحياء ، لأن الحياء كان غالبًا على شيمته ﷺ ، ويشهد لهذا قوله تعالى فى موضع آخر : ﴿إِنَّ ذَلِكُم كَانَ يُؤذِى النبىّ فَيَستَحِى مِنكم﴾[٢] .

٤ - آية ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾[٣] :

وأما قوله تعالى : ﴿عَبَسَ وَتَوَلى أَن جَاءَهُ الأَعمَى﴾ فليس فيه ما يفيد توجه الخطاب إلى النبىّ ﷺ ، وإنما هو إخبار لا تصريح فيه بالمخبر عنه ، فكيف ساغ الدكتور « الثالوث » أن يخصص الخطاب فيها لرسُول الله ﷺ ؟ إن أعداء رسُول الله ﷺ وأعداء دينه ، يحاولون دائمًا أن ينتقصوا من قدره ويحطوا من منزلته ويغضوا من كرامته ﷺ ، ليرفعوا بذلك من شأن أعدائه ﷺ لأن الآية نزلت فى رجل من بنى أمية وكان جالسًا عند النبىّ ﷺ فجاء ابن أم مكتوم ، فلما رآه تقذر منه وجمع نفسه وعبس وأعرض بوجهه عنه ، وقام وانصرف ، فحكى الله تعالى ذلك وأنكره عليه وذلك ما تفيده كلمة ﴿تَوَلى﴾ ، أى : قام وذهب ثم كيف يا ترى غاب عن ذهن الدكتور « الثالوث » بأن ذلك يتنافى مع أخلاق النبىّ ﷺ الكريمة لأن العبوس ليس من صفاته ﷺ والتصدى للأغنياء ، والتلهى عن الفقراء ليسا من أخلاقه مع أعدائه فضلًا عن أوليائه ﷺ .

ويؤكد ذلك قوله تعالى فى وصفه ﷺ : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٤] وقوله تعالى : ﴿لَقَد جَاءَكُم رسُولٌ من أَنفُسِكُم عَزِيزٌ عَلَيهِ مَا عَنِتُم حَرِيصٌ عَلَيكم بِالمُؤمِنِينَ رَءوف رَّحِيمٌ﴾[٥] ، وقوله تعالى : ﴿وَلَو كُنتَ فَظا غَلِيظَ القَلبِ لانفَضوا مِن حَولِكَ﴾[٦] ، فإن هذا كما تراه يتنافى مع ما نسبه الدكتور « الثالوث » إلى النبىّ ﷺ من العبوس ، على أن العبوس والانبساط مع الأعمى لا يوجبان المشقة عليه ، ولا يكون ذنبًا يؤاخذ عليه ولا ينفى عنه العصمة لو سلمناه جدلًا للدكتور ، فكيف استساغ أن ينسب الذنب إليه وينفى العصمة

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٧ .
(٢) سورة الأحزاب آية ٥٣ .
(٣) سورة عبس آية ١ - ٢ .
(٤) سوررة القلم آية ٤ .
(٥) سورة التوبة آية ١٢٨ .
(٦) سورة آل عمران آية ١٥٩ .

عنه ﷺ ؟ فالدكتور «الثالوث» يلصق سيئات الآخرين وقبائحهم بالنبىّ ﷺ، ليصوره للناس شقيًا لا نبيًا، ومجرمًا لا رسُولًا، وأنه يستحق العذاب العظيم الذى توعد اللّه به المجرمين، لا لشئ بل لأن المُسلِمين يقولون بعصمته.

٥ - آية ﴿وَاستَغفِر لِذَنبِكَ﴾[١] وآية ﴿لِيَغفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَمَ مِن ذَنبِكَ﴾[٢]:

وأما قوله تعالى ﴿وَاستَغفِر لِذَنبِكَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَاستَغفِر لِذَنبِكَ وَلِلمُؤمِنِينَ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحنَا لَكَ فَتحًا مُبِينًا لِيَغفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأخر﴾[٤]، فلا شئ منه يفيد وقوع المعصية من النبىّ ﷺ، وذلك لأن كلمة الذنب من المصادر التى تجوز إضافتها إلى الفاعل والمفعول معًا، فتكون إضافتها هنا إلى المفعول بقرينة ما تقدم من الآيات الدالة على عصمته من كل الذنوب، ويعنى ذلك ما وقع من ذنب المشركين إليه وتجنيهم عليه ﷺ، ومنعهم له من نشر دعوته وصدهم إياه عن دخول المسجد الحرام، فيكون مفاد هذه الآيات، أن اللّه تعالى قد أزال عن نبيه ﷺ أحكام أعدائه، وجزاه على جهاده العظيم الثواب الجزيل.

على أن الآية الأخيرة لا تريد مغفرة ذنوبه لأنه لو أراده لزم ألا يكون لقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحنَا لَكَ فَتحًا مُبِينًا﴾[٥] معنى فى الوجود، وذلك لعدم تعلق مغفرة الذنوب بالفتح المبين، ولا يصح أن يكون وجها له لوضوح بطلانه.

وأما قوله تعالى: ﴿مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّر﴾[٦] فإنه يريد ما تقدم زمانه من اعتدائهم عليه ﷺ وتعديهم على المؤمنين من أصحابه ﷺ، وهذا واضح لا غبار عليه.

وأما قوله تعالى: ﴿وَوَضَعنَا عَنكَ وِزرَكَ﴾[٧] فمفهومه واضح وذلك لأن الوزر لغة هو الثقل، ومنه اشتق اسم الوزير لتحمله أثقال الدولة، فكل شئ أثقل الإنسان وأوجب غمه وكدره يسمى وزرًا، فالمراد به إما تخفيف أعباء النبوة التى تثقل الظهر من القيام بأمرها فسهل اللّه ذلك على نبيه ﷺ حتى تيسر له، أو المراد به أنه تعالى عصمه ﷺ عن احتمال الوزر لأن المقصود من الوضع ألا يكون عليه ثقل، أو المراد به إزالة غمه ﷺ بما كان عليه

---

(١) سورة غافر آية ٥٥.
(٢) سورة الفتح آية ٢.
(٣) سورة محمد آية ١٩.
(٤) سورة الفتح آية ١ - ٢.
(٥) سورة الفتح آية ١.
(٦) سورة الفتح آية ٢.
(٧) سورة الشرح آية ٢.

قومه من الشرك، وما كان يلحقه وأصحابه المؤمنين به من أذى قومه، فشبه الله تعالى غمه وهمه بالثقل وليس المراد به ما يستحق عليه العقاب، كما توهمه الدكتور «الثالوث» لأن ذلك لا يجوز على النبيّ ﷺ إطلاقًا ولا يناسبه قوله في أول السورة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ وقوله تعالى فيما بعد: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾[1]، فإن شرح الصدر ورفع الذكر لا يكونان من الله تعالى للعاصي لو صح ما زعمه الدكتور «الثالوث».

٦ - التأويلات الشيطانية في سورة الضحى آية صادقة لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾[2].

لا غرابة في عداء المجرمين للأنبياء السابقين واللاحقين، لأن ذلك من مظاهر العداء بين الخير والشر، وبين الحق والباطل.

ونسأل إذا كان سبحانه هو الذي جعل للأنبياء أعداء من المجرمين، كما يظهر في سياق الآية، فلماذا يعاقبهم على عداوتهم للأنبياء؟ وأيضًا كيف أمر باتباع الأنبياء ثم جعل لهم أعداء يقاومونهم، ويغرون الناس بالكفر بهم وبرسالتهم؟.

الجواب: إن الله سبحانه بعث الأنبياء، وجعل مهمتهم الدعوة إلى الله والعدل، ونبذ الظلم والوثنية، وهذه المهمة بطبيعتها تستدعي التناقض والصراع بين الأنبياء وبين عبدة الأوثان والمستغلين، فالله سبحانه وتعالى سَبَّبَ البعثة، والبعثة سَبَبُ العداء، ولهذا الاعتبار نسب العداء إليه مجازًا جل ثناؤه. قال حكاية عن نوح: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾[3] فالفرار يستند إلى دعوة نوح، ودعوته تستند إلى أمر الله تعالى، وزيادة في التوضيح نضرب هذا المثال: رجل ترك ثروة لولده، سببت له عداوة الحساد، فيقال مجازًا خلق له والده حسادًا.

أولًا: التأويلات الشيطانية لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾[4]:

يتخرص المجرمون الَّذِينَ يسيرون على نهج ثالوث التكفير - ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب - بتفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ بما يؤدي إلى عدم توقير النبيّ ﷺ ونعته بما لا يليق بمقامه ﷺ.

---

(١) سورة الشرح آية ٤.
(٢) سورة الفرقان آية ٣١.
(٣) سورة نوح آية ٥ - ٦.
(٤) سورة الضحى آية ٦.

فيقول هؤلاء المجرمون عن الطفولة المحمدية اليتيمة بما يثير الإشفاق عليه ، ويذكرون أخبارًا تفيد أن السيدة حليمة السعدية قد قبلته رضيعًا بعد أن لفظته المراضع ، ولم تجد لتأخرها عن ركب المراضع فى رحاب مكة رضيعًا سواه ، فأخذته وودت لو عثرت على طفل سواه تنال به الغنى والجاه ، ولكن هكذا أراد الله ، وتساءلت وفى النفس حسرة عن سوء الفهم وكثرة الوهم التى تنتاب المجرمين وقد ارتفعت أصواتهم والتهبت حناجرهم وهى تدور حول هذه المعانى السقيمة ، والأفهام العقيمة .

الرد على التأويلات الشيطانية لثالوث التكفير فى سورة الضحى :

١ - ترى !! أيليق بهذا المختار أن تأباه المرضعات وهو من هو فى حسبه ونسبه قبل بعثته ورسالته ؟! وهل يقبل العقل أن يفرط السيد عبد المطلب وهو ملك العرب يومئذ أن يفرط فى حفيده ، فلذة كبده وابن عبد الله الذى شهدت له الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها حفل افتدائه بمائة ناقة ، كما افتدى الله جده إسماعيل بذبح عظيم ؟!.

وهل يلقى بثمرة فؤاده إلى أول قادمة عليه دون روية وتفكير ، أو أن هذا الأمر قد تم بعد اختيار واختبار ، وأن هذا اليتيم يحوى معنى أسمى وأجل من ذلك ؟.

٢ - قال القرطبى فى تفسيره : حفظ الله تعالى نبيه من صغره ، وتولى تأديبه بنفسه ، ولم يكله فى شئ من ذلك لغيره ، ولم يزل الله تعالى يفعل ذلك به ﷺ حتى كرّه إليه أحوال الجاهلية ، وحماه منها فلم يجبر عليه شئ منها . كل ذلك لطف به ، وعطف عليه وجمع للمحاسن لديه . اهـ .

٣ - وأخرج ابن عساكر : أن أبا بكر رضى الله عنه قال : (يا رسُول الله ، طفت فى العرب وسمعت كلام فصحائهم فما سمعت أفصح منك فمن أدبك ؟ قال : أدبنى ربّى ونشأت فى بنى سعد)[1] رواه الطبرانى .

لحق أبوه عبد الله بالرفيق الأعلى وهو فى بطن أمه ﷺ وتوفت أمه السيدة آمنة بنت وهب وهو ابن أربع سنوات وقيل ست فتولاه وأدبه بآداب العبودية ، وهذبه بمكارم الأخلاق كما قال ﷺ : (أعطيت تمام مكارم الأخلاق ، وكمال محاسن الأفعال) وكما قالت السيدة المصونة صاحبة الطهر والعفاف الصديقة بنت الصديق الأكبر أم

---

(١) أورده المتقى الهندى فى كنز العمال ٤١٩٤٢ ، ٣٢٠٢٤ .

المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها : (كان خلقه القرآن)[1] رواه الإمام أحمد ، فليس لأحد من البشر فضل عليه فى تربيته .

٤ - يقول محمد بن إسحاق فى سيرة ابن هشام فلما وضعته أمه ﷺ أرسلت إلى جده السيد عبد المطلب أنه قد وُلِدَ لك غلام فأخذه فدخل به الكعبة فقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها ، والتمس لرسول الله ﷺ الرضعاء ، فاسترضع امرأة من سعد بن بكر يقال لها حليمة ابنة أبى ذؤيب هو : عبد الله بن الحارث بن سجنة بن جابر بن رزام ناصرة فصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن .

٥ - ألست معى أيها القارئ الكريم فى أن السيد عبد المطلب قد استدعى هذه المرضعة لاختبار مدى صلاحيتها لمهمة إرضاع هذا الغلام الذى تحدثت عنه مكة عام الفيل ، وما سيكون له من شأن خطير... تأمل معى كلمات السيرة بنصها : التمس ، استدعى ، استرضع ، أليست الألف والسين والتاء للطلب كما يقول النحاة ؟.

٦ - اقرأ معى هذا الحوار بين سيد العرب والمرضعة المستدعاة جاء فى السيرة الحلبية : ٩٤/١ وما بعدها رواية السيدة حليمة السعدية فى لقائها مع السيد عبد المطلب .. تقول : استقبلنى عبد المطلب فقال : من أنت ؟.

قلت : أنا امرأة من بنى سعد .

قال : ما اسمك ؟.

قلت : حليمة .

تبسم عبد المطلب وقال : بخ بخ ، سعد وحلم خصلتان فيهما خير الدهر وعز الأبد . ويطمئن الرجل لحسن اختياره المرضعة التى تليق بولده فيأذن لها فى حمله والتوجه به إلى بيتها .

مرضعات سيدنا رسول الله ﷺ :

ولا يفوتنى فى هذا المقام التنويه بمن تشرفن برضاعه ﷺ بعد أمه السيدة آمنة أفضل امرأة

---

(١) رواه مُسلِم فى كتاب المسافرين الحديث رقم ١٣٩ وأحمد فى الجزء السادس صفحة ٩١ ، ١٦٣ والبيهقى = فى السنن الكبرى ٢ / ٤٩٩ وأبو نعيم فى دلائل النبوة ٥٦/١ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٩٢/٧ ، ٣١٨ والبهقى فى دلائل النبوة ٣١٠/١ والسيوطى فى الدر المنثور ٢١٥ ، ٢٥٠١٦ والمتقى الهندى فى كنز العمال ١٨٣٧٨ ، ١٨٧١٨ والبخارى فى الأدب المفرد ٣٠٨ وفى أخلاق النبوة ٢٩ وابن كثير فى البداية والنهاية ٤١/٦ وفى مناهل الصفا ١٥ وابن كثير فى تفسيره ٤٥٤/٥ ، ٣١٤/٨ والطبرى فى تفسيره ١٣/٢٩ والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار ٣٥٢/٢ .

يومئذ فى قريش فقد أرضعته سبعة أيام ثم كانت (ثويبة) جارية أبى لهب التى أعتقها بسبب إخبارها أبا لهب بأنه قد ولد لابن أخيه غلام، كما أرضعته ثلاث نسوة من سليم أخرجن ثديهن فوضعنها فى فمه الشريف، فدرت فيه فرضع منهن، وكذلك أرضعته أم فروة أهـ. ثم أرضعته سعيدة بنى أسد السيدة حليمة السعدية.. واختلف فى رضاعه ﷺ من أم أيمن.. وأصح الأقوال أنها حاضنته لا مرضعته فتكون مرضعاته حينئذ ثمانية.

حكمة رفع أشراف العرب أولادهم إلى المراضع:

١ - روى الطبرانى بسنده عن أبى سعيد الخدرى رضى اللّه عنه: (أنا النبىّ لا كذب أنا ابن عبد المطلب، أنا أعرب العرب ولدتنى قريش ونشأت فى بنى سعد بن بكر فأنى يأتينى اللحن)[1] قال صاحب «الروض»: إنما رفع أشراف العرب أولادهم إلى المراضع فى القبائل ولم يتركوهم عند أمهاتهم لينشأ الطفل فى الأعراب فيكون أفصح للسانه وأجلد لجسمه.

٢ - ويروى ابن سعد فى طبقاته: (أنا أعربكم ومن قريش ولسانى لسان سعد بن بكر)[2] وقوله ﷺ (ولسانى لسان سعد بن بكر) لكونه قد استرضع فيهم، وكانت العرب تعتنى باسترضاع أولادها عند نساء البوادى.

٣ - قال الزمخشرى: هذا اللسان العربى كأن اللّه عزت قدرته محضه، وألقى زبدته على لسان النبىّ ﷺ أهـ.

ولعل تعدد طرق الحديث تعطيك فائدة أن استرضاعه فى هذه القبيلة التى تعد من أفصح القبائل الناطقة بالعربية كانت محل فخر منه ﷺ، وأن ذهابه إليها لم يكن عفوًا وصدفة، وإنما تم عن اختيار وتمحيص، ولم يكن - حاشاه - قد سيق إلى مرضعة بعد أن أبته المرضعات كما جاء.

الحافظ بن حجر يرد على من يصف النبى باليتم المادى:

سئل الحافظ ابن حجر عما يقع من بعض الوعاظ فى الموالد فى مجالسهم الحافلة المشتملة

(١) رواه البخارى فى كتاب الجهاد الباب ٥٢، ٦١، ٩٧، ١٦٧ وكتاب المغازى الباب ٥٤ ومُسلِم فى كتاب الجهاد الحديث رقم ٧٨ - ٨٠ والترمذى فى كتاب الجهاد الباب ١٥ وأحمد فى الجزء الرابع صفحة ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٩، ٣٠٤.

(٢) أورده المتقى الهندى فى كنز العمال ٣١٨٨٤ وابن سعد فى الطبقات الكبرى ٧١/١/١ وابن كثير فى البداية والنهاية ٢٧٧/٢ وفى مناهل الصفا ١٢ والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار ٣٦٤/٢.

على الخاص والعام من الرجال والنساء ومن ذكر النبىّ ﷺ بما يخل بكمال التعظيم حتى يظهر للسامعين لها حزن ورقة فيبقى ﷺ فى حيز من يرحم لا من يعظم، كقول بعضهم: لم تأخذه المراضع لعدم ماله إلا حليمة السعدية رغبت فى رضاعه شفقة عليه، فأجاب بما نصه: ينبغى لمن يكون فطنًا أن يحذف من الخبر ما يوهم فى المخبر عنه نقصًا ولا يضره ذلك بل يجب. هذا جوابه بحروفه نقله السيوطى اهـ.

يتم الرسول ﷺ يتم معنوى يفيد فوزه بكل الكمالات الإنسانية:

قلت: فإذا ذكر يتمه ﷺ يجب أن يشار إلى اليتم المعنوى الذى يفيد تفرده بكل الكمالات الإنسانية، والمزايا المحمدية التى اختصه الله بها دون غيره من المخلوقات، فإن غلامًا أباؤه سادة وللناس قادة، لا تأثير لليتم المادى فى شخصه الكريم.

الفقر فى حقه ﷺ هو الافتقار إلى مولاه والغنى عمن سواه والمسكنة تواضعه:

كما لا يليق أن يوسم بالفقر والفاقة فقد ورد أن الجبال راودته أن تصير ذهبًا بين يديه فأباها لمقتضيات كمال الإيمان من الشكر والصبر.

فيكون الفقر فى حقه ﷺ بمعنى الافتقار إلى مولاه والغنى عمن سواه، وإذا قيل مات النبىّ غريبًا عن وطنه ومسقط رأسه - أجيب بأن الوجود علويه وسفليه وطنه فتكون غربته بمعنى ندرته بين الخلق فهو بشر لا كالبشر وإنما كالياقوت بين الحجر، فالغريب هو الشئ النادر المنقطع النظير. إنك إن فعلت ذلك كنت معظمًا إياه لا مثيرًا الشفقة عليه.. وإذا قرأت حديث: (اللهم أحينى مسكينًا وأمتنى مسكينًا واحشرنى فى زمرة المساكين)[1] فإياك أن يتبادر إلى ذهنك المسكنة بمعنى المذلة إلا إذا قصدت بها التواضع وقد كان هذا شأنه على كل أحيانه: فقد خصف نعله، وخاط ثوبه، وحلب شاته، وساعد خادمه بيده الشريفة تواضعًا منه وهو الرفيع الشأن المرفوع الدرجات ﷺ.

وختامًا لهذه الرؤية الجديدة حول يتمه وإرضاعه أقول: إن مرضعة حصل لها من الخير والبركة وسعة العيش بسبب هذا الرضيع الفرد لحرىّ بها أن تتمسك به، وتتعلق بأهدابه، وتبذل النفس والنفيس للفوز بحضرة جنابه، وتفاخر به بين مثيلاتها وأترابها وأبناء قبيلتها

---

(١) رواه الترمذى فى كتاب الزهد الباب ٣٧ وابن ماجة فى كتاب الزهد الباب السابع.

وأهلها وعشيرتها .

ألم يرتفع به قدرها ؟ ألم يعل به شأنها ؟ ألم تتحقق لها به كل ألوان السعادة ؟ ألم تفز ببركته بالخاتمة الحسنى وزيادة ؟ .

لقد بلغت بسيدنا محمد ﷺ مقامًا علا فى ذروة العز والمجد وزادت مواشيها وأخصب ربعها وقد عم هذا السعد كل بنى سعد .

ثانيًا : تفسير المجرمين لقوله تعالى : ﴿ ووجدك ضالا فهدى ﴾[1] :

يتخرص المجرمون الَّذِينَ يسيرون على نهج ثالوث التكفير - ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب - بتفسير قوله تعالى : ﴿ **وَوَجَدَكَ ضَالا فَهَدَى** ﴾ بما يؤدى إلى عدم توقير النبىّ ﷺ ونعته بما لا يليق بمقامه الرفيع ﷺ فيقول هؤلاء المجرمون :

إنه كان ﷺ يعيش فى مكة كأحد رجالاتها الضلال ، أى كان واحدًا منهم لا يعرف علمًا ولا شرعًا ولا إيمانًا ولا إسلامًا ، فهداه اللَّه تعالى إلى النبوة والشريعة .

بهذا الفهم العقيم السقيم الذى يتشدق به المبطلون من مقلدى ثالوث التكفير ، فى عدم توقيرهم وإيذائهم له ﷺ لاعتقادهم الفاسد أن كل ما فيه إجلاله ﷺ من قول أو فعل هو عبادة له ، وبالتالى فهو شرك من قائله أو فاعله ، فسجلوا على أنفسهم للعالم الإسلامى أنهم موتورون منه ﷺ ، يسوؤهم ما فيه توقيره ، ويسرهم ما فيه انتهاك حرمته ﷺ .

وفى نظرات متأملة إلى سورة (الضحى) نجد أن مادة ﴿ **ضَلّ** ﴾ قدألقت ضوءًا على الآية الكريمة ﴿ **وَوَجَدَكَ ضَالا فَهَدَى** ﴾ فكانت ذُكرىٰ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . وفى جولة سريعة بين كتب اللغة والتفاسير نجد معانى تحتملها اللغة وترتاح إليها النفوس المشرقة ، والأذهان الصافية ، والبصائر النافذة ، كما تعيها الآذان الواعية .

كما نجد تفسيرات تستند إلى الخبر والأثر فيطمئن إليها القلب ، ومن جماع هذا كله نجد هذه التفسيرات :

١ - وردت كلمة (ضَلَّ) بمعنى الغيبة كقولهم : (ضَلَّ اللَّبَنُ فَى المَاءِ) أى غاب فيه وذاب ، فهذا هو مقام الفناء الذى يعنى شدة المحبة للمحبوب ، وذلك لما خلع على نبيه ومصطفاه

---

(١) سورة الضحى آية ٧ .

من الخلع الذاتية والصفاتية حتى تغيبه فيه، فأفناه عنه، وأبقاه به، فكأنه هو، ولولاه ما كان هو، فلما رآه الخلق فيه، اهتدوا إليه به، لأنه الباب الأعظم للدخول على الجناب المقدس، ومن أخطأ الباب حرم على حضرة الجناب.

٢ - يقول الكلبى والفراء ونحوه عن السدى عن قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالا فَهَدَى﴾ ووجد قومك فى ضلال فهداك إلى إرشادهم، وقال صاحب تفسير «المحيط» أبو حيان الأندلسى فى تفسيره: أى ووجد رهطك ضالًا فهداه بك، وهو حذف مضاف على حد قولهم: ﴿وَاسأَلِ القَرِيَةَ﴾[1] أى أهل القرية.

٣ - ويكون الضلال بمعنى الطلب، أى ووجدك طالبًا لله فهداك إليه، كما كنت طالبًا للقبلة فهداك إليها سر قوله تعالى: ﴿قَد نَرَى تَقَلبَ وَجهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنكَ قِبلَةً تَرضَاهَا فَوَلِّ وَجهَكَ شَطرَ المَسجِدِ الحَرَامِ وَحَيثُ مَا كُنتُم فَوَلُوا وُجُوهَكُم شَطرَهُ﴾[2].

٤ - ويكون «الضلال» بمعنى المحبة، أى ووجدك محبًا للهداية فهداك إليها، بالإكثار من ذكره سبحانه وتعالى والتوقع للقائه، وجعله فيه لتمكنه ودوامه عليه، كما قال تعالى: ﴿قَالُوا تَا اللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ القَدِيمِ﴾[3] والضلال هنا يعنى الحب أى فى إفراطك فى محبة يوسف.

٥ - وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام كنت ضالًا عن محبتى لك فى الأزل، فمننت عليك بمعرفتى.

٦ - وقيل: وجدك ضالًا عن معنى محض المودة، فسقاك كأسًا من شراب القربة والمودة، فهداك به إلى معرفته عز وجل.

٧ - وقال ابن عباس: ضل النبىّ ﷺ وهو صغير فى شعاب مكة فرآه أبو جهل فرده لجده عبد المطلب وهو يتعلق بأستار الكعبة يتضرع إلى الله تعالى أن يرده عليه، وذكر أن أبا جهل أناخ الناقة وأركبه من خلفه فأبت أن تقوم، فأركبه أمامه فقامت، فكأن لسان حال الناقة تقول لأبى جهل: يا أحمق، هو الإمام فكيف يقوم خلف المقتدى.

وفى إرجاع النبىّ ﷺ إلى أهله على يد أبى جهل، يشبه إرجاع موسى إلى أمه على يد فرعون.

---

(١) سورة يوسف آية ٨٢.
(٢) سورة البقرة آية ١٤٤.
(٣) سورة يوسف آية ٩٥.

٨ - وتكون معنى «الضِلة» الحذق والمهارة فى الدلالة على اللّه عز وجل .

٩ - وأما بفتح الضاد من «الضَلة» فمعناها : الحيرة ، ويكون المعنى : أنه كان متحيرًا مشتاقًا قلقًا لتأخر نزول الوحى ، فأقسم له ربه أنه ما ودعه وما قلاه ، كما يدعى خصومه وأعداؤه قال تعالى : ﴿وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾(١) .

١٠ - وقال الجنيد رضى اللّه عنه : أى ووجدك متحيرًا فى بيان الكتاب المنزل عليك فهداك لبيانه .

١١ - وقيل إن النبىّ ﷺ كان حائرًا فى أمر قومه ، وضلالهم فى عقائدهم وتقاليدهم ، وفساد أعمالهم وجهلهم وتفرق كلمتهم ، ولا يدرى ما هو السبيل إلى هدايتهم ، حتى نزل عليه الوحى فيه تبيان كل شئ ، وهدى ورحمة للعالمين ، فالضلال هنا بمعنى : «الحيرة» كيف يهدى الكافرين ؟ فهداه اللّه بنزول القرآن عليه .

١٢ - وقال بعض المتكلمين : إذا وجدت العرب شجرة منفردة فى فلاة من الأرض لا شجر معها سموها : «ضالة» فيهتدى بها إلى الطريق ، ويستظل بظلها ويؤكل ثمارها ، ويخلد المارة للراحة تحتها ، والمراد : لما وجدك وحدك ليس معك أحد فهدى الناس إليك ولم يتركك منفردًا ، فرسُول اللّه ﷺ تلك الشجرة ذات الأصل الثابت ، وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، فأصل الشجرة الإسلام ، وفرعها العبادات ، وثمارها الأحوال والمقامات .

١٣ - ويقول القرطبى : ﴿وَوَجَدَكَ ضَالا فَهَدَى﴾(٢) أى لا أحد على دينك ، وأنت وحيد ليس معك أحد ، فهدى بك الخلق إلى اللّه «راجع القرطبى فى تفسير سورة الضحى صفحة ٧١٨١ طبعة دار الشعب» .

١٤ - وقيل المعنى ووجدك ضالًا بين الناس ، لا يعرفون حقك فهداهم إليك ، ودلهم عليك .

١٥ - وقيل : ﴿وَوَجَدَكَ ضَالا﴾ بمعنى : مضلول كما قيل : ماء دافق بمعنى : مدفوق ، وسر كاتم بمعنى : مكتوم ، فهدى الخلق إلى الإقرار بنبوتك ، والاعتراف بصدقك .

١٦ - وقد ترد كلمة «الضَّلَالَ» بمعنى «الغفلة» فيكون المعنى : أن الحق تبارك وتعالى وجدك غافلًا عن قدر نفسك فهداك أى أطلعك على عظيم مقامك ليلة الإسراء

---

(١) سورة الضحى آية ١ - ٣ .

(٢) سورة الضحى آية ٧ .

والمعراج، فرجعت عن قولك: (لا تفضلونى على نبىّ اللّه يونس) وذلك بعد رحلة التفضيل على سائر الأنبياء والمرسلين، تلك الرحلة الخالدة التى تمت على مشهد من الرسل الكرام، فرأيت مالم يشهد النظراء، حيث رأيت الآية الكبرى، وهى رؤية ربك بعين رأسك.

فإن الذى أفردك بالمقام المحمود والشفاعة العظمى فى الآخرة لا يعجزه أن يقربك بمقام الرؤية فى الدنيا، لتزيد على الخليل فى خلته، وعلى الكليم فى كلامه، وتفضل على الجميع برؤيته.

قال الحافظ بن حجر: إضافة الرؤية للعين للاحتراز عن رؤية القلب، فقد أثبت اللّه لحبيبه رؤية القلب بقوله: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[1] كما أثبت له رؤية العين بقوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾[2] وجزم بما قاله ابن عباس: إنها رؤية عين ليلة الإسراء.

وقال بذلك مجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغير واحد وهو الصحيح.

عذرًا سيدى يا رسُول اللّه من أقوال المبطلين، الَّذِينَ سجل القرآن عليهم أنهم آذوا الأنبياء وكادوا لهم فى كتابه فى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ النبىّ﴾[3] وفى قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِ نبىّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾[4] وفى قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِ نبىّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإنسِ وَالْجِنِّ﴾[5].

فذرهم وما يفترون، لأنك الرحمة التى سبقت غضب الرحمن، الذى قال: (ورحمتى سبقت غضبى)[6].

ولأنك القبضة النورانية التى قبضها الحق من نوره قبل أن يخلق الخلق ثم قال لها: (كونى محمدًا) فكنت أنت حكمة الكون، ولولاك لدامت فى غيبها الأشياء.

---

(١) سوررة النجم آية ١١.
(٢) سورة النجم آية ١٧.
(٣) سورة التوبة آية ٦١.
(٤) سورة الفرقان آية ٣١.
(٥) سورة الأنعام آية ١١٢.
(٦) رواه البخارى فى كتاب التوحيد الباب ١٥، ٢٢، ٢٨، ٥٥ وكتاب بدء الخلق الباب الأول ومُسلِم فى كتاب التوبة الحديث رقم ١٤ - ١٦ وابن ماجة فى كتاب الزهد الباب ٣٥ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ٢٤٢، ٢٥٨، ٢٦٠، ٣١٣، ٣٥٨، ٣٨١، ٣٩٧، ٤٣٣، ٤٦٦.

ولأنك النعمة والمنة التى امتن الله بها على عباده، فارتضاك الله لهم بدءًا وختامًا، كما قال تعالى: ﴿ اليومَ أكملتُ لكم دِينَكم وأتممتُ عليكم نِعمتِى ورَضِيتُ لكُمُ الإسلَام دِينًا ﴾[1].

تجريد الأنبياء من العصمة قديمًا فرية يهودية:

إن فرية تجريد الأنبياء من العصمة فرية يهودية ذهبت بأهلها فيما مضى حتى دسوا فى كتبهم أكاذيب مفضوحة، جعلت لوطًا زانيًا بابنتيه، وداود زانيًا قاتلًا، وسليمان مرتدًا عابدًا لوثن، إلى آخر هذه الأكاذيب المصنوعة.

تجريد النبى ﷺ من العصمة حديثًا فرية وهابية:

إن فرية تجريد النبىّ ﷺ من العصمة فرية وهابية تستعمل اليوم كأقرب وسيلة للثراء المأمول من شيوخ البترول فما على شيوخ القحط فى مصر الطالبين للشهرة أو المبتلين بجمع المال، إلا أن يسبوا النبىّ ﷺ وأهل بيته، وأن يحملوا على أبويه وعمه وجده، وأن يطعنوا فى أولياء الله والأئمة والسلف الصالح، وأن يهدموا التصوف بحقد أسود لا أدب معه ولا علم فيه، وأن يروجوا لحركة (القرأنة) التى تدعو إلى نبذ السنة والاكتفاء بالقرآن، وأن يؤلفوا كتبهم فى تحريم ذكر النبىّ ﷺ بالسيادة أو وصفه بالنورانية أو بالملاحة، وأن يعتبروا المساجد الملحقة بالأضرحة بناءات وثنية خير منها المواخير وعلب الليل ومستنقعات الفجور والدعارة، وأن يرموا المتوسل به ﷺ بالشرك والكفر. فإذا فعلوا ذلك فلا يلبثوا أن تتلقفهم أيدى شيوخ النفط فتتخمهم بالمال وترفع حولهم الصيت والشهرة وتكلل رؤوسهم بغار الإصلاح والإمامة والتوحيد ونصرة السنة والعمل بالكتاب والهدى النبوى وما أسرع ما يسمى عندهم «الإمام» وتبنى لهم المؤسسات والعمائر وتمنح السيارات والمكتبات.

إن أيدى شيوخ النفط التى تحرك هؤلاء الإمعات من شيوخ القحط تستغلهم ضد دينهم، يهمهما ألا ينصرف هؤلاء إلى معالجة الأمور الجادة المتفق على خطورتها، كالإلحاد والانحلال والتدهور الخلقى والنفسانى والاقتصادى والاعتقادى والاجتماعى والاستعمارى بألوان الانحراف الفكرى، والوجودية والحروب المحلية والعلمانية، والاستشراق والتبشير والصهيونية والشيوعية والأخطار الاستعمارية التى تشتعل فى الأقطار الإسلامية، والهول

---

(١) سورة المائدة آية ٣.

الرهيب فى وسائل الإعلام والإعلان بأنواعها، كل ذلك لا نسمع فيه لشيوخ القحط ركزًا ولا نحس لهم معه همسًا، بينما ترتفع العفائر وتصطخب الأصوات وتبح الحناجر، وتوقد نار الحروب، إذا قال قائل بحق: إن الرسُول معصوم، وإنه سيد خلق اللّه، أو احتفل بمولده، أو زار مشاهد الأنبياء والأولياء أو والى أهل البيت.

(لا تقوم الساعة حتى يتحدث الرويبضة)[1]:

الرويبضة هو: المخلوق الجامع لعيوب العقل والأخلاق والتفاهة، وهذا هو ما نراه اليوم فى شيوخ القحط الَّذِينَ يلهثون وراء شيوخ النفط مع ضحالة علمهم وأدبهم وعفن ريحتهم.

أخى فى اللّه وحبيبى فى رسُول اللّه ﷺ:

هذه الأبواب التى كتبتها فى عصمة الأنبياء، دواء ناجع ومصل واقٍ للحصانة من إيدز الوهابية الذى يصيب القدرة على المناعة الإسلامية ضد البوذية والشيوعية والصهيونية، التى تصعق وتقتل وتدمر وتخرب بلاد المُسلِمين، فى فلسطين ولبنان وإرتيريا والصومال والفلبين وبلغاريا وألبانيا والمغرب والبلساريو وليبيا وتشاد والعراق وإيران والسودان شماله وجنوبه، والبوسنة والهرسك وبورما وكشمير، حتى يتحول العالم الإسلامى إلى شئ هو كفر لا إسلام.

وللّه الأمر من قبل ومن بعد

(١) رواه أحمد فى الجزء الثانى صفحة ٢٩١، ٣٣٨ والجزء الثالث صفحة ٢٢٠ وابن ماجة فى كتاب الفتن الباب ٢٤.

الباب السادس

الأوراد والصلوات والأذكار

الفصل الأول

الأوراد

حقيقة الأوراد وتلاوتها:

الورد المتواصل فى كل ساعة وحين، سمة من سمات الشخصية الربانية، وصفة تحتاج لمجاهدة وتربية حتى يلتزم بها المُسلِم وتصبح جزءًا من مكوناته، وهو دليل على الارتباط الكامل باللَّه، والعيش معه، وفى رحابه، يمد الإنسان بالاستقرار والطمأنينة، ويدفعه للبذل والعطاء، ويبعده عن اليأس والإحباط، ويمنحه القدرة على مواجهة الضغوط والتحديات، وهو شعور بمعيَّة اللَّه ورقابته، يعينه على القيام بالطاعات بشوق العابد العارف، ويحجزه عن المعاصى بنفسية المؤمن الشاكر.

والورد هو ذكر لله يغرس فى أعماق المؤمن مجموعة من المعانى تعجز أحيانًا المعارف عن غرسها بتلك الكيفية وذلك العمق، وهو علامة على توحيد اللَّه والإيمان به والتوكل عليه والثقة به، كما هو دليل على حاجة العبد وعبوديته، وهو فى كل الأحوال مخ العبادة.

أهمية الورد فى حياة المُسلِم:

للورد أهميته القصوى فى حياة الإنسان، وفوائده المتعددة، التى لا يستغنى عنها فى حال من الأحوال، إذ الدعاء جسر يوصلك إلى تقوى اللَّه تعالى، ويربطك ربطًا قويًا بالإيمان بالغيب الذى هو أبرز صفات المتقين.

قال الله تعالى: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1].

والورد وسيلة ناجحة للقرب من عظمة الله تعالى والاتصال به ومناجاته والتوكل عليه، وذلك هو سر النجاح فى كل الأمور، قال الله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾[2].

والورد سلاح للمؤمن يدرأ به كثيرًا من البلايا والأخطار وكثيرًا من الأمراض والأقدار.

الورد دأب الأنبياء السابقين وسجيتهم:

فآدم لجأ إلى الدعاء فقال: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[3].

ونوح دعا على قومه فقال: ﴿رب لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾[4].

وإبراهيم دعا لنفسه وذريته والمؤمنين فقال: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾[5].

وزكريا دعا ربه ليرفع عنه داء العقم فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[6].

وقال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾[7].

وموسى دعا لنفسه فقال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾[8].

وأيوب دعا لكشف الضر عنه فقال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[9].

---

(٠) سورة البقرة آية ٢ - ٣.
(١) سورة هود آية ١٢٣.
(٣) سورة الأعراف آية ٢٣.
(٤) سورة نوح آية ٢٦.
(٥) سورة إبراهيم آية ٤٠ - ٤١.
(٦) سورة آل عمران آية ٣٨.
(٧) سوررة الأنبياء آية ٨٩.
(٨) سورة طه آية ٢٥ - ٢٨.
(٩) سورة الأنبياء آية ٨٣.

وهكذا ظل الأنبياء والصالحون يضرعون إلى الله بالدعاء الذى هو مفتاح لكل خير.

أوراد فى كتاب الله :

جاء فى الكتاب العزيز روائع من المدح والثناء على أهل الأوراد وورد فيه بيان لعظمتها ونفعها للمؤمن، فقد أمر الله بالدعاء وجعله العبادة، وعيّن المصير الموحش الذى يصير إليه من أعرض عن الذكر، أو استنكف عن الدعاء فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[3].

وجعل الله الدعاء سببًا للرحمة ووسيلة للقرب منه تعالى فقال: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾[5] وقال تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[6].

وبيّن الله تعالى لرسُوله ﷺ أنه قريب من عبده المؤمن إذا دعاه، وأنه يستجيب له فقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[7].

الورد فى السنة :

عن علىّ عليه السلام قال: قال رسُول الله ﷺ: (إن الدعاء يرد القضاء، وإن البر يزيد فى العمر، وإن الحج لينفى الفقر، وإن صدقة النهار تدفع ميتة السوء، وإن صدقة الليل تطفئ غضب الرب تبارك وتعالى)[8].

---

(١) سورة طه آية ١٢٤.
(٢) سورة غافر آية ٦٠.
(٣) سورة الأحزاب آية ٤١ - ٤٢.
(٤) سورة الفرقان آية ٧٧.
(٥) سورة الأعراف آية ٢٠٥.
(٦) سورة الأعراف آية ٥٦.
(٧) سورة البقرة آية ١٨٦.
(٨) رواه الترمذى ٢١٣٩ وابن ماجة ٩، ٤٠٢٢ والحاكم فى المستدرك ١ /٤٩٣ والطبرانى ٢ / ٩٧، ٦ / ٣٠٨ =

عن ابن عباس رضى اللّه عنهما قال : قال رسُول اللّه ﷺ (من لزم الاستغفار جعل اللّه له من كل ضيق مخرجًا ، ومن كل هم فرجًا ، ورزقه من حيث لا يحتسب)[1] .

عن حذيفة بن اليمان قال : أتيت رسُول اللّه ﷺ فقلت : يا رسُول اللّه إن فى لسانى ذربًا على أهلى فقد خشيت أن يدخلنى ذلك النار . قال : (فأين أنت من الاستغفار ، إنى لأستغفر اللّه فى كل يوم مائة مرة)[2] .

عن أنس بن مالك قال : كنا مع النبىّ ﷺ فى سفر ، فقال لنا : (استغفروا اللّه .. فاستغفرنا ، فقال لنا أتموها سبعين مرة ، فما من عبد ولا أمة استغفر اللّه فى يوم وليلة سبعين مرة إلا غفر اللّه له سبعمائة ذنب ، وقد خاب عبد أو أمة أصاب فى يوم وليلة سبعمائة ذنب)[3] .

عن البراء بن عازب قال : قال رسُول اللّه ﷺ : (إن الدعاء هو العبادة)[4] ، ثم قرأ : ﴿ ادعُونِى أَستَجِب لَكُم ﴾[5] .

عن عبد اللّه بن مسعود قال : قال رسُول اللّه ﷺ : (حصنوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصدقة ، وأعدوا للبلاء الدعاء)[6] .

= والبغوى فى شرح السنة ١٣ / ٦ والتبريزى فى مشكاة المصابيح ٢٢٣٣ .

(١) رواه ابن ماجة فى كتاب الأدب الباب ٥٧ والمنذرىفى الترغيب والترهيب ٤٦٨/٢ ، ٦١٧/٢ والنووى فى الأذكار النووية ٣٥٩ ، والبيهقى فى السنن الكبرى ٣١٥/٣ والطبرانى فى المعجم الكبير ٣٤٢/١٠ والبغوى فى شرح السنة ٧٩/٥ والتبريزى فى مشكاة المصابيح ٢٣٣٩ والسيوطى فى الحاوى للفتاوى ٢٠/٢ وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق ٤/ ٢٤٨ ، ٤٠٣ وأبو نعيم فى الحلية ٣/ ٢١١ .

(٢) رواه مُسلِم فى كتاب الذكر الحديث رقم ٤١ وأبو داود فى كتاب الوتر الباب ٢٦ والترمذى فى كتاب تفسير القرآن (تفسير سورة محمد) الباب الأول وابن ماجة فى كتاب الأدب الباب ٥٧ والدارمى فى كتاب الرقاق الباب ١٥ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ٤٥ والجزء الرابع صفحة٢٦٠ والجزء الخامس صفحة ٣٩٤ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٤٠٢ .

(٣) أورده الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ٣٩٣/٦ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٣٩٦٧ .

(٤) رواه الترمذى فى كتاب تفسير القرآن (سورة البقرة) الباب ١٦ ، ٤٠ وابن ماجة فى كتاب الدعاء الباب الأول وأحمد فى الجزء الرابع صفحة ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٦ .

(٥) سورة غافر آية ٦٠ .

(٦) رواه البيهقى فى السنن الكبرى ٣٨٢/٣ ، والهيثمى فى مجمع الزوائد ٦٣/٣ والطبرانى فى المعجم الكبير ١٥٨/١٠ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٥٢٠/١ والمتقى الهندى فى كنز العمال ١٥٧٥٩ ، ١٥٧٦٠ ، ٤٣٣٠٥ ، ٤٣٣٥٣ ، ٤٣٣٥٤ وأبو نعيم فى الحلية ١٠٤/٢ ، ٢٣٧/٤ والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ٣٣٤/٦ ، ٢٧١٣ وأبو داود فى مراسيل ١٤ .

عن معاذ بن جبل : أن رسُول اللّه ﷺ قال : (لن ينفع حذر من قدر ، ولكن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، فعليكم عباد اللّه بالدعاء)[1] .

أوراد أهل البيت والصحابة والسلف الصالح وحجيتها :

هل الأوراد قاصرة على ما ورد منها فى الكتاب والسنة ؟ أم هى مباحة كما ورد من أئمة أهل البيت والصحابة والتابعين والسلف الصالح وغيرهم من العلماء والعارفين ؟.

إن كثيرًا من الأوراد راجع إلى اجتهادات أئمة أهل البيت والصحابة والسلف الصالح وغيرهم ، وما يفتح اللّه به عليهم ، لأن تقرير ذلك والعمل به صحيح صريح من السنة . وشواهده كثيرة وذلك بتقريره ﷺ لأذكار وأدعية كثيرة سمعها من كثير من أصحابه بألفاظ متباينة ومعان واضحة بلا تقدم تعليم ولا تعلم منه ﷺ .

فمن ذلك حديث عبد اللّه بن بريدة رضى اللّه تعالى عنه أنه ﷺ سمع رجلًا يقول : اللّهم إنى أسألك بأنك أنت اللّه لا إله إلا أنت الواحد الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد . فقال : (لقد سأل اللّه تعالى باسمه الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى)[2] .

ولا شك أن الأدعية النبوية هى الأصل الأول الذى عليه المعول ، وليس فى ذلك أدنى شك عند من له ذرة من عقل . فكلام سيد البشر هو سيد كلام البشر .

ولكن لا يلزم الالتزام بالأدعية الواردة ، بل لو قال الإنسان من نفسه دعاء غير مخالف للشرع فما فيه من بأس ، بل يحصل له به إذا فهم معناه كمال الإيناس ، ومع ذلك فامزج أدعيتك بالأدعية الواردة ليحصل لك تمام الفائدة ، ولا يضر قول من قال ، ممن خبط فى المقال : (لا ينبغى أن يدعو الإنسان إلا بالوارد عن اللّه تعالى أو سيد الأكون ﷺ وعلى آله وصحبه) فإن من سنذكرهم من القادة العلماء والسادة الأولياء ما اغترفوا تلك الفيوضات إلا من بحر النبىّ الأكرم ، ولا اقتبسوا هاتيك الأنوار الساطعات إلا من نوره ﷺ .

فاعمل بها حينئذ معتمدًا على اللّه ، غير ملتفت إلى ما سواه ، لا على أنها مروية عن النبىّ

---

(١) رواه أحمد فى الجزء الخامس صفحة ٢٣٤ والهيثمى فى مجمع الزوائد ١٤٦/١٠ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٣١٢٣ .

(٢) رواه الترمذى فى كتاب الدعوات الباب ٦٣ وابن ماجة فى كتاب الدعاء الباب ٩ .

الكريم ﷺ وإنما اقتداء بالسلف الصالح الَّذِينَ كانوا يفعلونها، ويحضون عليها تبركًا بعلمهم الناجح، وتأسيًا بالسادة الصوفية وامتثالًا لقول من أوصى بها، وتيمنًا بأفعالهم المرضية، نفعنا الله تعالى بهم أجمعين. ووفقنا وإياك لما يحبه ويرضاه، آمين.

(فإن قلت): نحن لا ننكر مجرد الدعاء، وإنَّمَا الذى ننكره كون هذه الأدعية لا تطلب إلا فى الأوقات المخصوصة.

(قلت): قد عرفت أن المعول الأول عليه فيما ذكرناه هو قول من سردنا من أهل الصلاح والكشف والفلاح وفعلهم، وأيضًا فهو مجرد أدعية، وتضرعات إلى التواب الرحيم، وتلاوة القرآن العظيم، وهما لا يمنعان فى وقت من الأوقات فمن أتى بهما لا يقصد إلا مجرد التضرع وتلاوة كلام رب البريات، فما فى ذلك بدعة ولا إنكار، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يحفظنا من الخزى والبوار.

ورد الفرج لسيدنا الخضر عليه السلام:

اللَّهم كما لطفت فى عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء، وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية عندك، وعلانية القول كالسر فى علمك، وانقاد كل شئ لعظمتك، وخضع كل ذى سلطان لسلطانك، وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك، اجعل لى من كل هم أصبحت أو أمسيت فيه فرجًا ومخرجًا.

اللَّهم إن عفوك عن ذنوبى وتجاوزك عن خطيتى، وسترك على قبيح عملى أطمعنى أن أسألك مالا أستوجبه منك مما قصرت فيه، أدعوك آمنًا وأسألك مستأنسًا، وإنك المحسن إلىّ وأنا المسئ إلى نفسى فيما بينى وبينك، تتودد إلىّ بنعمتك واتبغض إليك بالمعاصى، ولكن الثقة بك حملتنى على الجرأة عليك، فعد بفضلك وإحسانك علىّ إنك أنت التواب الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

دعاء ختم القرآن لسيدنا على زين العابدين:

الحمد لله رب العالمين * حمدًا يوافى نعمه ويكافئ مزيده * يا ربنا لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك * سبحانك لا نحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على

نفسك ، فلك الحمد حتى ترضى * ولك الحمد إذا رضيت * ولك الحمد بعد الرضا * الحمد لله رب العالمين * اللَّهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد يا ذا الجلال والجمال والإكرام والمواهب العظام * ورضى اللَّه تعالى عن أصحاب سيدنا رسُول اللَّه أجمعين * ورضى عنا وعن والدينا وعن أمواتنا وعن مشايخنا وعن معلمينا ووالديهم والحاضرين وجميع المُسلِمين * من عبادك الصالحين * المفلحين المنجحين * الفائزين البارين * المنعمين الفرحين * المسرورين المستبشرين * المطمئنين الآمنين * الَّذِينَ لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .....

حزب البحر لأبى الحسن الشاذلى :

(اللَّهم) يا أَلله يا على يا عظيم يا حليم يا عليم أنت ربى ، وعلمك حسبى ، فنعم الرب ربى ، ونعم الحسب حسبى ، تنصر من تشاء وأنت العزيز الرحيم ، نسألك العصمة - فى الحركات والسكنات ، والكلمات والإرادات والخطرات - من الشكوك والظنون ، والأوهام الساترة للقلوب ، عن مطالعة الغيوب ، فقد ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالًا شديدًا ، وإذ يقول المنافقون والَّذِينَ فى قلوبهم مرض ما وعدنا اللَّه ورسُوله إلا غرورًا ، فثبتنا وانصرنا وسخر لنا هذا البحر ، كما سخرت البحر لموسى ، وسخرت النار لإبراهيم ، وسخرت الجبال والحديد لداود ، وسخرت الريح والشياطين والجن لسليمان ، وسخر لنا كل بحر هو لك فى الأرض والسماء ، والملك والملكوت وبحر الدنيا وبحر الآخرة ، وسخر لنا كل شئ يا من بيده ملكوت كل شئ ...

أوراد الإمام المجدد أبى العزائم :

وللإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم أوراد كثيرة منها أوراد ختم صلاة الصبح ، وورد ختم صلاة الظهر ، وورد ختم صلاة العصر ، وورد صلاة المغرب ، وورد صلاة العشاء ، والورد القولى للنهار والليل وذلك ثابت فى كتاب « نيل الخيرات بملازمة الصلوات » أما أوراد المناسبات ففى كتاب « إلهى إلهى إلهى » أما أوراد الحج والعمرة ففى كتاب « لبيك اللَّهم لبيك » أما أوراد ليلة النصف من شعبان ففى كتاب « مشارق البيان فى فضائل شعبان » أما أدعية شهر رمضان ففى كتاب « أدعية الغفران فى شهر القرآن » أما أدعية أيام الأسبوع ففى كتاب « الفتوحات الربانية والمنح النبوية فى الصلاة على خير البرية » .

أوراد الشيخ محمود خطاب مؤسس الجمعية الشرعية :

للشيخ محمود بن محمد بن أحمد خطاب المصرى السبكى « نسبة إلى سبك الأحد بمركز أشمون محافظة المنوفية » أوراد سماها « العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق » فمن عمل بها فهو من إخواننا ، ومن أعرض عنها فلا علاقة له بنا .

مجلس الورد اليومى للجمعية الشرعية قبل توهبها :

واعلم أنه لا بد لك فى كل أربع وعشرين ساعة من مجلس مخصوص فى الليل أو النهار ، والليل أولى ، بعد فراغك من الشواغل ، بأن تتوضأ إن أمكن ، وتصلى من النفل ما تشاء ، وإذا كان عليك فوائت صل منها بدلًا عن النفل ، لأن فعل الفرض مقدم على فعل النفل « ثم » تستقبل القبلة إن أمكن وتقرأ ما تيسر من القرآن (كالفاتحة ، وسورة تبارك - الملك) إن كنت حافظًا لها و (سورة الكافرون) .

ثم تستغفر الله بأى صيغة « مائة مرة » أو أكثر « ثم » تجدد التوبة وتندم على ما فعلت من المخالفات ، وتحاسب نفسك على ذلك محاسبة حقيقية شديدة كأنها طفل بين يديك تريد تربيته بزجره بكل ما تقدر عليه ، بمعنى أنك تذكر لها كل ما وقع منها طول النهار ، من المخالفات والتفريط والكسل وغير ذلك ، وتذكر لها العذاب الذى جعله الله تعالى للعاصين والثواب الذى أعده تعالى للطائعين ، فتحكم عليها أن تقبل على العبادة فى تلك الليلة ، بقدر ما ارتكبت من المعاصى أو أزيد إذ الحسنات تكفر السيئات والمحاسبة المذكورة من أهم الأمور المطلوبة .

ثم تصلى وتسلم على النبىّ ﷺ بأى صيغة ، « مائة مرة » فأزيد وينبغى الإكثار ليلة الجمعة « ثم » تتجرد من الشواغل الدنيوية كلها إن أمكن ، أو بقدر ما يمكن ، لأنك تريد الدخول فى حضرة ربك التى هى كناية عن الإقبال التام على الله عز وجل ، والإعراض عن كل ما سواه حتى عن نفسك ، وأنت جالس فى مكان طاهر مظلم معظم مطيب بالروائح الزكية « كجلوسك للصلاة ، واضعًا يديك على فخذيك ، مغمضًا عينيك عما يشغل لأنه بتغميض العينين تنسد طرق الحواس الظاهرة ، وسدها يكون سببًا لفتح حواس القلب ، لا بسًا لثياب بيض حلال ، مطيبات بالروائح البهية ، والفم والبدن ، مبعدًا الروائح الكريهة ، لأن الروحانيين لا يقبلون الروائح الكريهة ، وانقطاعهم عن مجلس الذكر علامة على انقطاع الخير .

ثم تذكر فى الاسم الذى أذن الشيخ لك فيه، بهمة تامة، مستحضرًا معنى ذلك الاسم فى قلبك، حتى كأن قلبك هو الذاكر، وأنت تسمعه، متباعدًا عن تحريف الأسماء.

هذه هى أوراد الجمعية الشرعية قبل أن تتحول إلى الوهابية وتعتبر تلاوة الأوراد من البدع التى يجب محاربتها.

تلاوة الأوراد والصلوات بالمساجد وحكمها:

انتشرت فى هذه الأيام دعوى الإنكار على تلاوة الأوراد والصلوات بالمساجد، وذلك من أهل التكفير والتشريك، تارة بزعم أن هذا العمل لم يكن فى عهد رسُول اللَّه ﷺ، وتارة أنه لم يكن بصورة جماعية، وتارة أنه لم يكن علانية بل كان سرًا.

وللأسف لم يقف أحد من علماء الدنيا الجهلاء بالآخرة فى طريقهم ولم يردوا عليهم.

وإليك النصوص الواضحة والفاضحة للرد على هؤلاء المنكرين:

إن تلاوة الأوراد والصلوات فى السر والعلانية، جماعة وفرادى له أصل أصيل فى الدين سواء أكان فى المساجد أو فى بيوت الناس، وقد جاء فى حكمها آيات كثيرة من كتاب اللَّه، نذكر منها على سبيل الاستدلال فى حالة الجهر أو التوسط أو الإسرار قوله تعالى: ﴿ادعُوا رَبَّكُم تَضَرعًا وَخُفيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُ المُعتَدِينَ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَاذكُر رَبَّكَ فِي نَفسِكَ تَضَرعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الجَهرِ مِنَ القَولِ بِالغُدُو وَالآصَالِ وَلَا تَكُن مِنَ الغَافِلِينَ﴾[2].

والتضرع مقابل الخفية، أى ادعوه علانية وقد اختار هذا أبو مُسلِم، وقيل بتقدم الجهر على الإخفاء إذا خلا الجهر من الرياء، وكان فيه قصد تعليم جاهل أو نحو هذا من إزالة وحشة عن مستوحش أو تغيير مبتدع عن بدعة، ومنه الجهر بالترضى عن الصحابة والدعاء لإمام المُسلِمين فى الخطبة. وقد سن الشافعية الجهر بآمين بعد الفاتحة، وهو دعاء يجهر به الإمام والمأموم عندهم.

ولتلاوة الأوراد والصلوات أدلة وشواهد من كتب السنة، فقد جاء فى صحيح الإمام مُسلِم عن ابن عباس قال: (ما كنا نعرف انقضاء صلاة رسُول اللَّه ﷺ إلا بالتكبير)[3].

---

(١) سورة الأعراف آية ٥٥.
(٢) سورة الأعراف آية ٢٠٥.
(٣) رواه البخارى فى كتاب الأذان الباب ١٥٥ ومُسلِم فى كتاب المساجد الحديث رقم ١٢٠، ١٢١، وأبو داود فى =

وروى أيضًا أن أبا معبد مولى ابن عباس أخبره (أن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد النبيّ ﷺ)[1].

وعن أنس رضى اللّه عنه أن النبيّ ﷺ قال: (إن لله سيارة من الملائكة يطلبون حلق الذكر، فإذا أتوا عليهم حفوا بهم، ثم بعثوا رائدهم إلى السماء إلى رب العزة تبارك وتعالى، فيقولون: ربنا أتينا على عباد من عبادك يعظمون آلاءك ويتلون كتابك ويصلون على نبيك محمد ﷺ ويسئلونك لآخرتهم ودنياهم فيقول اللّه تبارك وتعالى: غشُّوهم رحمتى فهم الجلساء لا يشقى جليسهم)[2] رواه البزار.

وعن أبى هريرة رضى اللّه عنه عن النبيّ ﷺ قال: (ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا اللّه فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترّه فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم)[3] رواه أبو داود. فهذه الأحاديث واضحة وصريحة فى جواز رفع الصوت، وأنه هو السنة، وأما القول بالمخافتة فهو مجرد استحباب واختيار أى اجتهاد خاص لعدم ورود نص الحكم بالنهى عن رفع الصوت بختام الصلاة أو تلاوة الصلوات بل الجهر هو السنة الصريحة كما رأيت، ولم يقع لنا أن الإمام أبا حنيفة أو مالك أو الشافعى أو ابن حنبل حكم بأن هذا حرام صريح أو منسوخ بنص محكم والنص لا ينسخ بالاجتهاد.

تلاوة الأوراد والصلوات لا تعد تشويشًا على المصلين:

يقول أهل التكفير والتشريك والتبديع إن تلاوة الأوراد والصلوات بالمسجد يعد تشويشًا على المصلين، ولكنهم فى الوقت نفسه إذا رأوا واعظًا أو مدرسًا يرفع صوته بالقول فى المسجد بين الصلوات وفى حضور المصلين لا ينكرون عليه أو يمنعونه، فإذا جاز هذا هنا فقد

= كتاب الصلاة الباب ١٨٥ والنسائى فى كتاب السهو الباب ٧٩ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٢٢٢.

(١) رواه البخارى فى كتاب الأذان الباب ١٥٥ ومُسلِم فى كتاب المساجد الحديث ١٢٢، وأبو داود فى كتاب الصلاة الباب ١٨٥ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٣٦٧.

(٢) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧٧/١٠ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٤٠٤/٢ وأبو نعيم فى الحلية ٢٦٨/٦ والحميدى فى مسنده ١٨٧٦ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ١٠/٥ والسيوطى فى الدر المنثور ١٥٢/١ والمتقى الهندى فى كنز العمال ١٨٧٦.

(٣) رواه أحمد فى الجزء الثانى صفحة ٤٣٢، ٤٨١، ٤٨٤ والجزء الثالث صفحة ٤٥٢ والهيثمى فى موارد الظمآن ٢٣٢١ والمتقى الهندى فى كنز العمال ١٨١١، ٢٥٤٦٢ وابن كثير فى تفسيره ٤٦٠/٦ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٩/٥ والبغوى فى شرح السنة ٢٧/٥، ٢٨ والترمذى ٣٣٨٠ والسيوطى فى الدر المنثور ٢١٨/٥، ٣٣٣ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٤٠٩/٢ والنووى فى الأذكار النووية ٢٢٦ والتبريزى فى مشكاة المصابيح ٢٢٧٤.

جاز هذا هناك، لوحدة الحكم والسبب.

ونحن نرى الطائفين بالبيت الحرام سواء فى طواف القدوم أو العمرة أو الوداع، يجهرون بقراءة أذكار الطواف، والمصلون يؤدون فروضهم بالمسجد الحرام، ولا يعد قراءة أذكار الطواف تشويشًا على المصلين.

وقد كان رسُول اللَّه ﷺ يتحدث بأمور الدين فى المسجد، ويعلم الناس، ويحفظهم القرآن يتلوه ويتلونه بعده حتى يحفظوه، كما كان يقضى فى الخصومات، ويجهز السرايا والبعوث ويوجههم ويستشير أصحابه، ويعقد ألوية الغزو، ويعقد الزواج بالمسجد، وكان يقابل الوفود ويستمع لخطاباتهم، ويرد عليهم جهرًا بالمسجد والناس تصلى بين يديه.

وقد كان ﷺ يستمع للشعراء فى المسجد ويجيزهم وكان لشاعره حسان بن ثابت منبرًا فى المسجد يرقى عليه ويلقى قصائده بأعلى صوته.

ومن ذلك كله يتبين أنه يسن تلاوة الأوراد والصلوات بالمساجد من الإمام والمأموم والمنفرد والرجل والمرأة جهرًا أو توسطًا أو سرًا.

وإن أهل التكفير والتشريك والتبديع فى إنكارهم ومنعهم تلاوة الأوراد والصلوات إنما يفعلون ذلك من باب خالف تعرف، ومن ظنهم أنهم وحدهم أهل العلم وأهل الجنة، وأن اللَّه أعطاهم حق التصرف فيها والوصاية عليها من دون المُسلِمين.

ولا علاج لهؤلاء إلا بالسير وراء سماحة الإسلام ويسره ورفقه، والبعد عن دعوى احتكار الصواب ونبذ التعصب البغيض، والوصاية على الدين.

نقول هذا ولا ندعى العصمة ونستغفر اللَّه ونتوب إليه.

الفصل الثانى

الصلوات على النبى ﷺ

قال تعالى : ﴿ إن اللَّه وملائكته يصلون على النبىّ يٰأيها الَّذِينَ آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا ﴾[1] ..

فقه الصلوات :

يقول اللَّه تعالى : مخبرًا أنه يصلى وملائكته على النبىّ ﷺ ، وصلاة اللَّه تعالى عليه ما فعله به من كرامته وتفضيله وإعلاء درجاته ورفع منازله وثنائه عليه وغير ذلك من أنواع إكرامه . وصلاة الملائكة عليه مسألتهم اللَّه تعالى أن يفعل به مثل ذلك ، ثم أمر اللَّه تعالى المُؤمنين المصدقين بوحدانيته المقرين بنبوة نبيه أن يصلوا أيضًا عليه ، وهو أن يقولوا : (اللَّهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم) فى قول ابن عباس .

ثم أمر المُؤمنين أيضًا أن يسلموا لأمره تعالى وأمر رسُوله تسليمًا ، فى جميع ما يأمرهم به ، والتسليم هو الدعاء بالسلامة كقولهم : (سلمك اللَّه والسلام عليك ورحمة اللَّه وبركاته) وكقولك : (السلام عليك يا سيدى يا رسُول اللَّه) .

ويقول الإمام جعفر الصادق : (إن صلاة المُؤمنين على سيدنا محمد مثل قولهم : سبحان الله ، والحمد لله ولا إله إلا اللَّه واللَّه أكبر ، أى أن ثواب الصلاة على سيدنا محمد تمامًا كثواب التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير) .

المواطن التى تتأكد فيها الصلاة على النبى ﷺ :

ومن المواطن التى تتأكد فيها الصلاة على النبىّ ﷺ الدعاء . روى أن الدعاء محجوب حتى يصلى الداعى على النبىّ ﷺ وقال ﷺ : (لا تجعلونى كقدح الراكب ، فإن الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه ، فإن احتاج إلى شراب شرب أو لوضوء توضأ وإلا هراقه

(١) سورة الأحزاب آية ٥٦ .

(أو أهرقه) ولكن اجعلونى فى أول الدعاء ووسطه وآخره)[1].

وتتأكد عند ذكره ﷺ وسماع اسمه أو الكتابة أو عند الأذان، قال ﷺ (رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علىّ)[2] وتتأكد كثرة الصلاة يوم الجمعة، وتتأكد كثرة الصلاة عليه والسلام عند دخول المسجد، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُم﴾[3] فإن لم يكن فى البيت أحد فقل: السلام على النبىّ ورحمة الله وبركاته. قال ابن عباس: المراد بالبيوت هنا المساجد. ويظهر من تأويله إطلاق الآية هنا وتقييد الأخرى وهى قوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾[4] فقوله هنا: ﴿تَسْتَأْنِسُوا﴾ وقوله فى الآية الأولى ﴿فَسَلِّمُوا﴾ دليل على أن الآية الأولى للمساجد وتتأكد حال الصلاة على الجنائز، وفى افتتاح الرسائل وإن لم يكن عليه الصدر الأول، ولكن أجمعت الأمة عليه فى أوائل القرن الثانى عملًا بقوله ﷺ: (من صلّى علىّ فى كتاب لم تزل الملائكة تصلى عليه ما دام اسمى فى ذلك الكتاب)[5] راجع كتاب النور المبين للإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم ص١٦٣.

كيفية الصلاة عليه ﷺ:

من المعلوم أن أوامره ﷺ العامة تقتضى أن تكون بقدر المبتدئين الذين ينبغى أن يكون الأدب حصنا لهم من الغلو أو التفريط، ولما كانت السنن العامة ينبغى أن تكون مفاتيح للقلوب وحصونا للعقول، حتى إذا عمل العامل بما علمه منحه الله علم ما لم يعلم ليكون ذلك بابا من أبواب الفضل، ومعراجًا من معارج القرب، وسرًا من أسرار المزيد، كانت

---

(١) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠/١٥٥ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٥/٤٢ وعبد الرازق فى مصنفه ٣١١٧ وابن حجر فى المطالب العالية ٣٣١٦ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٢٢٥٢، ٢٢٥٣، ٢٢٥٤، ٣١١٧.

(٢) رواه الترمذى فى كتاب الدعوات الباب ١٠٠ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ٢٥٤ والحاكم فى مستدركه ١/٥٤٩ والتبريزى فى مشكاة المصابيح ٩٢٧٥ والبغوى فى شرح السنة ٣/١٩٨ وفى الأذكار النووية ١٠٧ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٢١٤٨، ٤٣٨٣٠ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٢/٥٠٨ وابن حجر فى الكاف الشاف ١٣٧ وفى فتح البارى ١١/١٦٨.

(٣) سورة النور آية ٦١.

(٤) سورة النور آية ٢٧.

(٥) أورده ابن كثير فى تفسيره ٦/٤٦٧ والقرطبى فى تفسيره ١٤/٢٣٥ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٣/٢٨٩، ٥/٥٠ وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق ٢/١١٤ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ١/١١٠ والهيثمى فى مجمع الزوائد ١/١٣٦ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٢٢٤٣ والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار ١/٣١٢ والخطيب البغدادى فى شرف أصحاب الحديث ٦٥.

الصلاة التى أمرنا بها رسُول اللَّه ﷺ التى أمرنا أن نصلى عليه بها ﷺ دالة على كمال التواضع، حافظة للقلوب عن التفاضل والاشتغال بذكر خصوصية الأنبياء، والالتفات بذكر التفاضل بينهم، حتى يعكف الهم على ذكر الواحد الأحد، ويتوجه القلب إلى جناب القدس الأعلى، ويتوجه الخيال إلى معانى القدس الأعلى، خالية مما تنزعج منه القلوب حتى إذا توجه القلب بكمال الإخلاص كوشف بحقائق المقامات المحمدية، وواجهه اللَّه بأسرار المنازل، وصوفى بما يشرح صدره ويطلق لسانه بصلوات على سيدنا رسُول اللَّه ﷺ تناسب قدر قربه.

من حديث ابن أبى ليلى قال: لقينى كعب بن عجرة فقال: ألا أهدى لك هدية؟ إن النبىّ ﷺ خرج علينا فقلنا: يا رسُول اللَّه قد علمتنا كيف نسلم عليك. فكيف نصلى عليك؟ فقال: (قولوا اللَّهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. اللَّهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد)[1].

وهكذا بعد أن أمرنا اللَّه سبحانه وتعالى أن نصلى عليه أعلنا عجزنا وضعفنا وعدم قدرتنا ولا أهليتنا للصلاة على هذا الحبيب ذى القدر العظيم، فرجعنا بالأمر إلى اللَّه وطلبنا منه عز وجل أن يصلى على رسُوله الكريم، وقد ناقش هذا الأمر عدد من العلماء السابقين، وحاولوا معرفة الحكمة فى أن نعود بالأمر على اللَّه ولا نصلى نحن على الرسُول مباشرة، فقال الإمام السخاوى: (لعل الحكمة فى أن اللَّه تعالى أمرنا أن نصلى ونحن نقول اللَّهم صل على محمد وعلى آل محمد، فنسأل اللَّه تعالى أن يصلى عليه ولا نصلى عليه نحن بأنفسنا، يعنى بأن يقول العبد فى الصلاة أصلى على محمد قلنا: لأنه ﷺ طاهر لا عيب فيه ونحن فينا المعائب والنقائص فكيف يثنى من فيه معائب على طاهر؟! .. فنسأل اللَّه تعالى أن يصلى عليه لتكون الصلاة من رب طاهر على نبىّ طاهر).

ونحو ذلك منقول عن النيسابورى فى كتابه «اللطائف والحكم» فإنه قال: (لا يكفى للعبد أن يقول فى الصلاة صليت على محمد لأن مرتبة العبد تقصر عن ذلك بل يسأل ربه

---

(١) رواه البخارى فى تفسير سورة الأحزاب الباب العاشر وكتاب الأنبياء الباب العاشر وكتاب الدعوات الباب ٣١، ٣٢ ومُسلِم فى كتاب الصلاة الحديث ٦٥، ٦٦، ٦٩ والترمذى فى كتاب تفسير سورة الأحزاب الباب ٢٣ وكتاب الوتر الباب ٢٠ وأبو داود فى كتاب الصلاة الباب ١٧٩ والنسائى فى كتاب السهو الباب ٤٩، ٥٠ - ٥٤، والدارمى فى كتاب الصلاة الباب ٨٥ ومالك فى الموطأ فى كتاب السفر الحديث ٦٦، ٦٧ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ١٦٢ والجزء الثالث صفحة ٤٧ والجزء الرابع صفحة ١١٨، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤ والجزء الخامس صفحة ٢٧٤، ٣٧٤، ٤٢٤.

أن يصلى عليه لتكون الصلاة على لسان غيره ، وحينئذ فالمصلى فى الحقيقة هو اللَّه ، ونسبة الصلاة إلى العبد مجازية بمعنى السؤال) .

وقد أشار ابن أبي حجلة إلى شئ من ذلك فقال : الحكمة فى تعليمه الأمة صيغة اللَّهم صل على محمد ، أنا لما أمرنا بالصلاة عليه ، ولم يبلغ قدر الواجب من ذلك أحلناه عليه لأنه أعلم بما يليق به وهو قوله لا أحصى ثناء عليك ، وسبق له أبو اليمن بن عساكر واللَّه أعلم ، إذا عرفت ذلك كله فلتكن صلاتك عليه كما أمرك بالصلاة عليه فبذلك تعظم حظوتك لديه وعليك بالإكثار منها والمواظبة عليها والجمع بين الروايات فيها بأن الإكثار من الصلاة من علامات المحبة ومن أحب شيئًا أكثر من ذكره ، وصح فى حديث : (لا يكمل إيمان أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)[1] .

فضل الصلاة على النبى ﷺ :

سبحان اللَّه عز وجل الذى جعل صلاتنا على رسُوله تكسبنا الحسنات وتحط عنا الخطيئات وترفع لنا الدرجات ، وهذا أنس رضى اللَّه عنه يروى عن رسُول اللَّه ﷺ مرفوعًا عنه : (من صلى علىّ صلاة واحدة صلى اللَّه عليه عشر صلوات وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات)[2] .

وفى رواية : (وكتب له عشر حسنات)[3] وعن ابن مسعود رضى اللَّه عنه : (أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم علىّ صلاة)[4] وعن أبى طلحة : دخلت على النبىّ ﷺ فرأيت

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الإيمان الباب الثامن وكتاب الأيمان الباب الثالث ومُسلِم فى كتاب الإيمان الحديث ٦٩ ، ٧٠ والنسائى فى كتاب الإيمان الباب ١٩ وابن ماجة فى كتاب المقدمة الباب التاسع وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ١٧٧ ، ٢٠٧ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨ والجزء الرابع صفحة ٣٣٦ .

(٢) رواه مُسلِم فى كتاب الصلاة الحديث ١١ وأبو داود فى كتاب الصلاة الباب ٣٦ وكتاب الدعاء الباب الرابع والنسائى فى السهو الباب ٥٥ وفى كتاب الأذان الباب ٣٧ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ١٦٨ وفى الجزء الثالث صفحة ١٠٢ ، ٢٦١ والترمذى فى كتاب المناقب الباب الأول وأورده ابن أبى شيبة فى مصنفه ٥١٧/٢ ، ٥٠٥/١١ والتبريزى فى مشكاة المصابيح ٩٢٢ والسيوطى فى الدر المنثور ٢١٦/٥ وابن كثير فى تفسيره ٤٥٨/٦ والقرطبىفى تفسيره ٢٣٥/١٤ .

(٣) أورده ابن أبى شيبة فى مصنفه ٥١٧/٢ وفى أمالى الشجرى ١٣٠/١ وأحمد ٢٦٢/٢ والهيثمى فى مجمع الزوائد ١٦٠/١٠ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٤٩٤/٢ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٢٨٨/٣ ، ٤٩/٥ .

(٤) رواه الترمذى ٤٨٤ والهيثمى فى موارد الظمآن ٢٣٨٩ وابن كثير فى تفسيره ٤٥٦/٦ والتبريزى فى مشكاة المصابيح ٩٢٣ والبغوى فى شرح السنة ١٩٧/٣ والبخارى فى التاريخ الكبير ١٧٧/٥ وفى أمالى الشجرى ١٣٠/١ والسيوطى فى الدر المنثور ٢١٨/٥ .

من بشره وطلاقته مالم أره فسألته فقال: (وما يمنعنى وقد خرج جبريل آنفًا فأتانى ببشارة من ربى عز وجل أن اللّه تعالى بعثنى إليك أبشرك أنه ليس أحد من أمتك يصلى عليك إلا صلى اللّه وملائكته عليه بها عشرًا)[1] والأحاديث الواردة فى فضل الصلاة على النبىّ ﷺ كثيرة، والمريد الصادق إذا أشرقت عليه أنوار القرب انجذب بعامل الحب فتلذذ بالصلاة على النبىّ ﷺ، لذة تجعل نفسه تبتهج بالصلاة عليه ﷺ بهجة تنسيه ما عداها من العطايا، لأنه يكون آنسًا بمشاهدة جماله ﷺ فرحًا بما كوشف به من مقاماته العلية، وكيف لا وشكر النعمة واجب شرعًا وعقلًا، وأجل نعمة لله علينا نعمته سبحانه علينا بسيدنا ومولانا محمد ﷺ ونعمته علينا باتباعه ﷺ والعمل بسنته صلوات اللّه وسلامه عليه، ولذلك فإن أكثر العارفين يمنحهم الله تعالى من سوابغ إحسانه حقيقة حب فى قلوبهم؛ لما كوشفوا به من مقامات رسُول الله ﷺ فتنطلق ألسنتهم بجمل من الصلاة عليه ﷺ، تكشف الستار عن مقام كل عارف ومقدار عوارفه، وتلك الجمل تكون كراح للأرواح، وطهرة لنفوس من تلاها بعده. وفضل الصلاة عليه ﷺ ظاهر فى الدنيا قبل الآخرة، فإن تكرار الصلاة على النبىّ ﷺ يزكى النفس ويجمل لطائف القلب، وييسر خيرى الدنيا والآخرة، وقد شهدت ذلك بنفسى فى نفسى وفى غيرى، ولا برهان أقوى من التجربة، وفقنى الله وإخوانى جميعا للمحافظة على السنة ومنحنا حب رسُول الله ﷺ. راجع كتاب «النور المبين» للإمام المجدد أبى العزائم ص ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦.

صيغ الصلاة والسلام على سيدنا رسُول اللّه ﷺ:

من الإحساس الإيمانى، المنبعث بالفطرة والوجدان فى قلب المؤمن الحق، حبا فى الله ورسُوله.

ثم مما حملته إلينا الأخبار الصادقة والآثار الكريمة، من عظيم أخلاقه ﷺ ونموذجية حياته، وآدابه ومعاملاته، وروائع عبادته، وخوالد حقوقه على أهل دعوته، بل على الدنيا جميعا.

من كل ذلك اشتد شغف قلوب خواص أمته بحبه، حبا جارفا جعلهم يتفننون فى إظهار آثار هذا الحب بكل ما أتيح لهم من صور التمجيد والتوقير والتعزير حسبما وسع الجهد، وبلغت الطاقة على مراتب الآفاق والأذواق.

---

(١) أورده المتقى الهندى فى كنز العمال ٢٢٢٥، ٤٠٠٧، ٤٠٠٨.

فألفوا فى الصلاة والسلام عليه صيغا شتى ، للإسفار عن مواجيدهم وشرف أحاسيسهم حيث لم يأت مخصص بالتزام صيغة معينة فى الصلاة والسلام فى غير المفروضات والنوافل .

وقد أخذوا هذا من سعة المعنى فى قوله تعالى : ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ ﴾ (١) والتعزير هنا هو التمجيد والتوقير ، والتسامى بالمنزلة ، والترفع فى الأداء والارتباط بالقدوة ، مع التنزه عن ملابسة المحظور فى قوله تعالى : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُم كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ (٢) ثم ما جاء بعد ذلك من الآيات المتضمنة ضرورة التزام الأدب معه ، ثم ما جاء فى صحيح الآثار من فرضية حبه ، وتقديمه على النفس والأهل والولد والناس أجمعين .

كل هذا إلى ما جاء مرفوعا وموقوفا من الترغيب فى إحسان الصلاة عليه ﷺ ، بعدما ثبت من الترغيب البالغ فى كثرة الصلاة عليه ، وأن « من صلى على واحدةً صلى الله عليه بها عشرًا ، ومن صلى على عشرًا ، صلى الله عليه مائةً ، ومن أكثر فالله أكثر »(٣) .

مسالك الوضوح والتصريح :

وقد انفرد كثير ممن اشتهروا بحب رسُول الله ، بتأليف صيغ مختلفة المعانى والأبنية بين الشعر والنثر فى الصلاة والسلام عليه ، يعبرون بها عن مكنونات الذات ، وتأجج الأشواق ، والعروج فى مدارج السالكين ، ومعارج الواصلين ، وجعلوها وسائل إلى الله سبحانه وتعالى ، تخف بها اللوعة ، وترقأ الدمعة ، وتزف المتعة وتقرب النجعة .

وهنا نورد نماذج مما جاء على مسلك التصريح من الصلوات على سيد الكائنات .

من صلوات الإمام على رضى اللّه عنه :

لبيك اللّهم وسعديك ، صلوات الله البر الرحيم ، والملائكة المقربين ، والنبيين والصديقين ،

---

(١) سورة الأعراف آية ١٥٧ .

(٢) سورة النور آية ٦٣ .

(٣) رواه مُسلِم فى كتاب الصلاة الحديث ٧٠ والنسائى ٣/ ٥٠ وأحمد ٢/ ٣٧٢، ٤٨٥ وابن أبى شيبة فى مصنفه ٢/ ٥١٧ وأبو داود فى سننه ١٥٣٠ والبغوى فى تفسيره ٥/ ٢٧٥ والبخارى فى الأدب المفرد ٦٤٣، ٦٤٥ والهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠/ ١٦٢ والبغوى فى شرح السنة ٣/ ١٩٥ والتبريزى فى مشكاة المصابيح ٩١٦ والسيوطى فى الدر المنثور ٥/ ٢١٨ وابن حجر فى فتح البارى ١١/ ١٦٧ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٢١٦٢، ٢١٦٣، ٢٢٠٦ وابن كثير فى تفسيره ٦/ ٤٥٧ والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ٨/ ٣٨١ .

والـ ـهداء والصالحين، وما سبح لك من شيء يارب العالمين، على محمد بن عبد الله، خاتم النبيـ ـن، وسيد المرسلين، وإمام المتقين، ورسُول رب العالمين، الشاهد البشير الداعى إليك بإذنـ ـك، السراج المنير وسلم تسليما.

من صلوات ابن مسعود رضى اللّه عنه:

اللّهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك، على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين، محمد عبدك ورسُولك إمام الخير، ونبىّ الرحمة، اللّهم ابعثه مقامًا محمودًا يغبطه عليه الأولون والآخرون. ثم ختمها بالصلاة الإبراهيمية المجيدية.

من صلوات الإمام المجدد أبى العزائم رضى اللّه عنه:

اللّهم صل وسلم على روح هياكل العوالم الملكية وأصل كل العوالم العلوية، الصراط المستقيم بين الحق والخلق، والحصن الحصين لكل موجود، والرحمة العظمى لجميع العالم.

اللّهم صل وسلم عليه ومتعنا باتباعه ﷺ واحمنا بحمايته ﷺ، واجعلنا من أهل شفاعته ﷺ، وأحبنا بمحبته ﷺ وأوصلنا إليه على براق سنته ونجائب محبته، وابعثنا محفوفين بأنواره، ملحوظين بعين رأفته وحنانته، فائزين بجواره فى مقام يغبطنا عليه الملائكة والمقربون، إنك واسع المغفرة والفضل مجيب الدعاء، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (١)، ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

معنى الصلاة عليه ﷺ:

روى بعض أهل العلم أن معنى صلاة الله تعالى على نبيه هى تعظيمه جل تعالى لرسُوله ﷺ، ورأوا أن الصلاة باللسان هى التعظيم ورأوا أن قولنا اللّهم صل على محمد فإنما نريد به اللّهم عظم محمدًا فى الدنيا بإعلاء ذكره وإظهار دينه وإبقاء شريعته، وفى الآخرة بتشفيعه فى أمته، وإجزال أجره ومثوبته وإبداء فضله للأولين والآخرين للمقام المحمود.

ومن هنا كانت صلاتنا عليه ﷺ هى دعاء بأن يزيد الله النبىّ فى كل شيء، وهى صلاة

---

(١) سورة يس آية ٨٢.

(٢) سورة الأنبياء آية ٨٧ - ٨٨.

نتقرب بها بآدائها إلى الله عز وجل، ونحن لا نعلم إيصال ما يعظم به أمره، ويعلو به قدره إليه إنما ذلك بيد الله، فدعاؤنا هو طلب من الله جل ثناؤه أن يصلى الله ويزيد هذا النبيّ الكريم والرسُول العظيم علوا وفضلا وقربا من الله عز وجل.

وكذلك صلاتنا عندما نعطف عليه آله وأزواجه وذريته، فإن هذا لا يمنع أن يدعى لهم بالتعظيم، إذ تعظيم كل أحد بحسب ما يليق به.

لماذا خص إبراهيم عليه السلام بالتشبيه:

يروى الإمام السخاوى رضى الله عنه أن هذا التشبيه قد وقع إكراما ومكافأة لسيدنا إبراهيم عليه السلام لأنه دعا لأمة محمد بقوله: ﴿رَبَّنَا اغفِر لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلمُؤمِنِينَ يَومَ يَقُومُ الحِسَابُ﴾ (١). أو لأنه كان خليلا ومحمد ﷺ حبيبا، أو لأن إبراهيم كان منادى الشريعة حيث أمره الله بقوله: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالحَجِّ يَأتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ (٢). ومحمد ﷺ كان منادى الدين لقوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ﴾ (٣) أو لأنه سأل الله عز وجل عندما رأى الجنة فى المنام وعلى أشجارها لا إله إلا الله محمد رسُول الله فسأل جبريل عن ذلك فأخبره عن حاله وقال: يارب أجر ذكرى على لسان أمة محمد، أو لدعوته عندما قال: ﴿وَاجعَل لِي لِسَانَ صِدقٍ فِي الآخِرِينَ﴾ (٤) أو لأن الله سماه أبا المؤمنين فى قوله: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُم إِبرَاهِيمَ﴾ (٥).

وقال النووى رحمه الله فى هذا المجال: إن أحسن ما قيل فى هذا هو ما نسب إلى الشافعى رحمه الله من أن التشبيه إنما هو بأصل الصلاة. وقال ابن القيم: أحسن ما يقال: إنه هو ﷺ من آل إبراهيم وقد ثبت عن ابن عباس فى تفسيره لقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ اصطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبرَاهِيمَ وَآلَ عِمرَانَ عَلَى العَالَمِينَ﴾ (٦) ثم قال: محمد من آل إبراهيم.

وقال السخاوى رحمه الله: لعل المراد بالصلاة هنا أن يستجيب الله دعاء سيدنا محمد فى أمته كما استجاب دعاء إبراهيم فى بنيه.

---

(١) سورة إبراهيم آية ٤١.
(٢) سورة الحج آية ٢٧.
(٣) سورة آل عمران آية ١٩٣.
(٤) سورة الشعراء آية ٨٤.
(٥) سورة الحج آية ٧٨.
(٦) سورة آل عمران آية ٣٣.

وتلخيص القول أن قول المصلى : « اللّهم صل على محمد وآله » أى بأن تجعل من أمته علماء وصلحاء كما صليت على إبراهيم بأن جعلت آله أنبياء ورسلا ، وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم لما أعطيتهم من التشريع والوحى فجعلت منهم المحدثين وشرعت لهم الاجتهاد وقررته حكما شرعيا والله أعلم .

(راجع كتاب بأبى أنت وأمى يا رسُول الله ص ١٠٩ للدكتور محمد عبده يمانى) .

وقد بينا من قبل أن صيغ الصلوات على النبىّ ﷺ حث الله عليها فى كتابه العزيز كما حث عليها رسُول الله ﷺ فى أحاديثه الصحيحة .

الوهابية وصيغ الصلوات :

وقد روى فى سنة ١٣٧٧ هجرية أن طالبا صوماليا اعتنق الفكر الوهابى وكان فى مدرسة الحديث بمكة ، فأنكر الصلاة على النبىّ ﷺ ، فقال له الطلبة المغاربة ومدرس هندى فيها اسمه عبد الحق : من أحاديث النبىّ الكثير الذى ورد فى فضل الصلاة عليه ، فقال الصومالى : إنه لا يعترف بالأحاديث ، فقالوا : فما تقول فى الآية القرآنية : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النبىّ ..... الآية** ﴾ [1] فقال الصومالى : ومن هذا النبىّ ؟ إن القرآن لم يسمه !! .

وبذلك يصرح هذا الخبيث بتكذيب أحاديث النبىّ ﷺ ، وبالقرآن الكريم الذى أنزل عليه ، فى مدرسة تدرس فيها سنته ﷺ ، وفى أم القرى البلد المقدس ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

الرد على النجدى فى إنكاره للصلوات :

تورط البدعى ابن عبد الوهاب بجهله فى إنكار صيغ الصلوات على سيدنا رسُول الله ﷺ من خمسة أوجه :

١ – أنه لم يستند إلى دليل من الكتاب والسنة يسوغ له تحذيره من الصلاة على النبىّ ﷺ ينقذه من إيذاء رسُول الله ﷺ وعداوته .

٢ – أن تحذيره من قراءة كتاب : « دلائل الخيرات » وغيره من كتب الصلوات على سيدنا

(١) سورة الأحزاب آية ٥٦ .

رسُول الله ﷺ جاء دون بيان يبرر هذا التحذير سوى أنه وأتباعه هم الأمة الإسلامية وحدهم، والإسلام ممثل فيهم وبذلك يقول: إن الأمة الإسلامية كفرت منذ ستمائة سنة فلا قدر ولا قيمة لها - على حد قوله - ما دامت غير مؤهلة له !!.

٣ - لم يكتف البدعى فى إيذاء رسُول الله ﷺ، بل ادعى أن سبب منع كتب الصلوات على سيدنا رسُول الله ﷺ ما فيها من التوسل بالأنبياء والصالحين. والتوسل - على حد رأى البدعى الحرانى ابن تيمية والبدعى النجدى ابن عبد الوهاب - شرك، وعليه فكتب: «دلائل الخيرات» ككتب الزندقة مفسد لعقائد المُسلِمين !! نعوذ بالله من زلقات اللسان وفساد الجنان.

٤ - لم يكتف البدعى النجدى بالطعن فى مؤلف كتاب «دلائل الخيرات» على قاعدة أهل الرواية المبرزين فى النقد - لو كان من أهلها معاذ الله - بأن قال مثلا: إن رواة الأحاديث التى استشهد بها فى كتابه غير ثقة، أو أنه ذكر فى أول كتابه أحاديث موضوعة فى فضل الصلاة على النبىّ ﷺ، بل ظفر إلى الطعن فى مؤلف الكتاب العلامة الفقيه محمد بن سليمان المغربى الجزولى المتوفى سنة ٨٧٠ هـ بأن قال عنه: إنه كافر يهودى !!.

ما أشد جهله وغلظته وجفوته !! حيث خرج بفكره هذا من حيث يطلع قرن الشيطان.

٥ - إن تحسين الظن بالمُسلِم واجب له على أخيه المُسلِم لقوله ﷺ: «اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم»[1] ولكن البدعى النجدى يكفر أهل القبلة ويتتبع عثرات المُسلِمين مخالفا بذلك نهيه ﷺ عن تتبع عثرات المُسلِمين فى قوله: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تتبعوا عورات المُسلِمين ولا عثراتهم فإن من تتبع عورات المُسلِمين تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف بيته»[2].

دع ما يقوله الحرانى والنجدى النابذان لكتاب الله، المشاققان لرسُول الله ﷺ الخارجان

---

(١) رواه أبو داود ٤٩٠٠ والترمذى ١٠١٩ والبيهقى فى السنن الكبرى ٧٥/٤ والبغوى فى شرح السنة ٣٨٧/٥ والتبريزى فى مشكاة المصابيح ١٦٧٨ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٧/ ٤٩١، ٣٧٤/١٠ والهيثمى فى موارد الظمآن ١٩٨٦ والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار ١٢٢/٣ والطبرانى فى المعجم الصغير ١٦٦/١١.

(٢) رواه أبو داود ٤٨٨٠ والطبرانى فى المعجم الكبير ١٨٦/١١ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٣/ ٢٣٩، ٢٤٠ والبغوى فى شرح السنة ١٠٤/١٣ والهيثمى فى مجمع الزوائد ١٤٩٤/٣ والبيهقى فى دلائل النبو ٢٥٦/٦ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٢٦٩/٦، ٢٧٠، ٥٣٤/٧ والتبريزى فى مشكاة المصابيح ٥٠٤٤ وفى أمالى الشجرى ٢١٥/٢ والسيوطى فى الر المنثور ٩٣/٦ وابن كثير فى تفسيره ٣٦٠/٧ والقرطبى فى تفسيره ٣٣٣/١٦، ٣٣٦ وأبو نعيم فى دلائل النبوة ١٥٧.

على إجماع الأمة الإسلامية، ثم وازن بين ما يقوله الأئمة الأعلام فى كتبهم المؤلفة فى الأمر بالصلاة على النبىّ ﷺ أمرًا مطلقا، وما عليه الأمة الإسلامية من التمسك بكتب الصلوات على رسُول الله ﷺ والترحم على أصحابه وذكرهم بكل خير.

من لم يصل على سيدنا رسول الله ﷺ فقد آذاه ومن آذاه فقد آذى الله:

إنه لما كان شأن سيد العالمين أرفع الخلق، فقد لفت الله سبحانه وتعالى النظر إلى ذلك فى الكثير من آياته الكريمة، ثم أمر عباده ألا يسيئوا إلى حضرته فى شىء ما، فقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُم أَن تُؤذُوا رسُولَ اللهِ ﴾[1].

ثم أوجب عليهم دوام استمرار الصلاة والسلام عليه كما هو المتبادر من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النبىّ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسلِيمًا ﴾[2].

قال العلامة الألوسى: أى عظموا شأنه وارفعوا من قدره بقدر طاقتكم البشرية. ولما علموا أن طاقتهم البشرية لا تستطيع أن تؤدى القدر اللائق لحضرته قالوا: كيف نصلى عليك؟ قال لهم: ارفعوا ذلك إلى من أمر به الحق عز وجل، قولوا: «اللَّهم صل على محمدٍ»[3] روايات الحديث. ثم بين الله تعالى لهم أن كل من لم يعمل ذلك فقد آذاه. ومن آذاه، فقد آذى الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤذُونَ اللَّهَ ورسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِى الدُّنيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُم عَذَابًا مُهِينًا ﴾[4].

الصلاة عليه وعلى آل بيته:

ثم لما كانت الصلاة والسلام عليه خاصة بحضرته لا يشاركه فيها غيره كما هو صريح القرآن. وقد طلب الصحابة البيان من حضرته، أدخل فى بيانه النبيين وأزواجه وذريته، وعليه قال أفاضل الأمة أن الصلاة والسلام على غيره لا تجوز إلا تبعا له من آل البيت والصحابة والعلماء العاملين والأولياء والصالحين.

وأما البعض الآخر فقد أجازها مستدلًا بقوله ﷺ: (صلوا على آل فلان)( ) وقد صلى

---

(١) سورة الأحزاب آية ٥٣.
(٢) سورة الأحزاب آية ٥٦.
(٣) سبق تخريجه.
(٤) سورة الأحزاب آية ٥٧.
( ) رواه البخارى فى كتاب الزكاة الباب ٦٤ وكتاب الدعوات الباب ١٨ وأبو داود فى كتاب الزكاة الباب السابع =

ﷺ على أبى بكر، وعمر وعثمان وعلى.

إن اللّه تعالى قد أخبر عباده بأنه يوجد بعد الصحابة من يقوم بتبيين ما فى الكتاب العزيز بما هو أنسب لعباده فى أزمنتهم بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنهُم يَتلُوا عَلَيهِم آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِم وَيُعَلِّمُهُم الكِتَابَ وَالحِكمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبلُ لَفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ وَآخَرِينَ مِنهُم لَمَّا يَلحَقُوا بِهِم وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ذَلِكَ فَضلُ اللَّهِ يُؤتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِ﴾[1] ثم إن كان النبىّ ﷺ قال لأصحابه يومًا: (هل تدرون من أقوى الخلق إيمانًا؟ قالوا الملائكة، قال: وأجدر؟ قالوا: المرسلون، قال: وأجدر؟ قالوا: باللّه يا رسُول اللّه حدثنا من هم؟! قال: ناس من أمتى يأتون فى آخر الزمان يقرأون القرآن ويؤمنون به ويصدقوننى فهم أقوى الخلق إيمانًا)[2] الحديث يرويه الترمذى وغيره.

فهذا أول استحداث الزيادة الخاصة بالصلاة والسلام على غير حضرته، ولما رأى أفاضل العلماء أن الصلاة على غير حضرته جائزة خصوصًا فى حق الصالحين والمصلحين ومن كان على قدم من يلحق بتبعيته ﷺ، وأن المقصود من الصلاة طلب الخير للمصلى عليه، زاد بعض من يقتدى به بالصلاة والسلام بعد الأذان لذلك، ولأجل التعريف بشأن من يصلى عليه الذى أفرده اللّه تعالى فى كتابه العزيز أنه أفضل خلقه على الإطلاق. اللّهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

من منع الصلاة على النبى بعد الأذان فقد آذاه:

جعل الله لسيد العالمين مزية خاصة على جميع الأنبياء والمرسلين وهى كثرة الصلاة عليه ﷺ - حتى من دأب على ذلك ولازم عليها من المقربين ولا يتقرب إليه تعالى إلا بهذه الوسيلة-فأمرهم، والأمر للوجوب بقوله تعالى: ﴿صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسلِيمًا﴾[3] أى بالدوام والاستمرار.

لا يخفى أن اللّه سبحانه وتعالى حذر عباده عن مطلق إيذائه ﷺ بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لَكُم أَن تُؤذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾[4] الآية، وفى عدم الصلاة والسلام عليه ﷺ وعدم الإعلان بها وعدم تنبيه الناس بالصلاة عليه إعراض عن ذكره وذكر الذاكرين لله تعالى ولحضرته

= والنسائى فى كتاب الزكاة الباب ١٣.

(١) سورة الجمعة آية ٢ - ٤.

(٢) رواه الترمذى وغيره.

(٣) سورة الأحزاب آية ٥٦.

(٤) سورة الأحزاب آية ٥٣.

ﷺ ، أفلم يكن منع هؤلاء المانعين للصلاة والسلام عليه بعد الأذان خصوصًا بعد أن أجمع عليها علماء الأمة الإسلامية من الإيذاء لحضرته ﷺ؟ وإن كانت الآية الكريمة تتناول أكثر من ذلك .

أو لم يخش هؤلاء المانعون للصلاة والسلام عليه بعد الأذان أن يدخلوا فى الوعيد الشديد لخروجهم على إجماع المُسلِمين؟ ذلك الخروج المبين فى قوله تعالى : ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعدِ مَا تَبيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِع غَيرَ سَبِيلِ المُؤمِنِينَ نُولِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَت مَصِيرًا** ﴾[1] وقد قال ﷺ : (عليكم بالجماعة فمن فارق الجماعة قيد شعرة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه)[2] وقال : (يد الله مع الجماعة)[3] وقال فى معنى الجماعة : (السواد الأعظم) أى من المُسلِمين .

أو لم يخشوا أن يدخلوا تحت الوعيد بمنعهم ذكر الله تعالى ورسُوله ﷺ وما يترتب على منعهم من عدم الصلاة والسلام من السامعين للصلاة والسلام عليه بعد الأذان فيكونوا بذلك قد آذوا الله ورسُوله الذى جاء به الوعيد الشديد فى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُؤذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِى الدُّنيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُم عَذَابًا مُهِينًا** ﴾[4] نسأل الله تعالى السلامة والعفو والعافية .

شبهات وأباطيل الوهابية حول منع الصلاة على النبىّ ﷺ :

لقد تلقت الأمة الإسلامية كتبًا فى الصلوات على سيدنا رسُول الله ﷺ بالقبول شرقًا وغربًا حتى ظهر البدعى النجدى ابن عبد الوهاب فقام ينهى عن الصلاة على النبىّ ﷺ ، ويتأذى من سماعها ، ويمنع الإتيان بها ، أو الجهر بها على المنائر ، ويؤذى من يفعل ذلك ويعاقبه أشد العقاب ، حتى أنه قتل رجلًا أعمى كان مؤذنًا صالحًا صاحب صوت حسن نهاه عن الصلاة عن النبىّ ﷺ بعد الآذان فلم ينته فقتله « راجع كتاب توسل النبىّ وجهلة الوهابيين للعلامة أبى حامد بن مرزوق » .

---

(١) سورة النساء آية ١١٥ .

(٢) رواه أحمد فى الجزء الثالث صفحة ٣٣٢ وفى الجزء الرابع صفحة ١٣٠ ، ٢٢٠ وفى الجزء الخامس صفحة ١٦٥ ، ١٨٠ ، ٣٤٤ وأبو داود فى كتاب السنة الباب ٢٧ والترمذى فى كتاب الأدب الباب ٧٨ والنسائى فى كتاب قطع السارق الباب الأول وابن ماجة فى كتاب الفتن الباب ٢٧ .

(٣) رواه الترمذى فى كتاب الفتن الباب السابع والنسائى فى كتاب التحريم الباب السادس .

(٤) سورة الأحزاب آية ٥٧ .

وكان هذا البدعى النجدى ابن عبد الوهاب يقول: إن الربابة فى بيت الخاطئة - يعنى الزانية - أقل إثمًا من الذى ينادى بالصلاة على النبىّ ﷺ على المنائر، ويلبس على المُسلِمين بأن ذلك كله للمحافظة على التوحيد، وقام بحرق كتب الصلاة على النبىّ ﷺ.

هذا وإن مقلدى البدعى النجدى لا يزالون ينفذون رأيه تمامًا غير منقوص، وذلك بإتلاف كتب الصلوات، ورمى رجالها بالزندقة والإلحاد، وقارئيها بالشرك، ويعتقدون أنهم بهذا العمل مجاهدون مأجورون، كأنهم فتحوا مدينة من مدائن الملحدين والكفار، ومع ذلك لا ينكرون كتب الإلحاد والتبشير والاستشراق الطاعنة فى صميم الدين الإسلامى وفى رجاله، كما لا ينكرون المجلات وأشرطة الفيديو وأفلام السينما المملوءة بالصور القبيحة المفسدة لأخلاق المُسلِمين وعقائدهم والتى تباع علنا فى أسواقهم «راجع رد السيد علوى بن أحمد بن علوى الحداد فى كتاب مصباح الأنام وجلاء الظلام فى رد شبهة البدعى النجدى التى أضل بها العوام».

وعندما فرض فكر البدعى النجدى على أهل مكة سنة ١٣٤٣ هجرية كان أهل مكة دائما ما يرددون صيغ الصلوات على سيدنا رسُول اللّه ﷺ، فإذا بدعاة الوهابية تمنع أهل مكة من هذه الصيغ متذرعين بقولهم «اذكروه ولا تعبدوه». وهذا يدل على أنه قام فى عقولهم الفاسدة، أن كل من عظم النبىّ ﷺ بالصلاة عليه، فهو عابد له، فهم بذلك ينتهكون حرمته ﷺ تطبيقًا لما أسسه شيخهم البدعى النجدى فى قوله: محمد ﷺ «طارش» أى أدى الرسالة وذهب. «راجع رد السيد أحمد بن زينى دحلان فى كتاب الدرر السنية فى الرد على الوهابية».

وعليه فيذكرونه ﷺ بمجرد اسمه دون شئ يدل على احترامه، وكذلك الحال بالنسبة لأصحابه رضى الله عنهم. لأن ألفاظ الاحترام تعد غلوًا عندهم ينافى التوحيد، ولا يكون غلوًا ولا منافيًا للتوحيد إذا كان فى أئمة أهل التكفير والتشريك والتبديع مثل ابن تيمية الحرانى الذى يقولون عنه: «شيخ الإسلام»، وكذلك ابن عبد الوهاب النجدى الذى يقولون عنه: قدس اللّه روحه تأليهًا لرأيهما.

وقد أفتى خادم الوهابية - رشيد رضا - بأن الصلاة على النبىّ ﷺ بعد الأذان بدعة قبيحة، فنتج عن فتواه فتنة فى الأقطار الإسلامية، مما اضطر الشيخ يوسف الدجوى للرد عليه فى مجلة الأزهر فأبطل بذلك فتواه.

وفى سنة ١٣٧٦ هجرية نشرت هيئة الأمر بالمعروف بالمعروف والنهى عن المنكر بمكة إعلانًا حذرت فيه من الكتب التى بها صيغ من الصلوات على سيدنا رسُول اللَّه ﷺ ، وذلك دون مبررات تسوغ لهم هذا التحذير، وكان يتعين على هيئة الأمر بالمعروف ألا تفترى على الأمة الإسلامية التى تلقت كتب الصلوات على سيدنا رسُول اللَّه ﷺ بقبول حسن منذ أكثر من عدة قرون.

الرد على هذه الشبهات والأباطيل :

١ - إن اللَّه سبحانه وتعالى أمر عباده المؤمنين بالصلاة والتسليم على حضرته ﷺ بدون شرط ولا قيد ولم يخصها بزمان دون زمان ولا حال دون حال ولا بالسر ولا بالجهر ولا بالقيام ولا بالقعود، بل قد رغب سبحانه وتعالى عباده بالثواب العظيم لكل مصل عليه، بما جاء فى بيان السنة من مثوبة اللَّه تعالى لعبده المصلى عليه، حتى أجمع أفاضل الأمة على أنه لا يعادل ثواب القرآن - أى نوع من العبادة - إلا الصلاة على رسُول اللَّه ﷺ، وأن الأعمال تحبط برفع الصوت فيها جهرة، وأن الصلاة على رسُول اللَّه ﷺ لا يحبطها أى رياء ولا رفع الصوت بها جهرة.

٢ - إن الصلاة عليه ﷺ يجب أن تكون بأية صيغة من الصيغ المشروعة من بيانه الشريف وبأى لفظ يشعر فيه بعظم قدره العظيم مما أخذ من ذلك البيان الكريم من طرق حديث تعليمه ﷺ الأمة كيف تكون الصلاة عليه - فبين فى الصيغة الإبراهيمية طرقًا متباينة الألفاظ والمعانى ثابتة الأركان والمبانى.

فأفاضل الأمة أجازوا التنويع فى الصلاة عليه ﷺ بقدر معرفة المصلى وبقدر علمه بشئ من مزاياه الشريفة، وهاك شيئًا مما بينه أفاضل الأمة، قال العلامة الألوسى فى الجزء السابع من تفسيره عند قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1] صلوا عليه أى عظموا شأنه فإنكم أولى بذلك والأمر فى الآية للوجوب. بل أجمع الأئمة والعلماء عليه وقالوا: يجب الإكثار منها من غير تعيين بعدد، وقيل: تجب فى كل مجلس مرة وإن تكرر ذكره ﷺ مرارًا، وقيل: تجب فى كل دعاء، وقيل: تجب كلما ذكر ﷺ، سواء سمع ذكره من غيره أو ذكره بنفسه، وأنها تجب على المؤذن، وسامعه، والقارئ المار بذكره.

٣ - إن المراد بالتعظيم المأمور به ما يكون بهذا اللفظ ونحوه مما يدل على طلب التعظيم لشأنه

---

(١) سورة الأحزاب آية ٥٦.

عليه الصلاة والسلام من الله عز وجل لقصور وسع المُؤمنين عن أداء حقه، وما جاء فى الأخبار إرشاد إلى كيفية ذلك يعني أنه لما كان شأن المُؤمنين عدم استطاعهم القيام بحقه والتعريف بقدره عرفهم ﷺ أن يرفعوا ذلك إلى العليم الخبير بقوله: اللّهم صل على محمد وعلى آل محمد.

وجاء ذلك على عدة أوجه والجمع ظاهر، أخرج عبد الرازق وابن أبى شيبة، والإمام أحمد، وعبد بن حميد، والبخارى، ومُسلِم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة وابن مردويه عن كعب بن عجرة رضى اللّه تعالى عنه قال: قال رجل: يا رسُول اللّه: أما السلام عليك فقد علمناه.. فكيف الصلاة عليك؟ قال: قل: (اللّهم صل على محمد وآل محمد، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللّهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد)[1].

وأخرج الإمام مالك والإمام أحمد والبخارى ومُسلِم وأبو داود والنسائى وابن ماجة وغيرهم، عن أبى حميد الساعدى أنهم قالوا: يا رسُول اللّه: كيف نصلى عليك؟ فقال رسُول اللّه ﷺ: قولوا (اللّهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد)[2].

وأخرج الإمام أحمد والبخارى والنسائى وابن ماجة وغيرهم عن أبى سعيد الخدرى قلنا: يا رسُول اللّه.. هذا السلام عليك قد علمنا فكيف الصلاة عليك؟ قال: (قولوا.. اللّهم صل على محمد عبدك ورسُولك كما صلّيت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم)[3].

وأخرج النسائى وغيره عن أبى هريرة أنهم سألوا رسُول اللّه ﷺ: كيف نصلى عليك؟ قال: (قولوا.. اللّهم صل على محمد وآل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه البخارى فى كتاب الأنبياء الباب ١٠ ومُسلِم فى كتاب الصلاة الحديث ٦٩ ومالك فى الموطأ فى كتاب السفر الحديث ٦٦ والنسائى فى كتاب السهو الباب فى ٥٤ وابن ماجة فى كتاب الإقامة الباب ٢٥.

(٣) رواه البخارى ١٥١/٦، ٩٥/٨ والنسائى فى كتاب السهو الباب ٥٣ وابن ماجة ٩٠٣ وأحمد ٤٧/٣ والبيهقى فى السنن الكبرى ١٤٧/٢ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٨٠/٥، ٨١، ١٣٢ وابن كثير فى تفسيره ٤٤٩/٦ والطبرى فى تفسيره ٣٢/٢٢ والمتقى الهندى فى كنز العمال ١٥٧٩٠ وابن سنى فى عمل اليوم والليلة ٣٧٧ والسيوطى فى الدر المنثور ٢١٦/٥ والهيثمى فى موارد الظمآن ٢٣٨٥ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٥٠٢/٢ والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار ٣٢٣/١ وابن حجر فى فتح البارى ٥٣٢/٨، ١٥٢/١١ وابن أبى شيبة فى مصنفه ٥٠٧/٢.

كما صليت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد)[1].

وأخرج الإمام أحمد وعبد بن حميد وابن مردويه عن ابن بريدة رضى اللّه عنه قال: قلنا: يا رسُول اللّه.. قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك؟ قال: (قولوا.. اللّهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد كما جعلتها على إبراهيم إنك حميد مجيد)[2] إلى غير ذلك مما ملئت به كتب الحديث.

٤ - ونقل عن جمع من الصحابة ومن بعدهم أن كيفية الصلاة عليه ﷺ لا يوقف فيها مع المنصوص. وأن من رزقه اللّه تعالى بيانًا فأبان عن المعانى بالألفاظ الفصيحة المبانى، الصحيحة المعانى، مما يعرب عن كمال شرفه ﷺ وعظيم حرمته فله ذلك، واحتج له بما أخرجه عبد الرازق وعبد بن حميد وابن ماجة وابن مردويه عن ابن مسعود رضى اللّه تعالى عنه قال: إذا صليتم على النبىّ ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه. قالوا: فعلمنا. قال: قولوا: اللّهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسُولك إمام الخير وقائد الخير ورسُول الرحمة. اللّهم ابعثه مقامًا محمودًا يغبطه به الأولون والآخرون. اللّهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد.

٥ - وفى قوله: سبحانه وتعالى: ﴿صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسلِيمًا﴾[3] رمز خفى إلى طلب تحسين الصلاة عليه ﷺ. حيث أتى به كلامًا يصلح أن يكون شطرًا من البحر الكامل، فتدبره فإنى أظن أنه نفيس. واستدل النووى رحمه اللّه تعالى بالآية على كراهة إفراد الصلاة عن السلام وعكسه لورود الأمر بهما معًا فيها.

٦ - العلامة الألوسى يعتبر بأن الصلاة والسلام على رسُول اللّه واجبة على أفراد المؤمنين ومن بينهم المؤذنين وأن لا تخصيص ولا التزام بالإبراهيمية فقط بل يصلى بما شرحه وبينه أفاضل العلماء العاملين وهذا هو وجه استدلال أفاضل الأمة على التنويع فى صيغ الصلاة عليه ﷺ.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه أحمد ٣٥٣/٥ وابن أبى شيبة فى مصنفه ٥٠٨/٢ وفى الشفا للقاضى عياض ١٩٠/٢ والسيوطى فى الدر المنثور ٢١٧/٥.

(٣) سورة الأحزاب آية ٥٦.

الصلاة والسلام بعد الأذان وجهر المؤذن بها :

لا يخفى على كل ذى عقل سليم أن كل مخالف خارج عن إجماع المُسلِمين ؛ أنكر حكم الصلاة والسلام على رسُول اللّه ﷺ بعد الأذان بدعوى أنه لم يفعلها ﷺ وعلى أنها لا تكون إلا سرًا .

استدل أفاضل الأمة على جواز الصلاة والسلام عليه ﷺ بعد الأذان وجهر المؤذن بها باستنباطات منها :

١ - مما أخذ من بيانه الشريف ، حيث أمر بحكاية السامع للأذان فقال : (قولوا مثل ما يقول ثم صلوا علىّ)[١] الحديث ولا يخفى أن حكاية الأذان لا تكون من السامع إلا سرًا والأذان للمؤذن جهرًا . وذلك من متبادر منطوق اللفظ الشريف ، إذ أنه قد وقع التنبيه من حضرته بالصلاة فى وقت تعليمه الأمة حكاية قول المؤذن للأذان ، وفيه الإشارة والتنبيه للمؤذن بزيادة الصلاة عليه بعد الأذان وأن السامع أيضًا يحكى الصلاة والسلام عليه لأجل ألا يحرم ثواب حكاية الأذان والصلاة عليه .

٢ - وإن كان لم ينفذ فعلها بهذه الكيفية فى زمنه ﷺ ولا الصحابة لأن الزمن الذى شاء اللّه تعالى إظهارها والجهر بها فيه لم يأت بعد ولم يولد من يظهر اللّه على يديه ذلك . فاستحداثها من مصداق قوله ﷺ (من سن سنة حسنة)[٢] الحديث وقوله : (من أحيا سنتى فقد أحبنى)[٣] الحديث . واعلم أنها من سنة الأقوال ، وإن تشأ فقل : علم النبىّ ﷺ بأسرار الوحى أن الصلاة والسلام عليه ستزاد فى المستقبل بعد الأذان فأمر السامعين بحكايتها كما يحكون الأذان ليحصل لهم الأجر فى الأمرين ، ويجهر المؤذن بها ليكون سببًا فى صلاة كل مصلٍّ على حضرته من السامعين ، فيؤجر بأجر المصلين

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الأذان الباب ٧ ومُسلِم فى كتاب الصلاة الحديث ١٠ ، ١١ والترمذى فى كتاب الصلاة الباب ٤٠ وكتاب المناقب الباب الأول والنسائى فى كتاب الأذان الباب ٣٣ ، ٣٥ - ٣٧ وابن ماجة فى كتاب الأذان الباب الرابع والموطأ فى كتاب النداء الحديث الثانى والدارمى فى كتاب الصلاة الباب ١٠ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ١٢٠ والجزء الثانى صفحة ١٦٨ والجزء الثالث صفحة ٦ ، ٥٣ ، ٩٠ والجزء الرابع صفحة ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٠٠ والجزء السادس صفحة ٩ ، ٣٢٦ .

(٢) رواه مُسلِم فى كتاب العلم الحديث ١٥ وكتاب الزكاة الحديث ٦٩ والدارمى فى كتاب المقدمة الباب ٤٤ وابن ماجة فى كتاب المقدمة الباب ١٤ والنسائى فى كتاب الزكاة الباب ٦٤ وأحمد فى الجزء الرابع صفحة ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ .

(٣) رواه الترمذى ٢٦٧٨ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ١١٨/١ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٩٣٣ .

على حضرته ﷺ فى هذا الوقت وهذه المناسبة .

٣ - وقد أخذوا كونها مطلوبة من المؤذن بعد الأذان من بيانه الشريف أيضًا ، لأنه ليس من المعقول أن يأمر السامعين فقط والمؤذن لا يدخل تحت الأمر لأنها واجبة على كل مؤمن ، وعلى من يسمع ذكر النبىّ أن يقول على الأقل اللهم صلِّ عليه لأن كثرة اشتغال الناس بالدنيا تجعلهم فى الغالب غافلين فلا يصلون على حضرته إلا بذكر اسمه ، ودخول المؤذن فى عموم أمره ﷺ واجب .

٤ - وقولهم : لا يصلى عليه إلا سرًا بعيد جدًا . إذ لا يتفق مع قوله ﷺ : (قولوا مثل ما يقول ثم صلوا علىّ)[1] ولا يعرف السامعون ما يقول المؤذن إلا إذا كان جهرًا ، وإن قيل : إن السامع يقول سرًا فى حكاية الأذان والصلاة عليه أيضًا فالمؤذن أيضًا يقول سرًا . فإنا نقول : إن المطلوب من المؤذن الجهر بالأذان فالصلاة بعده على حضرته لا تكون منه إلا كذلك .

٥ - ومن فوائد الجهر بها بعد الأذان أمور منها : سماع من يريد حضور الجماعة ممن فاتهم سماع الأذان لأمر ما خصوصًا وقد كثر الشغل فى أيدى الناس ، ومنها الجهر بتعظيم شأن سيد العالمين ، ومنها الإطالة فى إظهار الشعائر وإعلان الحرص على ذلك والحب البالغ لله ورسُوله لابتهاج المؤمنين ، وغيظ الملحدين والكافرين ، هذا هو وجه استدلال عقلاء الأمة وإجماعهم على الجهر بهما ليعم النفع وتتم الفائدة .

٦ - قول المؤذن : يا أول خلق اللّه ، ويا نور عرش اللّه ، ويا مليح الوجه ، ويا رحمة اللّه ، ويامن على بساط النور أجلسك اللّه ، وغيرها من أنواع الصيغ... .

لا يخفى على العقلاء أن إنكارهم الصلاة والسلام على رسُول ﷺ بعد الأذان ليست لزيادتها فحسب بل إنما ينكرون هذه الألفاظ ومعانيها العالية لأن عقيدتهم فى سيد العالمين جعلتهم على قسمين :

أ - من يستعظم هذه الألفاظ ويستكثرها على حضرته ﷺ لفرط جهله بمعنى الآيات الدالة على بشريته التى ما جعلها اللّه تعالى إلا لاقتداء البشر بحضرته ﷺ . وهذا هو الفريق الزائغ لا يعطى النبىّ من المزايا أزيد مما يعطى غيره من البشر من كل الوجوه فيستكثر ذلك على حضرته ﷺ .

---

(١) سبق تخريجه .

ب - من ينكرها حسدًا وتعمقًا فى المعارضة لإجماع المُسلِمين ، جريًا على طريقة أسلافهم الضالين فهم على قدم المنافقين فى زمنه ﷺ .

فى قول المؤذن : يا أول خلق الله :

إن اختيار المصلى على حضرته ﷺ بعد الأذان للفظ : يا أول خلق الله وغيره ، وسكوت أفاضل الأمة وهم علماؤها على ذلك ، ما هو إلا مقيد لإجماعهم على صحته ، وكان هذا كافيًا فى الدليل على ذلك ، إذ أن الله تعالى حباه ﷺ مزيد فضل على فضل ، وخصه بأشياء لم يخص بها غيره من المفضلين من خلقه ، وقد جعل له سبحانه وتعالى مزايا لم يشاركه فيها غيره من جمع المفضلين من الأنبياء والمرسلين .

وها هو القرآن الكريم الذى جمع جميع ما فى الكتب السماوية وجميع الشرائع الإسلامية شرائع الأنبياء والمرسلين ، بين لنا سبحانه وتعالى فيه أنه لم يوجد أفضل منه من سائر خلقه . وحيث كان كذلك فليس فوقه فى الفضل إلا الله تعالى . مع العلم بأن الوجود كله فى نظر العقلاء عبارة عن عبد ورب بدليل قوله تعالى : ﴿ **إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ إِلَّا آتِي الرَّحمَنِ عَبدًا** ﴾[1] الآية والمقرر عقلًا ونقلًا أن العبودية حادثة فلا بد لها من أول . وحيث كان ﷺ أفضل خلق الله فهو أول خلق الله تعالى ردًا على زعم الضالين ﴿ **قُل إِن كَانَ لِلرَّحمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ العَابِدِينَ** ﴾[2] فالعاقل يحرص على لفظ « أول » فى كل تأويل عند أهل التأويل ، إذ منهم من يقول أول من يعبد ذلك الولد ، على زعم الضالين ، ومنهم من يقول أول من يعرف إن كان لله ولد ، ومنهم من يقول أول الرافضين أن لله تعالى ولد ، ومنهم من يقول لكنت أنا ذلك الولد لأن لا يوجد أكرم منى على الله تعالى . تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا !! .

ولا تنس أن الله سبحانه وتعالى لم يقلها لأحد من خلقه المفضلين سواه ﷺ وإن كان قد قال جل وعلا لغيره من المفضلين ﴿ **أَوَّلُ المُؤمِنِينَ** ﴾[3] ، ولكن ﴿ **أَوَّلُ العَابِدِينَ** ﴾[4] لم تقل لغير حضرته ﷺ ، كما قال له سبحانه فى موطن آخر ﴿ **أول المسلمين** ﴾[5] فالقائل يا أول خلق الله ، ما نطق إلا بالحق وما أتى إلا بالصدق .

---

(١) سورة مريم آية ٩٣ .
(٢) ، (٤) سورة الزخرف آية ٨١ .
(٣) سورة الأعراف آية ١٤٣ .
(٥) سورة الأنعام آية ١٦٣ .

كيف هو خاتم الأنبياء والمرسلين وأول خلق الله ؟! :

١ - أو لم تتنبه لآدم عليه السلام وهو وبنوه أفضل المخلوقين ولم يوجدهم الحق عز وجل بشرًا على وجه الأرض إلا بعد أن أوجد لهم كل شئ قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى الأَرضِ جَمِيعًا﴾[١] وفى آية أخرى : ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرضِ جَمِيعًا مِنهُ﴾[٢] فكذلك حضرته ﷺ لم يوجده الحق عز وجل ببشريته إلا بعد أن أوجد له كل المفضلين من الأنبياء والمرسلين، فكانوا بحضرته لأممهم خير معرفين.

٢ - قال تعالى : ﴿وَإِذ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النبِيِّينَ لِما آتَيتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكمَةٍ ثُمَ جَاءَكُم رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُم لَتُؤمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّه قَالَ أَأَقرَرتُم وَأَخَذتُم عَلَى ذَلِكُم إِصرِى قَالُوا أَقرَرنَا قَالَ فَاشهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[٣] فبصريح كلام رب العالمين أن الأنبياء والرسل نواب عن حضرته ﷺ فى البلاغ فهو رسول الرحمة الشاملة لجميع عباد الله تعالى، قال تعالى : ﴿وَمَا أَرسَلنَاكَ إِلَّا رَحمَةً لِلعَالَمِينَ﴾[٤] أى لجميع من شاء الله تعالى إبداعه دنيا وأخرى من جميع محدثاته.

قول المؤذن: يا نور عرش الله :

إنه ﷺ ليس بنور عرش الله فحسب بل نور الوجود بأسره، ولما كان العرش أعظم خلق الله تعالى أقر العلماء قول المؤذن : يا نور عرش الله. والعرش العظيم الكريم جسمه من النور وما نوره إلا من نور حضرته ﷺ إذا أن العرش مخلوق والنبىّ أول خلق الله، قال تعالى : ﴿قَد جَاءَكُم مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهدِى بِهِ اللَّهُ﴾[٥] الآية فعلم أنه أكمل خلق الله تعالى فى كل شئ مصداق قوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٦] وحيث كان كذلك. فتكون ذاته أكمل الذوات ومن الكمال نهاية الجمال، وأنه يعبر عن الذات بالوجه فمن قال : يا مليح الوجه قد أتى بالحق والصدق. ومن أنكر ذلك فقد قصر عقله عن إدراك معانيها.

---

(١) سورة البقرة آية ٢٩ .
(٢) سورة الجاثية آية ١٣ .
(٣) سورة آل عمران آية ٨١ .
(٤) سورة الأنبياء آية ١٠٧ .
(٥) سورة المائدة آية ١٥ - ١٦ .
(٦) سورة القلم آية ٤ .

قول المؤذن : يا من على بساط النور أجلسك اللّه :

وأما قول المؤذن : يا منْ على بساط النور أجلسك اللّه ، فقد ثبت فى السيرة المحمدية التى هى أول مؤلف فى السنة فى الدين الإسلامى كيفية مروره ﷺ ليلة المعراج فوق العرش إلى المكان الذى أعده اللّه تعالى فوقه لحضرته لغرض الصلاة عليه وعلى أمته . فجعل يقول ﷺ : التحيات لله ، الزاكيات لله ، الطيبات لله ، الصلوات لله . قال اللّه عز وجل : السلام عليك أيها النبىّ ورحمة اللّه وبركاته . فقال النبىّ ﷺ : السلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين ، فقال كل ملك : أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسُوله .

ولا يخفى أن ما يمر عليه الشخص خصوصًا فى هذه الأمكنة النورانية لا يتصور ما تحته من العناية والرعاية فى هذه البقاع النورانية إلا ما يتناسب مع كل هذه المقامات بالبساط حتى يعبر عنه عند الوصف بما يليق بهذا المكان والمقام . فمن قال : يامن على بساط النور أجلسك اللّه ، فقد صدق ، وهذا طبعًا لم يصدر إلا من العارفين ، الَّذِينَ عرّفوه للمؤذنين ليحكوه للناس من مميزات حضرته ﷺ .

وخلاصة القول فلا يتعرض بالنقد والانتقاد على ألفاظ المحبين إلا كل شقى لم يفطن إلى قوله تعالى : ﴿ صلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسلِيمًا ﴾[1] على ما قدمنا . وأما حضرته ﷺ فقد أجمع علماء الأمة الإسلامية : لا يعرف قدر محمد إلا رب محمد . « راجع كتاب فيض الوهاب للشيخ عبد ربه سليمان الجزء الرابع ص ١٠٤ » .

لم تمنع الوهابية الصلاة على رسول اللّه بعد الأذان ؟:

الوهابية وأبواقها الدعائية يعدون ذلك مغالاة وزيادة إطراء ، وذلك لعمى قلوبهم وطمس بصائرهم عن فهم الحقائق ، إذ نظروا إلى بشريته التى جعلها اللّه سبحانه وتعالى للاقتداء به فى كل ما يجرى على بنى البشر فى الحياة الدنيا . ثم لفت نظرهم بقوله تعالى : ﴿ لَقَد كَانَ لَكُم فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[2] وهذه الآية كافية فى الدلالة على أن الاقتداء به ﷺ هو السبيل الوحيد إلى رضوان اللّه تعالى ، وقد خلقه اللّه تعالى جامعًا بين البشرية والنورانية ، كما جعل عيسى عليه السلام من ملك وبشر ، فلطمس بصائرهم لم يفهموا إلا البشرية فقط كالنصارى ، ولم ينظروا فى عيسى عليه السلام إلا إلى النورانية فقط .

---

(١) سورة الأحزاب آية ٥٦ .

(٢) سورة الأحزاب آية ٢١ .

فترى هؤلاء الضالين يحكمون على من يشيد من أهل الحق بمميزاته الشريفة بأنه ضال ومتغال ومطر فوق الحد ، لفهمهم أنه كان كالبشر من كل الوجوه لجرى العوائد البشرية عليه ﷺ ، واستدلوا بمثل هذه الآية التى لا يعقلون لها معنى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾[1] فقل لهم : اكملوا الآية وهو قوله تعالى : ﴿يُوحَى إِلَيَّ﴾[2] وهل أنتم يوحى إليكم ؟!.

إذًا فهو ﷺ ليس كالبشر من كل الوجوه ، وأيضًا استدلوا بمثل هذا الحديث الذى لايعقلون له معنى أيضًا (لا تطرونى كما أطرت اليهود والنصارى أنبياءهم) إذ معناه لا تمدحونى مدحًا يخرجنى عن كونى عبد الله ورسُوله كما غالت اليهود فى عزير وجعلته ابن الله وغالت النصارى فى عيسى كذلك ، وما ذكر ﷺ إلا لبيان الفارق بين المؤمنين والكافرين ، وهل أحد من المُسلِمين - والحمد لله - أو من المادحين لحضرته ﷺ قال كما قالت اليهود أو النصارى طوال هذه الأزمنة حتى يعد مغاليًا فوق الحد ؟ وهل يعد مغاليًا مطريًا من يذكر الحقائق التى خصه الله تعالى بها دون غيره من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ؟؟!.

قل لمن يقول إنه بشر مثلك : هل أحد من المفضلين من آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام كان مثله حتى يقول هذا الضال مثلك مثله ؟.

ومن ذا الذى عرج به ولو إلى سماء الدنيا ورجع يحدث عن ملكوت السماء مثل حضرته ﷺ ؟.

ومن شق صدره من الأنبياء والمرسلين مثل صدره الشريف ﷺ ؟.

ومن كان مثل حضرته ﷺ يأتيه الوحى نورًا يتخلل جسده الشريف حتى يخرج عن العوائد البشرية إلى فجاج عالم النور والروحانية ؟ من كان مثل حضرته ﷺ أقسم الله تعالى به فى كتابه العزيز ﴿لَعَمْرُكَ﴾[3] .

ومن كان مثله فى عناية الله تعالى به حتى قال له ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[4] ؟ ومن مثله خلع الحق عز وجل عليه من أسمائه الكريمة : رءوف ورحيم والهادى والحق وغير ذلك من أسمائه الشريفة ؟!.

ومن الذى خاطبه الحق عز وجل بالألقاب الشريفة : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾[5]

---

(١) ، (٢) سورة فصلت آية ٦ .

(٣) سورة الحجر آية ٧٢ .

(٤) سورة الطور آية ٤٨ .

(٥) سورة الأنفال آية ٦٤ .

و ﴿يَأَيُّهَا الرسُولُ﴾[1] وجمع المخاطبين من المفضلين بالأسماء مجردة وكفى ؟.

الصلاة والسلام بعد الأذان من بيانه الشريف :

إن الصلاة والسلام عليه ﷺ بعد الأذان من بيانه الشريف والعمل بها من سنة الأقوال التى يعمل بها فى الزمن الذى شاء الله تعالى إظهارها فيه . وهذا هو حكمها عند السادة الشافعية والحنابلة امتثالاً لقوله ﷺ : (صلوا على)[2] الحديث ، وعلل بعض الشافعية سنيتها لما فيها من استذكار السامعين للصلاة والسلام عليه ﷺ .

وهى عند الحنفية والمالكية - بدعة حسنة - وقولهم : بدعة ، لأنها لم تفعل بهذه الصفة فى زمنه ﷺ وقولهم حسنة ، لأن أصلها من الدين وكان يكفى المنكرين للصلاة والسلام بعد الأذان الرجوع إلى كتاب الفقه على المذاهب الأربعة .

ولحضرته ﷺ من البيان فى مستحدثات الزمان ما تقصر عقول الضالين عن الوصول إلى حقيقة معناه كما قدمنا وإلا لم يكن لقوله ﷺ (من سن سنة حسنة)[3] الحديث معنى - وقوله ﷺ (من أحدث فى ديننا هذا ما ليس منه فهو رد)[4] الحديث .. هذا المعنى إذ مفهومه من يحدث فى الدين ما هو منه فليس يرد ، والمردود إنما هو الذى لا أصل له فى الدين خصوصًا بعد أن أخبر عز وجل فى كتابه العزيز على من لم يعرف هذه المستحدثات من مثل هؤلاء الملحدين ، وبيان حال الخارجين بقوله تعالى : ﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ﴾[5] وأى ذكر بعد هذا الذى ينكره الخوارج عن إجماع المُسلِمين بعد أن جاء عن حضرته ﷺ فى بيان شأن المحدثات وأنها واقعة لا محالة بقدرة الله الحكيم العليم بأفعال عباده بقوله : (تحدثون ويحدث لكم) الحديث ، وقد رفعه أهل الحديث من طرق شتى .

---

(١) سورة المائدة آية ٦٧ .

(٢) رواه مُسلِم فى كتاب الصلاة الحديث ١١ وأبو داود فى كتاب الصلاة الباب ٣٦ والترمذى فى المناقب الباب الأول والنسائى فى كتاب الأذان الباب ٣٧ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ١٦٨ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ .

(٣) راه مُسلِم فى كتاب الزكاة الحديث ٦٩ وكتاب العلم الحديث ١٥ والنسائى فى كتاب الزكاة الباب ٦٤ وابن ماجة فى المقدمة الباب ١٤ .

(٤) رواه البخارى فى كتاب الصلح الباب الخامس ومُسلِم فى كتاب الأقضية الحديث ١٧ وابن ماجة فى المقدمة الباب الثانى وأحمد فى الجزء السادس صفحة ٢٧٠ .

(٥) سورة الشعراء آية ٥ .

ولكن لما كان المحدث على حالتين : ما هو حسن ومنه ما ليس بالحسن قال ﷺ فيما ليس بحسن : (إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة)[1] الحديث ، ومن المعلوم أن المحدث هو الذى يحدث بعد أن لم يكن من قبل فلبدإ أمره يقال له بدعة ، والبدعة هذه ينظر فيها العلماء من الأمة ، إما أن يكون لها أصل فى الدين أم لا .

فالتى لها أصل فى الدين يسمونها بالبدعة الحسنة ، لأنها من الدين كما تقدم فى الحديث كالصلاة والسلام بعد الأذان ، وكقسائم الزواج .

وإن لم يكن لها أصل فى الدين فهى الرد أو الضلالة التى يكون صاحبها فى النار ، وأنت تعرف أن من البدع ما هو واجب كتعليم الأدلة التى تقطع ألسنة الملحدين وكتعليم الآلات الحربية التى تقطع دابر الكافرين .

فتقول : من يقول على البدعة الحسنة التى لها أصل فى الدين ضلالة ، فإنما ذلك القول ضلالة منه !!.

(١) رواه الترمذى فى كتاب العلم الباب ١٦ وأبو داود فى كتاب السنة الباب الخامس وابن ماجة فى المقدمة الباب السادس والسابع والدارمى فى المقدمة الباب ١٦ وأحمد فى الجزء الرابع صفحة ١٢٦ ، ١٢٧ .

الفصل الثالث

ذكر الله تعالى

حجية الذكر فى الكتاب :

الذكر هو من أفضل العبادات - قال اللّه تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾[2] ، وقال جل ثناؤه ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[3] ، ومن خصائص الذكر أنه غير مؤقت بل هو مطلوب فى عموم الأوقات وجميع الأحوال : إما على جهة الفريضة ، وإما على جهة النفلية قال اللّه تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ ﴾[4] .

أما حلقة الذكر فقد جاءت فى كتاب اللّه تعالى والسنة المطهرة أما الكتاب العزيز ففى قوله تعالى ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾[5] بطريق الجمع فى كل الآى كما يؤخذ من بيان حضرة من أسند اللّه تعالى إلى حضرته البيان والتبيين فمن شاهد آثار صفات الحق سبحانه وتعالى ذكره سبحانه وورد اسمه تعالى على لسانه وقلبه كما وصفه تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[6] .

إن الذكر الَّذِى يبدو عبادة سهلة هينة ، يفضل كل أعمال الإسلام الأخرى .

لأن فى آيات القرآن ما يدل على أكثر من ذلك . يقول الحق تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾[7] .

---

(١) سورة الأحزاب آية ٤١ .
(٢) سورة البقرة آية ١٥٢ .
(٣) سورة العنكبوت آية ٤٥ .
(٤) سورة آل عمران آية ١٩١ .
(٥) سورة الأحزاب آية ٣٥ .
(٦) سورة الأنفال آية ٢ - ٤ .
(٧) سورة الفرقان آية ٦٢ .

فقوله تعالى : ﴿ جعل ﴾ يتضمن حكمة إيجاد الليل والنهار ، وأن تخالفهما أى تعاقبهما لإحداث الذكر أو الشكر أو كلاهما .

والآية إما أن تعنى الحصر ، بمعنى أن تخالف الليل والنهار إنَّمَا جعله الله تعالى للذكر والشكر وليس لشئ آخر .

وإما أن تعنى أنه تعالى جعل فى هذا التخالف بين الليل والنهار الطريق إليه سبحانه بالذكر والفكر .

إن ما تشير به الآيات من أن الذكر هو أفضل العبادات لا عجب فيه . فإن من الآيات ما يشير إلَى أكثر من ذلك بكثير : إن الذكر هو مقصود العبادة : مثل قوله تعالى : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكرِى ﴾[1] .

ويقول ابن القيم الجوزية ، بخصوص « اللام » فى قوله تعالى : ﴿ لِذِكرِى ﴾ الغالب أنها لام التعليل ، أى : أقم الصلاة لتذكرنى بها .

إن الذكر أيضًا أرفع هذه الأعمال درجة عند رب العزة تبارك وتعالى ، هذا إما أن يعنى عظمة العمل وعلو مقامه ، وإما أن يعنى عظمة الثواب .

وهذا المعنى يبعث فى النفس التساؤل عن حقيقة معنى « الذكر » واستعمالات هذه الكلمة حتى أنه تعالى سمى كلامه الأزلى - القرآن - الذكر . قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[2] .

حجية الذكر فى السنة :

يفهم من الأحاديث الآتية أن الذكر ليس فقط عنصرًا أو جانبًا من المأمورات ، ولا هو فقط قاسم مشترك فيها .

وإنَّمَا قد يكون أفضلها ، ومن الأحاديث التى ذكرت ذلك صراحة :

١ - عن أبى سعيد الخدرى قال : سُئل رسُول اللَّه ﷺ عن العباد : فقال : (أفضل العباد

---

(١) سورة طه آية ١٤ .

(٢) سورة الحجر آية ٩ .

درجة عند اللَّه يوم القيامة الذاكرون اللَّه كثيرًا، قيل: ومن الغازى فى سبيل اللَّه؟ قال: لو ضرب بسيفه فى الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دمًا لكان الذاكرون أفضل منه درجة)[1] أخرجه الإمام أحمد، والترمذى وأبو يعلى وابن شاهين فى الذكر عن أبى سعيد الخدرى.

٢ - سُئل النبىّ ﷺ أى المجاهدين أعظم أجرًا وأى الصائمين أعظم أجرًا وكذلك عن الصلاة والزكاة والحج والصدقة، فقال ﷺ: (أكثرهم لله ذكرًا، فقال الصديق أبو بكر رضى اللَّه عنه: ذهب الذاكرون بكل خير، فقال ﷺ: أجل، وفى رواية أخرى: أجل ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[2]) أخرجه الإمام أحمد والطبرانى عن معاذ رضى اللَّه عنه.

٣ - عن أبى هريرة رضى اللَّه عنه أن فقراء المهاجرين أتوا رسُول اللَّه ﷺ فقالوا: (ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ولهم فضل من أموال يحجون ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون فقال: ألا أعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم، إلا من صنع مِثلَ ما صنعتم؟ قالوا: بلى يا رسُول اللَّه قال: تسبحون وتحمدون وتكبرون، فرجع فقراء المهاجرين إِلَى رسُول اللَّه فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله؟ فقال رسُول اللَّه ﷺ: ذلك فضل اللَّه يؤتيه من يشاء)[3] أخرجه الإمام أحمد عن أبى هريرة، والإمام البخارى ومسلم.

وهذا الحديث تظهر منه عدة أمور:

الأول: قيام الذكر بديلًا عن الحج والعمرة والصدقة والجهاد. ويقول ابن القيم فى ذلك،

---

(١) رواه مسلم ٢٠٦٢ والترمذى ٣٣٧٦ وأحمد ٤١١/٢، ٧٥١٣ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ١٨٩/٤، ٧/ ٢٥٣، ٢٥٤، ٥٩٤/٨ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٣٩٦/٢ والبغوى فى شرح السنة ١٧/٥، ١٨ والسيوطى فى الدر المنثور ٢٠٥/٥ والتبريزى فى مشكاة المصابيح ٢٢٨٠ والسيوطى فى حاوى الفتاوى ٢١/٢ وفى الأذكار النووية ١٩.

(٢) رواه أحمد ٤٣٨/٣ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٧٤/١٠ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٢٦٧/٢، ٤٠٠ وابن كثير فى تفسيره ٤١٦/٦ وابن مبارك فى الزهد ٥٠١ والسيوطى فى الدر المنثور ٢٠٥/٥ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٤٣٧٢١.

(٣) رواه البخارى فى كتاب الأذان الباب ١٥٥ وكتاب الدعوات الباب ١٧ ومسلم فى كتاب المساجد الحديث ١٤٢ وكتاب الزكاة الحديث ٥٣ وأبو داود فى كتاب الوتر الباب ٢٤ وابن ماجة فى كتاب الإقامة الباب ٣٢ والدارمى فى كتاب الصلاة الباب ٩٠ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ٢٣٨ والجزء الخامس صفحة ١٦٧، ١٦٨.

تعليقًا على الحديث : فجعل الذكر عوضًا لهم عما فاتهم من الحج والعمرة والجهاد وأخبر أنهم يسبقونهم بهذا الذكر هذا قول ابن القيم « الوابل الصيب ، المرجع / ٤١ ص ٦٩ » .

الثانى : إن ذكر اللّه بذاته يسبب سبق الذاكرين على غير الذاكرين ، ولا يكون أحد أبدًا أفضل من الذاكرين ، إلا من فعل فعلهم .

وهذا تأكيد للأفضلية والأسبقية المطلقة ، كما يتبين من نهاية الحديث : حيث لم يخبرهم صلوات اللّه وسلامه عليه بأمر جديد يعوض لهم قيام الأغنياء بالذكر لما سمعوا بعظيم قدر الذكر والذاكرين .

٤ - عن أبى الدرداء رضى اللّه عنه قال: قال رسُول اللّه ﷺ : (ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم ، قالوا : بلى يا رسُول اللّه ﷺ . قال : ذكر اللّه تعالى)[1] رواه الترمذى وقال حسن صحيح ، والحاكم فى المستدرك وقال إسناده صحيح وصححه السيوطى ، وصحح الذهبى إسناده فى تلخيص المستدرك ، كما أخرجه الإمام أحمد فى المسند ومالك فى الموطأ وابن ماجة والطبرانى فى الكبير والبهيقى فى شعب الإيمان . وأخرجه الإمام أحمد من حديث معاذ أيضًا وقال المنذرى إسناده جيد . وإسناده حسن عند أبى الدرداء . وكذلك قال الهيثمى واختاره ابن تيمية فى الكلم الطيب وصححه الشوكانى فى تحفة الذاكرين وعلق عليه باستشكال بعض أهل العلم فى تفضيل الذكر على الجهاد .

الذكر عند الجمعية الشرعية قبل أن تتوهب :

يذكر الشيخ محمود خطاب مؤسس الجمعية الشرعية فى كتابه « العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق » ص٦ كيف تذكر « لا إله إلا اللّه » ؟.

فلا بد من مد « لا » مدًا طبيعيًا أو أزيد ، وتحقيق الهمزة ، ومد لفظ « إله » مدًا طبيعيًا ، وفتح الهاء من « إله » من غير مد ، وينبغى تسكين الهاء من « اللّه » وكذا بقية الأسماء ، والحذر الحذر من الإسراع المؤدى إلَى التحريف ، فإنه حرام ، على فاعله العقاب ، حيث ألحد

(١) رواه ابن ماجة فى كتاب الأدب الباب ٥٣ والترمذى فى كتاب الدعوات الباب السادس والنسائى فى كتاب الإيمان الباب الأول وفى الأذكار النووية ٦٧ .

فى الدين ، قاصدًا بذكرك وجه اللّه تعالى لا غير .

(ولا تختم) الذكر حتى يحصل لك نوع من (الاستغراق) بأن تحس من نفسك بحلاوة الذكر ، ويحصل لك شوق وهيمان (ثم) إذا ختمت سكنت واستحضرت الذكر بإجرائه على قلبك ، مترقبا لوارد الذكر ، فلعله يرد على القلب وارد ينشأ عنه فى اللحظة من الثمرة ، ما لم ينشأ عن مجاهدة نحو ثلاثين سنة ، وهذا الوارد إما وارد زهد ، أو ورع ، أو تحمل أذى ، أو محبة ، أو نحو ذلك تاركا للواردات الدنيوية ، حابسا نفسك إذ ذاك ثلاث مرات ، أو خمسا ، أو سبعا ، هكذا بالإفراد ، فلهذه السكنة ثلاثة آداب ، مراقبة الله تعالى كأنك بين يديه وجمع حواسك بحيث لا تتحرك منك شعرة ، كحال الهر عند اصطياد الفأر ، وحبس نفسك مرارًا حتى يدور وارد الذكر فى جميع عوالمك ، ويجرى على قلبك معنى الله ، ويكره شرب الماء فى أثناء الذكر ، وبعد الفراغ منه ؛ لأن للذكر حرارة تجلب الأنوار والتجليات ، والواردات الجليلة ؛ وشرب الماء ربما أضعف تلك الحرارة ، وأقل ذلك أن تصبر نحو نصف ساعة فلكية ، وكلما كثر كان أحسن ، بل الصادق لا يكاد يشرب إلا عن ضرورة قوية ، لكون ترك شرب الماء من الآداب المؤكدة فلتحرص على هذا أيُّهَا الصادق وهذه الآداب تطلب عند الإمكان فلا تترك الذكر لفقدها .

آداب هامة :

واعلم أن للمداومة على الذكر من الأصول المهمة (كالجوع) اختيارا بألا تزيد على ثلث البطن ، عند شدة الجوع ، ولكن المبتدى لا قدرة له على ذلك غالبا ، فيلزم الصوم حتى تعتاد النفس ذلك ، وبالجوع تنكسر نفسك فتقوى على تأديبها (والعزلة) عن الخلق إلا لضرورة من علم أو بيع ، أو شراء ، (والصمت) ظاهرًا وباطنا ، إلا عن ذكر الله تعالى ، أو ضرورة (والسهر) للذكر والفكر ، ونحو ذلك ، وأقله من ثلث الليل الأخير إلَى طلوع الشمس ، فأهل النجابة من شأنهم ترك فضول الطعام ، والكلام والمنام .

شبهات وأباطيل حول الذكر :

تثور فى الوقت الحاضر شبهات وأباطيل عن شرعية أحوال وتصرفات الذاكرين ، وقد لاحظنا الاتهامات الموجهة للصوفية عموما (إذ هم المشهورون بكثرة الذكر) ولأدعياء التصوف خصوصًا ، بأنهم يبتدعون فى الذكر بل ويمرقون من الدين عموما .

ومن الناحية الأخرى، يتهم المتصوفة هؤلاء المهاجمين بسوء الفهم وقلة البضاعة فى العلم وبالهوى والمغالطة فى استنباط الأحكام.

وأصبح المسلمون فى بلبلة عظيمة بين ما هو حق وما هو باطل بخصوص ذكر الله. واستشرى هذا الحال فى مواضيع أخرى كثيرة، أنشأتها فئات مختلفة من جماعات الخوارج لا الإسلام وفى خضم هذه التيارات، تبدلت معانى كثيرة، وقواعد أساسية فى الشريعة والأصول والفقه، ولوى ذراع المنطق - لغويا وفقهيا - لتستخرج الأحكام على حسب المراد، وابتذلت وتشوشت مضامين الالتزامات العقائدية والإيمانية.

فلابد لنا - والحال على ما هو عليه - أن نتعرض لهذه المجادلات ولو باختصار، لنتبين منهاج أهل السنة والجماعة خلالها.

والنقاش يدور فى موضوع ذكر الله حول أمور وظواهر وممارسات أهمها:

١ - هل المقصود بالذكر مدارسة العلم أم الأذكار الواردة فى السنة؟.

٢ - هل يجوز الاجتماع لغرض الذكر وحده، والتحلق له فى حلق؟ أم أن هذا ابتداع عبادة، والعبادات توقيفية من الشارع سبحانه وتعالى؟.

٣ - هل يجوز الذكر فى المساجد؟.

٤ - هل يجوز الجهر بالذكر جماعة؟ وهل ورد مثل هذا الفعل عن رسُول الله أو صحابته؟ والعبادات توقيفية لا يجوز الابتداع فيها.

٥ - وما القول فيما لوحظ على بعض الذاكرين من الاهتزاز والحركة الجسمانية؟.

الرد على الشبهات والأباطيل حول الذكر:

١ - حلق الذكر شىء ومجالس العلم شىء آخر.

إن رسُول الله ﷺ يملك زمام العربية الفصحى ويعرفها أتم ما تكون المعرفة، وحاشا له ألا يفرق بين كلمة «ذكر»، و «علم»، وكيف لا يفرق بين هاتين الكلمتين وهو كما قال عليه صلاة الله وسلامه: «أوتيت جوامع الكلم وفواتحه وخواتمه»[1].

(١) رواه مسلم فى كتاب المساجد الحديث ٥-٨ وكتاب الأشربة الحديث ٧٢ والبخارى فى كتاب التعبير الباب ١١ والترمذى فى كتاب السير الباب الخامس وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ١٧٢، ٢١٢، ٢٥٠، ٢٦٤، ٢٦٨، ٣١٣، ٤١٢، ٤٤٢، ٤٥٥، ٥٠١.

وها هو، عليه أفضل صلاة وأتم سلام، يفرق بين تلاوة القرآن ودراسة أحكام كتاب الله، وبين الذكر:

أ - ففى حديث أبى هريرة الطويل الَّذِى أخرجه مسلم يقول ﷺ:

(ما اجتمع قوم فى بيت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه)[1] فيحدد «يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم» والحديث كله لمجموعة من «الأعمال» وثوابها.

ب - ففى حديث أبى هريرة المتفق على صحته، كما أخرجه الإمام البخارى: (إن ملائكةً يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا هلموا إِلَى حاجتكم، قال فيحفونهم بأجنحتهم إِلَى السماء الدنيا، قال فيسألهم ربهم عز وجل - وهو أعلم بهم - ما يقول عبادى؟ قال: تقول: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك)[2].

فكيف يجوز بعد ذلك الادعاء بأن مجالس الذكر هى مجالس العلم والظاهر عندنا أن فى هذا بيان كاف لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

رأى ابن تيمية الحرانى:

وها هو ابن تيمية يفرق بين الأذكار وبين تلاوة القرآن: ومن باب أولى سيفرق بين الأذكار، وبين دراسة الفقه والأحكام: يقول ابن تيمية فى الفتاوى ردا على سؤال وجه إليه:

إن جنس تلاوة القرآن أفضل من جنس الأذكار، كما أن جنس الأذكار أفضل من جنس الدعاء، كما فى الحديث الَّذِى فى صحيح مسلم عن النبىّ ﷺ أنه قال: «أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر»[3].

٢ - يجوز الاجتماع لغرض الذكر وحده والتحلق له فى حلق، أما حجة القرنيين فى أن

---

(١) رواه أبو داود فى كتاب الوتر الباب ١٤ وابن ماجة فى المقدمة الباب ١٧ ومسلم فى كتاب الذكر الحديث ٣٧، ٣٨ وكتاب الإمارة الحديث ١٤٧ والترمذى فى كتاب القرآن الكتاب العاشر وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ٢٥٢، ٤٠٧.

(٢) رواه البخارى فى كتاب الدعوات الباب ٦٧ ومسلم فى كتاب الذكر الحديث ٢٥.

(٣) رواه البخارى فى كتاب الإيمان الباب ١٩ ومسلم فى كتاب الآداب الحديث ١٢ وابن ماجة فى كتاب الأدب الباب ٥٦ وأحمد فى الجزء الخامس صفحة ١٠، ١١، ٢٠، ٢١.

عبد الله بن مسعود رأى قوما يهللون فى المسجد قبل الصلاة، فقال: ما أراكم إلا مبتدعين. والحقيقة أن هذا الرأى لا يثبت للأدلة الآتية:

أ - القول المنسوب إِلَى عبد الله بن مسعود رضى الله عنه إِنَّمَا هو أثر عن صحابى فهو إذن أقل فى الدرجة بكثير عن الأحاديث الصحيحة الثابتة فهى تعلو عليه ومقدمة عليه عند التعارض.

وهناك نيف وعشرون حديثا يخالفون ما قيل أن ابن مسعود فعله من نهى للذاكرين عن الذكر.

ب - هذا الخبر عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه لم يصح سنده، عن أحد ممن أخرجه فكيف يمكن الاعتماد عليه؟ راجع الحاوى للفتاوى للإمام السيوطى المرجع ٥٠ جزء ١ ص ٣٩٤.

جـ - مما يؤكد الشك فى صحة هذا الأثر، ما أخرجه الإمام أحمد بن حنبل بسنده فى كتاب الزهد، عن أبى وائل قال: (أولئك الَّذِينَ يزعمون أن عبد الله ينهى عن الذكر، والله ما جالست عبد الله قط فى مجلس إلا ذكر الله فيه).

د - وإذ قال القَرْنِيُّونَ أن نهى عبد الله بن مسعود كان متعلقا بالمساجد فقط، فرد عليهم بما رواه أبو سعيد الخدرى قال: قال رسُول الله ﷺ: (يقول الرب عز وجل: يوم القيامة سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم، قيل ومن أهل الكرم يا رسُول الله؟ قال: أهل مجالس الذكر فى المساجد)[1].

٣ - يقول القَرْنِيُّونَ: إن الجهر بالذكر لا يجوز واتهموا فاعليه بالابتداع لقوله ﷺ: «خير الذكر الخفى وخير الرزق ما كفى».

إ. حديث «خير الذكر الخفى» لإثبات أن الذكر القلبى يعلو، أو مقدم على ذكر اللسان. ولكنه لا يصلح حجة فى أن الذكر الجهرى ليس ذكرا شرعيا صحيحا، لأسباب منها:

أ - أن لفظة «خير» الواردة فى الحديث هنا لا تعنى إلا خيرية أى أفضلية فعل الذكر الخفى، على الذكر العلنى الجهرى، ولكن لا يلزم منها تحريم الذكر الجهرى.

---

(١) رواه أحمد فى الجزء الثالث صفحة ٦٨، ٧٦ وأورده الهيثمى فى موارد الظمآن (٢٣٢٠) والسيوطى فى الدر المنثور (١٥١/١).

ب - كما أن هذا الحديث معارض بثلاثة وثلاثين حديثًا أخرى تؤكد، ليس فقط جواز الجهر بالذكر، بل أن الجهر بالذكر كان على عهد الرسُول ﷺ.

ومن هذه الأحاديث المعارضة ما هو أقوى منه فى الدرجة بكثير، بل إن منها أحاديث متفق على صحتها، أخرجها البخارى ومسلم، وهى أعلى درجات الصحة فى الحديث. ونذكر من هذه الأحاديث ما يلى:

- عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسُول الله ﷺ: يقول الله جل شأنه: (أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملإٍ ذكرته فى ملإٍ خيرٍ منه)[1] والملأ: الجماعة: ولا يكون الذكر فى ملأ إلا جهرا: فإن قال البعض تكون الجماعة من الناس، أى الملأ، ولكن يذكر كل منهم فى نفسه: قلنا فهذا هو الشق الأول من الحديث: (ذكرنى فى نفسه) فما معنى فى ملأ إذن ؟؟؟.

- عن عبد الله بن عباس رضى الله تعالى عنه قال: (إن رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة - أى الصلاة المفروضة - كان على عهد النبىّ ﷺ).

وهذا بيان لا التباس فيه ولا شبهة، بأن الجهر بالذكر كان على عهد رسُول الله ﷺ.

- عن زيد بن أسلم قال: قال ابن الأدع: انطلقت مع النبىّ ﷺ فمر برجل كان فى المسجد يرفع صوته قلت: (يا رسُول الله عسى أن يكون هذا مرائيًا؟ قال: لا ولكنه أواه)[2] أخرجه ابن جرير والبيهقى فى تفسيره بسندين.

وهذه الأحاديث، وإن كانت لا تضيف جديدا بعد الأحاديث الصحيحة الثابتة التى ذكرناها فى البداية إلا أنها تشير إلَى أن رفع الصوت بالذكر كان يحدث أمام رسُول الله ﷺ وأن بعض الصحابة شك فى أنهم يراءون، وأنه عليه أفضل الصلاة والسلام بين أن هذه صفة الأواهين.

٤ - يقول القَرْنِيُّونَ: إن التمايل فى الذكر لا يجوز واتهموا فاعليه من ساداتنا الصوفية بالبدعة.

---

(١) رواه مسلم فى كتاب الذكر الحديث ٢، ١٨، ١٩، ٢١ والبخارى فى كتاب التوحيد الباب ١٥، ٤٣ والترمذى. فى كتاب الدعوات الباب ١٣١ وابن ماجة فى كتاب الأدب الباب ٥٣، ٥٨ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ٢٥١، ٤٠٥، ٤١٣، ٤٥٤، ٤٨٠، ٤٨٢، ٥١٦، ٥١٧، ٥٢٤، ٥٣٤، ٥٤٠.

(٢) أورده العلامة ابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق (٦/ ٢٣٤).

والحقيقة أن التمايل فى الذكر حالة طبيعية وعادة فطرية فطر الله الناس عليها وذلك إذا ما رأى شعيرة من شعائر الله تعالى أو آية من آيات عظيم قدرته أو بديع صنعته فإن الروح التى جعلها تعالى فى عباده المُؤمنينَ تحن وتهيج إلَى تلك العظمة الربانية فلا يسعها إلا الاضطراب والاهتزاز الخارج عن حالته العادية .

ووصف الله المُؤمنينَ بقوله : ﴿ **الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾[1] بالخوف والوجل عند ذكر الله تعالى لقوة إيمانهم ومراعاتهم لربهم وكأنهم بين يديه . ونظيره هذه الآية : ﴿ **وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ** ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ **وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ** ﴾[3] فهذا يرجع إلَى كمال المعرفة وثقة القلب ، والوجل الفزع من عذاب الله فلا تناقض ، وقد جمع الله تعالى بين المعنيين فى قوله : ﴿ **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ** ﴾[4] أى تسكن نفوسهم من حيث اليقين إلَى الله وإن كانوا يخافون الله . فهذه حالة العارفين بالله الخائفين من سطوته وعقوبته فهذا وصف حالهم وحكاية مقالهم ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم ولا على طريقتهم ، وسئل الحسن البصرى فقال : يا أبا سعيد ، أمؤمن أنت ؟ فقال له : الإيمان إيمانان ، فإن كنت تسألنى عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحشر والحساب فأنا مؤمن به وإن كنت تسألنى قوله تبارك وتعالى ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ** - إلَى قوله - **أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا** ﴾[5] فوالله ما أدرى أنا منهم أم لا .

وقد جاء فى مجمع الزوائد عن عبد الله بن عقبة : « كان أصحاب رسُول الله ﷺ يتمايلون فى الذكر كما تمايل الريح الأشجار » .

وإذا حصل للقلب الخوف والفزع يحصل الاضطراب لجميع الجسم فيرتعد لذلك وتضطرب أعصابه وهذا فى كل بشر كما حصل لحضرته صلى الله تعالى عليه وسلم فى بدء الوحى من قوله الشريف للسيدة خديجة رضى الله عنها « دثرونى دثرونى »[6] وأيضا عند

---

(١) سورة الأنفال آية ٢ .
(٢) سورة الحج آية ٣٤- ٣٥ .
(٣) سورة الرعد آية ٢٨ .
(٤) سورة الزمر آية ٢٣ .
(٥) سورة الأنفال آية ٢-٤ .
(٦) رواه البخارى فى تفسير سورة المدثر الباب الأول والثالث والرابع وسورة العلق الباب الأول ومسلم فى كتاب الإيمان الحديث ٢٥٥، ٢٥٧ والترمذى فى سورة المدثر الباب الأول وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ٣٠٦ .

فترة الوحى من قوله ﷺ : « زملونى زملونى رأيت الذى جاءنى بحراء سادا الأفق »[1] فالوجل إذا حصل للقلب يحصل الاضطراب لجميع الأعصاب فإذا عرفت ذلك فاعرف أنه لا يحركه إلا أحد شيئين وهو الفزع أو السرور وحركة الفزع والخوف له حالة خاصة ، وحركة السرور لها أحوال عند صاحب القلب ، وهى أشد من الأولى ، لما فى ذلك من فيض الفياض الكريم ، فيكون هذا عند صاحبه خيرًا من الدنيا وما فيها .

فما بالك بالذاكر لله تعالى المتعلق به سبحانه ، فإنه يكون أعلى وأرقى فى الفرح والسرور ويكون صاحبها أكثر اضطرابا وتمايلا .

الإنشاد على الذكر سنة لا بدعة :

وأما النشيد على الذكر فهو من باب تشجيع الذاكر على الذكر ليجمع همته ويطرب قلبه ويتعلق بالمذكور فتتحرك الروح فى الجسد فيه ليحصل له الوجل إلى الله تعالى والخشية منه تبارك وتعالى قال عز من قائل : ﴿ **الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ** ﴾[3] وفى قوله تعالى : ﴿ **وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا** ﴾[4] وكل ذلك فى معنى التحريض والتشجيع والحث على فعل ما أمر الله تعالى عباده به وإليك ما رواه البخارى وغيره فى السنة المطهرة أن الأحباش كانوا يلعبون بالدرك فى مسجد رسول الله ﷺ فقال ﷺ للسيدة عائشة : (تشتهين ؟ قالت : نعم فقامت خلف رسول الله ﷺ وجعلت تنظر من على كتفه الشريف وهو يقول هيه دونكم بنى أرفدة فصار يشجعهم حتى قال لها حسبك ؟ قالت : نعم)[5] وفى قوله ﷺ لبنى إسماعيل : (ارموا فإن أباكم كان راميًا)[6] تشجيعًا لهم وقوله فى حفر الخندق :

---

(١) رواه البخارى فى كتاب بدء الوحى الباب الثالث والسابع وكتاب التعبير الباب الأول وتفسير سورة العلق الباب الأول والثالث ومسلم فى كتاب الإيمان الحديث ٢٥٢، ٢٥٥، وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ٣٢٥، ٣٧٧ والجزء السادس صفحة ٢٢٣، ٢٣٣ .

(٢) سورة الأنفال آية ٢ .

(٣) سورة الأنفال آية ٦٥ .

(٤) سورة النساء آية ٦٣ .

(٥) رواه البخارى فى كتاب العيدين الباب الثانى ومسلم فى كتاب العيدين الحديث ١٩ .

(٦) رواه البخارى فى كتاب الجهاد الباب ٧٨ وكتاب الأنبياء ١٢ وكتاب المناقب الباب الرابع وابن ماجة فى كتاب الجهاد الباب ١٩ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٣٦٤ ، والجزء الرابع صفحة ٥٠ .

اللَّهم إن العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة[1]

فقالوا مجيبين له :

نحن الَّذِينَ بايعوا محمدا على الإسلام ما بقينا أبدا

ويقول : كان النبىّ ﷺ ينقل التراب فى يوم الأحزاب ويقول :

اللَّهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنة أبينا[2]

وفى قوله ﷺ لأنجشة سائق الإبل التى تحمل النساء وهو يحدو عليها وهى تتحرك وتشتد فى سيرها لتحمسها بالنشيد فقال ﷺ : (رويدك أنجشة بالقوارير)[3] وهكذا كان النشيد مشجعًا فى الجاهلية والإسلام حتى كان أكثره فى الحروب وفى الأفراح وفى الأعياد فهو سنة قديمة وعادة مستقيمة لئلا تفتر الهمم وتضعف عما هى بصدده .

التصفيق من قائد الذاكرين جائز :

وأما التصفيق الَّذِى يحصل من قائد الذاكرين بالضرب على كفيه على مقتضى نغمة الذاكرين بالذكر فهو جائز ، لأنه من قبيل النشيد الَّذِى هو منشؤه إشحاذ أذهان الذاكرين وحملهم على جمع الهمة وجدهم واجتهادهم ليكون باعثًا لهم على استحضار قوتهم ،

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الصلاة الباب ٤٨ وكتاب الجهاد الباب ٣٣ وكتاب مناقب الأنصار الباب التاسع وكتاب المغازى الباب ٢٩ وكتاب الرقاق الباب الأول ومسلم فى كتاب الجهاد الحديث ١٢٦ - ١٣٠ وأبو داود فى كتاب الصلاة الباب ١٢ والترمذى فى كتاب المناقب الباب ٥٥ وابن ماجة فى كتاب المساجد الباب الثالث وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ١١٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٨٠ ، ١٨٧ ، ٢٠٥ ، ٢١٦ ، ٢٤٤ ، ٢٥٢ ، ٢٧٨ ، ٢٨٨ والجزء الخامس صفحة ٣٣٢ والجزء السادس صفحة ٢٨٩ ، ٣١٥ .

(٢) رواه البخارى فى كتاب الجهاد الباب ٣٤ وكتاب المغازى الباب ٢٩ ، ٣٨ وكتاب الأدب الباب ٩٠ وكتاب الدعوات الباب ١٩ وكتاب التمنى الباب السابع ومسلم فى كتاب الجهاد الحديث ١٢٣ - ١٢٥ ، ١٣٢ ، والنسائى فى كتاب الجهاد الباب ٢٩ والدارمى فى كتاب السير الباب ١٩ وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ٤٣١ ، والجزء الرابع صفحة ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٩١ ، ٣٠٢ .

(٣) رواه البخارى فى كتاب الأدب الباب ٩٠ ، ٩٥ ، ١١١ ، ١١٦ ومسلم فى كتاب الفضائل الحديث ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ والدارمى فى كتاب الاستئذان الباب ٦٥ وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ١٠٧ ، ١١٧ ، ١٧٦ ، ١٨٧ ، ٢٠٢ ، ٢٢٧ ، ٢٥٤ ، ٢٨٥ ، والجزء السادس صفحة ٣٧٦ .

وتعلق قلب الذاكر باسم المذكور سبحانه وتعالى فهو أكبر محرك لمشاعرهم، وموقظ لنفوسهم ، ومنبه لأرواحهم لتعلقها بخالقها ليكون التوجه منهم ظاهرًا وباطنًا حتى ينالوا الرحمة التى وعدهم سبحانه وتعالى فى قوله عز وجل: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكرًا كَثِيرًا**﴾[1] ولا يلذ لهم ذلك ولا تسهل عليهم تلك الكثرة إلا بذلك المشجع ، وأما قول أعدائهم المستشهدين بقول اللّه تعالى : ﴿**وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية**﴾[2] فهو مردود لأن اللّه تعالى عاب على الكافرين صلاتهم بالتغيير لها .

وعلى كل حال فالذاكرون - وإن تمايلوا وأنشدوا - فهم خير من الوهابيين الَّذِينَ يرقصون فى العرضة النجدية ونحوها، حيث يرقص فيها الملوك والأمراء والشيخ ابن باز وبطانته .

(١) سورة الأحزاب آية ٤١ .

(٢) سورة الأنفال آية ٣٥ .

الباب السابع

ردود على بعض شبهات القرنيين

الفصل الأول

الأذان الشرعى ، والبدعى

معنى الأذان لغة وشرعًا :

قال العلامة ابن حجر العسقلاني فى شرحه فتح البارى على البخارى جزء ثان ص ٥١ طبع ميرى فى كتاب الأذان : الأذان لغة: الإعلام . قال اللّه تعالى : ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[1] واشتقاقه من الأذن بفتحتين وهو الاستماع ، وشرعًا : الإعلام بوقت الصلاة بألفاظ مخصوصة .

قال القرطبى وغيره : الأذان على قلة ألفاظه مشتمل على مسائل العقيدة لأنه بدأ بالأكبرية وهى تتضمن وجود اللّه تعالى وكماله ثم ثنى بالتوحيد ونفى الشرك ثم بإثبات الرسالة لمحمد ﷺ ثم دعى إلى الطاعة المخصوصة عقب الشهادة بالرسالة لأنها لا تعرف إلا من جهة الرسُول ثم دعى إلا الفلاح وهو البقاء الدائم وفيه الإشارة إلى المعاد ، ثم أعاد ما أعاد توكيدًا .

ويحصل من الأذان الإعلام بدخول الوقت والدعاء إلى الجماعة وإظهار شعائر الإسلام ، والحكمة فى اختيار القول له دون الفعل سهولة القول وتيسره لكل أحد فى كل زمان ومكان .

واختلف أيُّهَا أفضل ؟ الأذان أو الإقامة ، والإمامة ، إن علم من نفسه القيام بحقوق

---

(١) سورة التوبة آية ٣ .

الإمامة أفضل وإلا فالأذان .

والحكمة في إعلام الناس به على غير لسانه ﷺ التنويه بقدره والرفع لذكره بلسان غيره ، ليكون أقوى لأمره وأفخم لشأنه .

أول ألفاظ الأذان فى بدء الإسلام :

قال العلامة ابن حجر فى شرحه على البخارى جزء ٢ صـ ٥٣ منه : إن مبدأ الأذان لما كان عن مشورة أوقعها النبيّ ﷺ بين أصحابه حتى استقر برؤيا بعضهم فأقره . كان ذلك بالمندوبات أشبه ، ثم لما واظب على تقريره ولم ينقل أنه تركه ولا أمر بتركه ولا رخص فى تركه ، كان ذلك بالواجبات أشبه . ثم فرضت الجمعة والأذان لها بمكة ولم تقم بها لحكمة ، إما لفقد العدد ، أو لأن شعارها الإظهار وكان رسُول اللّه ﷺ بها مستخفيًا ، فلعلها فرضت ثم نزلت الآية كالوضوء للصلاة ، فرض أولًا بمكة مع الصلاة ونزلت آيته بالمدينة .

وقال ابن حجر : كان اللفظ الَّذِى ينادى به بلال قبل نزول هذه الألفاظ للصلاة قوله : **الصلاة جامعة** . أخرجه ابن سعد فى الطبقات من مراسيل سعيد بن المسيب . ولا يخفى عليك أن المراسيل أقوى إسنادًا ، وظن بعضهم أن بلالًا حينئذ إنما أمر بالأذان المعهود فذكر مناسبة اختصاص بلال بذاك دون غيره ، لكونه لما عذب ليرجع عن الإسلام فيقول : أحد أحد . فجوزى بولاية الأذان المشتملة على التوحيد فى ابتدائه وانتهائه ، وهى مناسبة حسنة باختصاص بلال بالأذان .

الأذان فى الكتاب :

إن لفظ الأذان والنداء جاء فى القرآن المجيد فى ستة مواضع . وكلها بمعنى النداء أو الإعلام فقد قال تعالى : ﴿ **إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ** ﴾[١] ، ﴿ **وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ** ﴾[٢] ، ﴿ **ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ** ﴾[٣] ، ﴿ **وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾[٤] ، ﴿ **فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ** ﴾[٥] ، ﴿ **وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ** ﴾[٦] .

---

(١) سورة الجمعة آية ٩ .
(٢) سورة الحج آية ٢٧ .
(٣) سورة يوسف آية ٧٠ .
(٤) سورة التوبة آية ٣ .
(٥) سورة الأعراف آية ٤٤ .
(٦) سورة المائدة آية ٥٨ .

فهذه هى المواضع التى ذكر الحق عز وجل فيها الأذان فى كتابه العزيز وبينه لعباده أنه بمعنى النداء خصوصًا لما افتتحه تعالى فى المواضع كلها بالنداء واختتمه بالنداء.

الأذان فى السنة :

ومن المقرر عقلًا وفعلًا أن النداء لا حد له ، خصوصًا لما رغبت فى التطويل به السنة المشرفة ، أخرج البخارى وغيره من أصحاب الصحاح والمسانيد عن ابن عمر رضى اللّه عنهما كان يقول : كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة ليس ينادى لها فتكلموا يومًا فى ذلك فقال بعضهم : اتخذوا ناقوسًا مثل ناقوس النصارى ، وقال بعضهم بل بوقًا مثل قرن اليهود ، فقال عمر أولا تبعثون رجلًا ينادى بالصلاة فقال رسُول اللّه ﷺ : (يا بلال قم ناد بالصلاة)[1] ، وأخرج ابن خزيمة وابن حبان وأبو داود أن عبد اللّه بن زيد بن عبد ربه رأى شخصًا قال له : أتريد أن أسمعك أذان المسلمين للصلاة ؟ قال : نعم ، فعلا ربوة ثم نادى بالأذان ، ثم قال : هل سمعت ؟ قلت : نعم ، قال : قم فناد مثل ما سمعت ، فعلوت الربوة وناديت به ثم استيقظت فجئت رسُول اللّه ﷺ وأخبرته فقال : (قم إلَى بلال وألق عليه ما رأيت فإنه أندى منك صوتًا)[2] وترجم له أبو داود فى بدء الأذان.

وأخرج عبد الرازق بن عمر وأبو داود فى مراسيله أن عمر رأى الأذان مثل ما رأى عبد اللّه ابن زيد فكتمه فلما سمع الصوت خرج يجر رداءه حتى أتى النبىّ ﷺ فقال : رأيت مثل الَّذِى رأى فقال له ﷺ (سبقك الوحى)[3] وكان قد أوحى إليه ﷺ قبل الجميع ، لأن الصحابة لما تفرقوا مهتمين بأمر الإعلام للصلاة فقد رأى نحو العشرين صحابيًا الأذان وقد صح ذلك على ما ذكره ابن حجر فى شرحه على ما ذكره فى البخارى.

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الأذان الباب الأول ومسلم فى كتاب الصلاة الحديث الأول والترمذى فى كتاب المواقيت الباب ٢٥ والنسائى فى كتاب الأذان الباب الأول وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ١٤٨ .

(٢) رواه أبو داود فى كتاب الصلاة الباب ٢٨ والترمذى فى كتاب المواقيت الباب ٢٥ وابن ماجة فى كتاب الأذان الباب الأول والدارمى فى كتاب الصلاة الباب الثالث وأحمد فى الجزء الرابع صفحة ٤٣ .

(٣) أورده العلامة ابن حجر فى كتاب فتح البارى ٨٢/٢ وفى مراسيل أبى داود ٥ .

ألفاظ الأذان مثنى مثنى والإقامة وتر :

أخرج البخارى عن أنس بن مالك رضى اللّه عنه قال : أمر بلال أن يشفع الأذان وأن يوتر الإقامة [1] .

قال العلامة ابن حجر فى شرحه على البخارى ثبت لفظ هذه الترجمة فى حديث لابن عمر مرفوعًا أخرجه أبو داود فى مسنده فقال فيه : (مثنى مثنى)[2] وهو عند أبى داود والنسائى وصححه ابن خزيمة وغيره من هذا الوجه لكن بلفظ مرتين مرتين وقال : أى يأتى بألفاظه شفعًا قال الزينى بين المنبر . وحديث الأذان بأنه شفع يفسره قوله مثنى مثنى أى مرتين وذلك يقتضى أن تستوى جميع ألفاظه فى ذلك ، ولكن لم يختلف فى أن كلمة التوحيد التى فى آخره مفردة وأما من قال بالتربيع فى الشهادتين فالأصح فى صورته أن يشهد بالوحدانية ثنتين ثم بالرسالة ثنتين ثم يرجع فيشهد كذلك فهو وإن كان فى العدد مربعًا فهو فى الصورة مثنى ، واللّه أعلم .

وقال هذا الحديث حجة على من يزعم أن الإقامة مثنى مثل الأذان وأجاب بعض الحنفية بدعوى النسخ وأن إفراد الإقامة كان أولًا ثم نسخ بحديث أبى محذورة وعورض بأن فى بعض طرق حديث أبى محذورة المحسنة التربيع والترجيع فكان يلزمهم القول به .

وقال : الحكمة فى تثنية الأذان وإفراد الإقامة أن الأذان لإعلام الغائبين فيكرر ليكون أوصل إليهم بخلاف الإقامة فإنها للحاضرين وأن الإعلام المختص بالأذان لا يشاركه فيه غيره من الجهر بالتكبير والتلاوة مثلًا ولهذا قال ﷺ لعبد اللّه بن زيد بن عبد ربه : (ألقه على بلال فإنه أندى صوتًا منك)[3] أى أقعد فى المد والإطالة والإسماع ليعم الصوت ويطول أمد التأذين فيكثر الجمع اهـ .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الأذان الباب ١ - ٣ وكتاب الأنبياء الباب ٥٠ ومسلم فى كتاب الصلاة الحديث ٢ ، ٣ ، ٥ وأبو داود فى كتاب الصلاة الباب ٢٩ والترمذى فى كتاب الصلاة الباب ٢٧ والنسائى فى كتاب الأذان الباب الثانى وابن ماجة فى كتاب الأذان الباب السادس والدارمى فى كتاب الدارمى الباب السادس وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ١٠٣ ، ١٨٩ .

(٢) رواه النسائى فى كتاب الأذان الباب ٢ ، ٢٨ والبخارى فى كتاب الأذان الباب الثانى وابن ماجة فى كتاب الأذان الباب السادس والدارمى فى كتاب الصلاة الباب السادس وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ٨٧ والجزء الخامس صفحة ٢٣٢، ٢٤٦ .

(٣) رواه أبو داود فى كتاب الصلاة الباب ٢٨ والترمذى فى كتاب المواقيت الباب ٢٥ وابن ماجة فى كتاب الأذان الباب الأول والدارمى فى كتاب الصلاة الباب الثالث وأحمد فى الجزء الرابع صفحة ٤٣ .

هذا ما عليه أهل التحقيق من التطويل المأخوذ من الكتاب والسنة على ما علمت .

التطويل فى الأذان من حكم الشرع :

أخذ هذا من بيان الحق عز وجل وبيان سيد المرسلين ﷺ الَّذِى أسند إليه التبيين فى الحديث المروى عند البخارى ومسلم عن أبى سعيد الخدرى رضى اللَّه عنه أنه قال له رسُول اللَّه ﷺ : (إنى أراك تحب الغنم والبادية فإذا كنت فى غنمك أو باديتك فأذنت للصلاة فارفع صوتك بالنداء فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شئ إلا شهد له به يوم القيامة)[1] قال أبو سعيد سمعته من رسُول اللَّه ﷺ .

ورواه ابن خزيمة وغيره : (فإنه لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شجر ولا حجر ولا مدر ولا شئ إلا ويشهد له به يوم القيامة)[2] .

هذا هو أصل الحكم الشرعى فى دين اللَّه تعالى للمسلمين فى الأذان ، فأين قولهم فى الأذان المقتضب أنه شرعى هل له أية صلة تمت به إلَى الشرع ؟!.

الأذان المقتضب المفزع يخالف إجماع المسلمين :

إذا كان تعليم اللَّه تعالى لعباده للأذان هكذا وبيان رسُوله ﷺ هو كذا فمن أين لهم الأذان المقتضب وفى أى شرع وفى أى دين إلا دين المخالفة لإجماع المسلمين ، والنداء فى نظر ذوى العقول السليمة بعد تبيين اللَّه تعالى ورسُوله ﷺ بأنه لا حد له فى التطويل لأن حضرته ﷺ قد رغب المؤذن فى ذلك وبشره بذكر ما يترتب على التطويل بمد صوته ليوسع دائرة الشهداء له يوم القيامة بذلك فقال : (فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شئ إلا ويشهد له به يوم القيامة)[3] الحديث .

الأذان لا يكون إلا من ندى الصوت :

هل يعد مؤذنًا مناديًا معلمًا معلنًا من يقول : اللـــــه أكبر ، أو من يقول : اللَّه أكبر .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الأذان الباب الخامس والنسائى فى كتاب الأذان الباب ١٤ وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ٣٥ ، ٤٣ .

(٢) ، (٣) سبق تخريجه .

فلا شك أن المطول هو الموافق لبيان السنة والكتاب ولذا أجمع عليه عقلاء الأمة الإسلامية سلفًا وخلفًا جيلًا بعد جيل خصوصًا لما استنبطوه من قوله ﷺ لعبد الله بن زيد الَّذِى سبق الصحابة فى تبليغ رسُول الله ﷺ برؤياه : (قم إِلَى بلال وألق عليه ما رأيت فإنه أندى منك صوتًا)[1] ففهموا أن الأذان لا يكون إلا من ندى الصوت المطرب المترنم الَّذِى هو شأن أندياء الأصوات لأخذهم بعاطفة القلوب وبمشاعر الإدراك إذ من المقرر عقلًا ونقلًا أن ندى الصوت لا يسعه إلا أن يترنم ويتطرب ويتوسع ليجلب ويستميل قلوب السامعين له خصوصًا فيما إذا كان المشرع أباح ذلك وبين أنه لا حد له . وإلا فلا معنى لاختياره ﷺ بلالًا من بين جهورى الصوت واختصاصه بأندياء الأصوات كبلال ، وابن أم مكتوم ، وأبو سعيد الخدرى ، وأبو محذورة الَّذِى اختاره ﷺ حين عاب بلالًا فى تقصيره الأذان من بين عشرين صحابيًا .

فلست أدرى من أين لهؤلاء المخالفين هذه الطريقة الخبيثة المقتضبة المقطومة المزعجة التى لم يعرف لها فى أصل الدين دليل كما علمت ، إلا من طريق المخالفين الَّذِينَ لا شأن لهم إلا مخالفة الإجماع .

ولو رجعت ذيول الوهابية فى مصر وغيرها من الدول العربية إِلَى أم المدارس الوهابية الآن لوجدت أن الأذان فى مكة والمدينة سواء أكان فى الإذاعة أو التليفزيون بصوت ندى ، فهل أذان الوهابية فى مصر والدول العربية هو الشرعى أم أذان أم المدارس الوهابية الآن ؟!.

ومن أخبث الأمور وأنكر الألفاظ أنهم يسمونه بالأذان الشرعى ومن إطباقهم فى الجهالة لم يعرف عنه من الشرع شئ إلا عن هؤلاء المخالفين الخارجين عن إجماع المسلمين من زمن قريب ولم ينتشر إلا لكثرة فساد أهل الزمان واستعداد نفوسهم لقبول الشر وإعراضهم عن الخير وأهله .

قال تعالى : ﴿ **ظَهَرَ الفَسَادُ فِى البَرِّ وَالبَحرِ بِمَا كَسَبَت أَيدِى النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعضَ الَّذِى عَمِلُوا لَعَلَّهُم يَرجِعُونَ** ﴾[2] « راجع كتاب فيض الوهاب للشيخ عبد ربه سليمان الجزء الرابع ص ٥٧» .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سورة الروم آية ٤١ .

هل الأذان حديث ؟ :

إن حديث الأذان هو حديث تعليم للأمة الإسلامية لأصل تشريع هذا الحكم الدينى فلابد وأن يكون له أصل فى الكتاب والسنة وهو المعروف بالإعلام بلفظ مخصوص فى وقت مخصوص كما قدمنا ، وحيث كان إعلامًا لا يقع فى العقل السليم إلا موسعًا فيه على ما استفيد من بيان الحق له بالنداء ، وبيان سيد العالمين أيضًا بالنداء والنداء لا حد له .

فهو حديث لبيان الحكم وأصل التشريع . ولا يخفى أن استعمال ألفاظه بالنداء المشروع فقد رفعه وأوصله المؤذن إلَى حد النداء والإعلام ، لا حديث تلاوة ، وهذا وجه تقرير فقهاء المذاهب الأربعة وإجماعهم على جوازه على ما سيتضح لك . وأما هؤلاء الخارجون عن إجماع المسلمين فقد اتخذوا طريقة المخالفة عادة لهم ويدعون فى مثل هذا الأذان المقطوم أنه الشرعى . ويقولون : إنه حديث وهم لم يتفقوا مع إجماع المسلمين فى شئ منه . لأنهم لا يقرأونه تلاوة كالكتاب والسنة ، حتى يتفق مع دعواهم بأنه حديث . والحديث سنة يتلى كالقرآن لا تغيير فى ألفاظه على قاعدة القراء وفنهم . ومن المعلوم أن القرآن يتغنى به كما جاء فى السنة فما المانع من أن يتغنى بالأذان الَّذِى جاء للإعلام والنداء ؟! وهم لا يفقهون أنه نداء جاء لتعليمهم كيفية النداء للصلاة ، والنداء لا حد له فتراهم مقصرين عن فهم إجماع المسلمين وعما يفهم من بيان سنة سيد المرسلين ، وهذا شأن الضالين لا يهتدون إلَى الحق ولا إلَى طريق مستقيم .

ومن أعجب ما تسمع منهم وعنهم أنهم يقولون : إن هذا النداء المقطوم هو أذان بلال والسلف ، فهل رأى أحد منهم ذلك أو سمع به ؟ كلا وإنَّمَا الأذان حكم شرعى يعرف أصله من الكتاب والسنة كباقى الأحكام الشرعية .

هل الترنيم والتطريب فى الأذان حرام ؟ :

هل اللحن فى الحديث بالترنيم والتغيير فى ألفاظ الحديث بالنغمات حرام ؟ قول : إن الترنيم والتطريب هو سنة عن سيد العالمين ، وقد جهل أصله الضالون ، وفطن لمصدرها ومعناها من نور اللَّه تعالى بصائرهم من عقلاء المسلمين . وما ذاك إلا أخذا من اختيار حضرته ﷺ المؤذنين من ذوى الأصوات الحسنة ، وبالحرى أن يكون شأنهم وطبيعتهم الترنيم والتطريب . وإلا لو كان مجرد حكاية الألفاظ كما فهمه المخالف لكان أولى بالنداء به أول مخبر لرسُول اللَّه ﷺ برؤياه الأذان وهوعبد اللَّه بن زيد .

ولا يخفى أن إعجاب حضرته ﷺ بمثل هذا ، وسماعه لقول أبي موسى (لحبرته لك تحبيرًا) أى لاجتهدت وتكفلت لك تحسينه وسماعه ﷺ للمؤذنين المترنمين من أقوى الدلائل على ما نقول وها هم أئمة المسلمين أصحاب المذاهب الأربعة على ما تقرر فى كتاب الفقه للمذاهب الأربعة فى حكم التغنى والترنيم فى الأذان قال فى صـ٢٣٤ الحنفية ، قالوا : التغنى بالأذان حسن إلا إذا أدى إلَى تغيير الكلمات بزيادة حركة أو حرف فإنه يحرم فعله ولا يحل سماعه .. المالكية ، قالوا : يكره التطريب فى الأذان لمنافاته الخشوع إلا إذا تفاحش عرفًا فإنه يحرم ، الشافعية ، قالوا : التغنى هو الانتقال من نغم إلَى نغم آخر ، والسنة أن يستمر المؤذن فى أذانه على نغم واحد ، الحنابلة ، قالوا : التغنى هو الإطراب بالأذان .

وقد أجمع فقهاء الأمة شرّاح المذاهب الأربعة على أن التلحين والتطريب والترنيم ليس بحرام لأنه خرج عن كونه حديثًا إلَى حد الإعلام . أى خرج عن كونه حديثًا يتلى كالقرآن بالفن والمد المعلوم فى قراءة الكتاب والسنة ، إلَى حد الإعلام والنداء . وقال الزبير بن بكار : يصف أذان أبى محذورة : كان أبو محذورة أحسن الناس صوتًا وأذانًا وقد أقسم بعض شعراء قريش بنغمات أذانه فقال :

أما ورب الكعبة المستورة ... وما تلى محمد من سورة
والنغمات من أبى محذورة ... لأفعلن فعلة مذكورة

لهذا كان إجماع المسلمين على ذلك .

هل الأذان مقطوم ومقتضب ؟ :

يقول القَرْنِيُّونَ إن الأذان مجزوم ، وبعضهم يقول : موقوف ، يعنون به المقطوم المقتضب .

هذا من تمام انغماسهم فى الجهل وتعمقهم فيه ، وإن تشأ فقل : لشدة بعدهم عن معرفة شئ من علوم القرآن الكريم - ولو بقراءة حفص - التى لا بد لكل قارئ منها ، حتى فهموا معنى المجزوم الموقوف : المقطوم ، ولم يقل بها غيرهم . إذ معنى المجزوم الممدود بالمد اللازم أو العارض للسكون ، يعنى أن كل لفظ من ألفاظ الأذان يوقف عليه فى النهاية بالسكون ، ونهايته أربع عشرة حركة ، كما هو مقرر فى محله ، لا كما فهم الأغبياء من أن معناه المقتضب المقطوم ، فلست أدرى كيف يفهمون أو يجهرون بما لا يعقلون ، أو لم يسألوا أهل الذكر عن أذان الحرمين قبل ظهور الوهابيين المخالفين وما كان عليه ، وهى سلسة متتابعة إلَى

أذان بلال رضى اللّه تعالى عنه فيكونوا قد اقتدوا بأول جامع للسنة إمام دار التنزيل مالك رضى اللّه عنه ، الّذِى كان يقدم عمل أهل المدينة على الحديث الصحيح . ولكن ماذا تصنع فى المخالف الّذِى يصدع بها بدون دليل ولا وجه شرعى لا من النقل ولا من العقل ، وما أجرأهم على اللّه يقولون غير مبالين بحرمة وإثم الترنيم فى الأذان وقد قال تعالى : ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِع غَيرَ سَبِيلِ المُؤمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَت مَصِيرًا** ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ **وَمَن يُضلِلِ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرشِدًا** ﴾[2] حسبنا اللّه ونعم الوكيل فى أقوام يجرأون على دين اللّه بحكم فقه الريال لا فقه الرجال ، فنسأل اللّه تعالى أن يتولى جزاءهم ﴿ **إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ** ﴾[3] .

ولا يخفى على ذوى البصائر أن اللّه تعالى وضع قوانين لأحكام شرعه الشريف وخص تعالى بها من أناط به التبيين ﷺ ببيان الصفات والهيئات وجعلها قوانين تتبع كالقرآن فى أحكامه المحدودة وبالتلاوة أيضًا لا تكون إلا على نهج القوانين الموضوعة لذلك بالغن والمد والوقف ومن لم يتلقها ويرعها عند أداء القرآن والسنة فهو آثم .

وها هو ابن كثير أحد القراء الملتزم فى التلقى قصر المنفصل ، أجاز مد لفظ الجلالة فى تكبيرة الإحرام إِلَى أربع عشرة حركة ، والمد عند القراء أطوله ست حركات كحى على الصلاة وحى على الفلاح .

ثم إن ساداتنا العلماء رضى الله تعالى عنهم أجازوا التلحين فيه بدون إثم ، لأنه خرج عن كونه حديثا إِلَى الإعلام بالصلاة وفى غيره لا يجوز ، وقد خصصوا أيضا أن يكون المؤذن حسن الصوت لاختياره صلى الله تعالى عليه وسلم مؤذنيه الأربعة من ذوى الأصوات الحسنة ، خصوصا ما أخرجه الدارمى وأبو الشيخ بإسناد متصل بأبى محذورة المتقدم .

المصادر التاريخية للأذان المفزع المقتضب :

١ – أصحاب مسجد الضرار هم أصل هذا الأذان :

لا يخفى على عاقل أن مبدأ هذا الأذان الشنيع المقتضب – صادر عن مبدأ المخالفين لإجماع المسلمين ، الّذِينَ لا شأن لهم إلا مخالفة ما أجمع عليه علماء المسلمين من عقائد

---

(١) سورة النساء آية ١١٥ .

(٢) سورة الكهف آية ١٧ .

(٣) سورة غافر آية ٤٤ .

وأحكام وتشريعات وبيانات سيد المرسلين حسدا واستكبارا وجموحا وإعراضا عن الحق، ولذا كانوا على مبدأ المخالف المنتقد المعترض الأول من قديم في عصر حضرته ﷺ بإنكارهم عن أذان المسلمين ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُم إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾[1]. ولذا كان أسلافهم ومن هم على شاكلتهم يريدون الضرر بالمسلمين والدس والكيد لهم بالتفرقة والتشقيق، حتى أنزل الله في أصل أعمالهم الآية قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾[2] ثم استمر الأمر مكتوما بين جوانحهم ولم يتبع إلا ممن كان عنى بهذه المخالفات الضارة ولكنهم لم يستطيعوا الظهور به لوجود أهل الحق البارزين.

٢ - ابن تيمية شيخ المخالفين لجمهور المسلمين:

وقد استمر الأمر إلى أن ظهر ابن تيمية الذي لم يواجه الله تعالى إلا بحب الاستطلاع على كتب المخالفين ويظهر بها غرائب في نظر الضالين من زخارف الأقوال التي لا يستحسنها إلا كل من كان على قدم إبليس اللعين، ومنها أخذ يظهر بهذه المخالفة، وكلما قصد وجهة وظهر بأمر مخالف زجوه في السجون ثم يظهر أتباعه أنه تاب فيخرج ويشترط عليه ألا يقيم في تلك البلد ثم يرحل إلى أخرى ويظهر أمرا آخر بالمخالفة فيودع السجون وهكذا، حتى قضى حياته سجينا ومات في السجن، وكان معه ابن قيم الجوزية الذي لم يخرج من السجن إلا بعد موت شيخه، وأظهر توبته. قال في طبقات الحنابلة: اجتمع ابن قيم الجوزية بالعماد ابن كثير، فقال ابن قيم الجوزية لابن كثير: تكرهني لأني أشعري؟ فقال ابن كثير: لو كنت كلك أشعريا ما صدقك أحد من المسلمين أنك أشعري؛ لأنك تلميذ ابن تيمية.

٣ - الوهابية أصل هذا الأذان المقتضب:

نقل عن ابن تيمية الكثيرون من تلاميذ هذه الأراء المنكرة والمخالفات الفاسدة الضالة المضلة ولا زالت تتوارث عنهم إلى أن صدع بها ابن عبد الوهاب بالشام، فطورد ورحل بها إلى جهة ظهور قرن الشيطان، إلى أن كان من آخر أمره ما هو مدون في التاريخ.

---

(١) سورة المائدة آية ٥٨.

(٢) سورة التوبة آية ١٠٧.

٤ - الجمعية الشرعية أول من استورد هذا الأذان من الوهابية :

إن أول من صدع به فى مصر قريبا جمعية الشيخ محمود خطاب السبكى التى هى أول جمعية بمصر على شاكلة جمعية العروة الوثقى ثم حذا حذوه الشيخ محمد حامد الفقى الداعية للوهابية فى مصر، ثم نحى نحوهم جمعية الإخوان المسلمين فى مصر، ولما لم يجدوا حاكما شرعيا يضرب على أيديهم كالأول السابقين فنشروا الفساد وعمموه بين ضعفاء الإيمان ويغررونهم بحملهم لشهادة عالية من الأزهر فيظن العامة أنهم علماء خصوصا من يظهر فيهم بتملقه ونفاقه بالمناصب العالية فى الدولة؛ فيكون هذا المركز - الَّذِى هو سبب فى إلقائه فى جهنم فوق تضليلاته - طامة كبرى على العلم والعلماء والمسلمين.

والله يعلم أن العلم برىء منهم وعنهم إذ العالم العامل من عقل ودرى، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [1] وعنه عليه الصلاة والسلام فى معنى هذه الآية: «العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه» [2].

---

(١) سورة العنكبوت آية ٤٣.

(٢) أورده البغوى فى تفسيره (١٩٤/٥) وابن حجر فى الكاف الشاف فى تخريج أحاديث الكشاف والقرطبى فى تفسيره (٣٤٦/١٣).

الفصل الثانى

الصلاة والسلام على النبى ﷺ بعد الأذان من السنة

حكم الأذان على المنارة :

الأذان على المنارة من السنة وإنكاره بدعة مضلة ، وبرهان ذلك ما ورد من الآثار بسند الإمام أبى داود فى صحيفة ١٥٠ على هامش الموطإ فى باب الأذان فوق المنارة ، عن امرأة من بنى النجار قالت : كان بيتى من أطول بيت حول المسجد ، وكان بلال يؤذن عليه الفجر ، فيأتى بسحر فيجلس على البيت ينظر إلَى الفجر ، فإذا رآه تمطى ثم قال : « اللَّهم إنى أحمدك وأستعينك على قريشٍ أن يقيموا دينك »[1] ثم يؤذن .

وبسنده من الحديث الطويل قال : قال رسُول الله ﷺ : « وحتى هممت أن آمر رجالًا يقومون على الآطام ينادون المسلمين بحين الصلاة » .

من تلك الآثار الشريفة يتضح أن حكمة مشروعية الأذان - إعلام المسلمين بحين الصلاة ، ليجتمعوا فى المسجد ، ولتلك الحكمة يسن شرعا كل عمل يتوسل به لهذا الجمع والمقاصد تبرر الوسائل .

ولما كان الأذان على المنارة المرتفعة يسمع القريب والبعيد عن المسجد من المسلمين ، كان من السنة أن ترفع المنارات فى الأمصار ، وأن يؤذن فوق المساجد وفى غيرها كما كانت السنة فى عهد رسُول الله . أما الأذان أمام المسجد ، فتلك السنة التى كانت فى عهد رسُول الله ﷺ بعد جلوسه على المنبر ، ليتنبه الحاضرون للجمعة ، فيسارعوا إلَى دخول المسجد لسماع الخطبة .

فتح باب الفتن بالأذان الواحد يوم الجمعة :

ورجل يفتح باب التفرقة بين المسلمين بجعل البدع المضلة سننا ، والسنن المجمع عليها بدعا ، حكم على نفسه أن رسُول الله ﷺ ليس منه فى شىء بدليل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ

(١) رواه أبو داود فى كتاب الصلاة الباب ٣٣ .

فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُم فِي شَيْءٍ﴾[1].

وهو شر شياطين الإنس لأنه يترك أكبر الكبائر تُفعل جهرا أمام المسلمين فيقرها، ويذهب إلَى مسجد الله تعالى فيحدث شر البدع فيه، وشرها الخصومة والجدل، قال الله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[2]. فحكم على كل مجادل أنه خصم الله تعالى، وخصم رسُوله ﷺ والمُؤمِنِينَ.

أما الأذان بجوار المنبر فهو بدعة أيضا، وإنَّمَا الأذان أمام الخطيب يكون على باب المسجد، حيث تكون المساجد بعيدة عن الأسواق والغوغاء من السوقة الَّذِينَ لا يشهدون الجمعة، فإذا كان المراد به يقظة قلوب المصلين لسماع الخطبة - خصوصا الَّذِينَ يجلسون فى الزوايا الملحقة بالمسجد بجوار محل الطهارة لزحام المسجد - كان الأذان بصوت ندى والخطيب على المنبر مما يعين على اليقظة لسماع الخطبة، قال ﷺ: (إنَّمَا الأعمال بالنيات وإنَّمَا لكل امرىءٍ مانوى، فمن كانت هجرته إلَى الله ورسُوله ..»[3] الحديث.

والحقيقة أن المسلم إذا وعظ كما أمرنا القرآن المجيد بقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[4] لفاز الواعظ والموعظ برضوان الله الأكبر، ودليل ذلك من الأثر الشريف ما رواه الإمام محمد أبو الحسن عن الإمامين البخارى ومسلم قالا: قال السائب بن يزيد: «كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الإمام على المنبر فى عهد رسُول الله ﷺ وأبى بكرٍ وعمر رضى الله عنهما، فلما كان عثمان رضى الله عنه وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء»[5] فصح أن النداء فى يوم الجمعة نداء أول للتفكير، ونداء ثان عند وجوب الظهر، ونداء ثالث عند جلوس الخطيب على المنبر.

---

(١) سورة الأنعام آية ١٥٩.

(٢) سورة الزخرف آية ٥٨.

(٣) رواه البخارى فى كتاب بدء الوحى الباب الأول وكتاب العتق الباب السادس وكتاب مناقب الأنصار الباب ٤٥ وكتاب الطلاق الباب ١١ (فى الترجمة) وكتاب الايمان الباب ٢٣ وكتاب الإكراه (فى ترجمة الكتاب) وكتاب الحيل الباب الأول ومسلم فى كتاب الإمارة الحديث ١٥٥، وأبو داود فى كتاب الطلاق الباب ١١ والنسائى فى كتاب الطهارة الباب ٥٩ وكتاب الطلاق الباب ٢٤ وكتاب الايمان الباب ١٩ وابن ماجة فى كتاب الزهد الباب ٢٦.

(٤) سورة النحل آية ١٢٥.

(٥) رواه البخارى فى كتاب الجمعة الباب ٢١ والترمذى فى كتاب الجمعة الباب ٢٠.

الصلاة والسلام على رسول الله بعد الأذان:

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1] ويقول سيدنا رسول الله ﷺ (إذا سمعتم المؤذن يقول فقولوا مثلما يقول ثم صلوا علي)[2] فلم قال الرسول صلوات الله وسلامه عليه: (ثم صلوا عليّ) إلا لبيان أن ذلك من السنة ؟! ومن ثم فلا ينكر ذلك إلا أعمى البصر والبصيرة ! . وبذلك أخذ الإمام الشافعي رضى الله عنه أن الصلاة على النبيّ ﷺ بعد الأذان سنة، كما يقول العلامة الألوسى فى تفسيره روح المعانى أن قوله تعالى: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[3] أن المؤذن داخل تحت عموم هذا الأمر لأن الأمر فى الآية للوجوب. وليست الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ بعد الأذان قاصرة على الصيغة الإبراهيمية، بل يجوز التنويع فى الصلاة والسلام عليه، كل بما يفتح الله تعالى عليه.

شبهات واباطيل حول الصلاة والسلام على رسول الله بعد الأذان:

يقول ثالوث التكفير: ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب: إن الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله بدعة مستحدثة لم تكن فى عهد الرسول صلوات الله وسلامه عليه.

رد الشبهات والأباطيل حول الصلاة والسلام على رسول الله بعد الأذان:

والرد على ذلك يتضمن وجهين:

١ - لقد خص الله عباده فى كل عصر بمزايا لم يختص بها غيرهم، فها هو القرآن المجيد لم يقم الصحابة فيه بنقط حروف المصحف، بل الذى وضعه هم التابعون، والتابعون لم يضعوا الشكل، بل وضعه تابعوا التابعين، وتابعوا التابعين لم يضعوا له المواقف، بل

---

(١) سورة الأحزاب آية ٥٦ .

(٢) رواه البخارى فى كتاب الأذان الباب السابع ومسلم فى كتاب الصلاة الحديث ١٠، ١١ والترمذى فى كتاب الصلاة الباب ٤٠ وكتاب المناقب الباب الأول والنسائى فى كتاب الأذان الباب ٣٣، ٣٥ــ ٣٧، وابن ماجة فى كتاب الأذان الباب الرابع ومالك فى الموطإ فى كتاب النداء الحديث الثانى والدارمى فى كتاب الصلاة الباب العاشر وأحمد فى الجزء الأول صفحة ١٢٠ والجزء الثانى صفحة ١٦٨ والجزء الثالث صفحة ٦، ٥٣، ٩٠ والجزء الرابع صفحة ٩٢، ٩٣، ٩٥، ٩٨، ١٠٠ والجزء السادس صفحة ٩، ٣٢٦ .

(٣) سورة الأحزاب آية ٥٦ .

وضعه تابع التابعين، وغير ذلك ما يسمى الآن بعلوم القرآن، فهل تعد كل هذه الأمور بدعة ؟؟!.

٢ - إن السنة تنحصر فى ثلاثة أشياء: أقواله ﷺ، وأفعاله، وتقريراته، وهذه محصورة بالعدد، وحوادث الكون لا تنحصر، ودخول ما لا ينحصر تحت المنحصر محال، إذن وجب أن يكون فى الشريعة الإسلامية أمور كلية تندرج تحتها الجزئيات، والجزئيات هى التى لم تكن موجودة عند الإخبار عن الكليات. وهى المستحدثات التى تكون على مبادئ الكليات لتقاس عليها، ولا يجوز عقلًا وقوعها فى غير أزمنتها قبل الأوان. ومن الجزئيات المندرجة تحت الكليات مدارس تعليم القرآن، وقسائم الزواج، وعقود التمليك والتجارة والإجارة، وإنشاء المحاكم، ومناصب شيخ الأزهر، والمفتى، وشيخ الطرق الصوفية، وإقامة الشركات والجمعيات.

رأى الإمام المجدد أبى العزائم فى الصلاة والسلام على النبى بعد الأذان :

إن حكم الصلاة والسلام على رسُول اللّه ﷺ بعد الأذان وارد بصريح القرآن الشريف وبالآثار النبوية. أما القرآن فقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النبيِّ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسلِيمًا** ﴾ هذه الآية الشريفة حجة قائمة على أن اللّه تعالى أمرنا بالصلاة والسلام على رسُول اللّه ﷺ من غير تقييد بعمل ولا بوقت ولا بحال ولا بشأن، وأخبرنا سبحانه أنه يصلى عليه هو وملائكته مؤكدًا الخبر بإن، والمؤذن وسامعوه أولى الناس بشكر رسُول اللّه ﷺ على نعمة اللّه علينا به كما قال تعالى: ﴿ **وَاذكُروا نِعمَتَ اللَّهِ عَلَيكُم إِذ كُنتُم أَعدَاءً فَأَلَّفَ بَينَ قُلُوبِكُم فَأَصبَحتُم بِنِعمَتِهِ إِخوَانًا** ﴾[1] وأى نعمة أعظم وأجل من سماع الآذان الجامع لتعظيم اللّه تعالى وتوحيده سبحانه والإقرار برسالة حبيبه محمد ﷺ.

هذه النعمة العظمى توجب علينا عقلًا أن نصلى ونسلم عليه وعلى آله وصحبه وأنصاره، خصوصًا عند الاعتراف له بالرسالة بعد الإقرار بتوحيد اللّه فى كلمة واحدة. وقد طلب ﷺ ممن سمع المؤذن أن يقول مثل ما يقول، وأن يصلى ويسلم عليه، وأن يسأل اللّه تعالى له الوسيلة، وإذا كان هذا مطلوبًا ممن سمع المؤذن، فكيف بالمطلوب من المؤذن ؟.

هذا، وعلى فرض أن الصلاة والسلام من المؤذن بعد الأذان الشرعى ليس من الآذان، فهو ذكر يتقرب به المؤذن إلَى اللّه تعالى وليس فيه من الكراهة شئ، والمؤذن هو إنسان مسلم

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٣.

يتقرب إِلَى اللَّه تعالى بعد أن يتم سنة الأذان بما يحبه اللَّه ورسُوله ﷺ ، ولا تكون الكراهة فى هذا إلا إذا اعتقد أن هذا من الأذان الشرعى .

ومما يقيم الحجة على أن المصلى والمسلم على النبىّ ﷺ بعد الأذان يعتقد أن قوله هذا ذكر فقط ، اختلاف العبارات التى يقولها المؤذن ؛ إذ لو كان يعتقد أنها من الأذان للزم ألفاظًا معينة ، ولكن الشيطان - لعنهُ اللَّه - يلقى فى قلوب إخوانه من الإنس ما يفتح به أبواب الفتن المضلة والآراء المفسدة ، أعاذنا اللَّه تعالى من فتح أبواب الفتن فى المساجد والمجتمعات الدينية .

ولم يبق بعد هذا البيان والحجة من الآثار النبوية ، والعقل الَّذِى يعقل عن اللَّه تعالى وعن رسُول اللَّه ﷺ ، إلا النزوع إِلَى بذر بذور التفرقة بين عمار المساجد وأهل التقوى من المؤمِنينَ ، أعاذنا اللَّه من ذلك .

المصلون على النبىّ ﷺ على الدوام هم المقربون :

لا يخفى على من رزقه اللَّه نور اليقين أن اللَّه سبحانه وتعالى خلق عباده أهل الخطاب ليعرفوه ، ولا يعرفونه تعالى إلا عن طريق المرشدين من الأنبياء والمرسلين وأتباعهم وبما نصبه لهم من الآيات فى مكوناته جميعها . ومنهم من خلقه مطبوعًا على معرفته تعالى ، مدفوعًا بفطرته الطيبة إِلَى التعلق على الدوام بربه ، وحب الأنبياء والمرسلين وعامة الصالحين ، وهو أقرب طريق فى الدلالة عليه جل وعلا . وجعل لسيد العالمين مزية خاصة على جميع الأنبياء والمرسلين ، وهى كثرة الصلاة عليه ﷺ حتى من دأب على ذلك ولازم عليها صار من المقربين ولا يتقرب إليه تعالى إلا بهذه الوسيلة فأمرهم والأمر للوجوب بقوله تعالى : ﴿ **صَلُّوا عَلَيهِ وَسَلِّمُوا تَسليمًا** ﴾ أى بالدوام والاستمرار .

منع الصلاة والسلام على النبىّ من الإيذاء له ﷺ :

لا يخفى أن اللَّه سبحانه وتعالى حذر عباده عن مطلق إيذائه ﷺ بقوله : ﴿ **وَمَا كَانَ لَكُم أَن تُؤذُوا رسُولَ اللَّهِ** ﴾[1] الآية ، وفى عدم الصلاة والسلام عليه ﷺ ، وعدم الإعلان بها ، وعدم تنبيه الناس بالصلاة عليه لهى إعراض عن ذكره ، وذكر الذاكرين اللَّه تعالى

(١) سورة الأحزاب آية ٥٣ .

ولحضرته ﷺ ، أفلم يكن منع هؤلاء المانعين للصلاة والسلام عليه بعد الأذان خصوصًا بعد أن أجمع عليها علماء الأمة الإسلامية من الإيذاء لحضرته ﷺ ؟ وإن كانت الآية الكريمة تتناول أكثر من ذلك .

من منع الصلاة والسلام على النبى خرج على إجماع المسلمين :

المانعون للصلاة والسلام على النبى ﷺ بعد الأذان دخلوا فى الوعيد الشديد لخروجهم على إجماع المسلمين ذلك الخروج المبين فى قوله تعالى : ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾[1] وقد قال ﷺ : (يد الله مع الجماعة)[2] وقال فى معنى الجماعة (السواد الأعظم) أى من المسلمين .

أو لم يخشوا أن يدخلوا تحت الوعيد بمنعهم ذكر الله تعالى ورسُوله ﷺ وما يترتب على منعهم من عدم الصلاة والسلام من السامعين للصلاة والسلام عليه بعد الأذان ؟ فيكونوا بذلك قد آذوا الله ورسُوله الَّذِى جاء به الوعيد الشديد فى قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا** ﴾[3] نسأل الله تعالى السلامة والعفو والعافية ﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ** ﴾[4] .

---

(١) سورة النساء آية ١١٥ .

(٢) رواه الترمذى فى كتاب الفتن الباب السابع والنسائى فى كتاب التحريم الباب السادس .

(٣) سورة الأحزاب آية ٥٧ .

(٤) سورة ق آية ٣٧ .

الفصل الثالث

صلاة التراويح

صلاة التراويح من النوافل والسنن :

إن صلاة التراويح من النوافل والسنن الواردة ، والتراويح هى النافلة المخصوصة فى رمضان ، وهى بمثابة قيام لشهر رمضان المبارك ، حتى أن بعض الفقهاء يسميه القيام ، وقد صح عن رسُول اللّه ﷺ أنه صلاها بعض الليالى ، فلما رأى ازدياد عدد الصحابة توقف عن الخروج ، وإنَّمَا أخبر أصحابه بأن تأخره كان رأفة بأمته ، وخشية أن يفترض عليها هذا القيام ، فيعجز الكثير عن أدائها ، ويصبح مخالفًا لأمر رسُول اللّه ﷺ .

وقد صح بالروايات المتواترة أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى اللّه عنه الخليفة الثانى لرسُول اللّه ﷺ ، أنه جمع الناس على صلاة التراويح ، وأمر بأن يصليها بهم أبى بن كعب جماعة ، وكان يصليها عشرين ركعة ، ثم يوتر بثلاث ركعات ، وهذا ما صح فعله عن أصحاب رسُول اللّه ﷺ .

فمن صلاها عشرين ركعة فقد نفذ ما ورد بالأمر والإقرار عن رسُول اللّه ﷺ ، لقول الرسُول ﷺ (عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ)[1] .

صفة صلاة التراويح :

١ - أن يكون الَّذِى يصليها عشرين ركعة يصليها بطمأنينة وخشوع ، وبقراءة صحيحة واضحة ، وليس كما يفعل بعض مقيمى الشعائر أو شيوخ القطاع العام من سوء الترتيل فى قراءتها ، وعدم إكمال ركوعها وسجودها ، فتلك صلاة خداج ليست بمقبولة كما نص عليه الحديث ، وإنَّمَا الواجب إتمام ركوعها وسجودها وحسن القراءة فيها والخشوع أثناء الانشغال بها .

٢ - إن عدد الركعات إذا كانت عشرين تزيد فى الأجر ، إذ أنَّ فيها زيادة القيام ، والقيام هو

(١) رواه الترمذى فى كتاب العلم الباب ١٦ وأبو داود فى كتاب السنة الباب الخامس وابن ماجة فى المقدمة الباب السادس والدارمى فى كتاب المقدمة الباب ١٦ وأحمد فى الجزء الرابع صفحة ١٢٦ ، ١٢٧ .

القنوت لله تعالى، وفيها زيادة التسبيح فى الركوع والسجود، والثناء والحمد فى الاعتدال، والدعاء والتضرع فى السجود، وزيادة الجلوس بين السجدة والتشهد، كل ذلك يحتسب للمصلى قربة وحسنات لا تحصى.

حال المسلمين قبل ظهور القرنيين:

مرت على المسلمين قرون طويلة، وأحقاب عديدة، وهم بخير إخوة متحابون متعاونون، يؤدون (صلاة التراويح) فى رمضان عشرين ركعة، وبينهم الألفة والمحبة والوفاق.. يجمعهم الإسلام فى إطاره الواسع، وتعاليمه السمحة، ومبادئه الرشيدة.. لا شئ يكدر صفوهم، أو يشتت شملهم، لا فى رمضان ولا فى غير رمضان، لأن القرآن وطاعة الرحمن، كان الشغل الشاغل لهم.

حال المسلمين بعد الصحوة الوهابية:

ثم جاء هذا العصر - عصر الصحوة الوهابية، والكبوة الإسلامية، عصر الجمود الفكرى والركود العلمى - فلم يجد المسلمون لأنفسهم شيئًا يدعوا إِلَى العناية والاهتمام، إلا الاشتغال بـ «الفروع الجزئية» وترك «الأمور الكلية» التى كان ينبغى عليهم أن يولوها أكبر قسط من العناية والاهتمام.

ودبَّ الخلاف والنزاع بينهم بسبب تلك الفروع، مما أصبح عنوانًا ظاهرًا على تخلف المسلمين، وتأخرهم عن مسايرة ركب الحضارة الإنسانية، بعد أن كانوا هم روادها وقادتها.

ظهور أئمة الضلال باسم السلفية:

والعجب أن من يحمل هذا الوزر - وزر الانحراف عن منهج الإسلام السوى - ليسوا هم العامة بل هم ثالوث التكفير وأبواقهم ومشايخ القطاع العام الَّذِينَ تصدروا لزعامة الأمة وهم ممن ينتسب إِلَى العلم، ويدعى أنه يريد إحياء السنة، ويزعم أنه وصل إِلَى درجة من العبقرية والنبوغ، لم يصل إليها كثير من علماء العصر.. بل ويأخذ بعضهم الغرور أحيانًا، حتى يخيل إليه أنه بلغ درجة «الأئمة المجتهدين» ثم يأتى بآراء غريبة وأمور عجيبة، تناقض ما ذهب إليه جمهور العلماء - سلفًا وخلفًا - لتفكيك جماعة المسلمين.

أئمة الضلال يتميزون بالجهل وركوب الهوى :

الدين الَّذِى يجمع القلوب، ويوحّد الصفوف ويقوّى دعائم الأخوة الإسلامية، أصبح اليوم - بسبب الجهل وركوب الأهواء - سببًا للتناحر والتخاصم والتفرّق والنزاع، ومدعاةً إلَى تفكك أواصر الأخوة الإيمانية، التى ربطها اللّه تعالى برباط الدين ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ** ﴾[1] ويالها من كارثة وفاجعة أليمة، تحل بالمسلمين، بسبب التعصب الأعمى للآراء لشيوخ النفط، والتقليد لشيوخ القحط، ممن يحبون فقه الريال لا فقه الرجال فيزعمون أنهم أهل للاجتهاد، فى هذا العصر المنكوب !!.

يؤججون نار العداوة والفرقة بين المسلمين، ويثيرون الفتن لأمور بسيطة يسيرة، كأمر «حمل المسبحة ووضع اليدين فى الصلاة وصلاة التراويح وتقبيل يد العالم والقيام للضيف القادم وذكر اللّه جماعة وجهرًا وقول القارئ : صدق اللّه العظيم عند الانتهاء من التلاوة، والتوسل بالنبىّ أو الولى» وأمثال ذلك، من الأمور التى لا تحتاج إلَى جدال ومناظرة، لأنها أمور بسيطة يسيرة فى نظر الدين، لا تعدو أن تكون محصورة بين دائرة «الفاضل» و «المفضول» من أحكام الحلال والحرام.

أمور جزئية أثاروها وجعلوها فى مكان الأصول الكبرى، التى يجب أن يهتم بها المسلمون، كأمور العقيدة، ووحدة الكلمة، وجمع الصف فى سبيل مكافحة الدعوات الهدامة، والجمعيات التبشيرية، والنزعات الإلحادية والفساد الخلقى الَّذِى استشرى بين شباب المسلمين والفتيات.. وكأن المسلمين اليوم بحاجة إلَى من يمزقهم، ويشتت شملهم، بعد أن مزقهم عدوهم المستعمر، فجعلهم شيعًا وأحزابًا ﴿ **كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ** ﴾[2].

والأنكى من هذا، أن هذا التقاطع والتدابر، والتمزق والتناحر، الَّذِى عليه المسلمون اليوم، يتزيا باسم الغيرة على الدين.. باسم «إحياء السنة» أحيانًا وباسم «حماية التوحيد والسلفية أو الأصولية» طورًا آخر، وما درى هؤلاء، أن هذه مكيدة خبيثة، يدبرها لهم الأعداء، ليشغلوهم بالصغير عن الكبير ويجعلوا بأسهم بينهم شديدًا، فتتمزق كلمتهم، ويتفرق جمعهم، واللّه تعالى قد حذرهم من ذلك فى آياته البينات، فقال: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ**

---

(١) سورة الحجرات آية ١٠.

(٢) سورة الروم آية ٣٢.

فَأَصبَحتُم بِنِعمَتِهِ إِخوَانًا﴾[1] وقال جلت عظمته : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعدِ مَا جَاءَهُمُ البَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُم عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2] .

وماذا يضير هؤلاء الإخوة السلفيين - إن كان غرضهم خدمة الدين - أن يتركوا المسلمين يصلون فى رمضان عشرين ركعة ، وأن يسبحوا الله تعالى باليد أو بالمسبحة ، وأن يذكروا الله فرادى أو جماعة ، وأن يكرسوا جهودهم للوقوف فى وجه الملاحدة ، والشيوعيين بدل من أن يجعلوا همهم مقاومة المصلين المتعبدين !! وأن يذكروا قول المصطفى الهادى الأمين ﷺ : (إن هذا الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه)[3] وقوله ﷺ : (بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا)[4] !!

اللّهم ألهمنا رشدنا .. واحفظنا من اتباع الهوى .. وجنبنا مضلات الفتن ، يا رب العالمين .

أَيُّهَا القَرْنِيُّونَ صلاة القيام عشرون ركعة لا ثمان :

أما حجة من يحتج من القرنيين بحديث عائشة رضى الله تعالى عنها وأرضاها من أن رسُول الله ﷺ ما كان يزيد على ثلاث عشرة ركعة فى رمضان ولا فى غير رمضان ، فإنها تحكى ما كان من عمل الرسُول فى صلاته فى بيته وبمفرده ، وهذا لا يعارض ما رآه عمر بن الخطاب من إقامة صلاة الليل فى رمضان بالجماعة حيث جمعهم على أُبىّ بن كعب .

ولعل أم المُؤمنينَ تحكى غالب ما كان عليه رسُول الله ﷺ فى حياته من قيام الليل وكان ذلك تيسيرًا على أمته .

قيام شيخكم ابن تيمية عشرون ركعة لا ثمان :

قال ابن تيمية فى الجزء الثانى من الفتاوى ص ٤٠١ : « ثبت أن أبى بن كعب ، كان يقوم بالناس عشرين ركعة فى رمضان ، ويوتر بثلاث فرأى كثير من العلماء أن ذلك هو

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٣ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٥ .

(٣) رواه النسائى فى سننه ١٢٢/٨ والبيهقى فى السنن الكبرى ١٨/٣ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٥٣٨٤ وابن كثير فى تفسيره ١٧٨/٤ .

(٤) رواه البخارى فى كتاب العلم الباب ١١ وكتاب الجهاد الباب ١٦٤ ومسلم فى كتاب الجهاد الحديث الخامس وأبو داود فى كتاب الأدب الباب ١٧ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٢٣٩ ، ٢٨٣ ، ٣٦٥ والجزء الرابع صفحة ٣٩٩ ، ٤١٢ ، ٤١٧ .

السنة، لأنه قام بين المهاجرين والأنصار ولم ينكره منكر».

وفى مجموعة الفتاوى النجدية، أن الخارجى عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ذكر فى جوابه عن عدد ركعات التراويح أن عمر رضى الله عنه لما جمع الناس على أبىّ بن كعب كانت صلاتهم عشرين ركعة.

ومن النقول الكثيرة، عن أئمة علماء المسلمين، سلفًا وخلفًا، تثبت بما لا يحتمل الشك، كأن ما عليه المسلمون اليوم، من صلاة التروايح «عشرون ركعة» هو الحق الَّذِى لا محيد عنه، وهو الَّذِى تأكد بعمل الصحابة رضوان الله عليهم جميعًا، وبإجماع الأئمة المجتهدين - أئمة المذاهب الأربعة - الَّذِينَ هم أعلام الهدى، ومنارات العلم فى كل زمان وحين، وهو الَّذِى أمر به الفاروق رضى الله عنه الَّذِى جعل الله الحق على لسانه وقلبه، كما صح بذلك الحديث الشريف.

يا جماعات الخوارج بمصر تأدبوا مع شيوخكم فى الحرمين الشريفين واقتدوا بهم:

ولقد وصلت الوقاحة بجماعات الخوارج بمصر إلَى أن يقولوا الزيادة على إحدى عشرة ركعة بدعة وكل بدعة ضلالة حتى ولو كانت من عمر !!.

ولكن ماذا نقول: قاتل الله الجهل والغباء، وصدق من قال:

إذا ما الجهل خيّم فى بلاد رأيت أسودها مسخت قرودًا

لقد بلغت بهؤلاء الوقاحة بأن يقولوا عن الأئمة المجتهدين: إنهم أئمة ضلال، فرقوا الدين وضللوا الأئمة، ويأتون بالآية التى نزلت فى اليهود والنصارى، فيحملونها على الأئمة الأعلام، ويقولون: هؤلاء ذمهم الله تعالى فى كتابه العزيز، فقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعًا لَّستَ مِنهُم فِى شَئ ..**﴾[1].

وقد أجمع المفسرون على أن هذه الآية نزلت فى اليهود والنصارى ولم تنزل فى الأئمة المجتهدين كما يظن هؤلاء الأغبياء الجهال.

وكأنهم لم يقرأوا ما كتبه شيخهم ابن تيمية فى «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»:

ونخشى أن نكون قد أشرفنا على ذلك الزمان الَّذِى يتربع فيه السفلة الجهال على كراسى

(١) سورة الأنعام آية ١٥٩.

العلم والإفتاء، وهو ما حذرنا منه المصطفى ﷺ فى الحديث الَّذِى رواه البخارى فى باب قبض العلم: (إن اللّه لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤسًا جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)[1] أخرجه البخارى.

وفى الحديث الصحيح أيضًا يقول ﷺ: (إن من أشراط الساعة: أن يرفع العلم، ويثبت الجهل، ويشرب الخمر ويظهر الزنا. وتكثر النساء ويقل الرجال، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد)[2].

إن من يضلل الصحابة، والتابعين، والأئمة المجتهدين وينسب إِلَى سلف الأئمة وخلفها «بدعة الضلالة» لمجرد أنهم صلوا صلاة التراويح عشرين ركعة لهو إِلَى السفه والجهالة أقرب، وإِلَى الابتداع وعدم الاتباع أجدر وأليق، ولا يتجرأ أن يصف الصحابة والتابعين بالبدعة إلا الأحمق.

ألا إنه الغرور، والشذوذ والسفه، والجهل... إنه شق عصا الجماعة، والخروج عن طريق المسلمين، وجماعتهم الَّذِى حذرنا القرآن الكريم منه، حين قال: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِع غَيرَ سَبِيلِ المُؤمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَت مَصِيرًا**﴾[3].

إنه الكبر، واتباع الأهواء، فى سبيل الشهرة، وصدق المصطفى ﷺ حين قال: (الكبر بطر الحق وغمط الناس)[4] بطر الحق: أى دفع الحق وعدم قبوله، غمط الناس: أى احتقار الناس والإعجاب بالرأى.

---

(١) رواه البخارى فى كتاب العلم الباب ٣٤ ومسلم فى كتاب العلم الحديث ١٣ والترمذى فى كتاب العلم الباب الخاس وابن ماجة فى المقدمة الباب الثامن والدارمى فى المقدمة الباب ٢٦ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ١٦٢، ١٩٠.

(٢) رواه البخارى فى كتاب العلم الباب ٢١ وكتاب النكاح الباب ١١٠ وكتاب الحدود الباب ٢٠ وكتاب المحاربين الباب الخامس وكتاب الفتن الباب الخامس ومسلم فى كتاب العلم الحديث ٨ - ١٠ والترمذى فى كتاب الفتن الباب ٣١، ٣٤ وابن ماجة فى كتاب الفتن الباب ٢٥، ٢٦ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٣٨٩، ٤٠٢، ٤٠٥، ٤٥٠ والجزء الثانى صفحة ٤٨١، والجزء الثالث صفحة ٩٨، ١٥١، ١٧٦، ٢٠٢، ٢١٣، ٢٧٣، ٢٨٩ والجزء الرابع صفحة ٣٩٢، ٤٠٥ والجزء الخامس صفحة ٢٦٦.

(٣) سورة النساء آية ١١٥.

(٤) رواه أبو داود فى كتاب اللباس الباب ٢٦ والترمذى فى كتاب البر الباب ٦٠ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٣٨٥، ٤٢٧.

الفصل الرابع

قراءة القرآن يوم الجمعة

ما اجمع عليه علماء المسلمين:

إن علماء المسلمين يجمعون على أنه ما من أمر يكون الأصل فيه بيان رب العالمين، أو سنة سيد المرسلين خصوصًا إذا كان فيه ذكر لله تعالى، أو تعظيم لشعائره، أو رفع لشأن نبيه، أو نفع للفقراء من المسلمين، إلا ويستحسنونه، لأنه يتناوله كلام رب العالمين أو سنة سيد المرسلين، وإن كان محدثًا لما فيه من مرضاة الحق عز وجل، وأمرهم بالسير عليه، لما عساه أن يكون مقربًا لله تعالى ويرضى به عنه.

ومن هذه الأمور ما يأتى:

فرضه تعالى على عباده الصلاة بمكة ولم يفرض الوضوء لها إلا بالمدينة بعد الهجرة بسنتين.

ومنها: إخباره تعالى عباده فتح مكة، ولم تفتح إلا بعد أربع سنين.

ومنها: ما أمر الله تعالى به عباده من النداء ليوم الجمعة بمكة، ولم يفرض تنفيذها ولا القيام بها ولا استكمال شروطها إلا بعد الهجرة بسنتين.

ومنها: إحداث صلاة التروايح فى زمن عمر رضى الله تعالى عنه عشرين ركعة «راجع ما ذكرناه فى الباب السابق بتوسع» وقال بعد أن جمعهم على قارئ واحد «نعمت البدعة هذه»[1] وما أخذها رضى الله تعالى عنه إلا من صلاة النبىّ ﷺ بهم ليالى ثم انقطع عنهم رحمة بهم.

ومنها: بناؤه رضى الله تعالى عنه مسجد رسُول ﷺ وإبداعه فيه والزيادة عليه عملا بقوله ﷺ (ما أضيف إِلَى مسجدى فهو مسجدى) الحديث.

---

(١) رواه البخارى فى كتاب التراويح الباب الأول ومالك فى الموطإ فى كتاب رمضان الحديث الثالث.

ومنها : إحداث عثمان رضى الله تعالى عنه الأذان الأول يوم الجمعة على الزوراء، الَّذِى أخذه من فعل رسُول الله ﷺ من إخراج المؤذن من بين يدى حضرته إِلَى الباب عند كثرة المسلمين.

ومنها : إحداثه رضى الله عنه بناء فوق المسجد مرتفعًا بعد أن بناه، وجعله يتحمل المؤذن فوقه الَّذِى أخذه من تخصيص رسُول الله ﷺ المكان المرتفع للأذان حيث كان يؤذن فوق بيت أم هانئ وهو أعلى بيت بجوار المسجد.

ومنها : ستائر المنبر الَّذِى أخذه من فعل عمر رضى الله عنه على ما رواه ابن سعد.

موقف الخوارج ومستحدثات الأمور :

فهؤلاء الخوارج على إجماع المسلمين يعترضون وينكرون على أهل الحق والتحقيق ويضلون ويضللون ضعفاء الإيمان من البرآء من المسلمين بقولهم : هذه لم تكن فى زمن النبىّ ولا الصحابة ولا التابعين - فلاحظ لهم ولا رغبة لهم إلا المخالفة لإجماع المسلمين ليُعرفوا، فهم الفرق الخارجة عن دائرة السواد الأعظم من المسلمين - فأنت تراهم يدّعون الإيمان والإسلام ويخالفون إجماع المسلمين، وهم السواد الأعظم الَّذِى بينه سيد العالمين والجماعة التى حث على اتباعهم وعدم مخالفتهم.

وقال : (من فارق الجماعة قيد شعرة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه)[1] الحديث، ويالَيتهم يجمعون على تلك المخالفة، بل كل فرقة منهم تختلف عن الأخرى، وقد جعلهم الله كذلك، ليعلم المؤمن أنهم الفرق الضالة لا الجماعة، وهم السواد الأعظم من المسلمين، فأنت ترى منهم من يتحل طريقة من الطرق المخالفة لإجماع المسلمين، ويقولون نحن نعمل بقوله ﷺ كالأذان يوم الجمعة، كالمنبر، كالصلاة والسلام على رسُول الله بعد الأذان، كتجويف القبلة فى الحائط - وغيرها مما خالفوا فيه المسلمين - وتراهم يعملون بصلاة التراويح ويقولون إذا اجتمعت سنة النبىّ ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين نعمل بسنة النبىّ ﷺ ولا نعمل بسنة الخلفاء الراشدين، وهل سنة الخلفاء الراشدين تغاير سنة النبىّ ﷺ، أو جاءوا بها من عند أنفسهم؟ ولذا يقول قائلهم المتسلل فى الدين كاللص فى سرقته وهو يدخل على

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الفتن الباب الثانى ومسلم فى كتاب الإمارة الحديث ٥٣، ٥٤، ٥٥ وأبو داود فى كتاب السنة الباب ٢٧ والترمذى فى كتاب الأدب الباب ٢٨ والنسائى فى كتاب التحريم الباب ٦، ٢٨ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ١٣٢، ٢٩٦، ٣٠٦، ٤٨٨، والجزء الثالث صفحة ٤٤٥، ٤٤٦ والجزء الخامس صفحة ١٨٠، ٣٨٧.

أتباعه المضللين: إذا اجتمع معنا قول للعلماء الحاضرين وقول للعلماء السابقين بأيهما نأخذ؟ يقول له المضللون: نأخذ بقول السابقين، يقول لهم: وإذا اجتمع معنا قول السابقين والأئمة المجتهدين بأيهما نأخذ؟ يقولون له: بالأئمة المجتهدين، وإذا اجتمع معنا قول المجتهدين والصحابة بأيهما نأخذ؟ يقولون له: بقول الصحابة، يقول لهم: وإذا اجتمع معنا قول الصحابة وقول رسُول اللَّه ﷺ بأيهما نأخذ؟ يقولون: بقول رسُول اللَّه ﷺ، فيقول لهم: ها هو الكتاب والسنة بين أيدينا نعمل بهما، ولا داعي لأقوال غيرهما.

والضال الأكبر الأجرأ يقول لهم وإذا اجتمع معنا سنة رسُول اللَّه ﷺ وكتاب اللَّه بأيهما نأخذ؟ يقولون له: بكتاب اللَّه، يقول لهم: ها هو القرآن بين أيدينا جعله اللَّه عربيًا واضحًا يفهمه - العربجي - المار في الشارع. فهم من مصداق قوله ﷺ: (ألا يوشك رجل شبعان متكئ على أريكته يقول ما لنا ولسنة رسُول اللَّه ها هو القرآن بين أيدينا نعمل به ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه)[1] الحديث، وإذا جئتهم - بما يقطع رقابهم وحججهم الواهية - بالبراهين الساطعة الواضحة عمدوا إلى شبهة أخرى من الأوهام التي يوحيها شياطينهم، فهم من مصداق قول اللَّه تعالى: ﴿شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالجِنِّ يُوحِي بَعضهُم إِلَى بَعضٍ زُخرُفَ القَولِ غُرُورًا وَلَو شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرهُم وَمَا يَفتَرُونَ﴾[2] أوليس هؤلاء على مبدأ من أراد من أسلافهم أن يتأول آية الزكاة ويمتنع عن إخراجها حتى قاتلهم الصديق رضي اللَّه تعالى عنه، ولكن بقي منهم من نشأ من هؤلاء على تلك المبادئ الخاطئة المؤولة لكتاب اللَّه تعالى وسنة نبيه تأويلًا بالهوى فارجع إلى حكمة الحكيم الخبير بمصالح عباده الَّذِينَ خلقهم على المقابلة والمماثلة، حتى يتميز الخبيث من الطيب، والحق من الضلال، والمؤول بالباطل، والخارج عن الجماعة من الموافق لهم، والمهتدى بالقرآن والضال عنه.

ومن أعجب ما ترى أنك تلزم الضال منهم بالحجة والبرهان حتى تقطع منه كل شبهة، وتريه الحق الصريح الواضح حتى يخيل لك أنه كاد يهتدي، ويهتدي، ولكنه لا يزال متمسكًا بالباطل الَّذِي لا يستطيع أن يصدع به في مواجهة الحق. فهم من مصداق قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم زَيغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنهُ ابتِغَاءَ الفِتنَةِ وَابتِغَاءَ تَأوِيلِهِ﴾[3] الآية، أو من مصداق قوله تعالى: ﴿وَمِنهُم مَن يَستَمِعُ إِلَيكَ وَجَعَلنَا عَلَى قُلُوبِهِم أَكِنَّةً أَن

(١) أورده القرطبي في تفسيره ١/٣٧.

(٢) سورة الأنعام آية ١١٢.

(٣) سورة آل عمران آية ٧.

يَفقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِم وَقرًا وَإِن يَرَوا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤمِنُوا بِهَا﴾[1] الآية وأما أهل الحق والإجماع الَّذِينَ وفقهم جل شأنه قال فيهم: ﴿فَبَشِّر عِبَادِ الَّذِينَ يَستَمِعُونَ القَولَ فَيَتَّبِعُونَ أَحسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُم أُولُوا الأَلبَابِ﴾[2].

شبهات وأباطيل حول قراءة القرآن يوم الجمعة:

يقول أهل التكفير والتشريك والتبديع إن قراءة القرآن يوم الجمعة بدعة، بحجة أنها لم تكن فى زمن النبىّ ﷺ ولا الصحابة ولا التابعين، وأنها على حد زعمهم تشويش على المصلين والذاكرين لله تعالى فى المسجد.

الرد على هذه الشبهات والأباطيل:

١ - إن قراءة القرآن على مصلى الجمعة يتضمن وعد اللَّه تعالى بالثواب لتاليه والرحمة لسامعه، سر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ القُرآنُ فَاستَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ﴾[3].

وقد أيدت ذلك السنة النبوية فى قوله ﷺ: (ما جلس قوم فى بيت من بيوت اللَّه عز وجل يتدارسون كتاب اللَّه إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة)[4] فالمستمعون لقارئ القرآن كالسامعين للدارس له. والتالى له كالمدرس لهم، فهم فى هذه الحالة أرجى لرحمة اللَّه من المصلين لتحية المسجد، أو الذاكرين وقلوبهم مشغولة بالمارين بين الصفوف، وأفضل من الساكت أو المتكلم مع من يجاوره..

- قال ابن عباس رضى اللَّه عنهما: قال رسُول اللَّه ﷺ: (من استمع إِلَى آية من كتاب اللَّه له ألف حسنة مضاعفة ومن تلا آية من كتاب اللَّه تعالى كانت له نورًا يوم القيامة)[5]

---

(١) سورة الأنعام آية ٢٥.
(٢) سورة الزمر آية ١٧ - ١٨.
(٣) سورة الأعراف آية ٢٠٤.
(٤) رواه مسلم فى كتاب الذكر الحديث ٣٨، ٣٩ وأبو داود فى كتاب الصلاة الباب ١٤ وكتاب الوتر الباب ١٤ والترمذى فى كتاب القرآن الباب العاشر وابن ماجة فى المقدمة الباب ١٧ وكتاب الأدب الباب ٥٣ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٤٥٣ والجزء الثانى صفحة ٢٥٢، ٢٧٠، ٣١٩، ٣٧٢، ٣٨٠، ٤٠٨، ٤١٨، ٤٤٧، ٤٥٧، ٤٨٠، ٤٨٤، ٥٠٦ والجزء الثالث صفحة ٣٣، ٩٢، ٩٤.
(٥) أورده البغوى فى تفسيره ١٢/١ والهيثمى فى مجمع الزوائد ١٦٢/٧ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٣٤٥/٢ والسيوطى فى الدر المنثور ١٥٧/٣ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٥٠٠/٤ وابن كثير فى تفسيره ٥٤٣/٣.

أخرجه الوايلى أبو نصر من حديث إسماعيل بن عياش عن الليث عن مجاهد عن ابن عباس. وقد ورد فى الخبر: (أنه يدفع عن مستمعه بلوى الدنيا وعن تاليه بلوى الآخرة).

فلهذا أجمعت الأمة على جواز قراءة القرآن يوم الجمعة وسنيتها فى مصر وفى غيرها من البلاد الإسلامية. كما يقرأ القرآن بعد صلاة الجمعة من مشاهير قراء العالم الإسلامى فى المسجد الحرام والمسجد النبوى، فلو كانت قراءة القرآن يوم الجمعة بدعة لما فعلتها المدرسة الأم التى تمد هؤلاء وهؤلاء.

شبهات وأباطيل حول قراءة سورة الكهف يوم الجمعة:

يقولون: إن قراءة سورة الكهف يوم الجمعة من البدع التى لم تكن فى زمنه ﷺ ولا الصحابة ولا التابعين. وأن قارئها يشوش على المصلين. وينكرون تعيين قراءة هذه السورة بالذات ويقولون: القرآن كله واحد وكيف تقرأ هذه السورة دون غيرها بل من شاء أن يقرأ فليقرأ من القرآن ما يشاء.

الرد على هذه الشبهات والأباطيل:

لقد ورد فى بيان فضل قراءة سورة الكهف ومزاياها عن سيدنا رسُول اللَّه ﷺ أحاديث كثيرة، لهذا اختار أفاضل الأمة قراءتها يوم الجمعة وملازمة تلاوتها، ومن الأحاديث الصحيحة الواردة فى شأنها:

روى النسائى فى صحيحه عن أبى سعيد الخدرى رضى اللَّه تعالى عنه قال: قال رسُول اللَّه ﷺ: (من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين)[1].

وفى سند الدارمى قال معاذ بن جبل: قال النبىّ ﷺ (من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نورًا من رأسه إِلَى قدميه ومن قرأها كلها كانت له نورًا من السماء إِلَى الأرض)[2].

---

(١) أورده الزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ٢٤١/٣ والقرطبى فى تفسيره ٣٤٦/١٠.

(٢) رواه أحمد ٤٣٩/٣ والبغوى فى تفسيره ٢٣٨/٤ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٢٦١١ والبغوى فى شرح السنة ٤/ ٤٧٠ والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين ١٦١/٥ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٥٢/٧، ٥٣ وابن كثير فى تفسيره ١٣١/٥ والقرطبى فى تفسيره ٧٢/١١.

وذكره الثعلبى أيضًا .. وفى سند الثعلبى قال : قال إسحاق بن عبد الله بن أبى فروة أن رسُول الله ﷺ قال : (ألا أدلكم على سورة شيعها سبعون ألف ملك ملأ عظمتها ما بين السماء والأرض ولنا بها مثل ذلك : قالوا : بلى يا رسُول الله قال : سورة أصحاب الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر له إلَى الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام وأعطى نورًا يبلغ السماء ووقى فتنة الدجال)[1] .

لهذه الأحاديث الصحيحة اختارت الأمة قراءتها يوم الجمعة لما فيها من مزيد الفضل وعظيم الأجر أما إنكار أهل التكفير والتشريك والتحقير على قراءة القرآن يوم الجمعة وبالأخص سورة الكهف فهو من باب خالف تعرف لهوى جامح وحظ فى المعارضة ..

رأى الإمام أبى العزائم فى قراءة سورة الكهف :

حكم قراءة سورة الكهف قبل صلاة الجمعة فى المساجد ، أنها بدعة حسنة بالنسبة لعصرنا هذا . فإن الناس بحسب العادة فى هذا الزمان يجتمعون لصلاة الجمعة ، فيجلس الأشباه والشكول بجانب بعضهم جاهلين بآداب المسجد يتكلمون فى خصوصياتهم تارة ، وفى ذكر أحداث مضت آونة ، حتى إذا استوى الخطيب على المنبر ، فمنهم من يقطع حديثه ، ومنهم من يتم كلامه والخطيب يخطب ..

وقد ورد فى خبر أن رسُول الله ﷺ رَغَّب الناس فى قراءة سورة الكهف يوم الجمعة من غير أن يعين وقتًا ، وقد رأيت فى بعض مساجد بلاد الشرق ، سورة الكهف مكتوبة بخط يد فى مجلدات كثيرة ، فإذا جلس الناس للصلاة قبل الخطبة صلوا تحية المسجد ، وتناول كل رجل مجلدًا من تلك المجلدات وقرأ سورة الكهف ، فقراءة قارئ واحد لهم وإن كانت بدعة ، إلا أنها تمنع ضلالات وكبائر من وقوع بعض المصلين فى الغيبة والنميمة أو الكذب فى المسجد فى وقت الذكر والصلاة ، وخصوصًا إذا كان القارئ يتغنى بالقرآن بصوت ندى . وأصغى إليه المصلون يسمعون ما فى السورة من أسرار الحكمة وغرائب القدرة ، فخشعت قلوبهم وصلوا حاضرى القلوب . وتكون بهذه الحكمة بدعة حسنة ، وأما ما ورد فى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا ﴾[2] فإنَّمَا ذلك فى الصلاة ، فالقريب من الإمام يسمع ، والبعيد عنه ينصت ، وإن لم يسمع ، حفظًا لقلوب المصلين الَّذِينَ يسمعون القرآن .

---

(١) أورده القرطبى فى تفسيره ٣٤٦/١٠ .

(٢) سورة الأعراف آية ٢٠٤ .

هذا والله تعالى لم يأمر أهل الجهالة أن يدعوا إلى الله تعالى، ولكنه أمر أهل العلم بالله تبارك وتعالى بذلك، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِنكُم أُمَّةٌ يَدعُونَ إِلَى الخَيرِ وَيَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَيَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ﴾[1] يشير سبحانه بقوله (منكم) إلى البعض لأن (من) هنا للتبعيض، وكل من دعا إلى الله تعالى أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر، فوقع فى الكبائر بتفرقة المسلمين وإلقاء العداوة والبغضاء بينهم فذلك من شياطين الإنس لا محالة. والواجب عليه أن يهذب أخلاقه، ويتعلم طرق الدعوة إلى الله تعالى، قال ﷺ: (ألا أخبركم بأحبكم إلىّ وأقربكم منى مجالس يوم القيامة؟! قالوا: بلى يا رسول الله، قال: أحاسنكم أخلاقًا الموطئون أكنافًا الذين يألفون ويؤلفون)[2].

وقال ﷺ: (ألا أخبركم بأبغضكم إلىّ وأبعدكم منى مجالس يوم القيامة؟! قالوا: بلى يا رسول الله قال: الثرثارون المتفيهقون الذين لا يألفون ولا يؤلفون)[3].

وعجبًا لرجل ينفر أمة سيدنا محمد ﷺ ويبغضها فى مساجد الله!! يبلغ من حماقته أن يقع فى الخصومة بالسب واللعن والحرب، كيف يحكم لنفسه أنه مسلم ورسول الله ﷺ يقول: (المسلم من سلم الناس من يده ولسانه، والمؤمن من أمن جاره بوائقه)[4].

التبليغ وراء الإمام سنة حسنة:

معلوم أن الضرورات تبيح المحظورات، وفى الخبر: (ما رآه المسلمون حسنًا فهو حسن)[5] والمسلمون قد يكون فيهم الأصم والأعمى، ومعلوم أن مسجد رسول الله ﷺ فى عصره - مع ما كان عليه - إذا رفع الإمام صوته أسمع من فيه جميعًا، أما مسجد كالأزهر أو كمسجد عمرو بن العاص أو كمسجد السيد البدوى بطنطا ومسجد سيدى

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٤.

(٢) رواه الترمذى فى كتاب البر الباب ٧٢ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ١٨٥ والجزء الثالث صفحة ٢٢ وعبد الرازق فى مصنفه ٢٠١٥٤ والهيثمى فى موارد الظمآن ١٩١٦ وفى مجمع الزوائد ٢١/٨ والمنذرى فى الترغيب والترهيب ٣/ ٤٠٧ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٥٢٢٣ والسيوطى فى الدر المنثور ٧٥/٢.

(٣) رواه الترمذى فى كتاب البر الباب ٧١ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ٣٦٩ والجزء الرابع صفحة ١٩٣، ١٩٤.

(٤) رواه أحمد ٢٢٤/٢، ٧٧٩، ٤٤٠/٣، ٢١/٦ والهيثمى فى موارد الظمآن ٢٥ وفى مجمع الزوائد ٢٦٨/٣ وابن حجر فى فتح البارى ٥٤/١ والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ٧٨/٢.

(٥) رواه أحمد فى الجزء الأول صفحة ٣٧٩ والزيلعى فى نصب الراية ١٣٣/٤ والحاكم فى مستدركه ٧٨/٣ والسيوطى فى الدرر المنتثرة ١٥٦.

إبراهيم الدسوقى - خصوصًا فى أيام موالدهم - فإنه يتعذر على المصلين جميعًا أن يسمعوا صوت الإمام خصوصًا إذا كان الإمام خافت الصوت، وكان الناس ممن يرفعون أصواتهم خلف الإمام، فلدفع ما يحصل من الاختلاف فى الصلاة - خصوصًا من الأعمى والأصم - يكون التبليغ فى حكم السنة، وما رآه المسلمون حسنًا فهو حسن.

الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله سنة حسنة:

إن القرآن الشريف والآثار النبوية تصرح بالصلاة والسلام على الرسول ﷺ بعد الأذان، أما القرآن فقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[1]. هذه الآية الشريفة حجة قائمة على أن الله تعالى أمرنا بالصلاة والسلام على رسوله ﷺ من غير تقييد بعمل ولا بوقت ولا بحال ولا بشأن، وأخبرنا سبحانه أنه يصلى عليه هو وملائكته مؤكدًا الخبر بـ (إن) والمؤذن وسامعوه أولى الناس بشكر رسول الله ﷺ على نعمة الله علينا به، كما قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾[2].

وأى نعمة أعظم وأجل من سماع الأذان الجامع لتعظيم الله تعالى وتوحيده سبحانه، والإقرار برسالة حبيبه محمد ﷺ؟.

المنبر من ست درجات فأكثر من سنة رسول الله:

أحدث معاوية رضى الله تعالى عنه زيادة المنبر ست درجات مضافة إلى ثلاث فصارت تسعًا، وقد أخذه من فعل رسول الله ﷺ من انتقاله من الجذع وهو درجة واحدة إلى المنبر الذى صنع من ثلاث درجات، ولم يشترط ﷺ على الصانع تحديد الدرجات، فتبين أن ارتفاع المنبر على أحوال منها كثرة الناس وسعة المسجد.

المحراب المجوف من سنة رسول الله ﷺ:

ومنها إحداثه رضى الله تعالى عنه تجويف المحراب فى الحائط الذى أخذه من التزام حضرته ﷺ مكانًا مخصوصًا فى المسجد يصلى فيه ولم يغيره خصوصًا لما أم الصديق الناس

(١) سورة الأحزاب آية ٥٦.

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٣.

فى مكان رسُول اللَّه ﷺ وكان قد تأخر حضرته للصلح بين قوم وجاء والصديق فى المحراب فى الصلاة وصفق الناس فتأخر الصديق وتقدم النبىّ ﷺ الحديث وأنهم رضوان اللَّه تعالى عليهم لم يغيروا المكان بعد انتقاله ﷺ إِلَى الرفيق الأعلى .

ومنها أنه صح قول المفسرين للقرآن الكريم ، إن المحراب المذكور فى الكتاب العزيز فى أربعة مواضع لا غير ؛ موضعين فى آل عمران ، وفى مريم موضع ، وفى ص موضع ، على أن المحراب هو أخص مكان للإمام ولم يعرف هذا من ذلك الحين إلا بتجويفه فى الحائط ، ليكون أدعى وأبين أنه هو المكان الخاص بالإمام .

الفصل الخامس

تلقين الميت

تلقين الميت سنة وقد ثبت بالأدلة النقلية والعقلية وكل من أنكرها فهو مبتدع ضال يحب الظهور ولو أدت وسائله إلى المروق والفجور.. وليسود على الأغرار المغفلين، وصدق الله العظيم ﴿ هَل نُنَبِّئُكُم بِالأَخسَرِينَ أَعمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعيُهُم فِى الحَيَاةِ الدُّنيَا وَهُم يَحسَبُونَ أَنَّهُم يُحسِنُونَ صُنعًا ﴾[1].

الأدلة النقلية على تلقين الميت :

إن تلقين الميت قد ثبت عن طائفة من الصحابة أنهم أمروا به، كأبى إمامة الباهلى وغيره وروى فيه حديث عن النبىّ ﷺ أنه (كان يقوم على قبر الرجل من أصحابه إذا دفن ويقول : سلوا له التثبيت فإنه الآن يسأل)[2] وقد ثبت فى الصحيحين أن النبىّ ﷺ قال : (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله)[3] فتلقين المحتضر سنة مأمور بها. وقد ثبت أن المقبور يسأل ويمتحن، وأنه يؤمر بالدعاء له، فلهذا قيل : إن التلقين ينفعه، فإن الميت ليسمع النداء، كما ثبت فى الصحيحين عن النبىّ ﷺ أنه قال : (إنه ليسمع قرع نعالهم)[4] وأنه قال : (ما أنتم أسمع لما أقول منهم)[5]. وأنه أمرنا بالسلام على الموتى فقال : (ما من رجل يمر بقبر رجل كان يعرفه فى الدنيا فيسلم إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام)[6] وقال الإمام النووى فى المجموع الجزء الخامس ص ٣٠٣ قال جماعات من أصحابنا يستحب تلقين الميت عقب دفنه فيجلس عند رأسه إنسان ويقول : يا فلان ابن فلان، ويا عبد الله ابن أمة الله، اذكر العهد

---

(١) سورة الكهف آية ١٠٣ - ١٠٤ .

(٢) رواه أبو داود فى كتاب الجنائز الباب ٦٩ .

(٣) رواه مسلم فى كتاب الجنائز الحديث الأول والثانى وأبو داود فى كتاب الجنائز الباب ١٦ والترمذى فى كتاب الجنائز الباب السابع والنسائى فى كتاب الجنائز الباب الرابع وابن ماجة فى كتاب الجنائز الباب الثالث وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ٣ .

(٤) رواه البخارى فى كتاب الجنائز الباب ٦٨ ، ٨٧ والنسائى فى كتاب الجنة الباب ٧٠ وأبو داود فى كتاب الجنائز الباب ٧٤ وكتاب السنة الباب ٢٤ والنسائى فى كتاب الجنائز الباب ١٠٨ - ١١٠ وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ١٢٦ .

(٥) رواه البخارى فى كتاب الجنائز الباب ٨٦ وكتاب المغازى الباب الثامن ومسلم فى كتاب الجنة الحديث ٧٦ ، ٧٧ والنسائى فى كتاب الجنائز الباب ١١٧ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ١٣١ .

(٦) رواه ابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق ٢٩٢/٧ .

الَّذِى خرجت عليه من الدنيا أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسُوله وأن الجنة حق .. إلَى أن قال فهذا التلقين عندهم مستحب وممن حض على استحبابه القاضى حسين ، والإمام المتولى والشيخ نصر المقدسى والرافعى وغيرهم . وسئل الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه اللَّه تعالى عن التلقين فقال : (التلقين هو الَّذِى نختاره ونعمل به) وروينا فيه حديثًا من حديث أبى أمامة ، وبعمل أهل الشام ، ثم نقل لفظ حديث أبى أمامة عن سعيد بن عبد اللَّه الأزدى قال : شهدت أبا أمامة رضى اللَّه عنه وهو فى النزع فقال : إذا مت فاصنعوا بى كما أمرنا رسُول اللَّه ﷺ فقال : (إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم التراب على قبره فليقم أحدكم على رأس قبره ثم ليقل يا فلان ابن فلانة ، فإنه يسمعه ولا يجيب .. إلَى أن قال فليقل اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا عبده ورسُوله)[1] إلَى تمام الحديث . وقد اتفق علماء الحديث وغيرهم على المسامحة فى أحاديث الفضائل والترغيب والترهيب ، وقد اعتضد بشواهد كحديث : (واسألوا له التثبيت)[2] ووصية عمرو بن العاص وهما صحيحان . ولم يزل أهل الشام على العمل بهذا فى زمن من يقتدى به وإلَى الآن . وفى متن نيل الأوطار من حديث النبىّ المختار فى الجزء الرابع ص ١٣٨ باب الدعاء للميت بعد دفنه كان النبىّ ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال : (استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فهو الآن يسئل)[3] رواه أبو داود .

وعن راشد بن سعد ، وحمزة بن حبيب ، وحكيم بن عمير قالوا : إذا سوى على الميت قبره وانصرف الناس عنه كان يستحبون أن يقال للميت عند قبره : (يا فلان قل لا إله إلا اللَّه أشهد أن لا إله إلا اللَّه ثلاث مرات ، يا فلان قل ربى اللَّه ودينى الإسلام ونبيى محمد ﷺ) ثم ينصرف . رواه سعيد بن منصور فى سننه . ثم قال شارحه : وقد روى نحوه مرفوعًا من حديث أبى إمامة ، وساقه بتمامه .

الأدلة العقلية على تلقين الميت :

يجد العقل السليم أحسن الآثار النافعة تترتب على تلقين الميت أمام المشيعين الَّذِى لا يخلو فى الغالب عنهم . إذ أى شخص عنده إحساس يضطرب قلبه ، وتتخدر أعصابه إذا سمع .

---

(١) أورده السيوطى فى الدر المنثور ٨٣/٤ وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق ٤٢٤/٦ والطبرانى فى المعجم الكبير ٨/ ٢٩٨ وابن حجر فى تلخيص الحبير ١٣٥/٢ والهيثمى فى مجمع الزوائد ٣٢٤/٢ ، ٤٥/٣ والمتقى الهندى فى كنز العمال (٤٢٤٠٦ ، ٤٢٩٣٤) .

(٢) ، (٣) رواه أبو داود فى كتاب الجنائز الباب ٦٩ .

يا فلان ، اذكر العهد الَّذِى فارقتنا عليه ، فيسرح فى ميدان صحيح التفكير ويوقن بأن الخطب كبير ، وأنه مسئول محاسب عما أكنه فى الضمائر وما فعله بالظواهر وأنه مهما عاش مفارق كمن دفن ، وله ساعة كساعته لا يدرى فى أى وقت تكون ، فالتلقين فى وقته المقرون بالدليل الحسى خير وعظ وإرشاد مؤثر ، يرقق العواطف ويصلح القلب من جراثيم الأمل ويعرف المخلوق سلطان ربه ، ومقدار نفسه ، ولو لم يكن فيه من الحكمة الطيبة إلا هذا لكفى .

فضلًا عن أنه نافع للميت أيضًا من حيث لا يستطيع العقل إنكار جواز حياته البرزخية الروحية ، التى تخالف فى كل أعراضها حياته الجسمانية الدنيوية ، وكيف الإنكار وقد قالت الحكماء القدماء المحكمون للعقل بتناسخ الأرواح وأنها باقية لا تفنى فاتفقوا مع الشرعيين فى بقائها . وعلى ذلك فالميت بروحه الباقية يسمع وينتفع عند الشرعيين والفلاسفة جميعًا .

على أن مطالب الأموات لدى الأحياء ونصائحهم ، وأوامرهم التى لا تخطر على بال ، لمن أكبر الأدلة على أنهم أحياء يسمعون ويجيبون ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

تلقين الميت البالغ مستحب باتفاق العلماء :

إن تلقين الميت البالغ بعد تمام الدفن مستحب باتفاق علماء هذه الأمة على سنيته وبقوله تعالى : ﴿ **وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾[1] وأحوج ما يكون العبد للتذكير فى هذه الحالة ، ولحديث رواه الطبرانى فى الكبير مرفوعًا وفى كتاب الدعاء وابن منده فى كتاب الروح عن أبى أمامة بلفظ (إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم التراب على قبره فليقم أحدكم على رأس قبره ثم ليقل يا فلان ابن فلانة فإنه يسمعه ولا يجيب ثم يقول يا فلان ابن فلانة فإنه يستوى قاعدًا ثم يقول يا فلان ابن فلانة فإنه يقول أرشدنا يرحمك اللَّه ولكن لا تشعرون فليقل اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا عبده ورسُوله وإنك رضيت باللَّه ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًا وبالقرآن إمامًا فإن منكرًا ونكيرًا يأخذ كل واحد منهما بيد صاحبه ويقول انطلق بنا ما يقعدنا عند من لقن حجته فقال رجل يا رسُول اللَّه فإن لم يعرف أمه قال فلينسبه إِلَى أمه حواء يا فلان ابن حواء)[2] .

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٥ .

(٢) أورده السيوطى فى الدر المنثور ٨٣/٤ وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق ٤٢٤/٦ والطبرانى فى المعجم الكبير (٢٩٨/٨) وابن حجر فى تلخيص الحبير (١٣٥/٢) والهيثمى فى مجمع الزوائد ٣٢٤/٢ ، ٤٥/٣ والمتقى الهندى فى كنز العمال ٤٢٤٠٦ ، ٤٢٩٣٤ .

وبهذا الحديث أخذ الإمام الشافعى والإمام مالك فى الموطأ وأبو حنيفة « رضى الله تعالى عنهم » ولأثر رواه سعيد بن منصور عن راشد بن سعد وحمزة بن حبيب وحكيم بن عمير قالوا : (إذا سوى على الميت قبره وانصرف الناس عنه كان يستحب أن يقال للميت يا فلان بن فلانة قل لا إله إلا الله ثلاث مرات يا فلان بن فلانة قل الله ربى ومحمد نبيى والإسلام دينى والقرآن إمامى والكعبة قبلتى والصلاة فريضتى والمسلمون إخوانى وإبراهيم الخليل أبى وأنا عشت ومت على قول لا إله إلا الله محمد رسول الله)[1] .

وقد أثبت استحبابه الإمام النووى فى الروضة ، وشيخ الإسلام فى أسنى المطالب وفتح الوهاب ، والشيخ العلامة ابن حجر فى التحفة وفتح الجواد ، والشيخ العلامة الرملى فى النهاية ، والشيخ العلامة الخطيب فى المغنى ، حيث قالوا : ويستحب تلقين بالغ عاقل أو مجنون سبق له تكليف ، وزاد فى التحفة لفظ ولو شهيدًا كما اقتضاه إطلاقهم بعد تمام الدفن لخبر فيه .

ويستحب لمن حضر الدفن أن يقف على القبر بعد الدفن ، ويستغفر الله له ، ويدعو له لأنه ﷺ (كان إذا فرغ من دفن الرجل يقف عليه ويقول استغفروا الله لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسئل)[2] رواه أبو داود وغيره بإسناد جيد كما فى المجموع .

ولم يزل الناس على العمل به من العصر الأول فى زمن من يقتدى به . وقد أوصى عمرو بن العاص فقال حين حضرته الوفاة : (فإذا دفنتمونى فشنوا على التراب شنًا ثم أقيموا على قبرى قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأعلم بماذا أراجع به رسل ربى)[3] رواه مسلم وأن يلقن الميت لقوله تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[4] وذلك بعد الدفن بالمأثور ، وهو : يا عبد الله إلى آخر ما فى الحديث السابق .

الزعم بأن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله :

ولا يعارض استحباب قراءة القرآن قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾[5] لأن ابن عباس رضى الله عنهما قال : هذا الحكم منسوخ فى هذه الشريعة - وإنما هو فى صحف

---

(١) رواه سعيد بن منصور فى سننه .
(٢) رواه أبو داود فى كتاب الجنائز الباب ٦٩ .
(٣) رواه مسلم فى كتاب الإيمان الحديث ١٩٢ ، وأحمد فى الجزء الرابع صفحة ١٩٩ .
(٤) سورة الذاريات آية ٥٥ .
(٥) سورة النجم آية ٣٩ .

إبراهيم وموسى عليهما السلام - بقوله تعالى : ﴿ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾[1] فأدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء، وقال عكرمة : إن ذلك لقوم موسى وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام وأما هذه الأمة فلهم ما سعوا، وما سعى لهم غيرهم، لما روى (أن امرأة رفعت صبيًا لها وقالت : يا رسُول اللّه ألهذا حج ؟ فقال : نعم ولك أجر)[2] وقال تقى الدين أبو العباس من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد غوى وخرق الإجماع من وجوه كثيرة فى كتب التفسير.

فإن من تأمل فى النصوص وجد من انتفاع الإنسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى فلا يجوز أن تؤول الآية على خلاف الكتاب والسنة والإجماع، فالظاهر أن الآية عامة خصصت بأمور كثيرة وجدت فى كتب التفسير.

وينبغى أن يتولى التلقين أهل الصلاح والدين من أقربائه فإن لم يكونوا فمن غيرهم، هذا قاله الإمام الأذرعى.

لا يعارض التلقين قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى الْقُبُورِ ﴾[3] وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾[4] لأن النبىّ ﷺ نادى أهل القليب وأسمعهم وقال فى الميت : (إنه ليسمع قرع نعالهم) وأيضًا هذه الآية فى حق الكافرين الَّذِينَ لم يهتدوا بدعوة المصطفى ﷺ، فشبههم اللّه تعالى بالموتى والصم والعمى بإيحاء هذه الآية، أعنى ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَمَا أَنتَ بِهَادِى الْعُمْىِ عَن ضَلَالَتِهِمْ ﴾[5] أى لا تجزع ولا تحزن يا محمد على عدم إيمانهم، فإنهم موتى صم عمى، ومن كان كذلك لا يهتدى، هكذا قاله أهل التفسير.

ويسن أن يقف الملقن عند رأس القبر، وأن يعيد التلقين ثلاثًا قياسًا على تلقين من حضرته الوفاة.

تلقين الميت الطفل مختلف فى استحبابه :

إن تلقين الميت الطفل مختلف فى استحبابه بين العلماء الثقات، كما اختلفوا فى ثبوت

---

(١) سورة الطور آية ٢١.

(٢) رواه مسلم فى كتاب الحج الحديث ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١ وأبو داود فى كتاب المناسك الباب الثامن والترمذى فى كتاب الحج الباب ٨٣ والنسائى فى كتاب الحج الحديث الباب ١٥ وابن ماجة فى كتاب المناسك الباب ١١ ومالك فى كتاب الحج الحديث ٢٤٤ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٢١٩، ٢٤٤، ٢٨٨، ٣٤٣، ٣٤٤.

(٣) سورة فاطر آية ٢٢.

(٤) سورة الروم آية ٥٢.

(٥) سورة النمل آية ٨٠ - ٨١.

السؤال عن الأطفال فى القبر، فمن أثبت منهم السؤال عنهم فى القبور قال باستحباب التلقين فى حقهم، ومن لم يثبت منهم ذلك قال بعدم الاستحباب.

فالإمام المتولى قال: إن تلقين الميت الطفل مستحب أخذًا بما روى أن النبىّ ﷺ لما دفن ابنه إبراهيم قال: قل اللَّه ربى ورسُول اللَّه أبى والإسلام دينى فقيل يا رسُول اللَّه أنت تلقنه فمن يلقننا فأنزل اللَّه تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الحَيَاةِ الدُّنيَا وَفِى الآخِرَةِ﴾[1] وفى رواية أنه ﷺ لما دفن ولده إبراهيم وقف على قبره وقال: (يا بنى إن القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول بما يسخط به الرب إنا لله وإنا إليه راجعون، قل اللَّه ربى ورسُول اللَّه أبى والإسلام دينى، فبكت الصحابة رضى اللَّه عنهم ومنهم عمر حتى ارتفع صوته فالتفت إليه النبىّ ﷺ فقال: ما يبكيك يا عمر؟ فقال يا رسُول اللَّه هذا ولدك، وما بلغ الحلم، ولا جرى عليه القلم، ويحتاج إلَى تلقين، ومثلك تلقنه التوحيد فى مثل هذا الوقت فما حال عمر وقد بلغ الحلُم، وجرى عليه القلم، وليس له ملقن مثلك؟ فبكى النبىّ ﷺ وبكت الصحابة معه، ونزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الحَيَاةِ الدُّنيَا وَفِى الآخِرَةِ﴾[2] يريد بذلك وقت الموت وعند السؤال فى القبر، فتلا رسُول اللَّه ﷺ الآية فطابت الأنفس وسكنت القلوب، وشكروا اللَّه تعالى).

وقال الإمام العلامة شيخ الإسلام زكريا الأنصارى بعدم استحبابه، فقال: لا يلقن طفل ولو مراهقًا ونحوه مجنون لم يتقدمه التكليف، لأنهما لا يفتنان في قبريهما، وأجاب عما قاله الإمام المتولى وأثبته من الحديث السابق بقوله: وأما الحديث الذى روى أن النبىّ ﷺ لقن ولده إبراهيم فغريب.

وبالجملة فالأحاديث والآثار وأقوال العلماء الثقات فى ثبوت استحباب التلقين كثيرة، وما ذكرته هنا يكفى لمن له بصيرة، فصار التلقين عند العلماء المحققين من أهل السنة والجماعة سنة ومستحبًا ومندوبًا وتطوعًا وزائدًا على الواجب، فلا أحد منهم يقول ببدعته، أى القبيحة أو المحرمة، بل هو من المستحسنات التى لا ينبغى لأحد منا أن يتركها.

المتوهب هو الَّذى ينكر التلقين:

يجب على كل حامل للعلم والمعرفة أن يرد أقوال المتوهبين وذيولهم القائلين ببدعة التلقين، أو يأخذها ويلقيها فى المزبلة، من غير تكثير المباحثة، أو تطويل المجادلة، وأن

(١)، (٢) سورة إبراهيم آية ٢٧.

يسكتهم سكوت الأبكم، وأن يصرعهم بأقوال أهل المعرفة.

فإن المتوهبين وذيولهم خرقوا الإجماع، وخالفوا أهل السنة والجماعة، كما أنهم عن الأئمة الأربعة خرجوا، وبفكر الجهلة من الوهابية تمسكوا.

ولسنا نعتبر الأفكار من متوهب بلغ من البلادة والجهالة مبلغ الحمار، بل نضرب له المثل - نسمع جعجعة ولا نرى طحنًا - وقوله تعالى: ﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[1] صادق فيهم.

الرد على حجج المتوهبين ببدعية التلقين:

١ - من كانت عنده مسكة من عقل واستعداد فى فهم العلم من طريقه المعتاد، لم ينهض أن ينكر مشروعية التلقين بعد نقل هذه الأخبار وهاتيك الآثار، وأقوال العلماء الثقات التى اتضحت كشمس الضحى، وأيضًا اندفعت بقول صاحب المذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه وأرضاه ويلقن بعد الدفن، وفى الكنز للمولى مسكين أيُّهَا الأحباب: لا تغتروا بقول المتوهبين فى مأخذ التلقين، لأنهم قد أصابتهم الفتنة فعموا وصموا ولم يعرفوا الحق.

وهذا دليل على قلة العلم وسوء الفهم، بل وعلى الضلالة والمجازفة فى الدين، والتهور بما يؤول إلَى الفتنة - أجارنا الله تعالى منها - وا أسفاه واحزناه، إن الفتنة قد رقدت ونامت فالمتوهبون أيقظوها، فلعنة الله على من أيقظها.

٢ - إن الحديث الضعيف الَّذِى يعمل به الفضائل كما سبق من قول العلامة ابن حجر وغيره فى المبحث الأول هو بحسب الأصل، وأما الحديث الضعيف الَّذِى نحن فيه من أمر التلقين فهو ليس بضعيف، بل صحيح أو حسن، لأن الحديث الضعيف إذا وجدت شروط العمل به صار خارجًا عن ضعفه، داخلًا فى صحته أو حسنه، فيكون الحديث الَّذِى رواه الطبرانى عن أبى أمامة صحيحًا أو حسنًا، ففى المصطلح استدل الحافظ الزياعى رضى الله تعالى عنه وأصحابه بالأحاديث وهى بين صحيح وحسن وضعيف واحتج جمهور المحدثين بالحديث الضعيف إذا وجدت الشروط، وألحقوه بالصحيح تارة، وبالحسن أخرى، والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) سورة النساء آية ٧٨.

٣ - فى ادعاء المتوهبين أنهم من أهل الاجتهاد : اعلموا أَيُّهَا الأحباب وفقكم اللَّه تعالى لطاعته أن المتوهبين الآن قد تركوا ما ذهب إليه الأئمة الأربعة ، وادعوا أنهم من أهل الاجتهاد والاستنباط والاستخراج يعنى اجتهدوا واستنبطوا واستخرجوا أحكام الشريعة من الكتاب والسنة .

٤ - وقال إمام الحرمين فى البرهان : قد أجمع المحققون على أن العوام ليس لهم أن يتعلقوا بمذهب أعيان الصحابة رضى اللَّه تعالى عنهم بل عليهم أن يتبعوا مذاهب الأئمة الَّذِينَ سيَّروا ونظَّروا وبوَّبوا وذكروا الأوضاع ، أى أوضاع المسائل وجمعوها وهذّبوها وبيّنوها ، وقال ابن الصلاح : إنه يتعين الآن اتباع مذهب من مذاهب الأئمة الأربعة دون غيرها ، لأنها قد انتشرت ، وعلم تقييد مطلقها وتخصيصها وشروط فروعها بخلاف مذاهب غيرهم .

ويفهم من هذه النقول أنه لا يجوز ولا يصح لأى فرد أن يقلد مذهبًا من مذاهب الصحابة رضى اللَّه تعالى عنهم وأرضاهم أجمعين، فكيف ادعاؤهم هذا مع تمذهبهم بالفكر الوهابى ؟!.

إن هذا من أعجب العجائب ، عسى ربنا أن ينور بصائرهم ويهديهم إِلَى الحق آمين ، كما نور بصائرنا بالبعد عن الابتداع .

رأى الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم فى التلقين :

إن أول واجب على الحاضرين لمن فى النزع أن يلقنوه لا إله إلا اللَّه ، سيدنا محمد رسُول اللَّه ، لتكون آخر كلمة ينطق بها أو يسمعها إن خرس لسانه ، فعن أبى سعيد رضى اللَّه عنه قال رسُول اللَّه ﷺ : (لقنوا موتاكم لا إله إلا اللَّه)[1] والمعنى - واللَّه أعلم - أن يلقن كلمة التوحيد حال النزع قبل الموت ، وبعدها تقرأ سورة يس ، والظاهر أن قراءتها فى حالة النزع أولى ليسمع الميت قوله تعالى : ﴿ **يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ** ﴾[2] فعن معقل بن يسار رضى اللَّه عنه قال رسُول اللَّه ﷺ : (اقرأوا على موتاكم سورة يس)[3] فإذا قرأناها حال الموت وبعده كان أكمل .

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) سورة يس آية ٢٦ - ٢٧ .

(٣) أورده الهيثمى فى موارد الظمآن (٧٢٠) والبغوى فى تفسيره (١٧/٦) وفى شرح السنة (٢٩٥/٥) والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين (٢٧٨/١٠) .

الفصل السادس

بشرية النبى ﷺ

التاويلات القرنية لبشرية الرسول ﷺ :

ادعاء القرنيين أن حضرته ﷺ بشر كالبشر العادى لا فرق بينه وبين غيره ، لا ينفع غيره ولا نفسه ... هذا الادعاء مصدره أحقاد الوثنيين والصليبيين واليهود فى عصره ﷺ ومن بعدهم الخوارج وامتدادهم إلى عصرنا هذا . ويرى القرنيون أبواق ثالوث التكفير - ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب - فى تفسير معنى النور فى الآية الكريمة ﴿ **قَد جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُور وَكِتَابٌ مُّبِين** ﴾[1] بأنه النور المعنوى وليس النور الحسى وذلك تعقيبًا على جمهور المفسرين الذين يقولون إن المقصود بالنور فى الآية الكريمة هو سيدنا محمد ﷺ .

وقد دللوا على قولهم هذا القول - الذى لا يتفق مع جلال النبوة والرسالة الخالدة ومع الحقيقة التى يؤيدها العلم والعقل السليم - بقوله تعالى : ﴿ **لَقَد جَاءَكُم رَسُولٌ مِّن أَنفُسِكُم عَزِيزٌ عَلَيهِ مَا عَنِتُّم حَرِيصٌ عَلَيكُم بِالمُؤمِنِينَ رَءُوف رَّحِيمٌ** ﴾[2] فقالوا إن سيدنا محمدا ﷺ أول خلق الله منزلة وليس أول خلق الله وجودا ، وأن الإرهاصات التى صاحبت البعثة النبوية كسقوط إيوان كسرى وخمود نار فارس ، كما غاضت بحيرة ساوة لا تعتمد عندهم على التحقيق العلمى ، ولا تستند إلى المصادر الأصلية فى التاريخ الإسلامى ، زاعمين أن مثل هذه الروايات يراد بها المعنى المجازى فقط .

الرد على التاويلات القرنية لبشرية الرسول ﷺ :

أولا : لا يوجد سبب ولا مصدر ولا مبرر يقيد معنى النور فى الآية بالنور المعنوى وحده ، بعد أن أثبت العلم الحديث أن الكون ملىء بأنواع لا عد لها ولا حد من الإشعاع والكهرباء والمغناطيسية ، وأن كل إنسان كيفما كان شأنه فيه قدر منها بيقين ، بل إن

---

(١) سورة المائدة آية ١٥ .

(٢) سورة التوبة آية ١٢٨ .

إطلاق كلمة النور فى القرآن تجعلنا لا نجد صعوبة فى أن يكون النور شاملا لجميع الأنوار الحسية والمعنوية، سواء ما علمناه منها وما لم نعلمه، طالما أن الأدلة الشرعية توثق هذا الرأى وتقويه.

١ - جاء بالسيرة الشامية للحافظ الشامى والتى تعتبر من أوسع مراجع السيرة:

روى سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى وابن عساكر عن أبى هريرة: قال رسول الله ﷺ «لما خلق الله تعالى آدم أخبره ببنيه فجعل يرى فضائل بعضهم على بعض فرأى نورًا ساطعًا فى آخرهم فقال: يارب من هذا؟ قال: هذا نبيك محمد، وهو أول وهو آخر»[(١)].

٢ - وأخرج السيوطى فى الخصائص الكبرى أن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها كانت تخيط ثوبا بليل، وسقطت الإبرة من يدها، فدخل النبى ﷺ فأضاء المكان ورأت الإبرة.

٣ - وأخرج البخارى أن الصحابة رضى الله عنهم كانوا إذا ساروا معه ﷺ فى طريق مظلم صحبهم النور يضىء لهم، فإذا تفرقوا انقسم النور، وصار مع كل واحد نورًا يوصله إلى داره.

٤ - وأخرج البخارى أن كثيرا من الصحابة كانوا يرون أنواره الحسية، وكان يغلبهم وصفه فتارة يقولون: كالشمس وتارة يقولون: كالقمر.

٥ - وأخرج البخارى عن كعب بن مالك قال: «كان رسول الله ﷺ إذا استنار وجهه كأنه قطعة القمر»[(٢)].

٦ - وأخرج أبو نعيم عن أبى بكر الصديق قال: «كان وجه رسول الله كدارة القمر»[(٣)].

---

(١) أورده المتقى الهندى فى كنز العمال (٣٢٠٥٦) وفى الاتحافات السنية (٢٥٥).

(٢) رواه البخارى (٤/ ٢٢٩، ٦/ ٨) ومسلم فى كتاب التوبة الباب التاسع رقم ٥٣ وأحمد (٣/ ٤٥٩، ٦/ ٣٩٠) والحاكم فى مستدركه (٢/ ٦٠٥) والطبرى فى تفسيره (١١/ ٤٥) والسيوطى فى الدر المنثور (٣/ ٢٨٨) وابن كثير فى تفسيره (٤/ ١٦٨، ٨/ ٣١٥) والتبريزى فى مشكاة المصابيح (٥٧٩٨) والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين (٧/ ١١٥، ١٤٩) والمتقى الهندى فى كنز العمال (١٨٣٩٢) وابن كثير فى البداية والنهاية (٥/ ٢٥، ٦/ ١٥، ٣١٤) والبغوى فى تفسيره (٣/ ١٦٣) والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار (٢/ ٣٦٦).

(٣) أورده المتقى الهندى فى كنز العمال ١٨٥٢٦ ومصنف ابن أبى شيبة ١٤/٥٤٥ والسيوطى فى الجامع الكبير المخطوط الجزء الثانى (٢/ ٣٠١).

٧ - وقالت إحدى الصحابيات : لو رأيته لقلت : الشمس طالعة .

٨ - وروى عثمان بن العاص عن أمه فاطمة قالت : لما حضرت ولادة رسول الله ﷺ قالت : رأيت البيت قد امتلأ نورًا وضياء .

٩ - وجاء فى المواهب أن أم رسول الله ﷺ قالت : لما ولدته خرج منى نور أضاء قصور الشام .

١٠ - وقال ابن إسحاق : حدثنى ثور بن يزيد عن خالد عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا : أخبرنا عن نفسك قال : « أنا دعوة أبى إبراهيم ، وبشرى عيسى عليهما السلام ، ورأت أمى حين حملت بى أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام »[1] .

قال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾[2] .

والسراج كما ورد بكتاب الله وصف للشمس والمنير وصف للقمر وكأنه ﷺ هو السراج الوهاج والقمر المنير لما يحمله من أنوار ذاتية وأنوار صفاتية وأنوار معنوية وأنوار حسية .

١١ - وأما حديث سيدنا جابر المشهور حين سأل النبى ﷺ عن أول شىء خلقه الله قال : « نور نبيك يا جابر » .

فمعناه تؤكد أنه كان من خصائصه ﷺ أن يرى من الخلف كما كان يرى من الأمام .

١٢ - وحادث الإسراء والمعراج وحده كفيل بألا يدع مجالا للشك بأن النور الذى خلق منه سيدنا محمد ﷺ أقوى من النور الذى خلق منه جبريل ، وإلا لما وقف جبريل فى مقام دون مقام سيدنا محمد وقال : تقدم يا محمد فإنى لو تقدمت لا حترقت . أما أنت فلو تقدمت لاخترقت .

ولعل هذا ما حدا ببعض الأئمة العلماء أن ينظموا فى ذلك شعرا يعبرون فيه عن نور نبيهم ، فذلك حسان بن ثابت يقول :

---

(١) رواه ابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق (١/ ٣٩) وفى مناهل الصفا (٣٠) والقرطبى فى تفسيره (٢/ ١٣١) والطبرى فى تفسيره (١/ ٤٣٥) والسيوطى فى الدر المنثور (١/ ١٣٩، ٥/ ٢٠٧) والبغوى فى تفسيره (١/ ١١١) والمتقى الهندى فى كنز العمال (٣١٨٣٣، ٣١٨٣٤، ٣١٨٣٥، ٣١٨٨٩) والبيهقى فى دلائل النبوة (١/ ٦٩) وابن سعد فى الطبقات الكبرى (١/١/ ٩٦) وابن حجر فى الكاف الشاف (١٠) وابن كثير فى البداية والنهاية (٢/ ٢٧٥).

(٢) سورة الأحزاب آية ٤٥ - ٤٦.

لما نظرت إلى أنواره سطعت ... وضعت من خيفتى كفى على بصرى
خوفًا على بصرى من حسن صورته ... فلست أنظره إلا على قدرى
روح من النور فى جسم من القمر ... كحلية نسجت فى الأنجم الزهر

ويقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم:

مشيرًا رضى الله عنه إلى نور النبى ﷺ:

إليك أيا نور المجالى العلية ... وشجرة زيتون الصفات الجلية
وقبضة نور الذات والكنز مجمل ... وسر التجلى والعلوم الخفية

ويقول رضى الله عنه:

جبريل وهو عظيم فى مكانته ... لم يستطع يلج الأنوار بالهمم
والمصطفى سبق الأنوار أجمعها ... بالجسم والروح فافهم زهرة الحكم
إن كان جسم حبيبى فى لطافته ... أصفى وأنقى من الأرواح كلهم
فكيف تدرى معانيه وباطنه ... كنز العلى فلا تبحث ولا تحم

ثانيًا: أما ما احتج به أهل التكفير والتشريك والتبديع من قول الله تعالى: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ**﴾[1]:

١ - فليس هناك من رد يخرس ألسنة أبواق ثالوث التكفير سوى الحديث الذى رواه أنس: «أن رسول الله ﷺ حين نزلت هذه الآية قرأها بفتح الفاء ثم قال ﷺ وأنا أنفسكم نسبا وصهرًا»[2].

فالنبى ﷺ خلق من نور إلهى ليستقبل به أنوار الحق متمثلة فى وحى السماء، فهو من بشرية نورانية اختارتها يد القدرة مثالا للبشرية المعصومة ليتعامل بها مع البشر والملك. وهذا هو اختصار معنى قوله: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ**﴾[3] جمعا بين مطالب الوحى والبشرية فى وقت واحد.

---

(١) سورة التوبة آية ١٢٨.
(٢) أورده السيوطى فى الدر المنثور (٣/ ٢٩٤).
(٣) سورة الكهف آية ١١٠.

٢ - وإن سر الإعجاز فى رسول الله ﷺ أنه : « بشر رسول » فقد ركب ﷺ البُراق واخترق السبع الطباق وكلمه ربه بلا حجاب ، ومع ذلك ركب الحمار وأردف خلفه ، وجلس على الحصير وأكل مع الفقير جمعا بين أصل البشرية ونور الربانية ، هذا هو اعتقادنا فى سيدنا محمد ، وهذا ما قاله الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم :

قد جاوز العقل والمعقول منزلة ... وكل آياته حال الملاطفة
رأى التجلى رأى الأسماء ظاهرة ... رأى المعانى بغيب فى المقابلة
يارب صل على نور القلوب ومن ... أسرى به الله ليلًا للمؤانسة

إذن ليس جهلًا ولا ضعفا فى العقل ولا محدودية فى الفهم ممن يعتقدون أن سيدنا محمدا ﷺ خلق من النور فهو نور تجسد بشرا ، أو بشر تجسد نورًا ، والله نور السموات والأرض ، ثم إن علوم الذرة أثبتت أن أصل جميع الكائنات الكهرباء ، والكهرباء نور ، فلا عجب أن يكون محمد نورا جسدا فوق كل جسد ونور .

ثالثًا : ينكر ثالوث التكفير أن النبى ﷺ لم يكن أول خلق الله وجودًا .

والرد على ذلك أن الوجود شىء ، والظهور شىء آخر ، فليس كل موجود ظاهرًا ، كما هو الواقع المحسوس . ولقد أفرد الحافظ الشامى فى سيرته أبوابا كاملة أثبت بها أولية النبى ﷺ وجودًا ونكتفى منها :

أ - بقول النبى ﷺ : « كنت أول الناس فى الخلق وآخرهم فى البعث »[1] ، وذكره ابن كثير بإسناد متصل .

ب - وحديث : « كنت نبيًا وآدم بين الروح والجسد »[2] ، أخرجه أبو عيس والترمذى فى سننه وقد أفرد الحافظ كتاب - الأحاديث المنتقاة - لإثبات هذه الحقيقة .

وفى هذا المعنى يقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم رضى الله عنه :

إلى قبضة النور التى قد تقدست ... بواعث روحى باليقين توجهت

---

(١) أورده ابن سعد فى الطبقات الكبرى (١/١/ ٩٦) والمتقى الهندى فى كنز العمال . ٣١٩١٦.

(٢) أورده الحاكم فى مستدركه (٢/ ٦٠٩) وابن أبى شيبة فى مصنفه (١٤/ ٢٩٢) وابن سعد فى الطبقات الكبرى (١/ ١/ ٩٥، ٧/ ٤١) والمتقى الهندى فى كنز العمال (٣١٩١٧ ، ٣٢١١٧) والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين (١/ ٤٥٣) وابن الجوزى فى زاد المسير (٦/ ٣٥٥) والسيوطى فى حاوى الفتاوى (٢/ ٢٦٠) والبخارى فى التاريخ الكبير (٧/ ٣٧٤).

إلى السر روح الكل من قبل آدم ومن منه شمس الحق فى الخلق نورت
إلى المصطفى الهادى البشير محمد فؤادى ونفسى والمعالم هرولت

رابعًا: يستنكر مثلث الكفريات وأبواقه، الإرهاصات التى صاحبت الميلاد كتصدع إيوان كسرى وخمود نار فارس، وغيضان مياه بحيرة ساوة، ويقولون إنها لا تعتمد على التحقيق العلمى.

وللرد على هذه الاستنكارات نقول: إن هذه الإرهاصات التى حصلت ساعة ميلاد النبى ﷺ قد حققها الحافظ الشامى، وأفرد لها بابًا خاصًا عرضها بروايتها عن ابن جرير.. والبيهقى وأبو نعيم.

مغايرة بشريته ﷺ لسائر البشر:

إن ثالوث التكفير يخالف إجماع المسلمين فى كل ما أجمعوا عليه من الحق المبين، فى معرفة سيد العالمين، فيقولون إنه بشر مثلك مثله، وهم بذلك قد ضلوا وأضلوا كثيرا، ولو جاريناهم فى جميع تطورات بشريته ﷺ وفيما خلق وطبعه الله تعالى عليه من البشرية لوجدناه مغايرًا لجميع أفراد البشر كل المغايرة:

١ - إذ أن بدء بشريته حين ولادته ﷺ أكرمه الله تعالى ليلة ولادته، بما لم يعمله مع غيره من المكرمين الأنبياء والمرسلين. فإن مرضعته كان أحد ثدييها مشلولا وهو الأيمن، لا يصلح للرضاع، فلما حملته ناولته الأيسر فلم يقبله، فناولته الأيمن فبرىء، وصار رضاعه منه إلى فطامه، وخاصة لما نالها من وقت أخذها له من الخير العظيم، من سعة الرزق، وكثرة البركة فيه، وكان فى الطفولة يغاير عموم البشر، من النهوض مع قوة الجسم وكانت تذهب به لأمه وأهله، وترجع به على خلاف عادة المرضعات.

٢ - ولما أن شق صدره الشريف مع إخوانه رعاة الغنم ورأت أثر الشق خافت عليه، وردته لأهله، ومن أراد الزيادة فعلية بأول مدون فى السنة (السيرة النبوية).

وفى طابعه البشرى أن الصدر والبطن سواء، وفى طابعة البشرى انصرافه عن جميع ملاهى الطفولة، وفى طابعه البشرى عدم استطاعة نظر أى إنسان إلى نظره الشريف مواجهة له، وفى طابعه الشريف شق صدره على ما هو مدون بالسنة.

٣ - ويحكى أبو لهب أن النبى ﷺ افتقده قومه وهو صغير، وانتشروا فى البحث عنه فلما

وجدوه أنخت راحلتى وأردت إردافة خلفى فلم تقم، فحركتها فلم تقم، فزجرتها فلم تقم، فضربتها فسمعت من يقول: «يا أجهل الجَهلاء تتقدم على سيد المرسلين والأنبياء» فجعلته أمامى فقامت الناقة من غير تحريك لها.

٤ - ومنها لما تم بناء الكعبة الشريفة، وأرادوا وضع الحجر الأسود فى مكانه فتنازعوا، كل يرجو وضعه فتحاكموا لأول داخل من الباب، فكان حضرته ﷺ وهو بهذا السن فقالوا جميعا: هذا الأمين وكلنا نرضاه، فقال: «ضعوه فى رداء وارفعوه جميعًا إلَى مكانه، ورضوا أن يضعه هو بيده الشريفة».

والسنة ملأى من مميزاته الشريفة من الإرهاصات قبل بعثه، فما بالك بعد بعثه الشريف؟ ومن طابعه البشرى خاتم النبوة بين كتفيه بالطابع الإلهى الذى لم يشاركه فيه بشر، فكيف يكون بعد هذا كالبشر العادى؟، وأنه كان من خصائصه الشريفة لا يقبل الصدقة ويقبل الهدية. وأن الله تعالى علم أن سيكون فى عباده مخالفون فى كل شىء حتى فى مزايا حضرته وخصائصه، فلفت نظر عباده فى الآيتين الكريمتين فى كلامه العزيز فى آخر سورة الكهف وفى أوائل سورة فصلت بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾[1] فكان يكفى قوله تعالى: ﴿يُوحَى إِلَيَّ﴾ بجوار قوله تعالى: ﴿بَشَرٌ مِثْلُكُم﴾ لأنه ليس كل بشر يوحى إليه، فردع بها المخالفين ولم يرتدعوا، وقد عمل بها أهل الحق والإجماع، وعرفوا منها مزيد فضله وبيان خصائصه.

الحكمة فى جعل الرسل بشرا:

والحكمة فى أن الله تعالى جعل رسله بشرًا لأن المخاطبين المرسلين إليهم بشر، ويكفينا فى البيان الشريف أنه يوحى إليه، وهل يوحى إلى كل بشر؟ كلا! فهم لطمس بصائرهم يتبعون أسلافهم الضالين المعارضين للأنبياء والمرسلين، الذين سبقوهم إلى الكفر - والعياذ بالله تعالى - ممن قالوا لنوح: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُم﴾[2] وممن قالوا لموسى وهارون: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾[3]؟ وممن قالوا لحضرته: ﷺ ﴿أَهَذَا الَّذِى

(١) سورة فصلت آية ٦ وسورة الكهف آية ١١٠.

(٢) سورة المؤمنون آية ٢٤.

(٣) سورة المؤمنون آية ٤٧.

يَذْكُرُ آلِهَتَكُم ﴾[1] ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[2] فترى هؤلاء لا يتكلمون بخير فى سيد العالمين، ولشدة عمى بصيرتهم لم يروا إلا المخالف، ولم يفكروا إلا فيه، ولم يبحثوا إلا عنه، أو لم ينظروا إلى مغايرته ﷺ لجميع إخوانه الأنبياء والمرسلين الذين كان يأتيهم الوحى رجلا يكلمهم ويكلمونه ولا يعرفه أحد من الناس إلا الموحى إليه؟، وأما حضرته ﷺ فكان كذلك ويغايرهم فى دخول الملك فى جسده الشريف وهو المعبر عنه فى الحديث: «وهو أشده على»[3].

ولذا كان من العجب العجاب أن يدخل الملك اللطيف فى الجسد الكثيف وهو عين المحال، وإنما عرف العقلاء من البيان الشريف والتخصص اللطيف أن جعل الكبير المتعال تكوينه الشريف على حالتين:

١ - حالة يقابل بها الملك وهى الحالة الربانية الصرفة التى كان بها صلى الله تعالى عليه وسلم مشاهدًا للحق جل وعلا على الدوام.

٢ - وحالة بشرية يقابل بها البشر ليأخذوا منه وعنه، أو لم ينظروا إلى قدرة القادر المبدع صنعًا فى تكوين عيسى عليه السلام عن ملك وبشر، ليعيش بالبشرية مع البشر وبالملكية مع الملائكة؟.

ما العلة فى تمسك ثالوث التكفير ببشرية الرسول ﷺ:

يقول ثالوث التكفير وأبواقه فى عصرنا هذا: إن بشرية الرسول كبشرية أفراد الناس، وما الغرض الذى يرمون إليه، إلا نفى الخيرية والبركة بالنسبة لحضرته، فإذا تحقق لهم ذلك يكون نفيها عن جميع الأولياء والصالحين من آل بيته ﷺ الطيبين الطاهرين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين بطريق الأولى، فينفون عنهم كل خير وبركة، وينتقدون زائريهم وقاصديهم المحبين لهم، الممتثلين لقول الله تعالى عز وجل لحبيبه: ﷺ ﴿ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾[4] وقد سئل ﷺ عمن تجب على المؤمنين مودتهم فقيل: من آل بيتك

---

(١) سورة الأنبياء آية ٣٦.

(٢) سورة الزخرف آية ٣١.

(٣) رواه البخارى فى كتاب بدء الوحى الباب الثانى ومسلم فى كتاب الفضائل الحديث ٨٧ والنسائى فى كتاب الافتتاح الباب ٣٧ ومالك فى الموطإ فى كتاب القرآن الحديث السابع وأحمد فى الجزء السادس صفحة ١٥٨، ٢٥٧.

(٤) سورة الشورى آية ٢٣.

يا رسول الله الذين أوجب الله تعالى علينا مودتهم؟ فقال: «فاطمة وعلى وما تناسل منهما» ويشهد لهذا الحديث قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1] فقالوا: من هم يا محمد؟ «فلما غدوا من الغد خرج ﷺ وبيديه الحسن والحسين وخلفه فاطمة وخلفها على رضوان الله تعالى عليهم»، فعرف الناس من هذا أن هؤلاء هم آل بيته الطيبون الطاهرون المباركون الذين قال فيهم ﷺ: «أحبوا الله لما يغذوكم من نعمه وأحبونى لحب الله وأحبوا آل بيتى لحبى»[2] فالمتوجه إليهم الزائر لا يرجو إلا أمرين:

١ - ود النبى ﷺ فى آل بيته كما تقدم.

٢ - الامتثال لما أمر الله تعالى به عباده من نيلهم البركة وأخذهم لها من مصادرها.

أرجو الله أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا وأن يزيدنا علما.

---

(١) سورة آل عمران آية ٦١.

(٢) رواه الترمذى فى كتاب المناقب الباب ٣١.

الفصل السابع

القـــــنـوت

أقسام الناس :

يقول الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم أن الناس حسب التقسيم العقلى أربعة أنواع :

١ - مؤمن بقلبه ولسانه وهو الولى الكامل .

٢ - ومؤمن بقلبه كافر بلسانه وهو المسلم البصير المدارى فى وقت الفزع الأكبر .
قال تعالى : ﴿ إِلَّا مَن أُكرِهَ وَقَلبُهُ مُطمَئِن بِالإِيمَانِ ﴾[1] .

٣ - وكافر بقلبه مؤمن بلسانه وهو المنافق أعاذنا الله منه .

٤ - وكافر بقلبه ولسانه وهو العدو المجاهر ، وإن كان ضرره على المسلمين أقل من ضرر المنافق لأن العدو المجاهر يحتاط المسلمون منه .

الناس فى مقام الدعوة قسمان :

١ - قسم قابل للبرهان على علم بشىء من الدعوة ، فالمنافق يخلط له الحق بالباطل حتى يشوش عليه دعوة الحجة والبرهان ويجعله مترددًا فى الأمر .

٢ - القسم الثانى يجهل حجج الدعوة وبراهينها ويقبلها إذا بينت ، والمنافقون يكتمون عنه تلك الحجج والبراهين ويظهرون الباطل بحجج باطلة عنادًا للحق وطمعًا فى نيل ما يفنى من متاع الدنيا من سيادة أو رياسة أو شهرة أو مال .

واللبس هو الخلط والمزج ، وهو هنا الإغواء والإضلال بأساليب تقتضيها دعوتهم إلى الباطل ، حسب اقتدار كل فريق ممن يدعونهم .

راجع كتاب (أسرار القرآن) الجزء الأول ص ١٢٤ للإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى

---

(١) سورة النحل آية ١٠٦ .

العزائم .

الوهابية تكتم الحق وتلبسه بالباطل :

والوهابية وأبواقها هؤلاء المضلون يعلمون ما أنزله الله تعالى فى كتابه الحق المبين وسنة سيد المرسلين ولكن سبق عليهم القدر فشوشوا تلك الآيات والأحاديث وحرفوها وأولوها إلى ما تهواه نفوسهم الإبليسية كما أول أصولهم من الخوارج ابن تيمية وابن عبد الوهاب وامتدادهم التاريخى من سلفية وإخوان وجهاد وغيرهم . الذين يعلمون الحق ويدعُون الناس إلى الباطل فقام كل فريق من هؤلاء الذين أغواهم إبليس والذين هم امتداد للرعوية الإبليسية لعصرنا هذا بإنكار التوسل بالأنبياء والأولياء وإباحة التوسل بالكافرين من أمثال بيل كلينتون وبوش وريجان وكارتر ، وبإنكار شفاعة سيد الأنبياء وإباحة الشفاعة بشوارزسكوف ويلتسين وميتران وكول وجون ميجور . وبإنكار شد الرحال لزيارة النبى ﷺ وبإباحة شد الرحال للطواف حول البيت الأبيض الأمريكى أو الأحمر الشيوعى وبهدم روضات الأنبياء والأولياء وإقامة مراكز الكفر والفسق والفجور والمخدرات وتمويل الإرهاب فى مصر وتونس والجزائر والمغرب .

فليتق الله دعاة التوحيل لا التوحيد ممن نصبوا أنفسهم للحكم والقضاء وتعليم المسلمين أمور دينهم ، فباعوا الدين بقليل من المال الذى يفنى ، وأعانوا أهل الأهواء ، ولم يضحوا بما يزول فى سبيل نصح الملوك والرؤساء والأمراء وأهل السلطة ، ومن كتم حقًا معلومًا ليصد عباد الله عنه كان أشد الناس عذابًا يوم القيامة .

الوهابية تقنت لحرب العراق مع الكويت بأمر من البيت الأبيض :

الوهابية تنكر القنوت فى صلاة الفجر والمغرب والعشاء مع وجود النص على هذا القنوت من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ولكن إذا أجازه بوش وبيل كلينتون تجد الوهابية تسارع فى القنوت وتجيزه مثال ذلك ما قاله لهم بوش فى حرب العراق والكويت : على أمريكا ضرب العراق وعليكم أنتم كهنة الوهابية أن تجيزوا القنوت لينتصر بوش وأعوانه الصليبيون على العراق ويُدمر شعب العراق . فيقوم شيوخ الوهابية بناء على أمر البيت الأبيض بالقنوت فى صلاة الفجر والمغرب والعشاء طيل مدة الحرب العراقية الكويتية .

أنظر أخى المسلم كيف أن أوامر أمريكا والصليبية العالمية مقدسة لدى شيوخ الوهابية فى

القنوت والتوسل والشفاعة وطلب المدد من الأمريكان والبريطانيين والفرنسيين والألمان !! .

الوهابية تقنت للبوسنة والهرسك بأمر من البيت الأبيض:

مدد السلاح يتدفق على المقاتلين من الصرب الأرثوذكس والكروات الكاثوليك ويحظر إمداد المسلمين فى البوسنة والهرسك بالسلاح ليقتل ويشوه ويعذب ويروع ويغتصب ويذل ويطرد الملايين من شعب البوسنة والهرسك المسلم فأمريكا ودول أوربا وروسيا متفقون على إبادة وطرد وإخراج كل أثر للإسلام من أوربا ، وعلى الوهابية ألّا تشارك أهل البوسنة والهرسك إلا بالقنوت فى صلاة الفجر والمغرب والعشاء دون تزويدهم بالسلاح ودون قطع التمثيل الدبلوماسى مع يوغوسلافيا ودون الأنسحاب من عضوية الأمم المتحدة «على المسلمين» بل يقتصر دور الوهابية على المعونات الغذائية لمن يهرب من مسلمى البوسنة والهرسك حتى يأتى دوره فيقتل وتكتفى بالشجب والتصريحات الكلامية والقنوت مع سكوت وَهَّابِى شامل .

معانى متعدده لكلمة القنوت:

القنوت فى اللغة له عدة معان منها ..

١ - **الطاعة :** قال تعالى : ﴿ **والقَانِتِين والقَانِتَاتِ** ﴾[١]

٢ - **العبادة :** لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ إِبرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا للَّهِ حَنِيفًا** ﴾[٢] .

٣ - **السكوت :** لحديث زيد بن أرقم : كنا نتكلم فى الصلاة حتى نزل ﴿ **وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ** ﴾[٣] .

٤ - **القيام :** فى الصلاة لقوله ﷺ : «أفضل الصلاة طول القنوت»[٤] ، والمراد هنا طول الدعاء بخير .

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٥ .

(٢) سورة النحل آية ١٢٠ .

(٣) سورة البقرة آية ٢٣٨ .

(٤) رواه مسلم فى كتاب المسافرين الحديث ١٦٤، ١٦٥ والترمذى فى كتاب الصلاة الباب ١٦٨ والنسائى فى كتاب الزكاة الباب ٤٩ وابن ماجة فى كتاب الإقامة الباب ٢٠٠ وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ٣٠٢، ٣٩١، ٤١٢، والجزء الرابع صفحة ٣٨٥ .

٥ - **الدوام**: قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[1] أى يدوم على الطاعة.

٦ - الخشوع: يقول البيضاوى ويطلق القنوت على الخشوع والخضوع ومنه قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾[2] أى خاشعين خاضعين على أحد التفاسير.

٧ - الركوع: يطلق على طول الركوع وغض البصر وخفض الجناح ومن نظم العلامة ابن حجر:

لفظ القنوت اعدد معانيه تجد ... تزيد على عشر معان مرضية
دعاء، خشوع، والعبادة، طاعة ... وخامسها إقراره بالعبودية
سكوت، صلاة، والقيام، وطول ... كذلك دوام الطاعة الرابح النية

وقد جاء فى لسان العرب المحيط لابن منظور أن المشهور فى اللغة أن القنوت الدعاء. وحقيقة القانت أنه القائم بأمر الله، فالداعى إذا كان قائمًا، خص بأن يقال له قانت، لأنه ذاكر الله تعالى وهو قائم على رجليه، فحقيقة القنوت العبادة والدعاء لله عز وجل فى حال القيام، ويجوز أن يقع فى سائر الطاعة.

ثبوت القنوت فى صلاة الفجر فى مذهب المالكية والشافعية:

يتفق الإمامان الجليلان مالك والشافعى وأتباع مذهبيهما على ثبوت القنوت فى صلاة الصبح عن النبى ﷺ وهما الإمامان الجليلان من الأئمة الأربعة لأهل السنة والجماعة المجمع على إمامتهم.

فالمالكية: متفقون على أنه مندوب ويكون سرًا وهو قبل الركوع وبلفظ مخصوص وهو «اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونؤمن بك ونتوكل عليك ونثنى عليك الخير كله، نشكرك ولا نكفرك ونخنع لك ونخلع ونترك من يكفرك. اللهم إياك نعبد ولك نصلى ونسجد وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخاف عذابك الجد، إن عذابك بالكافرين ملحق» والقنوت عندهم لا يكون إلا فى الصبح خاصة (راجع حاشية الصفتى على متن العشماوية - نشر مكتبة ومطبعة صبيح وأولاده ١٣٦٧هـ ١٩٤٧م).

والشافعية: متفقون على أنه من سنن الصلاة ويكون جهرًا وهو بعد الركوع وبلفظ

(١) سورة الأحزاب آية ٣١.

(٢) سورة البقرة آية ٢٣٨.

مخصوص وهو « اللهم اهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت وتولنا فيمن توليت وبارك لنا فيما أعطيت وقنا شر ما قضيت ، إنك تقضى ولا يقضى عليك وإنه لا يذل من واليت ، ولا يعز من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت » . وكون القنوت فى صلاة الصبح من سننها فإن السنة لا يعود إليها بعد التلبس بالفرض لكنه يسجد للسهو عنها أى سجود السهو (راجع متن أبى شجاع المسمى الغاية والتقريب - طبعه دار الأندلس بدمشق) و (المقدمة الحضرمية فى فقه السادة الشافعية للحضرمى) و (التذهيب فى أدلة متن الغاية والتقريب للدكتور مصطفى البغا - نشر دار الإمام البخارى بدمشق) .

أدلة دعاء القنوت فى صلاة الفجر :

أولاً - من كتب الحديث الشريف :

روى الإمام مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول حين يفرغ من صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه ، سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ثم يقول وهو قائم : « اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة والمستضعفين من المؤمنين ، اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم كسنين يوسف اللهم العن لحيان ورعلا وذكوان ، وعصية عصت الله ورسوله »[1] ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل ﴿ لَيسَ لَكَ مِنَ الأَمرِ شَيءٌ أَو يَتُوبَ عَلَيهِم أَو يُعَذِّبَهُم فَإِنَّهُم ظَالِمُونَ ﴾[2] .

والمعروف أن رعلًا وبنى ذكوان كانوا قومًا من الكفار أتوا النبى ﷺ وأظهروا له الإسلام وطلبوا منه أن يمدهم بالقراء من أصحابه ، فأعطاهم سبعين من أصحابه فانصرفوا بهم فلما خرجوا إلى الصحراء غدروا بهم فقتلوهم وجعلوهم فى « بئر معونة » فبلغ ذلك المصطفى ﷺ فشق عليه وحزن لذلك وصار يدعو عليهم مدة .

وروى الدارقطنى والحاكم والبيهقى عن الربيع بن أنس قال : كنت جالسًا عند أنس بن مالك فقيل له إنما قنت رسول الله ﷺ شهرًا فقال : ما زال رسول الله ﷺ يقنت فى صلاة الغداة أى الصبح « حتى فارق الدنيا »[3] (هذا الحديث صححه الحاكم وأبو جعفر الرازى

---

(١) رواه البخارى فى تفسير (سورة الدخان) الباب الثانى ومسلم فى كتاب المنافقين الحديث ٤٠ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٣٨٠، ٤٣١، ٤٤١ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٢٨ .

(٣) رواه البخارى فى كتاب الوتر الباب السابع وكتاب الجهاد الباب ١٨٤ وكتاب المغازى الباب ٢٨ والدعوات الباب =

أحد رواته مختلف فيه ولكن وثقه الكثيرون كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر فى التلخيص) .

وروى الترمذى وأبو داود والنسائى عن الحسن قال علمنى رسول الله ﷺ كلمات أقولهن فى القنوت « اللهم اهدنى فيمن هديت وعافنى فيمن عافيت وتولنى فيمن توليت وبارك لى فيما أعطيت وقنى شر ما قضيت ، إنك تقضى ولا يقضى عليك وإنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت »[1] .

صححه ابن حجر والبيهقى والدارقطنى والذهبى .

قال البيهقى : بعد هذا الحديث : فصح لهذا كله أن تعليم هذا الدعاء وقع لقنوت صلاة الصبح وقنوت الوتر وابن سيرين رواه بالوجهين - المهذب ص ١٧٤ .

وروى البيهقى عن عبيد بن البراء أن البراء قنت فى الفجر .

١ - عن عبد الله بن معقل قال : قنت على فى الفجر .

قال الذهبى (هذا صحيح) المهذب ص ١٦٩ وقال ابن حجر فى التلخيص روى بسند صحيح عن عبد الله بن معقل بن مقرن : قنت علىٌ فى الفجر - التلخيص الجزء الأول ص ٢٤٦ .

٢ - عن عبد الرحمن بن سويد الكاهلى قال : كأنى أسمع عليًا فى الفجر حين قنت وهو يقول : اللهم إنا نستعينك ونستغفرك .

٣ - عن أبى رجاء العطاردى قال : صلى ابن عباس صلاة الصبح فى هذا المسجد فقنت وقرأ هذه الآية ﴿ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾[2] المهذب ص ١٦٩ .

٤ - عن العوام بن حمزة قال : سألت أبا عثمان النهدى عن القنوت فى الصبح ، قال بعد الركوع . قلت عمن ؟ .

= ٥٨ ومسلم فى كتاب المساجد الحديث ٣٠١، ٣٠٣، ٣٠٤ وأبو داود فى كتاب الوتر الباب العاشر وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ١٦٢، ١٦٧، ١٨٠، ١٩١، ٢٠٤، ٢٠٧، ٢١٦، ٢١٨، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٧٨، ٢٨٢.

(١) رواه أبو داود فى كتاب الوتر الباب الخامس والترمذى فى كتاب الوتر الباب العاشر والنسائى فى كتاب قيام الليل الباب ٥١ وابن ماجة فى كتاب الإقامة الباب ١١٧ والدارمى فى كتاب الصلاة الباب ٢١٤ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ١٩٩، ٢٠٠ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٣٨ .

قال : عن أبى بكر وعمر وعثمان . قال الذهبى : إسناده حسن .

٥ - عن طارق قال : صليت خلف عمر الصبح فقنت .

٦ - عن عبيد بن عمير قال : سمعت عمر يقنت بمكة فى الفجر .

٧ - عن الأسود قال : صليت خلف عمر فى السفر والحضر فما كان يقنت إلا فى صلاة الفجر . سكت عليه الذهبى وكذا ابن حجر فى التلخيص .

٨ - عن أبى عثمان النهدى قال : صليت خلف عمر ست سنين فكان يقنت .

٩ - عن أبى رافع أن عمر قنت فى الصبح بعد الركوع - المهذب ج٢ ص ١٧٢ .

روى البيهقى عن عبيد بن عمير قنت أن عمر قنت بعد الركوع فقال« اللهم اغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات وألف بين قلوبهم وأصلح ذات بينهم وانصرهم على عدوك وعدوهم . اللهم العن كفرة أهل الكتاب الذين يصدون عن سبيلك ويكذبون رسلك ويقاتلون أولياءك .

اللهم خالف بين كلمتهم وزلزل أقدامهم وأنزل بهم بأسك الذى لا ترده عن القوم المجرمين . بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثنى عليك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك بسم الله الرحمن الرحيم إياك نعبد ولك نصلى ونسجد ونحفد ونخشى عذابك الجد ونرجو رحمتك إن عذابك بالكافرين ملحق» .

قال الذهبى : (إسناده صحيح - المهذب ج٢ ص ١٧٥) .

ثانيًا : أقوال العلماء والفقهاء :

أ - روى النووى فى «المجموع» عن سعد بن طارق قال: (قلت لأبى يا أبى إنك صليت خلف رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان وعلى، فكانوا يقنتون فى الفجر؟ فقال : أى بنى فحدث) ج٣ ص ٤٤٥ .

ب - وروى الشوكانى فى «نيل الأوطار» : حكى الحافظ العراقى القنوت عن أبى بكر وعمر وعلى وابن عباس وقال : قد صح عنهم القنوت . وزاد إذا تعارض الإثبات والنفى قدّم المثبت .

وحكاه عن أربعة من التابعين (ج٢ ص ٣٨٥) .

ج - قال الهمذانى فى «الاعتبار فى الناسخ والمنسوخ من الآثار»: (الإثبات محكم وادعاء النسخ متعذر، والنافى ادعاؤه محمول على الدعاء على الكفار والمثبت روايته محمولة على الثناء على الله عز وجل، والعمل بدليلين أولى من العمل بدليل واحد) ص ٩٤ - ٩٥ .

د - وقال الهمذانى فى «الاعتبار» قال: (أحاديثنا تدل على إثبات القنوت وأحاديثهم تدل على نفى القنوت والمثبت أولى من النافى لأن الأصل أن لا قنوت وأحاديثنا أثبتت القنوت وهو زيادة حكم فكان أولى) ص ٩٧ .

هـ - وقال فى ص ٩٢ من «الاعتبار»: (وقد اختلف الناس فى القنوت فى صلاة الصبح فذهب أكثر الناس من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من علماء الأمصار إلى إثبات القنوت فمن روينا ذلك عنه:

١ - من الصحابة: الخلفاء الراشدون: أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعمار بن ياسر وأبى بن كعب وأبو موسى الأشعرى وعبد الرحمن بن أبى بكر الصديق وعبد الله بن عباس وأبو هريرة والبراء بن عازب وأنس بن مالك وأبو حليمة معاذ بن الحارث الأنصارى وخفاف بن إيماء بن رحضةوإهبان بن صيفى وسهل بن سعد الساعدى وعرفجة بن شريح الأشجعى ومعاوية بن أبى سفيان وعائشة الصديقة.

٢ - ومن المخضرمين: أبو رجاء العطاردى وسويد بن غفلة وأبو عثمان النهدى وأبو رافع الصائغ.

٣ - ومن التابعين: سعيد بن المسيب والحسن بن أبى الحسن ومحمد بن سيرين وإبان بن عثمان وقتادة وطاوس وعبيد بن عمير والربيع بن خيثم وأيوب السختيانى وعبيد السلمانى وعروة بن الزبير وزياد بن عثمان وعبد الرحمن بن أبى ليلى وعمر بن عبد العزيز وحميد الطويل.

٤ - ومن الأئمة الفقهاء: أبو إسحاق وأبو بكر بن محمد والحكم بن عتيبة وحماد ومالك بن أنس والشافعى وأصحابه وأهل الحجاز والأوزاعى وأكثر أهل الشام وعن الثورى روايتان. وغير هؤلاء خلق كثير.

ونقل الدارقطنى عن الحسن فيمن نسى القنوت فى صلاة الصبح قال:

عليه سجدتا السهو. وعن سعيد بن عبد العزيز فيمن نسى القنوت فى صلاة الصبح قال: يسجد سجدتى السهو ١٠ هـ.

الفصل الثامن

الغنـــــاء

الغناء عند الإمام الغزالى:

قال الإمام الغزالى فى كتابه إحياء علوم الدين: القلوب والسرائر خزائن الأسرار، ومعادن الجواهر، وقد طويت فيها جواهرها، ولا سبيل إلى استثارة خفاياها إلا بقوادح الغناء، ولا منفذ إلى القلوب إلا من دهليز الغناء. فالنغمات الموزونة المستلذة تخرج ما فيها، وتظهر محاسنها أو مساويها، فلا يظهر من القلب عند التحريك إلا ما يحويه، كما لا يرشح الإناء إلا بما فيه.

واعلم أن المحبة فى القلب كامنة ككمون النار تحت الرماد، ولا تتحرك هذه النار إلا بسبب، مثل أن يحركها بعود ونحوه، فتتقد بعد أن كانت هامدة تحت الرماد، فكذلك نار المحبة تكون هامدة غالبًا حتى تجد سببًا يحركها. وأعنى بالمحبة أى محبة كانت، سواء كانت محبة الله أو رسوله أو محبة غيرهما، والسبب المحرك هو الغناء.

حكم الغناء فى الإسلام:

١ - من كان فى قلبه محبة الله أو محبة رسول الله ﷺ وهما متلازمتان لأن من يحب الله لا بد من أن يحب رسوله، فالغناء فى حق هذا يكون مندوبًا.

٢ - من كمن فى قلبه محبة شخص، فإما أن يكون ممن يباح له الاجتماع به كالزوجة مثلًا فالغناء فى حق هذا يكون مباحًا.

٣ - أن يكون الغناء خلاف ذلك، كأن يكون عاشقًا لامرأة غيره فيكون الغناء فى حق هذا حرامًا.

أما القول بتحريم الغناء جملة فخارج عن حد الاعتدال.

آلات الغناء وحكمها:

اعلم أن اختلاف العلماء فى آلات الغناء كالطبول ونحوها كان فى سالف الزمان، ولكن

ما كان له تأثير ولا نزاع طويل، لأن من كان يذهب إلى تحريمه ما كان يتعرض لمن يذهب إلى تحليله، لعلمه أن ما اختلف العلماء فيه لا يتعرض لفاعله بنهى، لأن تركه ليس بواجب بل يكون مندوبًا فقط.

وإنما القيل والقال بسبب الشرذمة الوهابية، حين جعلت قول من قال بتحريم الطبول من العلماء سلمًا يصعدون به إلى ما تكنه قلوبهم فأشعلوا حربًا شعواء على كل مادح لسيدنا رسول الله ﷺ سواء مدحه بطبل أو غيره.

ومهما بينت لهذه الفئة الضالة من الأدلة فما تكون النتيجة منهم إلا إصرارهم على ما فى قلوبهم من كراهية لسماع مدح الرسول وتعظيمه.

أدلة حلية الغناء من الكتاب والسنة وعمل الصحابة والتابعين:

١ - لقول الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾[1] وترتيل القرآن هو تحسينه وأداؤه أداءً جميلًا.

٢ - وفى السنة يستدل من قولهم عن السماع برواية أبى داود والترمذى والنسائى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ نهى عن البيع والشراء فى المسجد وأن ننشد فيه ضالة، وأن ينشد فيه شعر.

وللرد على ذلك نقول إن رواية أبى داود وغيره مقابلة بما رواه البخارى وأبو داود والترمذى من حديث السيدة عائشة رضى الله عنها: «كان النبى ﷺ يضع لحسان منبرا فى المسجد يقوم عليه قائمًا يفاخر عن رسول الله أو ينافح - أى يرد عنه هجاء الكفار بالشعر، وباهيهم به - ويقول رسول الله ﷺ: إن الله يؤيد حسانًا بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله ﷺ»[2] قال الترمذى حسن صحيح، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

٣ - وروت السيدة عائشة رضى الله عنها، أن النابغة الجعدى لما أنشد شعره للنبى ﷺ قال له ﷺ: «لا يفضض الله فاك»[3]، وقالت السيدة عائشة رضى الله عنها: «كان

---

(١) سورة المزمل آية ٤.

(٢) رواه أبو داود فى كتاب الأدب الباب ٨٧ والترمذى فى كتاب الأدب الباب ٧٠ وأحمد فى الجزء السادس ص ٧٢.

(٣) أورده ابن حجر فى المطالب العالية (٤٠٦٥) والبيهقى فى دلائل النبوة (٥/ ٢٥١) والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين (٦/ ٤٨٠/ ٤٨١) والمتقى الهندى فى كنز العمال (٣٠٢٧٦) والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار (٢/ ٢٧٢) وابن كثير فى البداية والنهاية الجزء الخاص صفحة ١٧ وأبو نعيم فى تاريخ أصفهان (١/ ٧٤) وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق (١/ ٣٥٠).

أصحاب رسول الله ﷺ يناشدون عنده الأشعار وهو يبتسم »[1] ، وروى الحاكم من حديث خزيم بن أوس سمعت العباس يقول : « يا رسول الله إنى أريد أن أمتدحك ، فقال (قل) لا يفضض الله فاك »[2] .

٤ - وعن عمرو بن شعيب عن أبيه قال : أنشد رسول الله ﷺ مائة قافية من قول أمية بن أبى الصلت ، كل ذلك يقول : هيه هيه - أى هات - أى زدنى منه ، ثم قال : إن كاد - قرب - فى شعره ليسلم »[3] .

٥ - وفى الصحيحين عن السيدة عائشة رضى الله عنها أنها قالت : « لقد رأيت رسول الله ﷺ يسترنى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون فى المسجد حتى أكون أنا الذى أسأمه »[4] .

٦ - إن رسول الله ﷺ سمع بعض الجوارى يغنين ويضربن بالدفوف فى عرس « الربيع بنت معوذ » وكان جالسًا على مقربة منها ، وحينما قالت إحدى المغنيات : وفينا نبى يعلم ما فى غد ، لم يرضه هذا الإسراف فى المديح وقال لها : دعى هذا الإسراف فى المديح وقولى بالذى تقولين ، وامضى فى غنائك ، فمضت الجارية فى غنائها والرسول ﷺ يستمع لها فى غبطة وانشراح »[5] .
انظر القسطلانى ج ٥ ص ٩٥ والإجابة ج٨ ص ٨ .

٧ - وتقول السنة المحمدية أن رسول الله ﷺ أبصر نساء وصبيانًا مقبلين من عرس فيه غناء ، فقام مسرعًا فى سرور وارتياح وهو يقول ﷺ : « اللهم أنتم من أحب الناس إلى »[6]

---

(١) رواه مالك فى الموطإ فى كتاب السفر الحديث ٩٣ والنسائى فى كتاب السهو الباب ٩٩ والترمذى فى كتاب الأدب الباب ٧٠ وأحمد فى الجزء الخامس صفحة ١٠٥ .

(٢) أورده ابن حجر فى المطالب العالية (٤٠٦٥) والبيهقى فى دلائل النبوة (٥/ ٢٥١) والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين (٦/ ٤٨٠/ ٤٨١) والمتقى الهندى فى كنز العمال (٣٠٢٧٦) والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار (٢/ ٢٧٢) وابن كثير فى البداية والنهاية الجزء الخاص صفحة ١٧ وأبو نعيم فى تاريخ أصفهان (١/ ٧٤) وابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق (١/ ٣٥٠) .

(٣) رواه مسلم فى كتاب الشعر الحديث الأول وابن ماجه فى كتاب الأدب الباب ٤١ وأحمد فى الجزء الرابع صفحة ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠ .

(٤) رواه البخارى فى كتاب العيدين الباب الثانى ومسلم فى كتاب العيدين الحديث ١٩ .

(٥) رواه أبو داود فى كتاب الإمارة الباب ٢٠.

(٦) رواه البخارى فى كتاب مناقب الأنصار الباب الخامس ومسلم فى كتاب فضائل الصحابه الحديث ١٧٤ وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ١٥٠، ١٧٥.

القسطلانى ج ٨ ص ٨٥ .

٨ - وجاء فى البخارى : أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه دخل على السيدة عائشة رضى الله عنها وبين يديها مغنيتان تغنيان وتلعبان بالدف فى يوم العيد ، وعلى مقربة منها كان الرسول ﷺ يستمع ، فانتهر أبو بكر السيدة عائشة غاضبًا .. ولكن الرسول ﷺ قال مؤدبًا : « دعها يا أبا بكر فإن لكل قوم عيدًا وهذا عيدنا »[1] راجع تيسير الوصول ج٣ ص ٢٨٠ .

٩ - يسن الغناء بالأغانى ولا فرق بين أن يكون المغنى فتى أو فتاة ، رجلًا أو امرأة فإن السيدة عائشة رضى الله عنها لما زفت قريبتها إلى الأنصارى ، قال لها النبى ﷺ : أهديتم الفتاة ، قالت : نعم . قال : أرسلتم معها من يغنى ؟ قالت : لا . قال : إن الأنصار قوم فيهم الغزل ، فلو بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغنى ، قالت : ماذا تقول فى غنائها قال : تقول .

أتيناكم أتيناكم ... فحيونا نحييكم
ولولا الذهب الأحمر ... ما حللت بواديكم
ولولا الحنطة السمراء ... ما سمنت عذاريكم[2]

فهذه العناية من رسول الله ﷺ بالغناء والدف ، يربنا أنه يريد بحفل الزفاف أن تمر سعيدة موشحة بالأغانى ورنات الدفوف ، لتأخذ البشرية حظها فى تلك المناسبة السارة .

١٠ - وعند استقبال الأنصار رجالًا ونساء لسيدنا رسول الله ﷺ وهو قادم من مكة وغنائهم عند قدومه للمدينة المنورة بقولهم :

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة ... مرحبا ياخير داع

(١) رواه البخارى فى مناقب الأنصار الباب ٤٦ ومسلم فى كتاب العيدين الحديث ١٦ والنسائى فى كتاب العيدين الباب ٣٣ وابن ماجة فى كتاب النكاح الباب ٢١ وأحمد فى الجزء السادس صفحة ٣٣، ٩٩، ١٣٤، ١٨٧ .

(٢) رواه ابن ماجة فى كتاب النكاح الباب ٢١ وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ٣٩١ .

قال : وما هذا الذى عليه ؟ قالت جناحان ، قال فرس له جناحان ؟ قالت أو ما سمعت أنه كان لسليمان بن داود عليه السلام خيل لها أجنحة ، قالت : فضحك سيدنا رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه »[٣] .

١٤ - وكان لكثير من الصحابة والتابعين أسوة حسنة فى رسول الله ﷺ قال عامر بن سعد : دخلت على قرظة بنت كعب وأبى مسعود الأنصارى فى عرس من الأعراس فإذا جوارى يغنين فقلت يا صاحبى رسول الله ﷺ أيفعل هذا عندكم ؟ فقالا له : اجلس إن شئت فاستمع منا وإن شئت فاذهب فإنه قد رخص لنا اللهو عند العرس[٤] .

١٥ - وكان ابن أبى عتيق - وهو حفيد سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه - قد بلغه أن أحدًا اعتدى على رجل يغنى فسارع إلى المعتدى وأخذ يضربه انتقاما للمغنى وهو يقول : كيف تجرؤ على أن تحطم مزامير داود ؟ .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الأدب الباب ٩٠ والترمذى فى كتاب الأدب ٦٩ وابن ماجة فى كتاب الأدب الباب ٤١ والدارمى فى كتاب الاستئذان الباب ٦٨ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٢٦٩، ٢٧٣، ٣٠٣، ٣٠٩، ٣١٣، ٣٢٧، ٣٣٢ والجزء الثالث صفحة ٤٥٦ والجزء الخامس صفحة ١٢٥.

(٢) رواه البخارى فى كتاب الأدب الباب ٩٠، ٩٥، ١١١، ١١٦، ومسلم فى الفضائل الحديث ٧٠ - ٧٣ وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ١٠٧، ١١٧، ١٧٦، ١٨٧، ٢٠٢ ٢٢٧، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٨٥ والسادس صفحة ٣٧٦ والدارمى فى الاستئذان الباب ٦٥ .

(٣) رواه مسلم فى كتاب فضائل الصحابة الحديث ٨١ وأحمد فى الجزء السادس صفحة ٥٧، ١٦٦، ٢٣٣، ٢٣٤ .

(٤) رواه النسائى فى كتاب النكاح الباب ٨٠ .

١٦ - والإمام مالك بن أنس طالما تغنى بهذه الأبيات الآتية :

سليمى أزمعت بينا ... فأين تظنها أينا
وقد قالت لأتراب ... لها لما تلاقينا
تعالين فقد طاب ... لنا العيش تعالينا

فانظر أيها العاقل إلى هذه النصوص السواطع والحجج الواضحة القواطع ، فإن نظرت من ناحية الإسناد تجد إسنادها أحاديث تجيز السماع مما اتفق عليه البخارى ومسلم ، وإن نظرت من ناحية الدليل تجد دليل جواز السماع - سواء أكان فى مسجد أو خارجًا عنه - من قول رسول الله ﷺ .

وأين الإمام الغزالى الذى يحمل عليه أبواق ثالوث التكفير لإجازته للسماع ما دام بعيدًا عن التحريض على العشق والفجور . من هذه الأحاديث التى فى الصحيحين وهونص صريح فى أن الغناء واللعب ليسا بحرام ، وفيها دلالة على أنواع من الرخص .

أ - اللعب ، ولا يخفى عادة الحبشة فى الرقص واللعب .

ب - فعل ذلك فى المسجد .

جـ - قوله ﷺ « دونكم يا بنى أرفدة »[1] وهذا أمر باللعب والتماس له فكيف يكون حرامًا .

د - منعه لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما عن الإنكار والتغير وتعليله ﷺ بأنه يوم عيد أى وهو وقت سرور وهذا من أسباب السرور .

هـ - وقوفه ﷺ طويلًا فى مشاهدة ذلك ، وسماعه لموافقة عائشة رضى الله عنها .

و - قوله ﷺ ابتداء للسيدة عائشة رضى الله عنها « أتشتهين أن تنظرى »[2] .

ز - الرخصة فى الغناء والضرب بالدف من الجاريتين .

ح - أن رسول الله ﷺ كان يقرع سمعه صوت الجاريتين وهو مضطجع فيدل هذا على أن صوت النساء غير محرم ، بل إنما يحرم عند خوف الفتنة .

---

(١) رواه البخارى (٢/ ٢٠، ٤/ ٤٧) ومسلم فى كتاب الصديق الباب الرابع رقم ١٩ والبيهقى فى السنن الكبرى ١٠/ ٢١٨) والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين (٦/ ٤٩٠، ٤٩٣، ٤٩٥) وابن حجر فى فتح البارى (٢/ ٤٤٠) وفى مشكل الآثار (١/ ١١٧) والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار (٢/ ٢٧٥) .

(٢) رواه البخارى فى كتاب العيدين الباب الثانى ومسلم فى كتاب العيدين الحديث ١٩ .

١٦ - والإمام مالك بن أنس طالما تغنى بهذه الأبيات الآتية :

سليمى أزمعت بينا ... فأين تظنها أينا
وقد قالت لأتراب ... لها لما تلاقينا
تعالين فقد طاب ... لنا العيش تعالينا

فانظر أيها العاقل إلى هذه النصوص السواطع والحجج الواضحة القواطع ، فإن نظرت من ناحية الإسناد تجد إسنادها أحاديث تجيز السماع مما اتفق عليه البخارى ومسلم ، وإن نظرت من ناحية الدليل تجد دليل جواز السماع - سواء أكان فى مسجد أو خارجًا عنه - من قول رسول الله ﷺ .

وأين الإمام الغزالى الذى يحمل عليه أبواق ثالوث التكفير لإجازته للسماع ما دام بعيدًا عن التحريض على العشق والفجور . من هذه الأحاديث التى فى الصحيحين وهونص صريح فى أن الغناء واللعب ليسا بحرام ، وفيها دلالة على أنواع من الرخص .

أ - اللعب ، ولا يخفى عادة الحبشة فى الرقص واللعب .

ب - فعل ذلك فى المسجد .

جـ - قوله ﷺ « دونكم يا بنى أرفدة »[1] وهذا أمر باللعب والتماس له فكيف يكون حرامًا .

د - منعه لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما عن الإنكار والتغير وتعليله ﷺ بأنه يوم عيد أى وهو وقت سرور وهذا من أسباب السرور .

هـ - وقوفه ﷺ طويلًا فى مشاهدة ذلك ، وسماعه لموافقة عائشة رضى الله عنها .

و - قوله ﷺ ابتداء للسيدة عائشة رضى الله عنها « أتشتهين أن تنظرى »[2] .

ز - الرخصة فى الغناء والضرب بالدف من الجاريتين .

ح - أن رسول الله ﷺ كان يقرع سمعه صوت الجاريتين وهو مضطجع فيدل هذا على أن صوت النساء غير محرم ، بل إنما يحرم عند خوف الفتنة .

---

(١) رواه البخارى (٢/ ٢٠، ٤/ ٤٧) ومسلم فى كتاب الصديق الباب الرابع رقم ١٩ والبيهقى فى السنن الكبرى ١٠/ ٢١٨) والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين (٦/ ٤٩٠، ٤٩٣، ٤٩٥) وابن حجر فى فتح البارى (٢/ ٤٤٠) وفى مشكل الآثار (١/ ١١٧) والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار (٢/ ٢٧٥) .

(٢) رواه البخارى فى كتاب العيدين الباب الثانى ومسلم فى كتاب العيدين الحديث ١٩ .

فهذه المقاييس والنصوص تدل على إباحة الغناء، والرقص، والضرب بالدف، واللعب بالحراب، وانظر إلى رقص الحبشة والزنوج في أوقات السرور كلها قياسًا على يوم العيد فإنه وقت سرور وفي معناه يوم العرس والوليمة، والعقيقة والختان، ويوم القدوم من السفر، وسائر أسباب الفرح، وهو كل ما يجوز به الفرح شرعًا كزيارة الإخوان ولقائهم واجتماعهم في الابتهالات الدينية والمدائح النبوية.

دعوى محرمية السماع:

تجد أن دعوى محرمية السماع قال فلان وقال فلان من أبواق ثالوث التكفير، ويزعمون أن بعض الناس أصدر فتوى بهذا المعنى وكان ذلك في سنة ٦٦١هـ ومشى بها على أربعة مذاهب، وادعى أنه حصل من كل مذهب على فتوى تؤيد وجهة نظره.

١ - فادعى أن الشافعية قالت له: إن السماع لهو مكروه يشبه الباطل، من قال به ترد شهادته.

٢ - وادعى أن المالكية قالت له: يجب على ولاة الأمور زجرهم وردعهم وإخراجهم من المساجد حتى يتوبوا أو يرجعوا إلى الله.

٣ - وادعى أن الحنابلة قالت له: إن فاعل ذلك لا يصلى خلفه، ولا تقبل شهادته، ولا يقبل حكمه إن كان حاكمًا وإن عقد النكاح على يده فهو فاسد.

٤ - وادعى أن الحنفية قالت له: الحصر التي يرقص عليها لا يصلى عليها حتى تغسل، والأرض التي يرقص عليها لا يصلى عليها حتى تحفر ويرمى ترابها.

فهذه هي النصوص التي يدور بها أبواق ثالوث التكفير معتقدو تحريم السماع فيتشدقون بتحريمه جملة من غير تفصيل ولا استثناء شيء منه.

الرد على دعوى محرمية السماع:

١ / أ - من هو القائم بهذا الأمر المهم؟ وما المانع من ذكر اسمه مع قيامه بهذه الجولة على رجال المذاهب حتى استصدر هذه الفتاوى التي تؤيد وجهة نظره؟.

ب - وما السبب الذي تأخرت به معرفة حكم السماع حتى لم يظهر إلا بعد سنة ٦٦١هـ وللإجابة على السؤال الأول، نقول:

أ - أما سبب جهل اسم المستفتى هذا فلعله فى حيز العدم إلى الآن ، ولعله خيال هجس ببال أبواق ثالوث التكفير لتحريم إجماع بزعم إجماع المسلمين على تحريمه .

ب - أو لعل الرجل المستفتى ممن لم يرتض فى الدين من المبتدعة ، فخاف أبواق ثالوث التكفير من إظهار اسمه حتى لا ينفر منه المسلمون وبالتالى عدم قبول فتواه بتحريم السماع .

٢ - إن ادعاء فتوى الشافعية بأن السماع مكروه - لو سلمنا جدلاً بأنهم أفتوا بذلك - لا يدل على التحريم لأن بين المكروه والمحرم بون كبير ، لأن المكروه ما لا عقاب عليه ، بخلاف المحرم . ولو سلمنا جدلا بأن الشافعية أفتوا بأن السماع باطل لا يدل على التحريم أيضا لأن الباطل يطلق على ما لا فائدة فيه . ولو سلمنا جدلا بأن الشافعية أفتوا بأن ترد شهادته لا يدل على التحريم ، لأن الشهادة قد ترد بأشياء مباحة منها الأكل فى السوق ، ومنها شهادة المحترف بالحرفة الخسيسة لأنها تخرم المروءة .

وانظر أيها المتحجر من أبواق ثالوث التكفير كيف أجاز الإمام الشافعى التغنى بالقرآن الذى هو أحق أن يصان عما لا ينبغى فإباحته فى غيره أولى فلا أدرى من أين أخذوا تحريم السماع من مذهب الشافعية وقد قال الشافعى : الشعر كلام ، فحسنه حسن وقبيحه قبيح ؟! .

٣ - وقال إمام المالكية فى عصره ابن عرفة ناقلا كلام شيخ الإسلام العز بن عبد السلام : « الطريق فى إصلاح القلوب يكون بأسباب من خارج ، فيكون بالقرآن وهؤلاء أفضل أهل السماع ، ويكون بالوعظ والتذكير ، ويكون بالحداء والنشيد ، ويكون بالآلات المختلفة فى سماعها كالشبابات ، فإن كان السامع لذلك مستحلاً سماع ذلك فهو محسن بسماع ما يحصل له من الأحوال ، وتارك للورع لسماعه ما اختلف فى جواز سماعة وإلا : أى وإن كان يعتقد تحريم السماع ، فهو محسن بما حصل له من الأحوال ، مسىء بسماع ما يعتقد تحريمه » .

فانظر كيف شمل حسن السماع حتى من يعتقد تحريمه ، حين قال فيه فهو محسن بما حصل له من الأحوال .

وإن ادعاء فتوى المالكية بأنه يجب على ولاة الأمور زجرهم وردعهم وإخراجهم من المساجد حتى يتوبوا أو يرجعوا إلى الله .

فهل ظهر من منع إنشاد الشعر أو الابتهالات الدينية أو المدائح النبوية التى ما زالت تردد حتى الآن رغم إنكار أبواق ثالوث التكفير؟! وهل حصل النهى ولو من واحد من أمراء المسلمين؟! وهل خرج ولو من مسجد واحد من ينطقون ذكر الله ومدح سيدنا رسول الله ﷺ؟.

جواب ذلك كله لا. لأننا لم نسمع شيئًا من ذلك ولو فى خبر ضعيف قبل هذه الأيام التى انتشر فيها أعداء السنة الذين يرون مدح أمرائهم ووصفهم بصفات الألوهية من الجائز، حين ما يرون مدح الرسول ﷺ ولو ببيتين بما حباه له مولاه من الحرام بل من الشرك والإلحاد.

٤ - وادعى أن الحنابلة قالت: فاعل ذلك لا يصلى خلفه، ولا تقبل شهادته، ولا يقبل حكمه إن كان حاكما، وإن عقد النكاح على يده فهو فاسد.

وانظر يا أخى ما قاله أبو حنيفة والشافعى وأحمد فى إحدى روايتيه بصحة إمامة الفاسق مع الكراهة، ووجه الأول صلاة الصحابة خلف الحجاج وكفى به فاسقًا وقد أحصوا من قتلهم من الصحابة والتابعين فبلغوا ١٢٠٠٠٠ مسلم.

٥ - وادعى أن الحنفية قالت له: إن الحصر التى يرقص عليها لا يصلى عليها حتى تغسل، والأرض التى يرقص عليها لا يصلى عليها حتى تحفر ويرمى ترابها.

انظر ما حقيقة هذه النجاسة التى يغسل منها، هل هى حسية كنجاسة البول والدم وغيره، أم معنوية كنجاسة الكفر؟! فإن كانت حسية: أى ظاهرة فما المانع من ظهورها للغير؟!.

وإن كانت معنوية: أى باطنة فما فائدة غسلها؟! أى فكما لا يطهر الكافر من نجاسة الكفر إلا بدخوله الإسلام ولو اغتسل بجميع بحور الدنيا، فكذلك لا تطهر الحصر التى يرقص عليها إن كانت النجاسة ذاتية معنوية.

فهل هذه الفتوى حصل ولو من شخص واحد عمل غسل الحصر فى زمن ما؟! وجواب ذلك كله: لا. وقولهم الأرض التى يرقص عليها.. إلخ فنقول ما حقيقة النجاسة أذاتية معنوية، أم حسية خارجية؟! وهل هذا الحفر له حد يقف عنده أم لا؟! وإلى كم ذهبت النجاسة فى أجزاء الأرض؟! وإلى كم غاصت فى أعماقها؟! وإذ قلتم له حد فهل تقديره بأميال أم بأمتار؟!.

وإذا عارضنا حين الحفر ماء قبل وصولنا إلى الحد المعلوم فما حكم ذلك الماء أيضا؟! هل نجس كالتراب يجب نزحه أم كيف الحال؟! وما سبب التفرقة بين إيجاب الغسل فى

الحصر، والحفر فى الأرض؟! ولا شيء ما أوجبتم الغسل فى الأرض أيضا فتريقوا عليها الماء كسائر النجاسات التى تكون فى الأرض، لأنها يراق عليها الماء فتطهر من غير تكلف حفر أو غيره، وما سمعنا فى مرتد ارتد عن الإسلام فى موضع من المواضع أنه أمر بحفر ذلك الموضع لأنه وقعت فيه معصية أم هذه المعصية أقبح من معصية أبى لؤلؤة المشئوم الذى ارتكب أعظم ذنب فى أعظم مكان فقتل أعظم إمام متلبسًا فى أعظم عبادة أمير المؤمنين وخليفة سيد المرسلين.

فهل أخبر التاريخ بأن المسجد المعظم الذى وقعت فيه هذه المصيبة العظمى أمر بحفر ترابه وغسل بسطه، أم هذه الأحكام جهلها المتقدمون من أهل القرون الثلاثة ومن بعدهم حتى ظفر بها أهل القرن السادس ونصف فظهرت فى سنة ٦٦٠هـ يا سبحان الله، ما أحوج هذه الفتاوى إلى النظر وإعمال الفكر وعرضها على الكتاب والسنة حتى يطوى بها ويرمى فى وجه قائله.

رأى الإمام المجدد أبى العزائم فى السماع:

وقد أبان الإمام المجدد أبو العزائم رضى الله عنه أن الغناء إذا كان فى الاحتفالات الدينية والمدائح النبوية كان حلالًا وكثيرًا ما جاء ذلك فى مواجيده رضى الله عنه فمنها قوله:

يا بلبلًا غنى على الأفنان ... فأثار فىَّ كوامن الأشجان
هذا اجتماع للسرور مبارك ... مع سيدى حبى مع الضيفان

ويقول رضى الله عنه:

غن لى لحن الظهور تنزلًا ... فى اتضاح الغيب غير تأولى
واصغ لى فى نشوتى حال الصفا ... تشهدن غيبًا بغير تمثل

ويقول رضى الله عنه:

أغنى فترجم يالسانى عن قلبى ... أغانى تجلى لى الجمال من الغيب
وبين لروحى الغيب فالحال قاهرى ... لتشهد عين الروح ساطعة الحب

ويقول رضى الله عنه:

غن ذكرنا جمال محمد ... واشرحن أسراره يامرشدى

الباب الثامن

أمثلة من خوارج عصرنا

الفصل الأول

سـيد قطـب

من هو المجتهد فى الدين؟:

قال الإمام أبو بكر الهروى: أجمعت العلماء قاطبة على أنه لا يجوز لأحد أن يكون مجتهدًا فى الدين حتى يكون جامعًا هذه الخصال وهى:

١ - أن يكون حافظًا للغات العرب واختلافها ومعانى أشعارها وأصنافها.

٢ - واختلاف العلماء والفقهاء.

٣ - يكون عالمًا فقيهًا.

٤ - حافظًا للإعراب وأنواعه.

٥ - عالمًا بما اختلف فيه العلماء.

٦ - عالمًا بكتاب الله.

٧ - حافظًا له ولاختلاف قراءته واختلاف القراء فيها.

٨ - عالمًا بتفسيره ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وقصصه.

٩ - عالمًا بأحاديث الرسول ﷺ مميزًا بين صحيحها وسقيمها، ومتصلها ومنقطعها، ومراسيلها ومسانيدها، ومشاهيرها، وأحاديث الصحابة موقوفها ومسندها.

١٠ - ثم يكون ورعًا دينا صائنًا لنفسه.

١١ - صدوقًا ثقة يبنى فكره ودينه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فإذا جمع هذه الخصال فحينئذ يجوز أن يكون مجتهدًا وجاز أن يقلد ويجتهد فى دينه وفتاويه، وإذا لم يكن جامعًا لهذه الخصال أو أخل بواحدة منها كان ناقصًا، ولم يجز أن يكون مجتهدًا وأن يقلده الناس.

قال: قلت: وإذا ثبت أن هذه شرائط لصحة الاجتهاد «فعلى» كل من لم يكن كذلك أن يقتدى بمن هو بهذه الخصال المذكورة.

وقال: الناس فى الدين على قسمين: مقلد ومجتهد، والمجتهدون مختصون بالعلم، وعلم الدين يتعلق بالكتاب والسنة واللسان العربى الذى وردا به، فمن كان ممن يعلم الكتاب والسنة وحكم ألفاظها ومعرفة الثابت من أحكامها والمنتقل من الثبوت بنسخ أو غيره والمقدم والمؤخر صح اجتهاده، وأن يقلده من لم يبلغ درجته، وفرض من ليس بمجتهد أن يسأل ويقلد، وهذا لا اختلاف فيه. انتهى.

انظر قوله: وهذا لا خلاف فيه. وقال ابن القيم فى أعلام الموقعين: لا يجوز لأحد أن يأخذ من الكتاب والسنة مالم يجتمع فيه شروط الاجتهاد ومن جميع العلوم.

قال أحمد بن المنادى: سأل رجل أحمد بن حنبل: إذا حفظ الرجل مائة ألف حديث هل يكون فقيهًا؟ قال: لا، قال: فمائتى ألف حديث؟ قال: لا، قال: فثلاثمائة ألف حديث؟ قال: لا، قال: فأربعمائة؟ قال: نعم، قال أبو الحسين: فسألت جدى: كم كان يحفظ أحمد؟ قال: أجاب عن ستمائة ألف حديث.

قال أبو إسحاق: لما جلست فى جامع المنصور للفتيا ذكرت هذه المسألة، فقال لى رجل: فأنت تحفظ هذا المقدار حتى تفتى الناس؟ قلت: لا، إنما أفتى بقول من يحفظ هذا المقدار. انتهى.

ولو ذهبنا نحكى من حكى الإجماع لطال، وفى هذا الكفاية للمسترشد.

الخارجى سيد قطب وأمثاله بلاء على الأمة:

وإنما ذكرت هذه المقدمة لتكون قاعدة يرجع إليها فيما نذكره، فإن اليوم ابتلى الناس بسيد قطب وأمثاله ممن ينتسب إلى الكتاب والسنة ويستنبط من علومهما ولا يبالى من خالفه، وإذا طلبت منه أن يعرض كلامه على أهل العلم لم يفعل، بل يوجب على الناس

الأخذ بقوله وبمفهومه ، ومن خالفه فهو عنده كافر ، هذا وهو لم يكن فيه خصلة واحدة من خصال أهل الاجتهاد ولا - والله - عشر واحدة ، ومع هذا راج كلامه على كثير من الجهال ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

الأمة كلها تصيح بلسان واحد ، ومع هذا لا يرد لهم فى كلمة بل كلهم كفار أو جهال ، اللهم اهد الضال ورده إلى الحق .

الخارجى سيد قطب ليس بعالم :

فقد اتفق السلف والخلف على أن العلم الدينى لا يؤخذ بالمطالعة من الكتب بل بالتعلم من عارف ثقة أخذ مثله إلى الصحابة قال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادى « لا يؤخذ العلم إلا من أفواه العلماء » وقال بعض السلف « الذى يأخذ الحديث من الكتب يسمى صحفيًا لا عالمًا والذى يأخذ القرآن من المصحف يسمى مصحفيًا ولا يسمى قارئًا » وهذا مأخوذ من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم : « من يرد الله به خيرًا يفقهه فى الدين إنما العلم بالتعلم والفقه بالتفقه »[1] رواه الطبرانى .

ومن هؤلاء « سيد قطب » لم يسبق له أن جثى بين يدى العلماء للتعليم ولا قرأ عليهم ولا شم رائحة العلم كان في أول أمره صحفيًا ماركسيًا ثم انخرط بعد ذلك فى حزب الإخوان فصدروه فأقدم على التأليف فزلَّ وضلَّ ومن وقف على كتبه وكان من أهل الفهم والتمييز وجدها محشوة بالفتاوى التى ما أنزل الله بها من سلطان وعلم أنها تنادى بجهله وهى كثيرة جدًا منها :

أولًا : كتاب فى ظلال القرآن وهو ضلال فى ضلال ..

يقرر فى كتابه « فى ظلال القرآن » أنه لا وجود للمسلمين على الأرض طالما يحكم الحكام بغير الشرع ولو فى مسائل صغيرة يذكر ذلك فى الجزء الأول الصحيفة (٥٩٠) فيقول « فليس هناك دين للناس إذا لم يتلقوا في شئون حياتهم كلها من الله وحده ، وليس هناك إسلام إذا هم تلقوا فى أى أمر من هذه الأمور جل أو حقر من مصدر آخر إنما يكون الشرك أو الكفر وتكون الجاهلية التى جاء الإسلام ليقتلع جذورها من حياة الناس « ثم يكفر كل من حكم بغير الشرع على الإطلاق ولو فى مسألة صغيرة من غير تفصيل مفسرًا قوله تعالى

---

(١) رواه الطبرانى فى المعجم الكبير (١٩/ ٣٨٩) والخطيب البغدادى فى الفقيه والمتفقه (١/ ٤) .

﴿وَمَن لَّم يَحكُم بِمَا أَنزلَ اللّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾[1].

الرد على هذا الفكر الخارجى لسيد قطب:

١ - إن تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّم يَحكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾ على ظاهره جهلًا أو مكابرة هو قول الخوارج، أما السلف ومن بعدهم أولوا هذه الآية كما ثبت ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما ابن عم رسول الله ﷺ وترجمان القرآن والبراء بن عازب رضى الله عنه ذكر القرطبى فى كتابه الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ١٩٠ - ١٩١ فى تفسير هذه الآية ما نصه نزلت كلها فى الكفار ثبت ذلك فى صحيح مسلم كتاب الإيمان باب رجم اليهود أهل الذمة من حديث البراء وعلى هذا الجمهور، فأما المسلم فلا يكفر وإن ارتكب كبيرة، وقيل فيه إضمار أى ومن لم يحكم بما أنزل الله، ردًا للقرآن وجحدًا لقول رسول الله ﷺ فهو كافر.

قاله ابن عباس ومجاهد فالآية عامة على هذا قال ابن مسعود: هى عامة فى كل من لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين واليهود والكفار أى معتقدًا ذلك ومستحلًا له، فأما من فعل ذلك وهو معتقد أنه مرتكب لمحرم فهو من فساق المسلمين وأمره إلى الله تعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، إلا أن الشعبى قال: هى فى اليهود خاصة. واختاره النحاس قال: ويدل على ذلك ثلاثة أشياء منها..

أ - أن اليهود قد ذكروا قبل هذا فى قوله ﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾[2] فعاد الضمير عليهم.

ب - ومنها أن سياق الكلام يدل على ذلك ألا ترى أن بعده ﴿وَكَتَبنَا عَلَيهِم﴾[3] فهذا الضمير لليهود بإجماع.

ج - فإن اليهود هم الذين أنكروا الرجم والقصاص.

٢ - فإن قال قائل «من» إذا كانت للمجازاة فهى عامة إلا أن يقع دليل على تخصيصها قيل له: «من» هنا بمعنى الذى مع ما ذكرناه من الأدلة والتقدير واليهود الذين لم يحكموا بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون فهذا من أحسن ما قيل فى هذا.

---

(١) سورة المائدة آية ٤٤.

(٢) سورة المائدة آية ٤٤.

(٣) سورة المائدة آية ٤٥.

٣ - ويروى أن حذيفة سئل عن هذه الآيات أهى فى بنى إسرائيل؟ قال: نعم هى فيهم، وقال طاووس وغيره ليس بكفر ينقل عن الملة ولكنه كفر دون كفر وهذا يختلف إن حكم بما عنده على أنه من عند الله فهو تبديل له يوجب الكفر، وإن حكم به هوى ومعصية فهو ذنب تدركه المغفرة على أصل أهل السنة فى الغفران للمذنبين قال القشيرى: ومذهب الخوارج أن من ارتشى وحكم بغير حكم الله فهو كافر. انتهى كلام القرطبى.

٤ - وذكر نحوه الخازن فى تفسيره ج ١ ص ٤٦٧، ٤٦٨ وزاد عليه «وقال مجاهد فى هذه الآيات الثلاث (من ترك الحكم بما أنزل الله ردا لكتاب الله فهو كافر ظالم فاسق) وقال عكرمة ومن لم يحكم بما أنزل الله جاحدًا به فقد كفر، ومن أقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق، وهذا قول ابن عباس أيضًا، وقال طاووس: لابن عباس أكافر من لم يحكم بما أنزل الله؟ فقال به كفر وليس بكفر ينقل عن الملة كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ونحو هذا، روى عن عطاء قال: هو كفر دون كفر.

٥ - فقد حسم حبر الأمة عبد الله بن عباس الموضوع بتفسير موجز مفيد فقد أخرج الحاكم وصححه المستدرك ج ٢ ص ٣١٣. ووافقه الذهبى وأخرج البيهقى فى سننه وغيرهما عنه فى الآيات الثلاثة المذكورات أنه قال: إنه ليس بالكفر الذى يذهبون إليه، إنه ليس كفرًا ينقل عن الملة ﴿وَمَن لم يَحكم بِمَآ أنزلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ﴾[1] كفر دون كفر أ هـ. ومعنى «كفر دون كفر» أى ذنب كبير يشبه الكفر فى الفظاعة كما قال رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[2] (مسند أحمد ج١ ص ٤٣٩) - رواه الإمام أحمد - وقد وقع القتال بين المؤمنين منذ أيام على رضى الله عنه ولا يزال يحدث إلى الآن قال تعالى ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤمِنِينَ اقتَتَلُوا﴾[3].

ثم إن كلام سيد قطب هو عين مذهب الخوارج القائلين بأن الظلم والفسق هو كفر يخلد

---

(١) سورة المائدة آية ٤٤.

(٢) رواه البخارى فى كتاب الإيمان الباب ٣٦ وكتاب الأدب الباب ٤٤ وكتاب الفتن الباب الثامن ومسلم فى كتاب الإيمان الحديث ١١٦ والترمذى فى كتاب البر الباب ٥١ وكتاب الإيمان الباب ١٥ والنسائى فى كتاب التحريم الباب ٢٧ وابن ماجه فى كتاب الفتن الباب الرابع وكتاب المقدمة الباب السابع والتاسع وأحمد فى الجزء الأول صفحة ١٧٦، ١٧٨، ٣٨٥، ٤١١، ٤٣٣، ٤٥٤، ٤١٧، ٤٣٩، ٤٤٦، ٤٦٠.

(٣) سورة الحجرات آية ٩.

فى النار ، أيضًا إطلاق قوله بتكفير من حكم بغير الشرع من غير تفصيل - فيه تكفير لكثير من الحكام الذين توالوا على الخلافة الإسلامية ، سواء كانوا من بنى أمية أو بنى العباس أو بنى عثمان أو آل سعود ، فإنهم حكموا بأن جعلوا الخلافة ملكا يتوارثونه وهذا يبطل دعوى سيد قطب فى كتابه المسمى « فى ظلال القرآن » .

اتهام الخارجى سيد قطب للصحابة والسلف أنهم محرفون لكتاب الله :

فهو أولًا يرد التأويل فى هذه الآية وكأنه بلغ ما قد بلغه ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما وغيره من الصحابة والتابعين ، فهو لا يتردد فى كتابه هذا عن إطلاق النكير على العلماء من السلف والخلف فهو يقول فى الجزء الثانى / ٨٩٨ منه ما نصه « والتأويل والتأول فى مثل هذا الحكم لا يعنى إلا محاولة تحريف الكلم عن مواضعه » فقد أداه جهله إلى هذا الاتهام الباطل لعبد الله بن عباس وحذيفة بن اليمان وسعيد بن جبير والحسن البصرى وغيرهم من السلف والخلف إلى أن جعلهم محرفين لكتاب الله كما فعلت علماء اليهود .

كتاب الظلال لم يدع فردا إلا ورماه بالكفر :

والعجب أن هذا الكتاب يروج ويباع فى البلاد الإسلامية وهو لم يدع فردًا من البشرية إلا وقد رماه بالردة ، حتى المؤذنين فى المشارق والمغارب ، لأنهم لم يثوروا على رؤسائهم الذين يحكمون بغير الشرع فيقول فى الجزء الثانى /١٠٥٧ ما نصه « فقد ارتدت البشرية إلى عبادة العباد وإلى جور الأديان ونكصت عن لا إله إلا الله وإن ظل فريق منها يردد على المآذن لا إله إلا الله دون أن يدرك مدلولها ودون أن يعى هذا المدلول وهو يرددها ودون أن يرفض شرعية الحاكمية التى يدعمها العباد لأنفسهم ..»

آذان المؤذنين بلا مدلول :

ثم يقول ألا إن البشرية عادت إلى الجاهلية وارتدت عن لا إله إلا الله فأعطت لهؤلاء العباد خصائص الألوهية ولم تعد توحد الله وتخلص له الولاء .. ثم يتابع فيقول « البشرية بجملتها بما فيها أولئك الذين يرددون على المآذن فى مشارق الأرض ومغاربها كلمات لا إله إلا الله بلا مدلول ولا واقع وهؤلاء أثقل إثما وأشد يوم القيامة لأنهم ارتدوا إلى عبادة العباد » أ هـ .

صور متعددة لتكفير الأمة الإسلامية:

١ - ثم يذكر فى الجزء الثانى / ٨٤١ أن من حكم ولو فى مسألة جزئية بغير الشرع فهو خارج عن الدين وبعدها فى صحيفة /٩٤٠ يذكر أن الذين يقولون أنهم مسلمون يقيمون ما أنزل إليهم من ربهم هم كأهل الكتاب هؤلاء ليسوا على شيء كذلك.

٢ - يكفر من يحكم بغير الشرع إطلاقًا ولو فى قضية واحدة فى الجزء الثانى / ٩٧٢ فيقول: « والإسلام منهج للحياة كلها من اتبعه كله فهو مؤمن وفى دين الله ومن اتبع غيره ولو فى حكم واحد فقد رفض الإيمان، واعتدى على ألوهية الله، وخرج من دين الله مهما أعلن أنه يحترم العقيدة وأنه مسلم » ويذكر نحو ذلك فى الجزء الثانى /١٠١٨ .

٣ - وزاد فى الجرأة إلى أن ذكر فى الجزء الثالث / ١١٩٨ أن من أطاع بشرًا فى قانون ولو فى جزئية صغيرة فهو مشرك مرتد عن الإسلام مهما شهد أن لا إله إلا الله.

٤ - يطلق القول بعد ذلك فى الجزء الثالث /١٢٥٧ بأن الإسلام اليوم متوقف عن الوجود مجرد الوجود وأننا فى مجتمع جاهلى مشرك.

٥ - ويقرر فى الجزء الرابع /١٩٤٥ أن البشرية اليوم بجملتها مرتدة إلى جاهلية شاملة فيقول « أن رؤية واقع البشرية على هذا النحو الواضح تؤكد لنا أن البشرية اليوم بجملتها قد ارتدت إلى جاهلية شاملة » أهـ.

مرشدوا الإخوان من رجال القانون الوضعى:

والعجب أن من أتباعه والمنادين برأيه المكفرين لمن حكم بالقانون ولو فى جزئية صغيرة قسم منهم يشتغلون بالمحاماة وقسم آخر يتعاملون بالقانون أمثال المستشار حسن الهضيبى المحامى وعمر التلمسانى المحامى وعبد القادر عودة المحامى ومعاملات الباسبور والفيزا ونقل الكفالة وحجرهم مؤلفاتهم أو مطبوعاتهم على غيرهم أن يطبعوها إلا بإذنهم ويعتقدون أن من فعل ذلك يحاكم قانونا، وكفاهم هذا خزيا وتهافتًا ومناقضة لأنفسهم، فعلى مؤدى كلام زعيمهم كفروا وهم لا يشعرون، وهم على موجب نصه هذا قسم منهم عباد للحكومة السعودية، وقسم منهم عباد لسائر الدول التى يعيشون فيها.

سيد قطب خارجى أزارقى:

فمن حقق فى أمر هذا الرجل عرف أنه ليس له سلف إلا طائفة من الخوارج يقال لهم

الأزارقة منفردين عن سائر فرق الخوارج يقولون أن الملك إذا حكم بغير الشرع صار كافرًا ورعاياه كفار، من تابعه ومن لم يتابعه، وسيد قطب كأنه أعاد دعوة عقيدة تلك الفرقة الخارجية التى من أشدهم فى تكفير المسلمين وكفاه ذلك خزيا وضلالًا لأن الرسول ﷺ قال فى الخوارج: «يخرج قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون بقول خير البرية يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم وصيامه إلى صيامهم» وقال عليه السلام «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»[1] رواه البخارى.

الخارجى سيد قطب يحرض الإخوان على الثورة على الحكام:

وفى الجزء الثالث /١٤٤٤ يطعن فى المجاهدين من السلف الصالح ويرميهم بالجشع إلى الفتك بالأبرياء والشره إلى سفك الدماء ويقرر الجزء الثالث /١٤٤٩ - ١٤٥٠ و ١٤٥١ أن على المسلمين «بالجماعة الإسلامية أو «حزب الإخوان» انتزاع زمام الحكم من الحكام والقضاء على نظمهم بالثورة وإحداث الانقلابات فى الدول.

الخارجى سيد قطب يقرر أن الدنيا كلها بما فيها مكة والمدينة ليست دار إسلام:

ويقرر فى الجزء الرابع / ٢٠١٢ أن الاشتغال بالفقه الآن بوصفه عملًا للإسلام فهو مضيعة للعمر والأجر أيضًا، طالما الناس فى جاهلية يعبدون حكامهم، ويذكر فى الجزء الرابع / ٢١٢٢ أنه لا يوجد اليوم رئيس مسلم ولا رعية مسلمة ولا مجتمع مسلم إنما هى على زعمه جاهلية شاملة فيقول «أنه ليس على وجه الأرض دولة مسلمة ولا مجتمع مسلم قاعدة التعامل فيه هى شريعة الله والفقه الإسلامى «وكلامه هذا يؤدى إلى أن الدنيا كلها بما فيها مكة المكرمة والمدينة المنورة ليست دار إسلام بل دار حرب.

الخارجى سيد قطب مجسم ومشبه:

يخالف جميع علماء الإسلام فى قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُم أَيْنَمَا كُنتُم﴾[2] «هو على

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الاستتابة الباب السادس وكتاب المناقب الباب ٢٥ وكتاب فضائل القرآن الباب ٣٦ وأبو داود فى كتاب السنة ٢٨ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٤٠٤.

(٢) سورة الحديد آية ٤.

الحقيقة، لا على الكناية والمجاز فالله سبحانه وتعالى على رأيه مع كل أحد ومع كل شيء وفى كل مكان » وبذلك جعل الله منتشرًا فى العالم وهذا كفر قوله : « فى كل مكان » هذا لم يقله أحد من السلف إنما قاله جهم بن صفوان الذى قتل على الزندقة فى أواخر أيام الأمويين ثم تبعه جهلة الوهابية من غير فهم للمعنى فكل علماء الإسلام اتفقوا على أن معنى قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُم أَينَمَا كُنتُم﴾[1] إحاطة علمه تعالى بكل الخلق ذكر سيد قطب مقالته هذه فى الجزء السادس/ ٣٤٨١ من كتابه المذكور.

تأويلات شيطانية لكتابه التصوير الفنى فى القرآن:

إن سيد قطب الخارجى يسمى الله بالريشة المعجزة وبالريشة الخالقة والمبدعة وذلك فى مواضع عدة من كتابه (التصوير الفنى فى القرآن) وغيره ويسمى الله بالعقل المدبر فى تفسير سورة النبإ هذا مما لا يخفى أنه إلحاد قال تعالى ﴿وَلِلّه الأَسمَاءُ الحُسنَى فَادعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلحِدُونَ فِي أَسمَائِهِ﴾[2] وقال الإمام أبو جعفر الطحاوى فى عقيدته التى هى عقيدة أهل السنة والجماعة « ومن وصف الله بمعنى من معانى البشر فقد كفر ».

الخارجى سيد قطب يطعن فى عصمة الأنبياء:

ثم لم يكتف بذلك بل أداه جهله ووقاحته إلى القدح أو الذم بسيدنا موسى عليه السلام فقال فى كتابه المسمى (التصوير الفنى فى القرآن) ص /١٦٢ ما نصه :

١ - « لنأخذ موسى أنه نموذج للزعيم المندفع العصبى المزاج » ويقول فى الصحيفةالتالية : « فلندعه هنا لنلتقى به فى فترة ثانية من حياته بعد عشر سنوات فلعله قد هدأ وصار رجلا هادىء الطبع عليم النفس كلا ...».

٢ - ويتهم سيدنا يوسف فى الصحيفة /١٦٦ بأنه كاد يضعف أمام امرأة العزيز.

٣ - ويرمى سيدنا إبراهيم عليه السلام بالشك فيقول فى الصحيفة/ ١٣٣ ما نصه « وإبراهيم تبدأ قصته : فتى ينظر فى السماء فيرى نجمًا فيظنه إلهه فإذا أفل قال لا أحب الآفلين ثم ينظر مرة أخرى فيرى القمر فيظنه ربه، ولكنه يأفل كذلك فيتركه كذلك ويمضى، ثم ينظر إلى الشمس فيعجبه كبرها ويظنها ولا شك إلهًا، ولكنها تخلف ظنه هى

(١) سورة الحديد آية ٤ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٨٠ .

الأخرى » أهـ .

دحض أفكار الخارجى سيد قطب :

فهذا الكلام مناقض لعقيدة الإسلام التى تنص على أن الأنبياء تجب لهم العصمة من الكفر والكبائر وصغائر الخسة قبل النبوة وبعدها وقول إبراهيم عن الكوكب حين رآه « هذا ربى » هو على تقدير الاستفهام الإنكارى فكأنه قال : أهذا ربى كما تزعمون ثم لما غاب قال ﴿ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾[1] أى لا يصلح أن يكون هذا ربا فكيف تعتقدون ذلك؟ ولما لم يفهموا مقصوده بل بقوا على ما كانوا عليه ، قال : حينما رأى القمر ، مثل ذلك ، فلما لم يجد منهم بغيته ، أظهر لهم أنه برىء من عبادته ، وأنه لا يصلح للربوبية ، ثم لما ظهرت الشمس ، قال : مثل ذلك ، فلم ير منهم ، فأيس منهم ، فأظهر براءته من ذلك ، وأما هو فى حد ذاته كان يعلم قبل ذلك أن الربوبية لا تكون إلا لله بدليل قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ ﴾[2] .

احذروا كتب الخارجى سيد قطب :

١ - نخلص من هذا أنه طعن فى مفسرى علماء المسلمين سلفهم وخلفهم وهذا فتح بابًا للمروق من الدين لا يعلم مبلغ خطره إلا الله فليحذره المسلمون وليشفقوا على دينهم من هذا الخطر فإنه صار قدوة للطعن فى سلف الأمة وخلفها ودعوة للخروج الذى خرجته الخوارج فإنها فهمت قول الله تعالى ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾[3] على خلاف المراد به فتجرأت على تكفير سيدنا على ومن والاه حتى بلغت إلى تكفير كل من ارتكب معصية فإنا لله وإنا إليه راجعون .

٢ - والعجب من هذا الرجل كيف خفى عليه قوله تعالى : ﴿ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾[4] .

فإن هذه الآية دليل قرآنى على بقاء هذه الأمة المحمدية على دينها إلى يوم القيامة ؛ لأن أمة

---

(١) سورة الأنعام آية ٧٦ .

(٢) سورة الأنبياء آية ٥١ .

(٣) سورة الأنعام آية ٥٧ .

(٤) سورة آل عمران آية ٥٥ .

محمد هم الذين اتبعوا عيسى بعد انقراض من اتبعه على الحقيقة بالإيمان والإسلام والتوحيد، كيف غفل هذا الرجل عن فهم هذه الآية واتبع توهمه الذى تخيله من أن الأمة المحمدية عاشت على الإسلام المائة الأولى وأن ما بعد ذلك جاهلية؟ وكيف غفل عن قول رسول الله ﷺ «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[1]؟ وكيف غفل عن قوله عليه السلام «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»[2]؟؟ الحديث الأول رواه أبو داود، والثانى رواه الشيخان. أما آن لكم أيها المغترون به أن تفيقوا من سبات الغفلة إلى اليقظة، وأنتم أيها المتعصبون لهذا الرجل اتقوا الله وارجعوا عن منهجكم هذا، حتى تكونوا مع جمهور الأمة، ومن شذ شذ إلى النار، والله نسأل أن يعصمنا من مثل هذا الزلل، وسبحان الله والحمد لله رب العالمين.

---

(١) رواه أبو داود فى كتاب الملاحم الباب الأول.

(٢) رواه البخارى فى كتاب الاعتصام الباب العاشر وكتاب التوحيد الباب ٢٩ والمناقب الباب ٢٨ والخمس الباب السابع ومسلم فى كتاب الإيمان الحديث ٢٤٧ والإمارة الحديث ١٧٠، ١٧١، ١٧٣، ١٧٥، ١٧٧ وأبو داود فى كتاب الفتن الباب الأول وكتاب الجهاد الباب الرابع والترمذى فى كتاب الفتن الباب ٥١ وابن ماجة فى كتاب المقدمة الباب الأول والدارمى فى كتاب الجهاد الباب ٣٨ وأحمد فى الجزء الرابع صفحة ٩٣، ٩٩، ١٠٤، ٢٤٤، ٢٤٨، ٢٥٢، ٣١٩، ٤٢٩، ٤٣٤، ٤٣٧، والجزء الخامس صفحة ٢٦٩، ٢٧٨، ٢٧٩.

الفصل الثانى

ناصر الألبـــانى

ناصر الألبانى عامل فى إصلاح الساعات قليل البضاعة فى ضبط الأوقات ، جاهل فى علم الحديث والثقات ، متجرىء مستور مع عرائه عن المؤهلات ؟! .. وإليك أيها المفنون به أدلة الإثبات :

أحاديث الرسول ﷺ تشريع سماوى :

إن أحاديث رسول الله ﷺ إنما هى من لدن الله اللطيف الخبير .. العليم الحكيم ، وما هى إلا تشريع سماوى .

كما جعل سنته ﷺ وآله وحيًا يوحيه إليه لأنه المتكفل بحفظه وعصمته ولم يتركه لغيره ، كما جعل الله تعالى من مهام النبى الكريم ﷺ تعليم الحكمة ، وهى السنة المعطوفة على الكتاب .

لقد علم الصحابة الكرام رضى الله عنهم أن ما ثبت عن رسول الله ﷺ هو اللازم لجميع من عرفه ، لا يقويه ولا يوهنه شىء ، بل الفرض الذى على الناس اتباعه ، ولم يجعل الله تعالى هذا لأحد من خلقه سواه ، كما لم يجعل لأحد معه أمرًا يخالف أمره .

وهذا كله فى الأساس مرده إلى أن رسول الله ﷺ إنما هو مبلغ عن الله ، صادق أمين ، وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى (راجع كتاب تأدبوا مع رسول الله ﷺ للدكتور محمد عبده يمانى) .

هذه شهادة سماوية من رب العزة والجلال بأن رسول الله ﷺ إنما يروى عن ربه عز وجل ، وأن الحديث النبوى الشريف إنما هو وحى يوحى ، فهو الصادق الأمين الذى لم يكذب على الناس حتى يكذب على الله سبحانه وتعالى ، وهو الأمين على حقوق الناس فجعله الله أمينًا على سره ووحيه ، وأعطاه الرسالة ، وختم به النبوة والرسالة وأرسله للناس كافة ، وشهد له بأنه على خلق عظيم وأنه لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى علمه

شديد القوى ..

﴿ وَالنَّجمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُم وَمَا غَوَى وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى إِن هُوَ إِلَّا وَحيٌ يُوحَى ﴾[1].

الألبانى يردد فكر الزنادقة والرافضة والخوارج:

العجيب أن ناصر الألبانى ليس من أصحاب الحديث ، ولا من المختصين فى أى نوع من فروعه ، ولكنه يعمل فى تصليح الساعات ، وقد التف حوله مجموعة من المخدوعين بأفكاره من أصحاب المهن والحرف ، ومجموعة من العمال ، نجارين وحدادين بلا مؤهلات وكلهم كما نرى من غير أهل الدراية ولا الرواية ، وليسوا أصلاً أهلاً للخوض أو التصدى لمثل هذه الأمور ..

وواضح من كلام الساعاتى ناصر الألبانى فى علم الحديث أنه ترديد أجوف لمقولات سابقة بدأها بعض الزنادقة ومجموعة من الرافضة الذين أنكروا الاحتجاج بالسنة ورددوا فكر الخوارج .

ومن لطف الله أن هذه القضايا قد أثيرت أيام الأئمة الأربعة رضوان الله عليهم ، فتصدوا لها هم ومن جاء من بعدهم وردوا عليها . وقد حذا الخوارج أيضا حذوهم وأنكروا حجية الإجماع والسنن الشرعية .

وعلى أى حال ، فالألبانى يردد أفكارًا قديمة ، وبطريقة مشوهة ، ولا يستبعد أى عاقل أن خلفه من يغذى هذه الأفكار ، ويروج لها من أعداء الإسلام الذين يعمدون إلى إثارة مثل هذه الفتن بين حين وآخر ، ويسعون إلى قذف الشبهات فى عقول الناشئة ، ويستخدمون مثل هؤلاء المغفلين كمطايا سهلة للطعن فى الدين الإسلامى .

المستشرقون يتخذون من الألبانى واتباعه مطية للطعن فى الإسلام:

وهكذا نرى أن هؤلاء المغفلين يرددون صدى دعوات ضالة قديمة بدأها الزنادقة والرافضة ومن والاهم ثم تلقفها المستشرقون وروجوا لها وأصبحوا يتحينون الفرص بين وقت وآخر لإثارتها من جديد .. ولهذا فهم يثون مثل هذه الشبهات والضلالات عندما يحسون بضعف مناعة الأمة الإسلامية .. ولقد كانت قضية حجية السنة : (والتشكيك فيها والنيل منها) من جملة ما خاض فيه المستشرقون منذ أواخر القرن المنقضى ، وفى مقدمتهم جولد

تشيهر وشبرنجر وفون كريمر. حيث بثوا شكوكهم فى كتبهم وفى مختلف الموسوعات والمراجع، وكانت مقولاتهم تلك بين ما ترجم إلى العربية، ونقله بعض الباحثين المسلمين وروجوا له.

وقد سار على هذا النهج الأستاذ أحمد أمين فى مؤلفه الشهير، فجر الإسلام، الصادر فى سنة ١٩٢٨، حيث أفرد ست عشرة صفحة للحديث، أبرز فيها قضية الموضوعات وعدم التدوين وعرض الأقوال التى تنتقد أبا هريرة رضى الله عنه وتشكك فيه.

استنفرت هذه الموجة بعض الراسخين فى العلم، فمنهم من بسط أراء جولد تشيهر والأستاذ أحمد أمين، ورد على مقولاتهم مبينًا أوجه الخطأ أو التحريف فيها، ومنهم من أثبت حجية السنة بمختلف الأدلة النقلية والعقلية ومنهم من جمع بين النهجين ولعل أبرز تلك الكتابات رسالة الشيخ عبد الغنى عبد الخالق فى (حجية السنة) وهى مرجع نفيس أنجزه فى بداية الأربعينات. ومؤلف الدكتور مصطفى السباعى، الفقيه السورى الأشهر، الذى أصدره فى سنة ١٩٤٩، بعنوان (السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى).

السنة النبوية خدمها المسلمون بما لم يخدموا به علمًا آخر:

وحسبنا الله ونعم الوكيل أن تصبح قضايانا الإسلامية والسنة النبوية خاصة؛ مطية سهلة لمثل هؤلاء الذين لم يتأدبوا مع رسول الله ﷺ ولم يحسنوا التعامل مع السنة النبوية المطهرة.. ولا شك أنه أمر مؤسف أن يخوض كل من هب ودب فى مثل هذه الأمور الدقيقة وحتى استهان أمثال هؤلاء بأمر السنة المطهرة فراحوا يهرفون بما لا يعرفون مع أن السنة النبوية.. خدمت بما لم يخدم به علم من ناحية التوثيق والتدقيق.. حتى كانت أصح ما عرف فى التاريخ من علم الرواية والأخبار، فالسنة النبوية: خدمها المسلمون بما لم يخدموا به علمًا آخر فى تاريخهم إذ بذلوا جهودًا جبارة فى تدوينها ثم أقاموا علم مصطلح الحديث، الذى أسس القواعد العلمية لتصحيح الأخبار، ووصفه الدكتور السباعى بأنه أصح ما عرف فى التاريخ من قواعد علمية للرواية والأخبار وأثمر هذا الجهد علم «الجرح والتعديل» أو علم ميزان الرجال، الذى يبحث فى أحوال الرواة وأمانتهم وثقتهم وعدالتهم وضبطهم أو عكس ذلك من كذب أو غفلة أو نسيان وهو علم جليل لا نظير له فى سجل معارف الأمم الأخرى، وثمة علوم أخرى استلزمها دراسة السنة وضبطها وتحقيقها أوصلها أبو عبد الله الحاكم فى كتابه، معرفة علوم الحديث، إلى ٥٢ علمًا، وأوصلها النووى فى «التقريب»

إلى خمسة وستين علمًا.

الضرب على أيدى المجترئين على السنة:

ولا شك أن أى عاقل يرى ضرورة إيقاف ناصر الألبانى والضرب على يد هذا الساعاتى المجترىء على السنة المطهرة.. وأمثاله خصوصًا ممن ينتسبون إلى الإسلام ويندسون تحت هذا الستار إما عن غفلة أو جهل أو عن خبث أو لمصالح مادية يستخدمهم فيها أعداء الإسلام لنشر مثل هذه الفوضى والدسائس.. وأحسب أن من واجبنا أن نلتفت إلى تثقيف الناشئة والأمة ككل بإبعاد مثل هذه المخاطر وحمايتهم من مثل شبهات الألبانى وغيره.

طرق الطعن فى السنة

الطعن فى الحديث:

ولا شك أننا جميعا نعلم أن العداء للسنة النبوية قديم، ولقد حاول أعداء الإسلام أن ينفذوا من خلال القرآن فلم يستطيعوا، ولهذا فقد لجأوا إلى قضية التشكيك فى الحديث النبوى الشريف، وعمدوا إلى الطعن فى السنة الشريفة المطهرة والنيل منها، بل وتجرأوا على الطعن فى رسول الله ﷺ من منطلق الحقد والخبث الذى فى نفوسهم على الإسلام وعلى نبينا محمد ﷺ وعلى الحديث النبوى الشريف، وللأسف الشديد أن بعض هؤلاء يزعم زورًا وبهتانًا أنه منتسب إلى الإسلام، وما هو كذلك بل هو ممن يطعن فى الإسلام ويشكك فى الإسلام، لأن السنة النبوية متممة وشارحة ومبينة عن الله عز وجل ولمجمل المعانى التى أوردها فى كتابه الكريم، وهى فى الأصل وحى أوحى إليه ﷺ وقد حفظت على مدار السنين حفظًا موثقًا أذهل أعداء الإسلام وشهدوا له وبه قبل أبنائه، وبقيت السنة محفوظة والحمد لله رغم تشكيكهم وادعاءاتهم الباطلة. ولما يئسوا من ذلك قام المبشرون والمستشرقون أنفسهم بعمل رسائل تطعن فى السنة باسم البحث العلمى وباسم التجديد، وما هى فى حقيقة الأمر إلا الأحقاد الدفينة فى أنفسهم.

الطعن فى الصحابة:

إن تلك الادعاءات والطعونات من الساعاتى ناصر الألبانى قد ظهرت بأشكال مختلفة،

لكنها كلها ترمى عن قوس واحدة، فظهرت بشكل خطب فى محافل، وبشكل مقالات ظهرت فى مجلات وجرائد، وبشكل كتب طبعت ... إلخ.

وظهر الساعاتى ناصر الألبانى تارة فى عدائه الصريح للصحابة الكرام رضى الله عنهم وخاصة المكثرين منهم، كأبى هريرة، وابن عباس، وعائشة وابن عمر، وابن عمرو..

الطعن فى رجال الحديث:

كما ظهر فى عدائه لرجال الحديث ممن لهم وزنهم فى الرواية والدراية كالزهرى.. باسم الحفاظ على الإسلام والغيرة عليه، وتقريبه لغير المسلمين فطعن فى كل حديث لا يوافق هواه.

الطعن فى الصحيحين:

وإذا كانت بعض كتب الساعاتى ناصر الألبانى قد عممت الطعن فى السنة كلها، فإن بعضها الآخر خصص للطعن فى الصحيحين بالذات وذلك لما أشاعه ويشيعه كذبًا وافتراء بأن جمهور العلماء والمحدثين يشيرون إلى الاكتفاء بالصحيحين، ثم يذكر بعض الأحاديث التى لا توافق هواه المنحرف، فيطعن فيها، ويشكك من بعد ذلك فى الصحيحين.

وهذا وإن كان افتراء على الأمة وعلى علماء الحديث بالأخص من ادعائه الاعتماد عليهما فقط، إلا أنه أيضا من أكبر عوامل الهدم والتخريب، إذ كيف يدعى إلى الاكتفاء بهما، ثم يأتى الطعن فيهما، فماذا يبقى بعدهما من كتب الحديث؟، لا شك أن الطعن فى الصحيحين جريمة كبرى، ورزية عظمى، ومعصية خطيرة، وانحراف فى السلوك والتفكير، وكيف لا يكون كذلك وهما أصح الصحيحين؟. فإذا طعن فيهما فالطعن فيما بعدهما أسهل وأمرأ على النفوس الضعيفة.

الصحيحان أصح الصحيح بالنسبة للحديث:

ولما للصحيحين من أهمية كبرى عند علماء المسلمين، ومن ثم عند عامة المسلمين، حيث تلقاهما علماء الأمة بالقبول، وأجمعوا على العمل بهما وأنهما أصح الكتب بعد كتاب الله عز وجل، وأنهما أصح الصحيح بالنسبة للحديث، ولا نعلم كتابا - بعد كتاب

الله تعالى - خدم ما خدم هذان الكتابان من حيث كثرة الشروح والمستخرجات والمختصرات والحواشي والمستدركات والتعليقات حتى زادت على المئات.

شبهات أعداء الحديث والرد عليها:

والحقيقة أن مثل هذه الطعنات والافتراءات أصبحت ولله الحمد غير خافية على أبناء الإسلام، وقيض الله من أهل العلم والخير من يتصدى لها بروح عالية، وهمم صادقة سليمة، وعقيدة صافية.

الشبهة الأولى والرد عليها:

ولكن الهجمات الألبانية بدأت تقذف بشبهات عجيبة في نفوس الناس، مثل قوله بأن القرآن قد حفظ بكتابته فلم يحدث فيه نسيان ولا تغيير، ولم يتعرض لأي تحريف ولكن الحديث يختلف من ناحية أن لغته سهلة المحاكاة، وهناك الكثير من الأحاديث الضعيفة بل والمكذوبة على رسول الله ﷺ.

وهذا الكلام هو كلمة حق أريد بها باطل، لأن الحديث لم يكتب في أول عهد رسول الله ﷺ لأنه كان ﷺ قد نهى في بداية الأمر الصحابة عن أن يكتبوا شيئًا غير القرآن حتى لا يلتبس القرآن أو يختلط بغيره، ولكن بعد أن تم حفظ القرآن وصار معروفًا.. ومكتوبًا.. وموثقًا لا خوف عليه، عندها أذن رسول الله ﷺ للصحابة بكتابة الحديث، فكتبوا ما يسمعون منه ﷺ ودونوا أقواله عليه الصلاة والسلام وأفعاله، وكانوا يحتاطون أشد الحيطة، ويدققون كثيرًا، ويتحرون كثيرًا ولهذا جاء - والحمد لله - في غاية الانضباط والدقة، وميزوا كل شيء، فعرفوا الصحيح وميزوه، والحسن، والضعيف، والغريب، ودققوا في الأسانيد، وليس هناك دون شك علم خدم كعلم الحديث حتى أن طرق ضبطه أذهلت كل من درسوه من غير المسلمين حيث وجدوا فيه علمًا له أسس صحيحة، وطرق دقيقة، وأصول رفيعة.

ولقد جمع الحديث وأحكام الشريعة ودونت عند المسلمين على ثلاثة أطوار:

الطور الأول: الذي جمع فيه الرجال ما في صدورهم من علم.

الطور الثاني: جمع أهل الأمصار كل ما عند علمائهم وكتبوه ودونوه.

الطور الثالث: تم جمع كل ذلك ودونت فى الدواوين الكبرى والمصنفات الجليلة وتم تحقيقها وتدقيقها ومقارنتها واستخلاصها حتى صارت على النحو الذى وصلنا اليوم وهو فى غاية الدقة.

الشبهة الثانية والرد عليها:

وإنى لأكشف القناع لأول مرة بأن زعم الساعاتى ناصر الألبانى أن الأحاديث النبوية لم تدون إلى مائة سنة أو تسعين سنة قد اخطأ، والتاريخ يعارضه، والسبب فى هذا الخطأ أن أول كتاب فى الحديث النبوى كتاب الموطإ لمالك بن أنس وأول كتاب فى السيرة كتاب المغازى لابن إسحاق، وهذان الإمامان الجليلان كانا متعاصرين وتوفى الأول سنة ١٧٩هـ، والثانى سنة ١٥١هـ، فاعتبروا العقود الأولى من القرن الثانى بداية تدوين الأخبار والسير، والأمر ليس كذلك، فإن بواكير التدوين ابتدأت قبل ذلك بكثير، وقد كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز المتوفى سنة ١٠١هـ، عالمًا جليلًا ولى إمارة المدينة ثم استخلف سنة ٩٩هـ وقد عهد إلى القاضى أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم - الذى كان إماما فى الحديث والخبر - أن يبدأ فى تدوين سنن النبى ﷺ وأخباره لأنه خاف على العلم أن يرفع شيئًا فشيئًا، خاف درس العلم وعفاءه، وقد ذكر فى هذا تعليقات البخارى والموطإ لمالك والمسند للدارمى، فقام بذلك أبو بكر بن حزم وكتبت الأحاديث والأخبار والسنن فى القراطيس وأرسلت إلى دار الخلافة بدمشق، ونسخت فى الصحف والكتب وبعث بها إلى البلاد الإسلامية وكبريات المدن يومئذ، فأبو بكر هذا الذى علمتم مكانته من العلم والفضل وكان قاضيًا بالمدينة المنورة هو الذى اختاره عمر بن عبد العزيز لهذا العمل الجليل، لعلمه وفضله ولأن خالته عمرة كانت من كبريات تلاميذ أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وكان ما روته خالته عمرة عن أم المؤمنين عائشة محفوظًا عنده، فأوعز إليه عمر بن عبد العزيز بتدوين مرويات خالته وقد اختصها بالذكر فى كتابه إليه.

ضبط الأحاديث وتدوينها وكتابتها

١ - فى عهد رسول الله ﷺ:

وهكذا يتضح لنا أن مقولة الساعاتى ناصر الألبانى بأن الحديث لم يكتب فى عهد رسول الله هى مقولة باطلة، فبعضه كتب فى عهد الرسول ﷺ ولا أدل على ذلك من:

١ - الحديث الذى يروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ؛ من أنه كان يكتب كل ما يسمع من النبى ﷺ كما جاء فى صحيح البخارى فى باب كتاب العلم ، وفى سنن أبى داود ومسند الإمام أحمد : أن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : كنت أكتب كل شىء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه ... فنهتنى قريش عن ذلك .. وقالوا : تكتب لرسول الله ﷺ يقول فى الغضب والرضا .. فأمسكت حتى ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال « اكتب ... والذى نفسى بيده ما خرج منه إلا الحق ، وأشار بأصبعه إلى فمه حين قال ذلك »[1] ﷺ ، ولهذا سمى عبد الله بن عمرو ابن العاص صحيفته هذه بالصادقة .. وكان يقول لقد حبب الحياة إلى أمران .. أحدهما : هذه الصادقة ، فقد كنت لا أكتب فيها إلا ما سمعت أذناى ، ويقول مجاهد : رأيت عند عبد الله ابن عمرو بن العاص كتابًا فسألته : ما هذا ؟ فقال : هذه الصادقة .. فيها ما سمعته من رسول الله ﷺ ليس فى ذلك بينى وبين رسول الله ﷺ أحد .

٢ - فى صحيح البخارى أن النبى ﷺ أمر بعد هجرته إلى المدينة أن يحصى له كم عدد الذين يلفظون بالإسلام ، فأحصوا فكان عددهم خمسمائة وألفا ، وأمر ﷺ فكتبت أحكام الزكاة وما تجب فيه ، ومقادير ذلك ، فكتبت مشروحة مفصلة فى صفحتين ، وبعث بصورة ذلك إلى أمراء البلاد وولاتها ، وبقيت محفوظة فى بيت أبى بكر الصديق وأبى بكر بن عمرو بن حزم ، وكان عند عمال الزكاة رسائل فيها أحكام الزكاة .

٣ - كان عند سيدنا على عليه السلام صحيفة فى قراب سيفه كتبت فيها أحاديث تتعلق بالأحكام ورآها الناس لما سألوه عن ذلك (صحيح البخارى ج ٢، ١٠٨٤، ١٠٢٠) .

٤ - فى هدنة الحديبية التى كانت بين المسلمين ومشركى قريش أمر رسول الله ﷺ سيدنا عليا فكتب كتاب الهدنة فى نسختين أعطى المشركين نسخة منها وبقيت النسخة الأخرى عند النبى ﷺ (ابن سعد فى المغازى ص ٧١) .

٥ - لما ولى رسول الله ﷺ عمرو بن حزم اليمن وبعثه إليها أعطاه أحكامًا مكتوبة فى الفرائض والصدقات والديات (كنز العمال ج ٣ ص ١٨٦) .

---

(١) رواه أبو داود فى كتاب العلم الباب الثالث والدارمى فى كتاب المقدمة الباب ٤٣ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ١٦٢، ١٩٢.

٦ - تلقى عبد الله بن حكيم كتابًا من رسول الله ﷺ فيه أحكام الحيوانات الميتة (المعجم الصغير للطبرانى ص ٢١٧).

٧ - ولما أراد وائل بن حجر أن يرجع إلى بلاده حضر موت ناوله رسول الله ﷺ كتابًا فيه أحكام الصلاة والصوم والربا والخمر وغير ذلك (الطبرانى فى الصغير ص ٢٤٢).

٨ - لما وجه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب السؤال إلى أصحاب رسول الله ﷺ إن كان عند أحد منهم سنة عن النبى ﷺ فى نصيب المرأة من دية زوجها فقام الضحاك بن سفيان فقال: نعم عندنا كتاب من رسول الله ﷺ يبين فيه ذلك (الدارقطنى ج ٢ ص ٤٨٥).

٩ - وكتب عمر بن عبد العزيز فى خلافته إلى المدينة يسأل عن كتاب رسول الله ﷺ فى أحكام الصدقات فوجدت نسخة عند آل عمرو بن حزم (الدارقطنى ص ٤٥١).

٢ - فى عهد الصحابة:

وهناك الكثير من الروايات التى توضح لنا أن الحديث قد كتب ودون دون شك:

١ - قصة مروان يوم خطب فى الناس فى مكة فذكر حرمتها فقام إليه رافع بن خديج وقال أمام الناس: والمدينة حرم حرمها رسول الله وهو مكتوب عندنا فى أديم خولانى، وإن شئت قرأته عليك، فقال مروان: أجل قد بلغنا ذلك (مسند الإمام أحمد بن حنبل).

٢ - وجمع همام بن منبه روايات أبى هريرة وهو أكثر الصحابة رواية وأوعاهم حفظًا لأحاديث الرسول ﷺ فصارت تعرف صحيفته بين المحدثين بصحيفة همام، وقد أوردها الإمام أحمد بن حنبل فى الجزء الثانى من مسنده (ص ٣١٢، ٣١٨ الطبعة الأولى).

٣ - وكذلك بشير بن نهيك وكتب مروياته عن أبى هريرة فى كتاب وقرأه عليه (كتاب العلل للترمذى ص ٦٩١، والدارمى ص ٦٨) وذكر ابن حجر فى كتاب فتح البارى أن أبا هريرة جاء برجل إلى بيته وأراه أوراقًا وقال: هذه رواياتى، وقال الذى روى ذلك أنها لم تكن مكتوبة بيده (فتح البارى ج ١ ص ١٨٤، ١٨٥).

٤ - وكان أنس بن مالك وهو معروف بكثرة الرواية يقول لأولاده: يابنى اكتبوا العلم وقيدوه بالكتابة (الدارمى ص ٦٨) وكان تلميذه إبان يكتب رواياته بين يديه

(الدارمى ص ٦٨).

٥ - وروى عن سلمى قالت: رأيت عبد الله بن عباس يستملى أبا رافع خادم رسول الله ﷺ ما كان ﷺ يفعل أو يقول (طبقات بن سعد ٢/٢ ص ١٢٣).

٦ - والواقدى وهو من متقدمى المصنفين فى السيرة النبوية يقول: رأيت عند عبد الله بن عباس الكتاب الذى أرسله رسول الله ﷺ إلى المنذر بن ساوى سيد عمان مع كتب أخرى (زاد المعاد ج ٢ ص ٥٧٠).

٧ - وفى تاريخ الطبرى أن عروة بن الزبير كتب جميع ما كان فى غزوة بدر مفصلًا إلى عبد الملك الخليفة الأموى (الطبرى ص ١٢٨٥).

٨ - وكان عبد الله بن مسعود وهو الذى كان يكثر الدخول على رسول الله ﷺ ليلًا ونهارًا حتى خيل إلى الناس أنه من أهل البيت يشكو الناس أنهم يكتبون منه عن رسول الله ﷺ لأنه كان لا يستحل أن يكتب غير القرآن حرصًا منه على القرآن أن يلتبس به غيره (الدارمى ص ٦٧).

٣ - فى عهد التابعين:

١ - يقول سعيد بن جبير التابعى: كنت أكتب على الإقتاب ما أسمعه فى الليل من عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، فإذا أصبحت كتبته واضحا (الدارمى ص ٦٩).

٢ - وكان أصحاب البراء بن عازب يكتبون عنده رواياته (الدارمى ص ٦٩).

٣ - وعبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود أخرج كتابًا وقال: وأيم الله هذا ما كتبته يد ابن مسعود (جامع بيان العلم لابن عبد البر ص ١٧).

٤ - وقال سعيد بن جبير: كنا نختلف فى بعض الأمور فنكتب ذلك ثم نأتى عبد الله بن عمر فنعرضه عليه ونخفى عنه ما كتبنا ولو علم به لكانت الفيصل بيننا وبينه، أى أنه لا يأذن لهم بحضور مجلسه (جامع بيان العلم ص ٣٣).

٥ - ويقول الأسود التابعى: وقعت أنا وعلقمة على صحيفة جئنا بها إلى ابن عمر فمحاها (جامع بيان العلم ص ٣٣).

٦ - وابن زيد بن ثابت (وهو من كتبة الوحى) كان لا يرى كتابة شىء إلا القرآن، فاحتال مروان على أن أجلسه بين يديه وأجلس كاتبًا من وراء الستر يكتب ما يقول، وفعل مثل

ذلك معاوية بن أبى سفيان، فاستملاه حديثًا ولكن زيد بن ثابت فطن لذلك فألح بمحوه حتى محى (مسند أحمد ج ٥ ص ١٨٢).

مبلغ علم الألبانى:

الساعاتى ناصر الألبانى حوت كتبه تناقضات وأخطاء، ويتعدى على الصحيحين، وهو جاهل باللغة العربية، ولا يعرف علم الجرح والتعديل ولم يسلم من لسانه كبار المحدثين. والمفتونون به لا معرفة لهم بعلم الحديث، وبالتالى فلا يشهد الحداد على العطار ولا يشهد العطار على النجار، وهو عميل للوهابية والصهيونية.

وإليك أدلة الإثبات على أن الألبانى، لو كان عنده شيء من العلم لما استجاز أن يرد أحاديث الرسول ﷺ بتأويل فاسد:

محمد ناصر الدين الألبانى شديد الولوع بتخطئة الحذاق من كبار علماء الإسلام، ولا يحابى فى ذلك أحدًا كائنًا من كان، فتراه يوهّم البخارى ومسلمًا، ومن دونهما، ويغلط ابن عبد البر وابن حزم وابن تيمية والذهبى وابن القيم وابن حجر والصنعانى والشوكانى، ويكثر من ذلك حتى يظن الجهلة والسذج من العلماء، أن الألبانى نبغ فى هذا العصر نبوغًا يندر مثله.

وهذا الذى ينم عنه ما يتبجح به الألبانى فى كثير من المواطن، ويلفت إليه أنظار قارئيه، فتارة يقول: اغتنم هذا التحقيق فإنك لا تجده فى غير هذا الموضع (يعنى عند غيره من المصنفين)، وتارة يدعى أنه خصه الله تعالى فى هذا العصر بالوقوف على زيادات الحديث الواردة فى مختلف طرقه، المنتشرة فى الكتب المبعثرة، وبذلك وصل إلى ما لم يصل إليه غيره من المحققين السابقين ولا اللاحقين.

ولكن من كان يعرف الألبانى، ومن له إلمام بتاريخه، يعرف أنه لم يتلق العلم من أفواه العلماء، وما جثا بين أيديهم للاستفادة، وإنما العلم بالتعلم، فماله وللعلم، ولم يتعلم، وقد بلغنى أن مبلغ علمه وجل مهارته فى تصليح الساعات، ويعترف بذلك هو ويتبجح به. ولازم ذلك أنه والله لا يعرف ما يعرفه آحاد الطلبة الذين يشتغلون بدراسة الحديث فى عامة مدارسنا ومن أمثلة ذلك:

(١) أنه يقرأ «تصدق بأتوار من الأقط» ويفسره هكذا (أتوار جمع تور بالمثناة الفوقية: إناء

من صفر، (الصحيحة ٢/ ١٦١).

وآحاد الطلبة يعرفون أن الصواب «بأثوار من الأقط» والأثوار جمع الثور، وهو قطعة من الأقط، كما فى النهاية (١/ ١٦٣).

(٢) ومنها زعمه أن المباركفورى صاحب التحفة حنفى، كما فى فهرس «المسح على الجوربين».

والواقع أن المباركفورى من مشاهير الشاذة المعاندين للأئمة الأربعة، وإن كان الألبانى فى شك من هذا فليسأل تلميذه: الشيخ تقى الدين المراكشي الهلالى. راجع كتاب (الألبانى وشذوذه وأخطاؤه الجزء الأول للشيخ حبيب الرحمن الأعظمى).

تناقضات وأخطاء ناصر الألبانى:

لقد ناقض: الرجل نفسه ولم يصدق فقد ضعف أحاديث فى البخارى وكذا فى مسلم ولا بد من التمثيل عليها لإثبات البرهان والدليل على ما نقول:

١ - **حديث**: «قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بى ثم غدر، ورجل باع حرا فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه أجره»[(١)].
قال الألبانى فى «ضعيف الجامع وزيادته» (٤/ ١١ برقم ٤٥٠٤):
رواه أحمد والبخارى عن أبى هريرة «ضعيف»!!.

٢ - **حديث**: «إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته، وتفضي إليه ثم ينشر سرها»[(٢)].
قال الألبانى فى «ضعيف الجامع وزيادته» (٢/ ١٩٧ برقم ٢٠٠٥):
رواه مسلم عن أبى سعيد «ضعيف»!!!.

٣ - **حديث**: «إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين»[(٣)].
قال الألبانى فى «ضعيف الجامع وزيادته» (١/ ٢١٣ برقم ٧١٨):

---

(١) رواه البخارى فى كتاب البيوع الباب ١٠٦ وكتاب الإجارة الباب العاشر وابن ماجة فى كتاب الرهون الباب الرابع وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ٣٥٨.

(٢) رواه مسلم فى كتاب الطلاق الحديث ١٣، ١٤ وأبو داود فى كتاب الأدب الباب ٣٢ وأحمد فى الجزء الثالث صفحة ٦٩.

(٣) رواه مسلم فى كتاب المسافرين الحديث ١٩٧، ٢٠٠ وأحمد فى الجزء السادس صفحة ٣٠.

رواه الإمام أحمد ومسلم عن أبى هريرة « ضعيف » !!! .

٤ - حديث : « من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال »[١] .

قال الألبانى فى « ضعيف الجامع وزيادته » (٢٣٣/٥ برقم ٥٧٧٢) :

رواه أحمد ومسلم والنسائى عن أبى الدرداء « ضعيف » !! .

تعدى الألبانى على الصحيحين :

والصحيحان هما أصح الكتب بعد كتاب الله باتفاق علماء المسلمين من المحدثين وغيرهم فقد امتازا على غيرهما من كتب السنة بتفردهما بجمع أصح الأحاديث الصحيحة ، وطرح الأحاديث الضعيفة والمتون المنكرة ، على قواعد متينة ، وشروط دقيقة ، وقد وفقوا فى ذلك توفيقًا بالغًا لم يوفق إليه من بعدهم ممن نحا نحوهم فى جمع الصحيح ، كابن خزيمة ، وابن حبان ، والحاكم ، وغيرهم حتى صار عرفًا عامًا أن الحديث إذا أخرجه الشيخان أو أحدهما فقد جاوز القنطرة ودخل فى طريق الصحة والسلامة ، ولا ريب فى ذلك ، وأنه هو الأصل عندنا .

والألبانى يثبت فى كتبه تعديه على الصحيح وحكمه بالنكارة أو الشذوذ على بعض الألفاظ ، وقد أبلغ فى الرد على نفسه . لكنه استدرك أو تناقض فقال : « وليس معنى ذلك أن كل حرف أو لفظة أو كلمة فى الصحيحين هو بمنزلة ما فى القرآن لا يمكن أن يكون فيه وهم أو خطأ فى شيء من ذلك من بعض الرواة . كلا فلسنا نعتقد العصمة لكتاب غير كتاب الله تعالى أصلا ، فقد قال الإمام الشافعى وغيره : أبى الله أن يتم إلا كتابه . ولا يمكن أن يدعى ذلك أحد من أهل العلم ممن درسوا الكتابين دراسة تفهم وتدبر مع نبذ التعصب ، وفى حدود الة اعد العلمية الحديثية » .

آ . (راجع كتاب تناقضات الألبانى الواضحات للشيخ حسن بن على السقاف) .

كلام الألبانى احتوى على مخالفتين :

الأولى : من المعروف عند المحدثين وغيرهم أن أحاديث الصحيحين تلقتها الأمة بالقبول ، ولذلك كانت صحيحة ، لأن الأمة معصومة من الخطأ . وهذا التلقى بالقبول خاص بما لم

---

(١) رواه مسلم فى كتاب المسافرين الحديث ٢٥٧ وأبو داود فى كتاب الملاحم الباب ١٤ والترمذى فى كتاب ثواب القرآن الباب السادس وأحمد فى الجزء الخامس صفحة ١٣، ١٩٦، والجزء السادس صفحة ٤٤٦، ٤٤٩ .

ينتقده الحفاظ، وأن هذا الانتقاد لا يخرج هذه الأحاديث المنتقدة عن الصحة غالبًا. هذا ما قرره الأئمة الحفاظ وغيرهم من الفقهاء والأصوليين. لكن الألبانى فى كلامه خطورة كبيرة حيث إنه أطلق الأمر، وجعل لأى مدع الحق فى الحكم على أحاديث الصحيحين بما يراه فى حدود «القواعد العلمية الحديثية». وهنا تناقض آخر منه لأن القواعد العلمية الحديثية تقرر عكس ما يقوله تمامًا فهى مشرقة وهو مغرب وشتان بين مشرق ومغرب. فالقواعد العلمية الحديثية تقرر أن أحاديث الصحيحين صحيحة جدا ولا يجوز النظر فى أسانيدها سوى أحرف يسيرة معروفة تكلم عليها بعض الحفاظ كالدارقطنى، فلا بد أن يقيد الألبانى كلامه بهذا القيد الهام جدًا الذى إن تعداه - وقد حصل - يكون قد خالف الإجماع وحكم على الأمة بأنها غير معصومة وقد اجتمعت على خطأ، والله الهادى للصواب.

الثانية: قول الألبانى: «فلسنا نعتقد العصمة لكتاب بعد كتاب الله أصلا».

هذه والله سقطة شنيعة، فمن المعلوم أن القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق، وكلام الله صفة من صفاته، فكيف يعتقد من يدعى السلفية العصمة لصفة من صفات الله تعالى عما يقولون علوًا كبيرًا، وهذا كلام لا يقوله إلا معتزلى يؤمن بخلق القرآن ونظيره قوله: «والعصمة لله وحده» انظر صحيحته (٤/ ٤٢٩)، ومقدمة الطحاوية (ص ٢٧)، ومقدمة رياض الصالحين صفحة (س) فأثبت عصمة وهى تقتضى عاصمًا ومعصومًا ومعصومًا منه. وبقوله: «وحده» يكون قد نفى العصمة عن الأنبياء والمرسلين، بالإضافة إلى إثباته صفة لله عز وجل بدون توقيف وصفات الله توقيفية. وهى لفظة فى نهاية السقوط والبطلان، ولو صدرت من مخالف له وتنبه لها لا تهمه بطامات ولعده من أهل البدع والأهواء، ولكننى لا أحكم على عباد الله عز وجل بهذه الفظائع. والمقصود أنه غفل غفلة شديدة، وهو لا يعذر هنا بجهله، والله أعلم.

جهل الألبانى باللغة العربية:

١ - ومن هذا القبيل قوله فى الصحيحة: (سنة الجمعة والمغرب القبليتين) ولو أنه تحرى الصواب لقال: (سنة الجمعة وسنة المغرب القبليتان).

٢ - قال فى «صحيحته» (٤/ ٨٨): «وجوب الأخذ بيد الظالم» أهـ.

وهذا لحن وخطأ، والصواب أن يقول: «وجوب الأخذ على يد الظالم» لأن الأخذ بيد الظالم لغة هو مساعدته فى ظلمه، وقد اغتر الشيخ بورود هذه الكلمة فى بعض طرق

الحديث الذى غلط فيه أحد رواته ! .

٣ - قال فى « صحيحته » (٢/ ٢٥٤) فى حديث : « ثلاثة لا يقبل منهم صلاة : ورجل صلى على جنازة ولم تويز » وعلق فى الحاشية على لفظة « تويز » فقال : « كذا الأصل المصور ، ولم يتبين لى الصواب » أ هـ .

قلت : « تويز » لا معنى لها فى اللغة العربية ولا دخل لها فى هذا الحديث ، والصواب والأصل هو « يؤمر » فتكون الجملة « ورجل صلى على جنازة ولم يؤمر » فلم يستطع قراءتها ، مع أنها مرت عليه فى الترغيب والترهيب (ص ١٩٥ رقم الحديث ٤٨٤ صحيح الترغيب !) ولكنه كثير الغفلة ! .

٤ - يقول فى « سلسلته الضعيفة » (٣٣٣/٢) ما نصه : « إن حماد له أوهامًا » . أ هـ .
فعكس عمل « إن » فجعله عمل « كان » وأخواتها وهذا قلب صريح لمقاييس اللغة !!
والصواب أن يقول : « إن حمادًا له أوهام » . وما « تويز » منه ببعيد !! .

٥ - ويقول فى « صحيحته » !! (٤/ ٣١٥) فى حديث رقم (١٧٣٦) : « على كل زوجة سبعون حُلَّةٍ يبدو مخ ساقها » أ هـ .
هكذا بخفض آخر حرف من كلمة « حلة » لأنه فاقد للتمييز !! .
فالتمييز عنده بالكسر خلافًا للعرب !!! .
وهكذا تعاكس شذوذاته أهل الفن فى جميع المجالات !! ولله فى خلقه شؤون !! .

٦ - ويقول فى سلسلته الصحيحة » (١/ ٤٧) ما نصه : « لكنهما غير متهمان » أ هـ .
قلت : لو تحرى الصواب لعرف أن الصحيح أن يقول : « لكنهما غير متهمين » .
وهذا مما يدلك على أن هذه أغلاط طبعية لا أخطاء مطبعية !! ولدينا مزيد من ذلك ندخره لوقت الحاجة والله المستعان !! .

ناصر الألبانى لا يعرف علم الجرح ولا التعديل :

لقد تخبط الألبانى فى توثيق الرواة وتجريحهم ، وكلامه فى الرجال أخطاؤه أيضًا عديدة ، فتراه يعتمد فى ترجمة الراوى على كتاب أو اثنين ، فيظهر عند ذلك قصوره ، أضف إلى ذلك تعنته وعدم اتباعه للمقرر عند أهل الحديث كثيرًا وهناك بعض الأمثلة التى توضح ذلك :

١ - عبيد الله بن أبى بردة .

قال الألبانى (١/ ٨٧) : لم يوثقه أحد حتى ولا ابن حبان ، فلا تغتر بقول المنذرى : ورجاله ثقات . اهـ .

قلت قال الحافظ فى التهذيب (٧/ ٤٩) : أخرجه الضياء فى المختارة ومقتضاه أن يكون عبيد الله عنده ثقة . اهـ .

فالرجل ثقة ، والحافظ المنذرى أصاب فى قوله : (رجاله ثقات) ، والله أعلم .

٢ - جرى بن كليب النهدى الكوفى .

قال الألبانى (١/ ٩٧) : لم يرو عنه غير أبى إسحاق السبيعى . أهـ .

قلت : بل روى عنه غيره : قال الحافظ فى التهذيب (٢/ ٧٨) : روى عنه أيضًا يونس بن أبي إسحاق ، وعاصم بن أبى النجود وحديثهما عنه فى مسند أحمد . اهـ والذى أوقع الألبانى فيما تراه هو اعتماده على كتاب واحد هو الميزان فانظره (١/ ٣٩٧) .

٣ - عمرو بن علقمة بن وقاص الليثى .

قال الألبانى (١/ ٢١٤) : عمرو هذا فى عداد المجهولين وإن صحح له الترمذى . أهـ .

قلت : هذا تطاول غير مقبول على أحد أئمة الحديث الذى قال له البخارى : استفدنا منك أكثر مما استفدت منا .

ناصر الألبانى لم يسلم من لسانه كبار المحدثين :

١ - الحافظ السيوطى :

اعلم أخى القارىء أن الألبانى يتطاول على الإمام الحافظ السيوطى رحمه الله تعالى ويصفه بأنه يجعجع ، فيقول عنه فى «ضعيفته» (٤/ ١٨٩) : «وجعجع حوله السيوطى فى اللآلى دون طائل» أهـ .

* وقال فى ضعيفته» (٣/ ٤٧٩) بدون أدب !! : .

«فياعجبًا للسيوطى كيف لم يخجل من تسويد كتابه «الجامع الصغير» بهذا

الحديث ...» اهـ ؟! .

* وقال هذا المؤدب !! أيضًا فى « ضعيفته » (٣/ ١٨٧) : « ومع هذا فقد تجرأ السيوطى أو غفل فسود بهذا الحديث الجامع الصغير ...» أهـ .

وهل سلم الألبانى من التجرؤ ؟!! .

* وقال فى « ضعيفته » (٣/ ٣٦٠) : « والحديث مما سود به السيوطى جامعه الصغير » أهـ .

٢ - الحافظ الذهبى :

* قال الألبانى فى كتابه الفذ !! « غاية المرام » ص (٣٥) منتقصًا الحافظ الذهبى ما نصه :

« فلم وافق الحاكم على تصحيح إسناده ؟! وكم له من مثل هذه الموافقات الصادرة عن قلة نظر وتحقيق » .. أهـ !! .

فالذهبى فى نظر فضيلته !! قليل نظر وتحقيق !! .

* ويقول أيضًا فى « ضعيفته » (٤/ ٤٤٢) عن الحافظ الذهبى واصفًا إياه بالتناقض !! عائبًا !! ما نصه :

« فتأمل مبلغ تناقض الذهبى ! لتحرص على العلم الصحيح وتنجو من تقليد الرجال » أهـ !! .

فالذهبى متناقض بنظر فضيلته !! وفاقد للعلم الصحيح !! وإنما صاحب العلم الصحيح هو الألبانى الذى استأثره الله به !! لتروج تجارته فى الكتب المتناقضة !! فالله المستعان !! .

فليس له أو لأى متشيع له مفتون به ! يتعصب له أو من يُنصِّب نفسه دريئة له ممن ينصت لوحيه المشئوم أن يحتج بما يقع للحافظ الذهبى أو غيره ، وليس له أن يُحرِّم على غيره ما يستبيحه لنفسه .

وإذا كان يتعذر ويسوغ لنفسه التناقض فلم يعيبه على غيره ؟! .

قال الألبانى فى « ضعيفته » (٣/ ٤٠٢) ما نصه :

« فلا يفيد بعد الاطلاع على هذا أن ابن خزيمة أخرجه ، لا سيما وهو معروف عند أهل

المعرفة بهذا الفن أنه متساهل فى التصحيح ، على نحو تساهل تلميذه ابن حبان الذى عرف عنه الإكثار من توثيق المجهولين » أهـ ... فتأملوا !! .

٣ - الحافظ الحاكم :

قال الألبانى فى « ضعيفته » (٣/ ٤٥٨) معترضًا !! بزعمه !! على الحافظ الحاكم صاحب « المستدرك » مستخفًا به ما نصه :

« ولذلك فقد أخطأ الحاكم خطأ فاحشًا » أهـ .

وأقول له : وأغلاطك أليست فاحشة ؟! .

٤ - الحافظ ابن الجوزى :

قال فى « صحيحته » (١/ ١٩٣) : « ولذلك فقد أساء ابن الجوزى بإيراده لحديثه فى « الموضوعات » ! على أنه تناقض ، فقد أورده أيضًا فى « الواهيات » يعنى الأحاديث الواهية غير الموضوعة » أهـ !! .

٥ - الحافظ ابن حجر :

من العجيب الغريب حقًا أن يتطاول الألبانى على حفاظ الأمة والعمد من الأئمة !! فيرميهم بالتناقض والإساءة والذهول والغفلة ثم متى وقع فى المصيدة واشتد الخناق عليه استغاث وتحجج بأخطاء وقعت لهؤلاء الحفاظ بعد أن كان قد هوَّلها وطوَّلها وعرَّضها وتبجح بها عليهم !! وإذا به الآن يدلس ويصحف فيقلب لام التهويل نونًا يهون من أمرها ويستتر بها وكان قبل ذلك قد عابها ونقص أصحابها !! .

مع أنها لا تعدو عشر معشار معشار معشار ما هو غارق فيه من التناقض والغلط والتلاعب !! فهل يدافع أو يصلح الخطأ بالخطأ ؟! أم لا بد له أن يعترف الآن بأنه صاحب غلط وخطأ وتناقض وأنه دون أولئك الجهابذة بكرات ومرات ؟!! بل لا يساوى شيئا !! .

٦ - الحافظ السبكى :

ولم يتأدب الألبانى مع الحافظ السبكى رحمه الله تعالى مع كونه صرح بضعف الحديث

كما حكم عليه الألبانى ! ولم يعتبر بتأدب العلماء بعضهم مع بعض وذلك لعصبية مقيتة ربطت على قلبه تجاه الإمام الحافظ السبكى رحمه الله تعالى ! ولم يتأس بقول الحافظ ابن حجر رحمه الله فى إنكاره على ابن طاهر حينما تعدى على إمام الحرمين بعبارة قاسية فقال الحافظ ابن حجر منكرًا عليه كما فى « التلخيص » (٤/ ١٨٣) .

ناصر الألبانى عميل للوهابية والصهيونية :

أ – عمالته للوهابية :

إعلم أن الألبانى يصحح أحاديث موضوعة وضعيفة فيها ذكر فضائل لمعاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص شغبًا وتأييدًا للنواصب وهو مخطىء وخاطىء فى ذلك لأن هذه الأحاديث لا يمكن أن تصح حسب موازين علم الحديث زيادة على تصريح الحذاق من أهل هذا الشأن من كبار المحدثين بعدم صحتها .

١ – يقول الألبانى فى حق معاوية أن رسول الله ﷺ قال : « اللهم اجعله هاديًا مهديًا واهد به » وهذا حديث لا يصح بحال من الأحوال .

٢ – ومن تلك الأحاديث التى صححها الألبانى مما يتعلق بنصره مذهب التعصب أحاديث أوردها فى صحيحته (١/ ٢٣٨ رقم ١٥٥) قول عن رسول الله ﷺ (أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص) وهذا الحديث أورده الألبانى مع ركاكة لفظه وضعف إسناده .

٣ – أورد الألبانى فى « ضعيفته » (٣/ ٢٥٣) حديث سيدنا بريدة : « كان أحب النساء إلى رسول الله ﷺ فاطمة ، ومن الرجال على »[1] وحكم عليه بالبطلان !! فقال : باطل . وقال الترمذى : « هذا حديث حسن » وقال الحاكم : « صحيح الإسناد » . ووافقه الذهبى !! .

ب – عمالته للصهيونية :

أفتى الساعاتى ناصر الألبانى بوجوب هجرة أهل فلسطين المقيمين فى الأراضى المحتلة وترك ديارهم ووطنهم لليهود ! وحجته فى ذلك أن أهل فلسطين يتعرضون للأذى فى دينهم

---

(١) رواه الترمذى فى سننه ٣٨٦٨ وفى مناهل الصفا ٣٤ .

وأعراضهم وأموالهم على يد إسرائيل، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام هاجر من مكة وتركها للكفار.

(مجلة الحرس الوطنى - السعودية - السنة الرابعة عشرة - العدد (١٣٤) ربيع الآخر ١٤١٤هـ - أكتوبر ١٩٩٣م).

ونقول للساعاتى ناصر الألبانى «إن دعوة أهل فلسطين إلى الهجرة من ديارهم هى قرة عين إسرائيل، وإن تشبيه أهل فلسطين بأهل مكة هو تشبيه فى غير مكانه، ولا يجوز لأحد أن يعقد مثل هذا التشبيه إلا إذا كان عميلًا لإسرائيل».

ولوع الألبانى بنقض كلام ابن تيمية:

أنتقى لك أمثلة من رد الساعاتى ناصر الألبانى على ابن تيمية وتزييفه لكلامه يقول الألبانى فى تعليقه على حقيقة الصيام:

(١) قال ابن تيمية: وقال... (فضيقوا مجاريه بالجوع والصوم). قال الألبانى: لا أعلم لها أصلًا فى شىء من كتب السنة المطبوعة أو المخطوطة ...، ومن العجائب أن يخفى ذلك على مثل المؤلف (ابن تيمية) (ص ٥٦).

(٢) قال ابن تيمية: ثبت فى الصحيح أن النبى ﷺ احتجم وهو صائم محرم، قال الألبانى: ليس الحديث بهذا اللفظ فى أحد الصحيحين.

(٣) ذكر ابن تيمية فى الكلم الطيب حديث ابن عمر، أنه خدرت رجله، فقال له رجل: أذكر أحب الناس إليك، فقال: يا محمد، وذكر نحوه عن ابن عباس، فقال الألبانى فى الأول: إنه ضعيف، وفى الثانى: إنه موضوع.

(٤) ويقول فى صحيح الكلم الطيب: أنصح لكل من وقف على هذا الكتاب (الكلم الطيب لابن تيمية) وغيره: ألا يبادر إلى العمل بما فيه من الأحاديث، إلا بعد التأكد من ثبوتها، وقد سهلنا له السبيل إلى ذلك بما علقنا عليه، فما كان ثابتًا منها عمل به... وإلا تركه، (صحيح الكلم الطيب ص ٤).

وليس يعنى الألبانى بذلك إلا أنه يجب على الناس أن يتخذوه إمامًا، ويقلدوه تقليدًا أعمى، ولا يعتمدوا على ابن تيمية ولا على غيره من الثقات الأثبات من المحدثين، فى ثبوت الأحاديث حتى يسألوا الألبانى ويرجعوا إلى تحقيقاته!.

أيها المفتونون بالألبانى:

وأختم هذا الفصل من سلسلة «تناقضات وأخطاء الألبانى الواضحات» وتعديه على الصحيحين، وعلى جهله باللغة العربية، وعدم معرفته لعلم الجرح والتعديل، وكذلك الاتهامات التى يفتريها على كبار المحدثين والذين هم أبرياء منها كما أثبتنا وبرهنا، وعمالته للوهابية والصهيونية، وقد هدمناها على رأسه ما يفتخر بها هذا الألمعى عند من فتن به من سذج الطلاب والمنتفعين الحيارى، يتبين ويظهر ظهورًا جليًا واضحًا أن ما يقوله أولئك المفتونون به - الفاقدون للتمييز - ما هو إلا هباء منثورًا وخصوصًا أنهم ليسوا بمستوى من المعرفة يؤهلهم أن يكشفوا تلك الطامات، وإنما هم مقلدون جامدون أشربت قلوبهم الافتتان الخاطىء بهذا الرجل الذى ما هو إلا ﴿**كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحسَبُه الظَّمآنُ مَاءً حَتى إِذَا جَآءَهُ لَمْ يَجِدهُ شَيئًا ..**﴾[1].

(١) سورة النور آية ٣٩.

الباب التاسع

فكر الخوارج وعلاج التطرف والإرهاب

مافيا التطرف والإرهاب الذى روع الإنسانية قديما وحديثا هو نتاج فكر خوارج المسيحية، ومافيا التطرف والإرهاب الذى انتهك حرمات الأمة الإسلامية فى الماضى والحاضر هو نتاج فكر خوارج الإسلام.

فكر خوارج المسيحية:

كانت الشعوب الأوروبية تخضع لهيمنة الكنيسة المسيحية باعتبارها القيادة الدينية لتلك الشعوب، ولكن تحجر الكنيسة وممارستها للإرهاب الفكرى فى العصور الوسطى كان من أسباب ثورة الناس على الكنيسة، وتمردهم على سلطانها الروحى، وانبثاق ما يسمى بعصر النهضة الأوروبية وفق المنهج المادى المناوىء للدين.

فقد تجمدت عقلية المسيطرين على الكنسية آنذاك على أفكار ونظريات اعتبروها دينا، وفرضوها على الناس بالقوة، وصادروا حرية التفكير والبحث العلمى، فأى كاهن أو راهب يتجرأ على مناقشة المسلمات الفكرية للكنيسة، أو يدعو إلى تطويرها؛ كان يحكم بكفره وزندقته، أو يطرد من رحاب الكنيسة، لا بل يعاقب بالموت شنقا أو حرقا!!.

فالتسامح ممنوع فى شئون المعتقدات، ولغة التكفير والإعدام هى لغة التعامل مع المخالفين وقد سن الملك الفرنسى (شارلمان) قانونا يقضى بإعدام كل من يرفض أن يتنصر.

وأصبحت حرية الفكر جريمة يعاقب عليها بمنتهى القسوة، حتى تأسست محاكم التفتيش سنة ١١٨٣م والتى تولى شؤونها رجال الدين للدفاع عن المعتقدات، وكانت التهمة أو الوشاية كافية لإحراق المتهم بعد التنكيل به. (راجع كتاب التعدية للشيخ حسن نصار).

أمثلة من أعمال خوارج المسيحية:

١ - فقد ظهر فى مقاطعة بريثانيا بفرنسا أواخر القرن الثانى عشر مفكران مصلحان أولهما

يدعى (أمورى البيناوى) وثانيهما (داوود الدينانتى) تلميذه ورفيقه وكانا يهاجمان جمود الكنيسة وتحجرها وديكتاتوريتها، فشكلت الكنيسة لهما ولأتباعهما محكمة عاجلة حكمت عليهما وعلى أتباعهما بالحرق بالنار، وأحرق بالفعل عدد من الأتباع أما المفكران فقد هربا حتى ماتا مختفيين فأمرت الكنيسة بنبش قبريهما وإحراق رفاتهما !! .

٢ - والراهب الفيلسوف الإيطالى (جورد انوبرونو) وهو من أبناء الكنيسة ورجالها، ولكنه كان ينادى بضرورة العلم وضرورة التجربة فيه وبحرية التفكير وإبداء الرأى، فاتهم بالمروق وأحرق فى مدينة روما.

٣ - كما حكموا بكفر الراهب البوهيمى الدكتور (جون هيس) وأحرقوه بالنار لأنه يخطب باللغة البوهيمية التى يفهمها الناس لا اللاتينية ويخالف تحجر الكنيسة سنة ١٤١٥م.

٤ - والراهب الهولندى (هرمان فان ريزويك) أحرق بتهمة المروق عام ١٥١٢ فى مدينة لاهاى عاصمة هولندا لإعجابه واتباعه لمذهب أرسطو وفلسفة الفيلسوف العربى ابن رشد.

٥ - لقد حرق رجال الكنيسة الكتاب المقدس، وأدخلوا فى الدين المسيحى آراءهم البشرية، ثم فرضوا على عقول الناس أن تتوقف عند حدود هذه الآراء والنظريات، وعارضوا تجارب العلم، وتطوير الفكر، بل بالغوا فى القسوة ضد المخالفين لهم.

٦ - ويقدر أن من عاقبته محاكم التفتيش يبلغ عددهم ثلاثمائة ألف أحرق منهم اثنان وثلاثون ألفا أحياء!! كان منهم العالم الطبيعى المعروف (برونو) نقمت منه الكنيسة آراء من أشدها قوله بتعدد العوالم، وحكمت عليه بالقتل، واقترحت بألا تراق قطرة من دمه، وكان ذلك يعنى أن يحرق حيا، وكذلك كان.

٧ - وهكذا عوقب العالم الطبيعى الشهير (غاليلو) بالقتل لأنه كان يعتقد بدوران الأرض حول الشمس.

فكر خوارج الإسلام:

وبينما كانت الشعوب الأوروبية تعيش هذا الوضع المأسوى فى ظل القمع والإرهاب كان الإسلام يبنى حضارته المجيدة على أساس الحرية والتسامح والعلم، فالإسلام لا يلغى دور العقل بل يجعله المصدر والمرجع فى الحياة فعن رسول الله ﷺ «قوام المرء عقله ولا دين لمن

لا عقل له »[1] وما دام الإسلام يشجع العقل على ممارسة دوره القيادى فى حياة الإنسان فلا بد وأن يزيل العقبات والحواجز من طريقه.

وأكبر حاجز وعقبة تشل فاعلية عقل الإنسان، وتعطل قدراته الذهنية، هو الإرهاب الفكرى ومصادرة حرية الرأى وحينئذ تتضاءل إنسانية الإنسان، وتتلاشى كفاءاته.

جاء الإسلام مبشرا بالحرية، داعيًا إلى التسامح، مؤكدا على كرامة الإنسان وقيادته للعقل.. يقول الله تعالى مبينا دور النبى محمد ﷺ: ﴿وَيَضَعُ عَنهُم إِصرَهُم وَالأَغلَالَ الَّتِى كَانَت عَلَيهِم﴾[2].

حرية العقيدة فى الإسلام:

ولو أراد الله تعالى قسر الإنسان على الإيمان فى هذه الحياة لخلقه على هيئة الملائكة ولسلب منه حرية الإرادة والاختيار، ولكنه شاءت حكمته أن يكون الإنسان حرا مختارا، يستخدم عقله، ويمارس إرادته وينتخب طريقه..

والأنبياء يقتصر دورهم على التذكير والتوجيه، وليست لهم صلاحية الإكراه والجبر وهذا ما تؤكد عليه آيات عديدة فى القرآن الحكيم يقول الله تعالى:

﴿فَذَكِّر إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّر لَّستَ عَلَيهِم بِمُصَيطِرٍ﴾[3].

﴿وَمَا أَنتَ عَلَيهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّر بِالقُرآنِ مَن يَخَافُ وَعِيد﴾[4].

﴿وَلَوشَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى الأَرضِ كُلُّهُم جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكره النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤمِنِينَ﴾[5].

﴿لَا إِكرَاهَ فِى الدِّينِ قَد تَبَيَّنَ الرُّشدُ مِنَ الغَىِّ﴾[6].

وقد روى أن سبب نزول هذه الآية ﴿لَا إِكرَاهَ فِى الدِّينِ﴾ هو النهى والتحذير لأحد

---

(١) أورده العلامة ابن حجر فى المطالب العالية (٢٧٤٧).

(٢) سورة الأعراف آية ١٥٧.

(٣) سورة الغاشية آية ٢١ - ٢٢.

(٤) سورة ق آية ٤٥.

(٥) سورة يونس آية ٩٩.

(٦) سورة البقرة آية ٢٥٦.

أصحاب رسول الله ﷺ وهو رجل من الأنصار من بنى سالم بن عوف يقال له الحصين والذى كان له ابنان نصرانيان فأراد أن يجبرهما على اعتناق الإسلام، فأنزل الله تعالى هذه الآية دفاعا عن حرية العقيدة، ومنعا للإرهاب والقمع الفكرى.

حرية الفكر فى الإسلام:

والملفت للنظر أن فهم آيات القرآن وتفسيرها هى وظيفة عقل الإنسان وفكره، حيث لم يفرض الإسلام إلى جانب القرآن تفسيرا منصوصا محددا يلزم به كل مسلم، بل دعا الناس إلى استخدام عقولهم فى تفهم القرآن وتدبر آياته:

يقول تعالى:

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرآنَ أَم عَلَى قُلُوبٍ أَقفَالُهَا﴾(١).

﴿كِتَابٌ أَنزَلنَاهُ إِلَيكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلبَابِ﴾(٢).

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ وَلَو كَانَ مِن عِندِ غَيرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اختِلَافًا كَثِيرًا﴾(٣).

أما إذا أشكل على الإنسان شىء فى فهمه لآية من القرآن الحكيم أو تشابهت عليه معانى الآيات، فعليه أن يرجع إلى الراسخين فى العلم ويسأل أهل الذكر ﴿فَاسأَلُوا أَهلَ الذِّكرِ إِن كُنتُم لَا تَعلَمُونَ﴾(٤).

ونتيجة لهذه الحرية الفكرية التى أرساها الإسلام فى مجتمعه تعددت المدارس العقائدية والمذاهب الفقهية ونبغ علماء الطبيعة والمخترعون والمكتشفون، فإعمال الفكر مطلوب فى الإسلام، ينال صاحبه عليه الثواب، حتى وإن لم يوفق للصواب شرط صحة المنهج فالمجتهد إذا أصاب له أجران، وإذا أخطأ له أجر واحد كما هو مفاد الحديث الشريف.

التسامح فى الإسلام:

فليس فى الإسلام محاكم للتفتيش، ولا يحق أن يمارس دور الوصاية والرقابة على أفكار الناس ونواياهم ومشاعرهم، والانتماء إلى الإسلام والعضوية فى مجتمعه لا تحتاج إلى شهادة

---

(١) سورة محمد آية ٢٤.

(٢) سورة ص آية ٢٩.

(٣) سورة النساء آية ٨٢.

(٤) سورة النحل آية ٤٣.

أو قبول من أحد، وبذلك لا يمتلك أحد حق الحكم بطرد أحد من إطار الإسلام ما دام يعلن قبوله بالإسلام حتى لا تكرر مآسى التفكير والاتهام بالزندقة والمروق الذى كانت تفعله الكنيسة كما سبق.

مافيا التطرف والإرهاب عند خوارج الإسلام:

إن التفكير والاتهام بالزندقة والمروق هو مظهر للإرهاب الفكرى؛ حيث يدعى البعض لنفسه أن الإسلام ينحصر فيما يراه ويفهمه هو، وأن من يخالفه فى ذلك الفهم أو الرأى والمذهب فهو كافر لا مكان له فى أجواء الإسلام ومجتمعه! ولقد حذر رسول الله ﷺ من أن يشهر مسلم على أخيه المسلم سلاح التفكير، ففى الحديث الصحيح: «من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما»[1].

موقف أئمة الإسلام من الخوارج:

ولم يكن مبدأ التسامح مجرد فكرة نظرية أو خلق مثالى، بل كان سياسة ونظاما اجتماعيا طبقه رسول الله ﷺ فى حياته وذلك ملحوظ فى تعامله مع المنافقين، حيث لم يكفرهم ولم يطردهم من مجتمع المسلمين ولم يقاتلهم، وبعد رسول الله ﷺ، ينقل لنا التاريخ صفحات رائعة من حالة التسامح التى كانت سائدة فى حياة المسلمين، ومن أروع الصفحات:

١ - موقف الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام من مخالفيه ومناوئيه، فعلىّ عليه السلام لم يحكم على من اختلف معه فى الفهم أو الموقف بالخروج عن حظيرة الإسلام، ولم يحرمهم من حقوقهم كأعضاء فى المجتمع الإسلامى.

ورغم أن المتمردين على الإمام علىّ من الخوارج، تجرأوا حتى على تكفيره، واتهموه بالشرك، ولكنه عليه السلام رفض أن يبادلهم التهمة، بل اعترف لهم بالإسلام وعاملهم معاملة سائر المسلمين.

٢ - وينقل عن إمام المذهب الحنفى أبو حنيفة أنه قد جلس بالمسجد يوما، فدخل عليه بعض الخوارج شاهرى سيوفهم، فقالوا: يا أبا حنيفة، نسألك عن مسألتين، فإن أجبت نجوت وإلا قتلناك، قال اغمدوا سيوفكم فإن برؤيتها ينشغل قلبى. قالوا: وكيف

(١) رواه البخارى فى كتاب الأدب الباب ٧٣ ومسلم فى كتاب الإيمان الحديث ١١١ ومالك فى الموطإ فى كتاب الكلام الحديث الأول وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ١٨، ٤٤، ٦٠، ٧٧، ١٠٥، ١١٣.

نغمدها ونحن نحتسب الأجر الجزيل بإغمادها فى رقبتك ؟ .

قال : سلوا إذن . قالوا : جنازتان بالباب : إحداهما : رجل شرب الخمر فمات سكرانا ، والأخرى : امرأة حملت من الزنى فماتت فى ولادتها قبل التوبة ، أهما مؤمنان أم كافران ؟ .

فسألهم : من أى فرقة كانا ؟ من اليهود ؟ قالوا : لا ، قال : من النصارى ؟ قالوا : لا ، قال : ممن كانا ؟ قالوا : من المسلمين ، قال : قد أجبتم ! .

قالوا : هما فى الجنة أم فى النار ؟ .

قال : أقول فيهما ما قال الخليل عليه السلام فيمن هو شر منهما ﴿**فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَن عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾[1] وأقول كما قال عيسى عليه السلام : ﴿**إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[2] فنكسوا رؤوسهم وانصرفوا .

إن هذا المرض المقيت يسبب تحجر الفكر ، ويؤدى إلى الإرهاب الفكرى ، وينتج الصراع والنزاع فى المجتمع .

من هنا يربى الإسلام أبناءه على خلق التسامح واحترام الرأى والبحث عن الحق واستماع القول لاتباع أحسنه ، ويحذرهم من التعصب المقيت وادعاء الحق المطلق .

مآسى الإرهاب الفكرى :

فى عصور الإسلام الأولى كان التسامح واحترام الرأى هو الخلق الاجتماعى السائد الذى ينظم حرية الفكر ، ولكن بعد بروز الانحراف السياسى فى حياة المسلمين ، وضعف الالتزام بمبادىء الإسلام وأخلاقه وتعاليمه ؛ ابتلى المسلمون بمآسى الإرهاب الفكرى فى العديد من الفترات والعهود ، والخوارج هم أول من مارس هذا النوع من الإرهاب الفكرى فى تاريخ المسلمين حيث كفروا من يخالفهم فى الرأى أو الموقف السياسى حتى وإن كان على بن أبى طالب أول الناس إسلاما وأسبقهم إيمانا وأقربهم من رسول الله ﷺ .

وحدثت من جراء ذلك آلام ومآسى بتبادل اتهامات التكفير والمروق من الدين ، وباستباحة الدماء وهتك الحرمات لخلاف على فكرة أو حكم فقهى !! ..

---

(١) سورة إبراهيم آية ٣٦ .

(٢) سورة المائدة آية ١١٨ .

مافيا التطرف والإرهاب عند خوارج هذه الأيام:

والآن نحن نعيش القرن الخامس عشر للهجرة، ونلاحظ تطور العلم والتكنولوجيا، والمدى الذى وصلت إليه المجتمعات الصناعية المتقدمة، الآن وقد تنامى مستوى الوعى والإدراك فى أوساط أمتنا الإسلامية الناهضة، هل يمكن القبول بتكرار مآسى الماضى، وعودة أجواء التحجر والتزمت والإرهاب الفكرى؟.

مؤسف جدا أن هناك من لا يزال يعيش بتلك العقلية الضيقة ويريد فرض وصايته وأرائه على الآخرين، وإذا ما خالفه أحد أو ناقشه بادر إلى إصدار فتوى التكفير والمروق عن الدين أو اتهمه بالابتداع والضلال.

يقول الدكتور الشيخ يوسف القرضاوى:

وقد عرفنا فى عصرنا أناسا يجهدون أنفسهم، ويجهدون الناس معهم، ظانين أنهم قادرون على أن يصبوا الناس فى قالب واحد يصنعونه هم لهم، وأن يجتمع الناس على رأيهم وفق عقلهم وتطاولهم على مناهج علماء الأمة، واحتقارهم للفقه الموروث، ودعاواهم العريضة فى أنهم وحدهم على الحق، وما عداهم على خطأ قلت: لا بد أن يكون النص صحيحا مسلما به عند الجميع، ولا بد أن يكون صريح الدلالة على المعنى المراد، ولا بد أن يسلم من معارض مثله، أو أن وجود فئات تحمل هذا التوجه المتشدد، وترفض حرية الفكر وخلق التسامح، ليهدد الحركة العملية والفكرية بالشلل والتحجر، كما يخلق حالة النزاع والعداوة ويمنع من الوحدة والتعاون.

وخاصة إذا ما كانت هناك مصالح سياسية تدفع بعض الحكومات ذات النفوذ والثروة لتبنى مثل هذه التوجهات، وهذا هو ما تعانى منه الأمة الإسلامية فى هذا العصر.

كبوة إسلامية وصحوة وهابية:

وبعد انتشار الحركات والانتفاضات الوهابية فى الأمة جدد هؤلاء المتزمتون نشاطهم ضمن مخطط سياسى لمواجهة الأمة الإسلامية: فصاروا يصدرون ألوان الكتب والمجلات، ويمارسون نشاطا مكثفا ضد المذاهب والمدارس الفكرية المخالفة لهم، بهدف إيجاد البلبلة وتعميق الفرق، ولإضعاف الجهود الوحدوية الصادقة.

علاج التطرف والإرهاب لخوارج هذه الأيام:

إن محاربة أى مذهب أو فكرة بالقمع والإرهاب غالبا ما لا يقضى على تلك الفكرة بل يفجر إرادة التحدى عند الأتباع، ويجعلهم أكثر إصرارا وتمسكا برأيهم، بل قد يدفعهم إلى الهجوم المضاد، والرد الانتقامي وبذلك تتمزق وحدة الأمة، وتتبدد طاقاتها على حساب معركتها المصيرية وقضاياها الأساسية.

والواعون من الأمة مطالبون بمقاومة الإرهاب الفكرى، وتشجيع حرية الفكر، وبث أخلاق الإسلام الداعية إلى التسامح واحترام الرأى.

ومن المبادرات الإيجابية فى هذا المجال الكتاب الذى أصدره الدكتور الشيخ محمد سعيد رمضان البوطى من أبرز علماء المسلمين فى سوريا تحت عنوان (السلفية مرحلة زمنية لا مذهب إسلامى) فالكتاب دفاع عن حرية الرأى والفكر وإدانة للإرهاب الفكرى، ويشير المؤلف إلى أخطار التحجر الفكرى، ومصادرة حق الآخرين فى إبداء آرائهم، وما ينتجه هذا التوجه الذى تتخذه السلفية شعارا ولواء من تكريس للخلافات وتمزيق للصف الإسلامى الواحد.

يقول فى ص ٢٤٤ :

« الأذى المتنوع البليغ الذى انحط فى كيان المسلمين من جراء ظهور هذه الفتنة المبتدعة فلقد أخذت تقارع وحدة المسلمين، وتسعى جاهدة إلى تبديد تآلفهم وتحويل تعاونهم إلى تناحر وقد عرف الناس جميعا أنه ما من بلدة أو قرية فى أى من أطراف العالم الإسلامى، إلا وقد وصل إليها من هذا البلاء شظايا، وأصابها من جرائه ما أصابها من خصام وفرقة وشتات، بل ما رأيت أو سمعت شيئا من أنباء انتشار الإسلام فى أنحاء أوروبا وأمريكا وآسيا، مما يثلج الصدر، ويبعث على البشر والتفاؤل إلا ورأيت بالمقابل من أخبار هذه الفتنة الشنعاء التى سيقت إلى تلك الأوساط سوقا، ما يملأ الصدر كربا ويزج المسلم فى ظلام من الخيبة الخانقة والتشاؤم الأليم.

ولقد اشتدت هذه الخصومات منذ بضع سنوات، فى مسجد واشنطن إلى درجة ألجأت السلطات الأمريكية إلى التدخل، ثم إلى إغلاق المسجد لبضعة شهور.

ولقد اشتدت هذه الخصومات ذاتها واهتاجت، فى أحد مساجد باريس منذ ثلاثة أعوام،

حتى اضطرت الشرطة الفرنسية إلى اقتحام المسجد والمضحك المبكى بآنٍ واحدٍ، من أن أحد أطراف تلك الخصومة أخذته الغيرة الحمقاء لدين الله وحرمة المساجد، لما رأى أحد رجال الشرطة داخلا المسجد بحذائه فصاح فيه أن يخلع حذاءه ولكن الشرطى صفعه قائلا: وهل ألجأنا إلى اقتحام المسجد على هذه الحال غيركم أيها السخفاء؟!.

وأخيرًا فإن حالات الإرهاب الفكرى بالإضافة إلى أضرارها الداخلية، وعونها للعدو الخارجى علينا، فإنها تشكل إساءة وتشويها لسمعة الإسلام أمام سائر الشعوب، التى تمارس الحرية الفكرية والعلمية فى أجوائها على أوسع نطاق، فماذا سيكون انطباعهم عن دين يتبادل أتباعه التكفير والتفسيق، وتسود بينهم لغة القمع والبطش بغطاء دينى؟.

«هلك المتنطعون، هلك المتنطعون»[1] وكررها ثلاثًا، واقتفوا هدى النبوة، فقد كان ﷺ إذا بعث أحدًا من أصحابه فى بعض أمره قال لهم: «بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا»[2] واسمعوا ما قاله الحبيب المصطفى ﷺ لأصحابه معلما ومرشدًا: «إنكم فى زمان من ترك فيه عشر ما أمر به هلك، ثم يأتى زمان من يعمل بعشر ما أمر به نجا»[3] رواه الترمذى فى باب الفتن.

تمسكوا بأقوال العلماء العاملين والأئمة المجتهدين، فهم أهل الاختصاص فى أمور الدين، وإياكم واتباع أهل الأهواء، من «أدعياء العلم» المتعالمين، الذين يدعونكم إلى نبذ أراء الأئمة الأعلام، بحجة أن اتباع المذاهب ضلالة لتقعوا فريسة لآرائهم الشاذة، التى خالفوا فيها جمهور العلماء من السلف والخلف، وليس لهم هدف إلا حب الظهور الذى يقصم الظهور، فالله تعالى قد أمركم بالرجوع إلى أهل العلم والاختصاص فقال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[4]، وقال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[5]. فالأئمة المجتهدون هم مصابيح الهدى، ومشاعل النور

---

(١) رواه مسلم فى كتاب العلم الحديث السابع وأبو داود فى كتاب السنة الباب الخامس وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٣٨٦.

(٢) رواه البخارى فى كتاب العلم الباب ١١ وكتاب الجهاد الباب ١٦٤ ومسلم فى كتاب الجهاد الحديث الخامس وأبو داود فى كتاب الأدب الباب ١٧ وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٢٣٩، ٢٨٣، ٣٦٥، والجزء الرابع صفحة ٣٩٩، ٤١٢، ٤١٧.

(٣) رواه الترمذى فى كتاب الفتن الباب ٧٩.

(٤) سورة الأنبياء آية ٧.

(٥) سورة النساء آية ٨٣.

والضياء، ولست أدرى والله إذا لم يكن (مالك) إمام دار الهجرة، و(الشافعى) عالم مكة، و (أحمد) إمام أهل السنة، و (أبو حنيفة) الذى طبق علمه الخافقين، هؤلاء الأئمة الأعلام، هم السلف الصالح وهم قدوتنا فى أمور الشريعة والدين، فبمن نقتدى إذن ؟؟ .. أنقتدى بهؤلاء الذين أغرموا بالمخالفة والشذوذ !! .

ولله در القائل :

قم وابك منتحبا لما قد حل ... بالإسلام من هن وفرط تبدد
أبناؤه متشاكسون، عراهم ... محلولة ما بينهم لم تعقد
ويقوم منهم من يسمى مصلحا ... بين البرية وهو عين المفسد
أو مرشدا هو أحوج الأقوام لو ... عقل الأمور إلى اتباع المرشد
معبوده إما هوى أو درهم ... فسوى الدراهم والهوى لم يعبد
ويقوم باسم الدين يوقد نارها ... بغيا ولولا بغيه لم توقد
أو من يروج فى الأنام ضلالة ... ويخالها رشدا وإن لم يرشد
من عصبة فيها الجمود سجية ... لم يلف فيها قط من لم يجمد
جاءت مجددة لدين محمد ... زعمت وتنفى عنه كل مجدد
فرغت من التوطيد للإسلام لم ... تترك من الإسلام غير موطد
لم يبق فى الأمصار من متنجس ... من فضل دعوتها ولا متهود
ما أن ترى بين الورى من فاجر ... عاص ولا من شارب ومعربد
ردت عن الإسلام كل معاند ... وحمته من باغ عليه
فتحت أقاصى أرض أشبيلية ... وتخوم أندلس حوتها
لم يبق غير قبور آل محمد ... شيدت ضلالًا فى بقيع العر
وقبور أبناء النبى وصحبه ... بوجودها الإسلام لم يتمهد
أمسى بها التوحيد مفقودا فمذ ... هدمت فما فى الكون غير موحد

الخاتمة

أوجه نصيحتى إلى الذين ضل سعيهم فى الحياة الدينا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا

إلى الخوارج عبر العصور والدهور من السلفيين والتيميين والوهابيين وامتدادهم فى مصر والسودان وتونس والجزائر والمغرب المدعمين بالبترورىال .

تأدبوا مع الله فلا تجسيم ولا تشبيه ، وتأدبوا مع رسول الله ﷺ فلا تعظيمه من باب العبادة ، وتأدبوا مع أهل بيت رسول الله ، وتأدبوا مع صحابة رسول الله ، وتأدبوا مع التابعين مع الأئمة الأربعة أبى حنيفة ومالك والشافعى وابن حنبل ، وتأدبوا مع أولياء الله الصالحين وتأدبوا مع السلف الصالح .

ينبغى أن يكون الحق دائمًا هو الرائد ، ورضوان الله هو الغاية ، لا اتباع الأهواء ، والشهرة الزائفة ، ولو على حساب الدين فإن حب الظهور يقصم الظهور .

أن نسعى جهدنا لجمع الشمل ، ووحدة الصف فقد حذرنا الله من الفرقة ، ودعانا إلى الوحدة ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾[1] ونبهنا إلى خطر التنازع والفرقة فقال : ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2] .

وقال : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[3] .

تذهب ريحكم : أى تذهب قوتكم وبأسكم .

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٣ .

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٥ .

(٣) سورة الأنفال آية ٤٦ .

عليكم أن تكونوا فى صف الجماعة ومع الجماعة، وتتركوا الشذوذ والانحراف عن جماعة المسلمين. فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[1] والخروج عن الجماعة مهلكة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية «عليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار»[2] كما صح بذلك الخبر عن النبى المختار.

اتركوا القيل والقال وكثرة الجدال، فإن الجدال والمراء فى أمور الدين مهلكة للأمة، كما قال ﷺ «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه، إلا أوتوا الجدل»[3] أخرجه الترمذى فى التفسير رقم ٣٢٥٠ وأحمد فى السنة ٢٥٢٦. ثم تلا ﷺ قوله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾[4]. وقال ﷺ: «إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم فى الكتاب»[5] أخرجه مسلم فى العلم.

اسلكوا طريق الحكمة فى الدعوة إلى الله، وعليكم بالرفق فى جميع أموركم «فإن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه، ولا ينزع من شىء إلا شانه»[6] أخرجه مسلم وأبو داوود فى باب فضل الرفق، كما قال سيد الخلق ﷺ. وليكن هدفكم فى الحياة نيل رضوان الله، وجمع القلوب على المحبة والصفاء.

وإياكم والتنطع والتشدد فى أمور الدين فقد قال ﷺ: «هَلَكَ المتنطعون»[7].

يا شباب الصحوة الوهابية والكبوة الإسلامية:

نريد منكم ألا تتسرعوا فى إطلاق الأحكام، وأن تأخذوا العلم والفقه عن أصحابه عمن

---

(١) سورة النساء آية ١١٥.

(٢) رواه الترمذى فى كتاب الفتن الباب السابع والنسائى فى كتاب التحريم الباب السادس.

(٣) رواه الترمذى فى كتاب تفسير (سورة الزخرف) وابن ماجه فى المقدمة الباب السابع وأحمد فى الجزء الخامس صفحة ٢٥٢، ٢٥٦.

(٤) سورة الزخرف آية ٥٨.

(٥) رواه مسلم فى كتاب العلم الحديث الثانى وأحمد فى الجزء الأول صفحة ٤٠١، ٤٢١، والجزء الثانى صفحة ٤٦٧، ٤٩٥، ٥٠٣، ٥٠٨، ٥١٧.

(٦) رواه مسلم فى كتاب البر الحديث ٧٨ وأبو داود فى كتاب الجهاد الباب الأول وأحمد فى الجزء السادس صفحة ٥٨، ١١٢، ١٢٥، ١٧١، ٢٠٦، ٢٢.

(٧) سبق تخريج هذا الحديث.

تثقون بعلمه ودينه ، فقد قال الإمام الزهرى : « هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذون دينكم » .

واحذروا أيها الشباب ، أدعياء العلم ، الذين يحبون الشهرة والظهور ، ولو على حساب التجريح لكرامة العلماء ، والطعن فى الأئمة الأعلام من السلف الصالح رضوان الله عليهم . لقد وصلنا إلى العصر الذى يسود فيه الجهلاء ، والذى أخبر عنه المصطفى ﷺ فى الحديث الذى رواه البخارى : « إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من صدور العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم ، اتخذ الناس رؤوسا جهالا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا »[1] .

يا شباب الصحوة الوهابية والكبوة الإسلامية :

هل إثارة الفتن والبلبلة والتشويش على المسلمين ، فى أمور جزئية من سيرة السلف الصالح ؟ .

هل تضليل الأمة ، وتجهيل علمائها - سلفًا وخلفًا - ورميهم بمخالفة السنة والابتداع ، من عمل السلف الصالح ؟ .

هل الشذوذ بالآراء ، والخروج عن جماعة المسلمين ، والتمسك بأقوال شيوخ العصر ، من طريقة السلف الصالح ؟ .

اتقوا الله فى هذه الأمة ، وليكن رائدكم الإخلاص والصدق والتمسك بهدى السلف الصالح لا الشهرة واتباع الأهواء وحب الظهور !! .

اتركوا هذه الآراء الشاذة ، وكرسوا جهدكم لمحاربة المبشرين والملحدين والشيوعيين والصليبيين والصهيانية .

اتقوا الله فى هذه الأمة ، كفانا ما نحن فيه من الفرقة والتشتت والضياع ، كفانا ما يجابهه المسلمون ، من قوى البغى والطغيان ، من شيوعية وإباحية وإلحاد وعلمانية وصليبية وصهيونية !! نحن فى عصر يموج بالفتن .. عصر .. فيه الحرب بين الإيمان والكفر ، ليس هو عصر السنة والبدعة !! .

---

(١) رواه البخارى فى كتاب العلم الباب ٣٤ ومسلم فى كتاب العلم الحديث ١٣ والترمذى فى كتاب العلم الباب الخامس وابن ماجة فى المقدمة الباب الثامن والدارمى فى المقدمة الباب ٢٦ وأحمد فى الجزء الثانى صفحة ١٦٢، ١٩٠.

اتركوا الناس يصلون التراويح ثمانية أو عشرين، اتركوهم يسبحون الله فرادى أو جماعة، دعوهم يجتمعون فى حلق الذكر، بدل أن يذهبوا إلى الملاهى والمراقص، إن كنتم حقًا مخلصين، تريدون اتباع نهج السلف الصالح.

لا تشوشوا على الناس عبادتهم، ولا تتهموا علماء المسلمين وتتهموا السلف الصالح بالابتداع في الدين، لمجرد أنكم لم تطلعوا على الأحكام، أو جهلتم الأدلة التى استند عليها العلماء والأئمة المجتهدون رضوان الله عليهم.

يا شباب الصحوة الوهابية والكبوة الإسلامية:

راجعوا كتاب «سعادة الدارين» للسمنودى، حتى يتضح لكم أن دعاة الوهابية ممن ينسبون أنفسهم لأهل العلم زورًا وبهتانا، ليس لهم أى صلة يتصلون بها فى أصل أصول الدين الإسلامى الذين يدعون التمسك بمبادئه، الكتاب والسنة.

فلست أدرى كيف يلقبون أنفسهم بحماة التوحيد وأنصار السنة، والتوحيد والسنة براء منهم ومن أشكالهم. لأن عقيدتهم الضالة المضلة يقتفون أثر أسلافهم من الخوارج، الذين استبدلوا الدين بالبترورىال.

لقد زرع هؤلاء الضالون المضلون بذور الفساد الوهابى فى عقول شباب القحط الذين لا خلاق لهم فى الدنيا والآخرة، لحكم يعلمها الحكيم العليم، ولذلك جمعت ما يبطل أدلتهم ويقطع حجتهم فى المقالات التى كتبتها فى مجلة «الإسلام وطن» والتى سميتها «أَيُّهَا القَرنِيُّونَ هَلَّا فَقِهتُم!!» فى بيان أهل الحق ومن ضل عن الصواب، حتى لا تقوم لهم قائمة بعدها إن شاء الله تعالى من أدلة الكتاب والسنة، للرد عليهم فى جميع ضلالاتهم من كتبهم التى كتبوها بأيديهم وضللوا بها شباب القحط.

ولقد امتثلت فى هذا الكتاب أمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ فى الحديث المروى عن مسلم: «أترعون أن تذكروا الفاجر بما فيه، اذكروا الفاجر بما فيه كى يحذره الناس»[1] وقد حث أفاضل علماء الأمة الإسلامية على الجهاد ضد الخوارج والسلفيين والتيميين والوهابيين

---

(١) أورده البيهقى فى السنن الكبرى (١٠/ ٢١٠) والطبرانى فى المعجم الكبير (١٩/ ٤١٨) وابن حجر فى لسان الميزان (١/ ٥٧٩) والسيوطى فى الدر المنثور (٦/ ٩٧) وفى ميزان الاعتدال (١٤٢٨) والعراقى فى المغنى عن حمل الأسفار (٣/ ٢٤٩) والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد (١/ ٣٨٢، ٣/ ١٨٨، ٧/ ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٨) والزبيدى فى إتحاف السادة المتقين (٧/ ٥٥٥، ٥٥٦).

وأبواقهم فى مصر والسودان وتونس والجزائر والمغرب بقولهم:

من الدين كشف الستر عن كل كاذب وعن كل بدعى أتى بالعجائب
ولولا رجال مؤمنون لهدمت صوامع دين الله من كل جانب

ومن هؤلاء الأفاضل من العلماء، ابن السبكى وابن حجر وغيرهم فى كل عصر، وها هو الشيخ سليمان بن عبد الوهاب شقيق البدعى النجدى محمد بن الوهاب.

وقد ألف كتابًا أسماه «الصواعق الإلهية فى الرد على الوهابية» وقد رد فيه علىٰ أخيه مؤسس الوهابية فى عصره.

وها هو الشيخ أحمد الدردير الذى أطبق علماء الأمة الإسلامية أنه مالك الصغير، : «إن ابن تيمية ضال مضل خرق الإجماع وسلك مسلك الابتداع».

وقد قام فضيلة العالم الكبير الشيخ محمد عليش - فريد عصره - بسعيه بنفسه فى هذا الميدان، وكذا الشيخ يوسف الشرنبخومى من أفاضل علماء الأزهر، وكذلك الشيخ محمد بخيت المطيعى المشهور مفتى الديار المصرية سابقًا، والشيخ محمد حسن مخلوف وكيل مشيخة الأزهر سابقًا فى رسالتيهما المطبوعتين مع الصواعق الإلهية سالفة الذكر.

وفضيلة الشيخ يوسف الدجوى من جماعة هيئة كبار العلماء بالأزهر قام بدوره برسالته المسماه: «صواعق من نار».

وهكذا سنة الله تعالى فى خلقه كلما ظهر من الخوارج شيطان قيض الله له شهابًا ثاقبًا ما بقيت الدنيا. ﴿وَلَن تَجِدَ لِسنة اللَّهِ تَحوِيلًا﴾[1] ولو شئت أن أذكر لك من ميدان الضالين والرادين عليهم فى كل عصر لضاق بنا المقام، ولا تنس أن لكل نمروذ إبراهيم، ولكل فرعون موسى، ولكل ضال محمدى.

صرخة فى الله إلى حكام مصر والسودان وتونس والجزائر والمغرب

إن التسلط الوهابى قد بلغ مبلغه من هؤلاء البغاة المتعصبين لرأى ثالوث التكفير «ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب» دون غيرهم من أئمة الإسلام، يحاربون كل فكرة مخالفة

(١) سورة فاطر آية ٤٣.

لهم، ويشعيون المثالب حول دعوة مخالفة لدعوتهم، ويستعدون الناس إزاء كل شاردة وواردة، ويقمحون نيلا ويرمونهم رميا، ويطالبون بتكميم الأفواه إلا أفواههم، ويطالبون غيرهم باتباعهم رغمًا عنهم، ولا يميلون إلى تسامح ويستبيحون دماء مخالفيهم وأموالهم ولا سيما فى العقيدة ومستعدين بإلقاء أرواحهم فى التهلكة مقابل الدفاع عن عقيدتهم الباطلة وفكرهم الفاسد !! يعتقدون صلاح حالهم طالما أنهم متمسكون بعقيدة سلفهم، ماضون فى تعصبهم طالما شيوخ النفط معهم والبترورىال يناصرهم، فمتى يرعوون إلى جادة الصواب ؟، ومتى يؤخذ على يد هؤلاء البغاة ؟ الذين يريدونها فتنة تعم البلاد والعباد، ويريدون أن تسال الدماء ويقتل الرجال وتسبى النساء ويقطع الطريق.

إن الأخذ على أيديهم ضرورة ملحة لبقاء الأمة ولا بد من الأخذ على يدهم بيد من حديد لا هوادة معهم، فهم لا ينفع معهم حوار ولا مجادلة طالما لا يقرون مخالفيهم، لذلك فالأخذ بهم ومحاسبتهم واجب من الواجبات لكى يستقيم الدين، وينصلح حال الأمة، فتشعر بالأمن والأمان على دمائها وأعراضها وأفكارها.

إن بقاء هؤلاء المتسلطة على الدين خطر عظيم ومرض جسيم وداء سرطانى لا ينفع إلا قطعه وبتره.

فمتى يحاسب هؤلاء الشرذمة البغاة ؟ الذين يقسمون الأمة ويفرقون الصفوف ويساعدون أعداء الله من اليهود والنصارى على سرعة الانقضاض على إرث الأمة الإسلامية.

إن البغاة الجدد قد ظهروا فينا متحدثين ومفتين ومكفّرين ومبدّعين ومفسّقين ومشركين للسلطة للدخول فى معركة هم فرسانها وهم حاطبوها ومشعلوها، إنهم البغاة الجدد من عملاء الوهابية والصليبية والصهيونية قدموا إلينا بشخوصهم وأشباحهم، قدموا إلينا بأفكارهم الشاذة، وبتعصبهم الأعمى، وبسوء أدبهم وقلة حيائهم، لا يرعون إلًا ولا ذمة يرمون هذا، ويكفرون هؤلاء، ويفسقون ويبدعون جمهور الأمة لمخالفتهم رأيهم، لا يقرون باختلاف الآراء ولا يدعون رأيا مخالفًا لرأيهم إلا نسفوه وهاجموه وعابوه، وتكلموا فى رجاله وأئمته وكأن الحق لهم، والميزان بيدهم، يرفعون هذا، ويسقطون هؤلاء، يرفعون خسيستهم عالية، وكأن الحق أقامهم للتقويم، لا يقرون بحجة ولا برهان، ولا بحوار ولا جدال، محاورهم خارج عن الملة، ومناقشهم مبتدع فى الدين، ومخالفهم يخافون عليه الشرك والضلال.

وهكذا ينصرون مبادئهم ويقررون أفكارهم، ويلقنونها أتباعهم. إنهم البغاة الجدد، إنهم

متعصبوا العصر. أقاموا أنفسهم حراسًا وغيرهم خدامًا، وأقاموا أنفسهم علماء وغيرهم فساقًا، أقاموا من أنفسهم أعلامًا ومن غيرهم أوضاعًا، والله ما هذه بأخلاق العلماء، إنهم البغاة الجدد، إنهم خوارج هذه الأمة ظهورًا فينا.

يقولون بشركية هذه الأمة إلا هُم، فهم هداة الدين، حراس العقيدة المدافعون عنها بكل ما أوتوا من قوة !!!.

وللأسف فإن هؤلاء البغاة المتعصبون ما كانوا ليظهروا فينا إلا لتغاضى الناس عن كبائرهم وجرائمهم فى قذف الناس وصلحاء الأمة وعلمائها ودعاتها.

إن البغاة الجدد فكرهم إلى زوال، وأملهم إلى ظلام، ومبادئهم إلى ضلال، ونصبهم إلى زيغ وإلحاد.

ولقد جرت سنن الله الكونية أن تجرى فى العباد قبل البلاد، فمن لم يتأدب مع العلماء وعموم المسلمين، أدبته سنن الله الكونية.

« من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب .....)[1] ومن لم يتوقف عند حده سلط اللّه عليه من يوقفه، ومن فضح المسلمين وتتبع عوراتهم وتجسس عليهم وأوقع بينهم العداوة والبغضاء سلط الله عليه وفضحه فى رحله وبين أهله وعشيرته وقومه.

فالتقوى التقوى، الحذر الحذر... من مصاحبة البغاة، إنهم يسفهون الأحلام ويقذفون علماء الإسلام، وينادون بكل ما هو سفه وساقط، ويرفعون كل وضيع جاحد.

إنهم خوارج هذه الأمة فالحذر الحذر من مجالستهم، فإنهم أشرار بغاة.. فمتى يؤدبون ويؤخذ على أيديهم؟ إن غدًا لناظره لقريب.

لا أمكن الله لهم أرضًا، ولا أقام لهم دولة، ولاأظهر لهم رأيًا، ولا رحم منهم أحدًا، وأبقاهم عبرة لمن يعتبر، وأقامهم على الذل والهوان، وفرق بينهم وبين مناصريهم شيوخ النفط والبتروريال، وشتت الله أمرهم، وبدد شملهم، وفرق جمعهم إنه على ما يشاء قدير.

وأختم هذا الكتاب بقولى: إن أكبر حامل لى على كتابته إنما هو أن أدرج مع من دخلوا تحت مصداق قوله ﷺ لأمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام: « لأن يهدى الله بك

---

(١) رواه البخارى فى كتاب الرقاق الباب ٣٨.

رجلا خير لك من حمر النعم»[1] رواه الشيخان.

لأن الرجال على ما قرره أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فيما يروى عنه: الرجال أربعة:

١ - رجل يدرى ويدرى أنه يدرى وهذا عالم فاسألوه.

٢ - ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى وهذا ناس فذكروه.

٣ - ورجل لا يدرى ويدرى أنه لا يدرى وهذا جاهل فعلموه.

٤ - ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى وهذا فاسق خطر فاحذروه.

فالرابع هذا هو الذى جهل أنه جاهل، وهذا هو وجه خطورته على العالم، وهذا هو الذى قال فيه العقلاء: جاهل جهلًا مركبًا، إذا الجهل ينقسم إلى قسمين: جهل بسيط وهو الذى يتعلم صاحبه بالتعلم.

وجهل مركب وهو الذى صاحبه لا يقبل المعلم لأنه جهل أنه جاهل كما قيل:

قال حمـــار الحكيم يومـــا ... لو أنصف الدهـــر كنت أركب
لأنى جاهـــل بســـيط ... وصاحبى جاهـــل مركب

وقد أبان الحق عز وجل فى كتابه العزيز لعباده على لسان حضرته ﷺ فى قوله تعالى: ﴿ادعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلهُم بِالَّتِى هِيَ أَحسَنُ﴾[2] إن من عباده من يفهم بالإشارة ومنهم من يفهم بالعبارة ومنهم من لا يفهم لا بالاشارة ولا بالعبارة، بل بإلقامه الحجارة. وصدق الله العظيم حيث قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعلَمُ بِالمُهتَدِينَ﴾[3].

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

• • • • • •

(١) رواه البخارى فى كتاب الجهاد الباب ١٠٢، ١٤٣ وكتاب فضائل أصحاب النبى الباب التاسع وكتاب المغازى الباب ٣٨ ومسلم فى كتاب فضائل الصحابة الحديث ٣٥ وأحمد فى الجزء الخامس صفحة ٢٣٨، ٣٣٣.

(٢)، (٣) سورة النحل آية ١٢٥.

فهرس كتاب (أيُّها القَرْنِيُّونَ هَلَّا فَقِهتُم ؟!)

الموضـــــوع	الصفحة
مقدمة شيخ الطريقة العزمية	
مـقـدمـة المـؤلـف	
الباب الأول	
القرنيون : منهجهم وصفاتهم وغايتهم	
الفصل الأول : نبذة تاريخية	١
● مؤامرة قريش فى دار الندوة تعقد تحت رعاية إبليس اللعين	١
● إبليس اللعين يتجسد فى هيئة شيخ نجدى ليخطط لقرار هذه المؤامرة	٢
● الرسول ﷺ يتنبأ بأن نجدًا يخرج منها قرن الشيطان ليزلزل العقيدة ويثير الفتن	٥
● من هم القرنيون ؟	٩
الفصل الثانى : منهج القرنيين	١٠
● الاشتغال بالجدل عند السلف الصالح من المنكرات .. وعند القرنيين من أعظم القربات	١٠
● السلف الصالح شعاره : الرجوع إلى الحق من أمهات الفضائل	١٠
● القرنيون شعارهم التفرق والتمزق للعناد وللرأى العقيم والمراء السقيم	١١
● جرى نهج القرنيين فى عروق بعض المتأخرين من أهل المذاهب ، وصور ذلك	١٢
١ – الخلاف المعقول المقبول	١٢
٢ – ما لا يسوغ فيه الخلاف	١٢
٣ – أخطر أنواع الخلاف	١٣
٤ – أسباب هذه الخلافات	١٣
٥ – من الآثار الضارة لفكر القرنيين	١٧
● السبب فى انتشار فكر القرنيين فى هذه الأيام ما أصاب شبابنا من قحط	

الموضـــــوع	الصفحة
فاستغل ذلك شيوخ النفط	١٨
الفصل الثالث : صفات القرنيين	٢٠
• القرنيون يجهلون أحكام الشرع الضرورى منها أو النظرى	٢٠
• القرنيون لا يفهمون ما هو من ضروريات الدين وما هو أمر اجتهادى	٢٠
• القرنيون لا يعرفون القرآن وأقسام الدلالة فيه وما يحتج به منه	٢١
• القرنيون لا يدركون السنة وأقسامها وما يحتج به من الأخبار	٢٣
• القرنيون لا يعلمون الأخبار المتعارضة وسبب التعارض وعلاجه	٢٤
• القرنيون لا يعقلون وجود الحقيقة والمجاز فى الكتاب والسنة	٢٥
الفصل الرابع : الغاية من تكفير أهل القبلة والتبشير المسيحى هو التنصير الصليبى	٢٨
• القرنيون يطلقون الكفر على جميع الذنوب	٢٨
• ما المقصود من إطلاق الكفر والشرك والنفاق على بعض الذنوب ؟؟	٢٩
• أدلة توزيع الكفر والشرك بسخاء على المسلمين من كتبهم	٣٠
• المبشرون يزحفون على العالم الإسلامى	٣٣
• المبشرون يعملون لوقف انتشار الإسلام فى أفريقيا وآسيا	٣٤
• القرنيون عملاء للتبشير المسيحى لمعاداة الإسلام	٣٥
• الغاية من التكفير والتبشير هو التنصير	٣٥
• إثارة الهمم لإحياء القيم	٣٧
الباب الثانى **أمور شذ فيها القرنيون عن إجماع الأمة**	
الفصل الأول : البدعـــــة	٣٩
• القرنيون يوزعون البدعة بسخاء على عباد الله	٣٩
• مفهوم البدعة عند السلف الصالح	٤٠
١ – تعريف البدعة	٤٠

الموضـــــوع	الصفحة
٢ – تعيين البدعة هو سبب الاشتباه	٤٠
٣ – الأفعال تتغير أحكامها	٤٠
• أمثلة للتحجر العقلى فى تفسير البدعة	٤٣
• اختلاف دعاة السلفية بعضهم عن بعض	٤٥
الفصل الثانى : الشـــفاعة	٤٧
• إذا كانت الشفاعة للأنبياء والأولياء حق فكيف يكون سؤالها منهم شركا ؟!	٤٧
• الشفاعة هى طلب الدعاء	٤٧
• الكتاب والسنة يؤيدان شفاعة الأنبياء والأولياء	٤٧
• أولا : فمن آيات القرآن التى تجوز الاستشفاع بالأنبياء والأولياء والملائكة المقربين	٤٧
• ثانيًا : ومن أحاديث الرسول ﷺ التى تجوز الاستشفاع بالأنبياء والأولياء	٤٩
• تأولات القرنيين فى الشفاعة	٥٢
• الرد على تأولات القرنيين	٥٢
• رأى الإمام أبى العزائم فى الشفاعة	٥٤
• وختامًا	٥٦
الفصل الثالث : النظرة والمدد	٥٨
• حكم النداء بطلب النظرة والمدد لا يزيد عن دعاء وسؤال نجدة للمستنجد	٥٨
• الأنبياء والأولياء أحياء فى قبورهم	٥٨
• أدلة حياة الأنبياء والأولياء فى قبورهم	٥٨
• أولا : من الكتاب	٥٨
• ثانيا : من السنة	٥٩
• النداء بطلب المدد والنظرة	٦١
• أدلة جواز طلب المدد والنظرة	٦٣
• شبهات القرنيين حول النداء بالمدد أو النظرة	٦٥
• الشبهة الأولى	٦٥
• الرد على هذه الشبهة	٦٥
• الشبهة الثانية	٦٦
• الرد على هذه الشبهة	٦٦

الموضـــوع	الصفحة
الفصل الرابع : التوســـل	٦٧
• السفهاء لا الفقهاء هم الذين يمنعون التوسل بالأنبياء والأولياء لأن تدينهم ممسوخ مطبوخ	٦٧
• معنى الوسيلة لغة	٦٧
• التوسل بالأنبياء والأولياء	٦٧
• أدلة جواز التوسل من القرآن	٦٨
• أدلة جواز التوسل من السنة	٦٩
• الفرق بين العبادة والتوسل	٧٢
• تأولات القرنيين فى التوسل	٧٣
• الرد على تأولات القرنيين	٧٤
• رأى الإمام أبى العزائم فى منكر الوسيلة	٧٥
الفصل الخامس : بناء المساجد على المشاهد	٧٧
• الإسلام يرغب العابد فى اتخاذ المساجد على المشاهد	٧٧
• بناء المساجد على المشاهد لامتياز أصحابها وأدلة ذلك	٧٨
• **أولا** : من الكتاب	٧٨
• الدليل الأول من الكتاب	٧٨
• شبهات وأباطيل القرنيين فى الدليل الأول	٧٩
• الرد على شبهات وأباطيل القرنيين	٨٠
• الدليل الثانى من الكتاب	٨٢
• **ثانيا** : من السنة	٨٣
• الدليل الأول من السنة	٨٣
• **ثالثا** : إجماع الصحابة على اتخاذ مسجد على قبر الصحابى أبى بصير عتبة ابن أسيد فى عهد النبى ﷺ	٨٦
• **رابعا** : إن قبور الشهداء والصحابى عثمان بن مظعون كانت مرتفعة فى زمن عثمان بن عفان رضى الله عنه	٨٨
• **خامسا** : البناء على قبور الصحابة وأهل البيت رضى الله عنهم قبل القرن الخامس الهجرى	٨٩
• **سادسا** : البناء على قبور الأنبياء والأولياء والعلماء والصلحاء فى فقه المذاهب :	٩١

- فقه الحنفية
- فقه الحنابلة
- فقه المالكية
- فقه الظاهرية
- فقه الشافعية
- فقه الزيدية
- ثبوت الاحترام لقبور الأنبياء والأولياء والعلماء والصلحاء ٩٢

الفصل السادس: تعظيم شعائر الله تعالى ٩٤

- احترام الأنبياء والأولياء موجب لاحترام مشاهدهم ٩٤
- **أولا**: إن من تعظيم شعائر الله إقامة مشاهد الأنبياء والأولياء لاهدمها ٩٤
- شبهات وأباطيل حول إقامة المشاهد ٩٤
- الرد على شبهات وأباطيل منع إقامة المشاهد ٩٤
- **ثانيا**: إن من تعظيم شعائر الله الكتابة على مشاهد الأنبياء والأولياء ٩٦
- شبهات وأباطيل حول الكتابة على المشاهد ٩٦
- الرد على شبهات وأباطيل منع الكتابة على المشاهد ٩٦
- **ثالثا**: إن من تعظيم شعائر الله الصلاة والدعاء عند مشاهد الأنبياء والأولياء ٩٨
- شبهات وأباطيل ابن تيمية فى الصلاة والدعاء عند مشاهد الأنبياء والأولياء ٩٨
- الرد على شبهات وأباطيل ابن تيمية وذيوله فى منع الصلاة والدعاء عند المشاهد ٩٨
- **رابعا**: إن من تعظيم شعائر الله إنارة مشاهد الأنبياء والأولياء ١٠٠
- شبهات وأباطيل حول إنارة المشاهد ١٠٠
- الرد على شبهات وأباطيل منع إنارة المشاهد ١٠١
- **خامسا**: إن من تعظيم شعائر الله تزيين مشاهد الأنبياء والأولياء بالكسوة وغيرها ١٠١
- شبهات وأباطيل حول تزيين المشاهد ١٠١
- الرد على شبهات وأباطيل منع تزيين المشاهد ١٠٢
- **سادسا**: إن من تعظيم شعائر الله التبرك بمشاهد الأنبياء والأولياء بلمس أو تقبيل أو طواف ١٠٤
- شبهات وأباطيل التبرك بالمشاهد ١٠٤
- الرد على شبهات وأباطيل منع التبرك بالمشاهد ١٠٤

الفصل السابع: زيارة روضات الأنبياء والأولياء ١٠٧

- شبهات وأباطيل حول منع زيارة القبور وشد الرحال إليها ١٠٧
- **أولا**: مشروعية زيارة روضة النبى ﷺ والرد على شبهات وأباطيل منع الزيارة ١٠٨

الموضـــوع	الصفحة

١ - أدلة الكتاب ١٠٨
٢ - أدلة السنة ١٠٩
أ - ما ورد من الأحاديث بلفظ الزيارة ١٠٩
ب - ما ورد من الأحاديث بغير لفظ الزيارة ١١١
• معنى قوله ﷺ: «إلا رد علىّ روحى فأرد عليه السلام» ١١٢
• حجية أحاديث الزيارة ١١٢
٣ - الإجماع ١١٤
أ - رد العلماء على الخارجى ابن تيمية الحرانى ١١٤
ب - المنقول من فعل الصحابة والمسلمين فى زيارة روضة النبى ﷺ ١١٥
١ - المنقول من فعل الصحابة ١١٥
٢ - المنقول من فعل المسلمين ١١٦
• ثانيا: مشروعية زيارة سائر القبور ١١٦
• ثالثا: شد الرحال لزيارة مشاهد الأنبياء والأولياء ١١٨
و منع الخارجى ابن تيمية الحرانى شد الرحال لزيارة روضة النبى ﷺ ١١٨
• الرد على منع الخارجى ابن تيمية الحرانى شد الرحال لزيارة النبى ﷺ ١١٨
أ - زيارة النبى ﷺ إلى مسجد قباء كل يوم سبت ١١٩
ب - شجرة تستأذن المولى سبحانه فى أن تسلم على رسول الله ﷺ ١١٩
جـ - زيارة سيدنا بلال لروضة النبى ﷺ ١١٩
د - زيارة كعب الأحبار لروضة النبى ﷺ ١٢٠
هـ - إرسال عمر بن عبد العزيز بريد من الشام للسلام على النبى ﷺ ١٢٠
• رابعا: عدم اختصاص زيارة القبور بالرجال ١٢٠
• منع ابن تيمية وابن عبد الوهاب من زيارة النساء للقبور ١٢٠
• الرد على منع ابن تيمية وابن عبد الوهاب من زيارة النساء للقبور ١٢١

الفصل الثامن: التبرك ١٢٢

• مفهوم حقيقة التبرك ١٢٢
• مظاهر تشريف الله تعالى لنبيه ﷺ ١٢٣
• أمر النبى ﷺ بالتبرك وإذنه فى ذلك ١٢٥
• التبرك بتقبيل يدى النبى ﷺ ورجليه ١٢٦
• التبرك بسؤر النبى ﷺ ١٢٨

الموضـــوع	الصفحة
• التبرك بموضع لامسه فم النبى ﷺ	١٢٨
• التبرك بفضل وضوئه ﷺ	١٢٩
• التبرك بشعر النبى ﷺ	١٣٠
• التبرك بلباس النبى ﷺ والاستشفاء به	١٣٠
• من مظاهر التبرك بآثار النبى ﷺ	١٣١
• التبرك بآنية النبى ﷺ	١٣١
• التبرك بموضع قدم النبى ﷺ	١٣١
• التبرك بمنبر النبى ﷺ	١٣١
• التبرك بقطيفة وبثوب النبى ﷺ	١٣٢
• التبرك بنعل النبى ﷺ	١٣٢
• التبرك بروضة النبى ﷺ	١٣٢
• التبرك بتقبيل قبر النبى ﷺ	١٣٣
• تبرك السيدة فاطمة الزهراء بتراب قبر النبى ﷺ	١٣٣
• التبرك بتراب المدينة المنورة	١٣٣
• التبرك بالصالحين وآثارهم	١٣٤
• التبرك بتقبيل يد ورجل الصالحين	١٣٥
• التبرك بثياب الصالحين	١٣٦
• التبرك بصحيح البخارى	١٣٦
• التبرك بمس قبر الإمام أحمد بن حنبل	١٣٦
• حكم من حكم بالكفر على من مس وقبل آثار الأنبياء والأولياء	١٣٧
الفصل التاسع : النـــذر	١٣٨
• تعريف النذر	١٣٨
• أدلة النذر من الكتاب	١٣٨
• أدلة النذر من السنة	١٣٩
• النذر عند المذاهب الأربعة	١٤٠
• النذر عند الحنفية	١٤٠
• النذر عند المالكية	١٤١
• النذر عند الشافعية	١٤١

الموضـــوع	الصفحة

- النذر عند الحنابلة ١٤١
- النذر ليس بقربة لذاته ولا عبادة ١٤١
- الأدلة على أن النذر ليس بعبادة للمنذور ١٤٢
- تلبيس فى أحاديث ذكر النهى عن النذر ١٤٣
- شبهات وأباطيل حول النذر للأنبياء والأولياء ١٤٣
- الرد على شبهات وأباطيل النذر للأنبياء والأولياء ١٤٤

الفصل العاشر: النحر والذبح ١٤٧

- دلالة النحر والذبح من الكتاب ١٤٧
- دلالة النحر والذبح من السنة ١٤٨
- شبهات وأباطيل حول النحر والذبح للأنبياء والأولياء ١٤٨
- الرد على شبهات وأباطيل النحر للأنبياء والأولياء ١٥١
- رأى الشيخ محمد عبده يرد دعوى ثالوث التكفير ١٥٤
- أسانيد إهداء الثواب إلى الأموات ١٥٤
- حكمة اختيار النحر أو الذبح بجوار مشهد النبى أو الولى ١٥٦

الباب الثالث
حول توقير النبى ﷺ وإحياء ذكرى الأنبياء والأولياء والسيادة لهم والقسم بغير الله تعالى

الفصل الأول: توقير النبى ﷺ ١٥٧

- القرنيون لا يوقرون النبى ﷺ ١٥٧
- تعظيم القرآن للرسول ﷺ ١٥٨
- تعظيم الصحابة رضى الله عنهم له ﷺ ١٦٢
- تعظيم السلف الصالح له ﷺ ١٦٣
- مظاهر عدم توقير النبى وتعظيمه عند ثالوث التكفير ١٦٤

الفصل الثانى: إحياء ذكرى الأنبياء والأولياء ١٦٧

- الاحتفال بذكرى الأنبياء والأولياء من تعظيم شعائر الله ١٦٧

الموضـــوع	الصفحة
• القرآن يدعو لإحياء الذكرى	١٦٨
• شبهات وأباطيل ثالوث التكفير حول الاحتفال بالموالد	١٦٩
• الرد على شبهات وأباطيل ثالوث التكفير	١٧٠
• أدلة إحياء المولد فى الكتاب	١٧٢
• أدلة إحياء المولد من السنة	١٧٤
• التأويلات الشيطانية لكلمتى السنة والبدعة لثالوث التكفير	١٧٦
• مشروعية الاحتفال بالموالد	١٧٧
• ليلة المولد أفضل من ليلة القدر وأدلة ذلك	١٧٨
• أول من أحدث عمل المولد	١٧٩
• رأى الإمام أبى العزائم فى الاحتفال بالمولد	١٨٠
• الكتب المصنفة فى مولد النبى ﷺ	١٨١
الفصل الثالث : السيادة للأنبياء والأولياء	١٨٤
• سلوك الأدب راجح على امتثال أمر الله	١٨٤
• شبهات وأباطيل حول إطلاق لفظ السيادة	١٨٥
• الرد على شبهات وأباطيل إطلاق لفظ السيادة	١٨٥
١ - إطلاق لفظ « السيد » على غيره سبحانه فى القرآن	١٨٦
معنى آخر من معانى لفظ « السيد » فى القرآن	١٨٧
٢ - إطلاق لفظ « السيد » على غيره سبحانه فى الأحاديث	١٨٧
٣ - إطلاق لفظ « السيد » على غيره سبحانه من الصحابة	١٨٩
• ما لا يجوز لنا ويجوز للرسول ﷺ	١٩٠
• فرية ابن عبد الوهاب فى أحاديث السيادة	١٩٢
• السيادة للنبى مستحبة عند الشافعية وسنة عند الحنفية	١٩٢
• نبينا ﷺ سيد الوجود وسيد الكائنات	١٩٣
الفصل الرابع : حكم الإقسام على الله والقسم بغيره تعالى	١٩٦
• **أولاً** : الإقسام على الله بمخلوق أو بحق مخلوق	١٩٦
• صور الإقسام على الله بمخلوق أو بحق مخلوق	١٩٦
• شبهات وأباطيل حول الإقسام على الله بمخلوق أو بحق مخلوق	١٩٦
• الرد على شبهات وأباطيل الإقسام على الله بمخلوق أو بحق مخلوق	١٩٧

الموضـــوع	الصفحة
• ثانيا : الحلف بغير الله من نبى أو ولى	٢٠٢
• شبهات وأباطيل حول الحلف بغير الله	٢٠٢
• رد الشبهات والأباطيل حول الحلف بغير الله	٢٠٢
أ – الحلف بغير الله من الله تعالى	٢٠٤
ب – الحلف بغير الله من النبى ﷺ	٢٠٦
جـ – الحلف بغير الله من العلماء والتابعين وجميع المسلمين	٢٠٧
• القسم بالنبى ﷺ كما أورده ابن تيمية	٢٠٨
• رجل يقسم لابن عباس بحرمة النبى ﷺ	٢٠٨
• القرطبى يصرح بجواز القسم بحياته ﷺ	٢٠٩
• الإمام أحمد يبين أن اليمين تنعقد بالنبى ﷺ	٢٠٩
• خلاصة القول	٢٠٩

الباب الرابع
عصمـــة الأنبيـــاء

الفصل الأول : شرف نسب النبى ﷺ	٢١٠
• الحكم على أبويه ﷺ ليس من قواعد الإسلام	٢١٠
• نهيه ﷺ عن سب الأموات وتتبع عثراتهم	٢١١
• كتاب السيف المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية	٢١٢
• مسالك الحنفاء فى نجاة والدى المصطفى ﷺ	٢١٢
• نهيه ﷺ عن تتبع عثرات المسلمين	٢١٣
• أهل البيت النبوى أهل التطهير	٢١٤
• توقير وتعظيم أبوى النبى ﷺ	٢١٤
• الأحاديث الواردة فى فضل الآباء الكرام	٢١٥
• الإمام المجدد أبو العزائم والنسب النبوى الشريف	٢١٦
• شبهات وأباطيل حول عدم نجاة أبويه ﷺ	٢١٨
• الرد على هذه الشبهات والأباطيل بنجاة أبويه ﷺ	٢١٨
• الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها	٢٢٢

الموضـــوع	الصفحة
الفصل الثانى: عصمة النبى ﷺ	٢٢٣
• بيان فى معنى العصمة	٢٢٣
• مقدمات العصمة	٢٢٣
• مدى العصمة	٢٢٤
• الأدلة الكامنة لإثبات العصمة	٢٢٥
• المجاهدات عند بعض الناس	٢٢٥
• العصمة قوة فى النفس	٢٢٦
• عصمة النبى ﷺ عند أبواق ثالوث التكفير	٢٢٦
الفصل الثالث: ثبوت عصمة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وإهانه اليهود والنصارى والقرنيين لهم	٢٣٢
• وجوب عصمة الأنبياء	٢٣٢
• أولًا: افتراء اليهود على أنبيائهم	٢٣٣
١ – الافتراء على نبى الله لوط عليه السلام	٢٣٣
٢ – الافتراء على نبى الله داود عليه السلام	٢٣٣
٣ – الافتراء على نبى الله سليمان عليه السلام	٢٣٤
٤ – الافتراء على نبى الله نوح عليه السلام	٢٣٤
٥ – الافتراء على نبى الله يوشع عليه السلام	٢٣٥
• ثانيًا: افتراء النصارى على نبيهم وسائر الأنبياء	٢٣٥
• أقوال الهنود الوثنيين فى بوذا	٢٣٧
• أقوال النصارى فى المسيح	٢٣٧
• أقوال القرآن فى عصمة الأنبياء	٢٣٧
• رأى الخوارج فى العصمة	٢٣٩
• رأى ابن حزم الأندلسى فى العصمة	٢٤٠
• الرد على فكر ابن حزم الأندلسى فى عصمة الأنبياء يتضمن	٢٤٠
• رأى ابن تيمية فى عصمة الأنبياء	٢٤٠
• رأى المودودى فى عصمة الأنبياء	٢٤١
• نماذج من زيغ وضلال المودودى	٢٤١
١ – بالنسبة للنبى الخاتم ﷺ	٢٤١

الموضوع	الصفحة
٢ – إهانته لنبى الله موسى عليه السلام	٢٤١
٣ – إهانته لنبى الله يوسف عليه السلام	٢٤٢
٤ – إهانته لنبى الله يونس عليه السلام	٢٤٢

الباب الخامس
من تأويلات القرنيين الشيطانية

• الدكتور السالوس ينفى العصمة المطلقة للأنبياء والرسل	٢٤٣
• الدكتور السالوس يخصص عصمة الأنبياء بالتبليغ فقط	٢٤٤
• عصمة النبى محمد ﷺ ثابتة بنص القرآن	٢٤٥
• الخطأ من الرسول ﷺ يوجب الخطأ فى السنة يادكتور سالوس	٢٤٦
• كيف تكون الأمة معصومة والأنبياء عليهم السلام غير معصومين؟ يا دكتور سالوس	٢٤٧
• نسبة الذنوب إلى رسول الله ﷺ يا دكتور سالوس قباحة ووقاحة منك	٢٤٧
• التأويلات الشيطانية لبعض آيات القرآن فى كتاب الدكتور على السالوس	٢٤٨
• **أولًا**: ما قاله فى حق سيدنا موسى عليه السلام	٢٤٨
• **ثانيًا**: ما قاله فى حق سيدنا رسول الله ﷺ	٢٤٩
١ – آية «ما كان لنبى أن يكون له أسرى»	٢٤٩
٢ – آية «عفا الله عنك لم أذنت لهم»	٢٤٩
٣ – آية «وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه»	٢٥٠
٤ – آية «عبس وتولى»	٢٥٠
٥ – آية «واستغفر لذنبك» وآية «ليغفر لك ما تقدم من ذنبك»	٢٥١
٦ – التأويلات الشيطانية فى سورة الضحى آية صادقة لقوله تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين وكفى بربك هاديا ونصيرًا﴾	٢٥٢
• **أولًا**: التأويلات الشيطانية لقوله تعالى: ﴿ألم يجدك يتما فآوى﴾	٢٥٢
• الرد على التأويلات الشيطانية لثالوث التكفير فى سورة الضحى	٢٥٣
• مرضعات سيدنا رسول الله ﷺ	٢٥٤
• حكمة رفع أشراف العرب أولادهم إلى المراضع	٢٥٥
• الحافظ بن حجر يرد على من يصف النبى باليتم المادى	٢٥٥

الموضـــــوع	الصفحة
• يتم الرسول ﷺ يتم معنوى يفيد فوزه بكل الكمالات الإنسانية	٢٥٦
• الفقر فى حقه ﷺ هو الافتقار إلى مولاه والغنى عمن سواه والمسكنة تواضعه	٢٥٦
• ثانيًا : تفسير المجرمين لقوله تعالى ﴿ووجدك ضالا فهدى﴾	٢٥٧
• تجريد الأنبياء من العصمة قديمًا فرية يهودية	٢٦١
• تجريد النبى من العصمة حديثًا فرية وهابية	٢٦١
• لا تقوم الساعة حتى يتحدث الرويبضة	٢٦٢
• أحى فى الله وحبيبى فى رسول الله ﷺ	٢٦٢

الباب السادس
الأوراد والصلوات والأذكار

الفصل الأول : الأوراد	٢٦٣
• حقيقة الأوراد وتلاوتها	٢٦٣
• أهمية الورد فى حياة المسلم	٢٦٣
• الورد دأب الأنبياء السابقين وسجيتهم	٢٦٤
• أوراد فى كتاب الله	٢٦٥
• الورد فى السنة	٢٦٥
• أوراد أهل البيت والصحابة والسلف الصالح وحجيتها	٢٦٧
• ورد الفرج لسيدنا الخضر عليه السلام	٢٦٨
• دعاء ختم القرآن لسيدنا على زين العابدين	٢٦٨
• حزب البحر لأبى الحسن الشاذلى	٢٦٩
• أوراد الإمام المجدد أبى العزائم	٢٦٩
• أوراد الشيخ محمود خطاب مؤسس الجمعية الشرعية	٢٧٠
• مجلس الورد اليومى للجمعية الشرعية قبل توهبها	٢٧٠
• تلاوة الأوراد والصلوات بالمساجد وحكمها	٢٧١
• تلاوة الأوراد والصلوات لا تعد تشويشا على المصلين	٢٧٢
الفصل الثانى : الصلوات على النبى ﷺ	٢٧٤
• فقه الصلوات	٢٧٤

الموضـــوع	الصفحة
• المواطن التى تتأكد فيها الصلاة على النبى ﷺ	٢٧٤
• كيفية الصلاة عليه ﷺ	٢٧٥
• فضل الصلاة على النبى ﷺ	٢٧٧
• صيغ الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ	٢٧٨
• مسالك الوضوح والتصريح	٢٧٩
• من صلوات الإمام على رضى الله عنه	٢٧٩
• من صلوات ابن مسعود رضى الله عنه	٢٨٠
• من صلوات الإمام المجدد أبى العزائم رضى الله عنه	٢٨٠
• معنى الصلاة عليه ﷺ	٢٨٠
• لماذا خص إبراهيم عليه السلام بالتشبيه	٢٨١
• الوهابية وصيغ الصلوات	٢٨٢
• الرد على النجدى فى إنكاره للصلوات	٢٨٢
• من لم يصل على سيدنا رسول الله ﷺ فقد آذاه ، ومن آذاه فقد آذى الله	٢٨٤
• الصلاة عليه وعلى آل بيته	٢٨٤
• من منع الصلاة على النبى بعد الأذان فقد آذاه	٢٨٥
• شبهات وأباطيل الوهابية حول منع الصلاة على النبى ﷺ	٢٨٦
• الرد على هذه الشبهات والأباطيل	٢٨٨
• الصلاة والسلام بعد الأذان وجهر المؤذن بها	٢٩١
• فى قول المؤذن : يا أول خلق الله	٢٩٣
• كيف هو خاتم الأنبياء والمرسلين وأول خلق الله ؟	٢٩٤
• قول المؤذن : يا نور عرش الله	٢٩٤
• قول المؤذن : يا من على بساط النور أجلسك الله	٢٩٥
• لِمَ تمنع الوهابية الصلاة على رسول الله بعد الأذان ؟	٢٩٥
• الصلاة والسلام بعد الأذان من بيانه الشريف	٢٩٧
الفصل الثالث : ذكر الله تعالى	٢٩٩
• حجية الذكر فى الكتاب	٢٩٩
• حجية الذكر فى السنة	٣٠٠
• الذكر عند الجمعية الشرعية قبل أن تتوهب	٣٠٢
• آداب هامة	٣٠٣

الموضـــوع	الصفحة
• شبهات وأباطيل حول الذكر	٣٠٣
• الرد على الشبهات والأباطيل حول الذكر	٣٠٤
• الإنشاد على الذكر سنة لا بدعة	٣٠٩
• التصفيق من قائد الذاكرين جائز	٣١٠

الباب السابع
ردود على بعض شبهات القرنيين

الفصل الأول: الآذان الشرعي والبدعي	٣١٢
• معنى الأذان لغة وشرعًا	٣١٢
• أول ألفاظ الأذان فى بدء الإسلام	٣١٣
• الأذان فى الكتاب	٣١٣
• الأذان فى السنة	٣١٤
• ألفاظ الأذان مثنى مثنى والإقامة وتر	٣١٥
• التطويل فى الأذان من حكم الشرع	٣١٦
• الأذان المقتضب المفزع يخالف إجماع المسلمين	٣١٦
• الأذان لا يكون إلا من ندى الصوت	٣١٦
• هل الأذان حديث؟	٣١٨
• هل الترنيم والتطريب فى الأذان حرام؟	٣١٨
• هل الأذان مقطوم ومقتضب؟	٣١٩
• المصادر التاريخية للأذان المفزع المقتضب	٣٢٠
١ – أصحاب مسجد الضرار هم أصل هذا الأذان	٣٢٠
٢ – ابن تيمية شيخ المخالفين لجمهور المسلمين	٣٢١
٣ – الوهابية أصل هذا الأذان المقتضب	٣٢١
٤ – الجمعية الشرعية أول من استورد هذا الأذان من الوهابية	٣٢٢
الفصل الثانى: الصلاة والسلام على النبى ﷺ بعد الآذان من السنة	٣٢٣
• حكم الأذان على المنارة	٣٢٣
• فتح باب الفتن بالأذان الواحد يوم الجمعة	٣٢٣

الموضـــوع	الصفحة
• الصلاة والسلام على رسول الله بعد الأذان	٣٢٥
• شبهات وأباطيل حول الصلاة والسلام على رسول الله بعد الأذان	٣٢٥
• رد الشبهات والأباطيل حول الصلاة والسلام على رسول الله بعد الأذان	٣٢٥
• رأى الإمام المجدد أبى العزائم فى الصلاة والسلام على النبى بعد الأذان	٣٢٦
• المصلون على النبى ﷺ على الدوام هم المقربون	٣٢٧
• منع الصلاة والسلام على النبى من الإيذاء له ﷺ	٣٢٧
• من منع الصلاة والسلام على النبى خرج على إجماع المسلمين	٣٢٨
الفصل الثالث : صلاة التراويح	٣٢٩
• صلاة التراويح من النوافل والسنن	٣٢٩
• صفة صلاة التراويح	٣٢٩
• حال المسلمين قبل ظهور القرنيين	٣٣٠
• حال المسلمين بعد الصحوة الوهابية	٣٣٠
• ظهور أئمة الضلال باسم السلفية	٣٣٠
• أئمة الضلال يتميزون بالجهل وركوب الهوى	٣٣١
• أيها القرنيون صلاة القيام عشرون ركعة لاثمان	٣٣٢
• قيام شيخكم ابن تيمية عشرون ركعة لاثمان	٣٣٢
• يا جماعات الخوارج بمصر تأدبوا مع شيوخكم فى الحرمين الشريفين واقتدوا بهم	٣٣٣
الفصل الرابع : قراءة القرآن يوم الجمعة	٣٣٥
• ما أجمع عليه علماء المسلمين :	٣٣٥
• موقف الخوارج ومستحدثات الأمور	٣٣٦
• شبهات وأباطيل حول قراءة القرآن يوم الجمعة	٣٣٨
• الرد على هذه الشبهات والأباطيل	٣٣٨
• شبهات وأباطيل حول قراءة سورة الكهف يوم الجمعة	٣٣٩
• الرد على هذه الشبهات والأباطيل	٣٣٩
• رأى الإمام أبى العزائم فى قراءة سورة الكهف	٣٤٠
• التبليغ وراء الإمام سنة حسنة	٣٤١
• الصلاة والسلام على سيدنا رسول الله سنة حسنة	٣٤٢
• المنبر من ست درجات فأكثر من سنة رسول الله ﷺ	٣٤٢

الموضـــــوع	الصفحة
• المحراب المجوف من سنة سيدنا رسول الله ﷺ	٣٤٢
الفصل الخامس: تلقين الميت	٣٤٤
• الأدلة النقلية على تلقين الميت	٣٤٤
• الأدلة العقلية على تلقين الميت	٣٤٥
• تلقين الميت البالغ مستحب باتفاق العلماء	٣٤٦
• الزعم بأن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله	٣٤٧
• تلقين الميت الطفل مختلف فى استحبابه	٣٤٨
• المتوهب هو الذى ينكر التلقين	٣٤٩
• الرد على حجج المتوهبين ببدعية التلقين	٣٥٠
• رأى الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبى العزائم فى التلقين	٣٥١
الفصل السادس: بشرية النبى ﷺ	٣٥٢
• التأويلات القرنية لبشرية الرسول ﷺ	٣٥٢
• الرد على التأويلات القرنية لبشرية الرسول ﷺ	٣٥٢
• مغايرة بشريته ﷺ لسائر البشر	٣٥٧
• الحكمة فى جعل الرسل بشرًا	٣٥٨
• ما العلة فى تمسك ثالوث التكفير ببشرية الرسول ﷺ	٣٥٩
الفصل السابع: القـــنوت	٣٦١
• أقسام الناس	٣٦١
• الناس فى مقام الدعوة قسمان	٣٦١
• الوهابية تكتم الحق وتلبسه بالباطل	٣٦٢
• الوهابية تقنت لحرب العراق مع الكويت بأمر من البيت الأبيض	٣٦٢
• الوهابية تقنت للبوسنة والهرسك بأمر من البيت الأبيض	٣٦٣
• معانى متعددة لكلمة القنوت	٣٦٣
• ثبوت القنوت فى صلاة الفجر فى مذهب المالكية والشافعية	٣٦٤
• أدلة دعاء القنوت فى صلاة الفجر	٣٦٥
• أولًا: من كتب الحديث الشريف	٣٦٥
• ثانيًا: أقوال العلماء والفقهاء	٣٦٧

الموضـــوع	الصفحة
الفصل الثامن: حكم الغنـــاء	٣٦٩
• الغناء عند الإمام الغزالى	٣٦٩
• حكم الغناء فى الإسلام	٣٦٩
• آلات الغناء وحكمها	٣٦٩
• أدلة حلية الغناء من الكتاب والسنة وعمل الصحابة والتابعين	٣٧٠
• دعوى محرمية السماع	٣٧٥
• الرد على دعوى محرمية السماع	٣٧٥
• رأى الإمام المجدد أبى العزائم فى السماع	٣٧٨
الباب الثامن **أمثلة من خوارج عصرنا**	
الفصل الأول: ســـيد قـــطب	٣٧٩
• من هو المجتهد فى الدين	٣٧٩
• الخارجى سيد قطب وأمثاله بلاء على الأمة	٣٨٠
• الخارجى سيد قطب ليس بعالم	٣٨١
• أولًا: كتاب فى ظلال القرآن وهو ضلال فى ضلال	٣٨١
• الرد على هذا الفكر الخارجى لسيد قطب	٣٨٢
• اتهام الخارجى سيد قطب للصحابة والسلف أنهم محرفون لكتاب الله	٣٨٤
• كتاب الظلال لم يدع فردًا إلا ورماه بالكفر	٣٨٤
• آذان المؤذنين بلا مدلول	٣٨٤
• صور متعددة لتكفير الأمة الإسلامية	٣٨٥
• مرشدوا الإخوان من رجال القانون الوضعى	٣٨٥
• سيد قطب خارجى أزارقى	٣٨٥
• الخارجى سيد قطب يحرض الإخوان على الثورة على الحكام	٣٨٦
• الخارجى سيد قطب يقرر أن الدنيا كلها بما فيها مكة والمدينة ليست دار إسلام	٣٨٦
• الخارجى سيد قطب مجسم ومشبه	٣٨٦

الموضـــوع	الصفحة
• تأويلات شيطانية لكتابه .. التصوير الفني فى القرآن	٣٨٧
• الخارجي سيد قطب يطعن فى عصمة الأنبياء	٣٨٧
• دحض أفكار الخارجي سيد قطب	٣٨٨
• احذورا كتب الخارجي سيد قطب	٣٨٨
الفصل الثانى : ناصـــر الألبـــانى	٣٩٠
• أحاديث الرسول تشريع سماوى	٣٩٠
• الألبانى يردد فكر الزنادقة والرافضة والخوارج	٣٩١
• المستشرقون يتخذون من الألبانى وأتباعه مطية للطعن فى الإسلام	٣٩١
• السنة النبوية خدمها المسلمون بما لم يخدموا به علما آخر	٣٩٢
• الضرب على أيدى المجترئين على السنة	٣٩٣
• طرق الطعن فى السنة	٣٩٣
• الطعن فى الحديث	٣٩٣
• الطعن فى الصحابة	٣٩٣
• الطعن فى رجال الحديث	٣٩٤
• الطعن فى الصحيحين	٣٩٤
• الصحيحان أصح الصحيح بالنسبة للحديث	٣٩٤
• شبهات أعداء الحديث والرد عليها	٣٩٥
• الشبهة الأولى والرد عليها	٣٩٥
• الشبهة الثانية والرد عليها	٣٩٦
• ضبط الأحاديث وتدوينها وكتابتها	٣٩٦
١ – فى عهد رسول الله ﷺ	٣٩٦
٢ – فى عهد الصحابة	٣٩٨
٣ – فى عهد التابعين	٣٩٩
• مبلغ علم الألبانى	٤٠٠
• تناقضات وأخطاء ناصر الألبانى	٤٠١
• تعدى الألبانى على الصحيحين	٤٠٢
• كلام الألبانى احتوى على مخالفتين	٤٠٢
• جهل الألبانى باللغة العربية	٤٠٣
• ناصر الألبانى لا يعرف علم الجرح ولا التعديل	٤٠٤

الموضـــوع	الصفحة
• ناصر الألباني لم يسلم من لسانه كبار المحدثين	٤٠٥
• ناصر الألباني عميل للوهابية والصهيونية	٤٠٨
١ – عمالته للوهابية	٤٠٨
٢ – عمالته للصهيونية	٤٠٨
• ولوع الألباني بنقض كلام ابن تيمية	٤٠٩
• أيها المفتونون بالألباني	٤١٠

الباب التاسع
فكر الخوارج وعلاج التطرف والإرهاب

• فكر خوارج المسيحية	٤١١
• أمثلة من أعمال المسيحية	٤١١
• فكر خوارج الإسلام	٤١٢
• حرية العقيدة في الإسلام	٤١٣
• حرية الفكر في الإسلام	٤١٤
• التسامح في الإسلام	٤١٤
• مافيا التطرف والإرهاب عند خوارج الإسلام	٤١٥
• موقف أئمة الإسلام من الخوارج	٤١٥
• مآسي الإرهاب الفكرى	٤١٦
• مافيا التطرف والإرهاب عند خوارج هذه الأيام	٤١٧
• كبوة إسلامية وصحوة وهابية	٤١٧
• علاج التطرف والإرهاب لخوارج هذه الأيام	٤١٨
الخاتمـــة :	٤٢١
• أوجه نصيحتى إلى الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا	٤٢١
• يا شباب الصحوة الوهابية والكبوة الإسلامية	٤٢٢
• صرخة في الله إلى حكام مصر والسودان وتونس والجزائر والمغرب	٤٢٥
• الفهرس	٤٢٩

(أيها القَرْنيون هلّا فقهتم)

هذا الكتاب يرد على الفتنة التى ذاقت منها الأمة الإسلامية الأمَرّين فى أزمان مضت، والتى أطلت برأسها فى زماننا هذا وأصابت الأمة فى صميمها، وهى فتنة القرنيين (الخوارج) الذين روَّعوا الآمنين، وقتلوا الأبرياء من المسلمين بحجة أنهم فسقة وكفار واستحلوا أموالهم مخالفين قول رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر».

وهذا الكتاب يحتوى على تسعة أبواب تكشف حقيقة فكرهم والرد عليه:

الباب الأول: تعريف القرنيين، ومنهجهم وصفاتهم وغايتهم.

الباب الثانى: بيان لأمور شذ بشأنها القرنيون عن إجماع الأمة الإسلامية ومنها: البدعة، والشفاعة، وتعظيم شعائر الله تعالى، والنذر.

الباب الثالث: يتناول موضوع توقير النبى ﷺ، وإحياء ذكرى مولده، وإطلاق لفظ السيادة عليه ﷺ.

الباب الرابع: يتناول موضوع عصمة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

الباب الخامس: يرد على تأويلات القرنيين الشيطانية.

الباب السادس: يتناول موضوع الصلوات على النبى ﷺ، ومشروعية ذلك.

الباب السابع: ردود على بعض شبهات القرنيين حيث يبيّن الأذان الشرعى والبدعى، وحكم الصلاة والسلام على النبى ﷺ بعد الأذان، وحكم صلاة التراويح، وقراءة القرآن يوم الجمعة، وتلقين الميت، وتأويلات القرنيين لبشرية الرسول ﷺ والرد على تلك التأويلات وبيان أن بشرية الرسول ﷺ مغايرة لسائر البشر، ويبين حكمة جعل الرسل بشرًا، ويتناول بعد ذلك القنوت.

الباب الثامن: يبين أمثلة من خوارج عصرنا.

الباب التاسع: يبين حقيقة فكر الخوارج، وعلاج التطرف والإرهاب، ويوجه نصيحة إلى شباب الصحوة الخوارجية والكبوة الإسلامية، ونداء إلى حكام المسلمين.

وهذا الكتاب يحتاجه كل مسلم - خاصة فى زماننا هذا - لأنه يرد على الفكر بالفكر، ويدرأ تمويه الباطل وتدليس الكذب؛ بحجة الحق وبيان الصدق.